

الرقم الترتيبي:

مركز دراسات الدكتوراه: العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والشرعية والتدبير
تكوين الدكتوراه: القانون العام
الحقل المعرفي: القانون العام
التخصص: القانون العام
المختبر: الدراسات السياسية والقانون العام

أطروحة لنيل الدكتوراه

صراع النفوذ الروسي - الأمريكي في الشرق الأوسط وتدابيراته على المنطقة - ما بعد الحرب الباردة -

إعداد الطالب الباحث:
جواد القسمي

تاريخ المناقشة: 07 يوليوز 2021

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	مؤسسة الانتماء	الإطار	أعضاء لجنة المناقشة
مشرفا ورئيسا	بكلية الحقوق بفاس	أستاذ التعليم العالي	الحسن الوارث
مقررا	بكلية الحقوق بفاس	أستاذ التعليم العالي	رشيد المرزكيوي
مقررا	بكلية الحقوق بمكناس	أستاذ التعليم العالي	محمد الهزاط
عضوا	بالكلية المتعددة التخصصات بتازة	أستاذ التعليم العالي	عبد القادر لشقر

مقتضب عن الأطروحة

يندرج موضوع البحث ضمن واقع الصراع في العلاقات الدولية، وخاصة صراع النفوذ بين قوى دولية كبرى لها مكانتها في النظام الدولي، وكذا تركز هذا الصراع في مناطق جغرافية بالغة الأهمية كمنطقة الشرق الأوسط، فطبيعة التطورات المتلاحقة التي عرفت المنطقة وحجم التدخلات الأجنبية فيها، خاصة من دول كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، ومحاولة الأخيرة تغيير الشكل الأحادي للنظام الدولي، ورغبتها في استعادة دورها ومكانتها في هذا النظام، عبر اتخاذ مواقف وخطوات واضحة في العديد من القضايا، تعيد إلى الأذهان ما كان واقعا إبان الحرب الباردة، حيث الصراع بين القطبين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي على مناطق النفوذ في العالم.

يركز البحث على صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط التي دخلت أزمتها مرحلة التدويل الفعلي، وباتت ميدان صراع حقيقي بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من جهة، وروسيا وحلفائها من جهة ثانية، مع ما يرافق ذلك من تباعد وتناقض وتشابك وتداعيات بسبب كثرة المتغيرات المؤثرة في الصراع.

يرصد البحث مظاهر وأبعاد هذا الصراع بين البلدين في المنطقة سواء الاقتصادية أو السياسية والدبلوماسية وحتى الأمنية العسكرية، ويناقش إشكالية رئيسية تقف عند التكلفة العالية لهذا الصراع وآثاره وتداعياته على دول المنطقة وقضاياها الأساسية. وقد اعتمد البحث على النظرية الواقعية البنوية الهجومية كأساس لدراسته التحليلية، حيث إن دراسة أي موضوع أو ظاهرة ما في العلاقات الدولية تستدعي الرجوع إلى الخلفية المعرفية الفكرية والمرجعية النظرية لها، إذ توجد علاقة تلازمية بين الجانب النظري من جهة، والواقع العلمي من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية:

الشرق الأوسط - صراع النفوذ- النظام الدولي- روسيا - الولايات المتحدة الأمريكية

المقدمة

شكلت العقود الأخيرة مرحلة إعادة صياغة النظام الدولي الذي كانت تتصارع فيه القوى الكبرى وتتنافس على قيادة العالم، من نظام يالطا¹ حيث الثنائية القطبية إلى نظام أحادي القطبية تنزعه وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية، إلى بؤادر تشكل نظام جديد متعدد الأقطاب تتصارع فيه العديد من القوى الكبرى على النفوذ والمصالح في العديد من مناطق العالم.

تشكل نظام يالطا ببرز قطبان عالميان جديان هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، وقد أصبحا في ظل الوضع الجديد وحدهما القادران على تقرير صورة النظام الدولي كله، بما يملكه من قدرات فائقة، وهكذا تحول النسق الدولي إلى صورته التي راحت تعرف بالنظام الدولي الثنائي القطبية.

إنبلج فجر العداء بين القطبين ولاح في الأفق مع نهاية الحرب العالمية الثانية بعدما تهوَّرت النظم الشمولية الفاشية والنازية في أوربا، التي كانت تمثل خطرا يهدد القطبين معا، ذلك التهديد الذي كان سببا وراء تحالف القطبين خلال فترة الحرب.

مع القضاء على التهديد النازي والفاشي بدأ الصراع بين العملاقين يبرز على السطح مرة أخرى، وبدأت الخلافات بينهما حول اقتسام مناطق النفوذ، واشتد هذا الخلاف إلى حد الأزمات الدولية التي كادت أن تعصف بالسلم والأمن الدوليين مثل أزمة برلين 1948، والحرب الكورية 1950، وأزمة الصواريخ الكوبية 1962، لولا الإدراك الواعي من جانب القوتين لمخاطر المواجهة بينهما، لاسيما في ظل التقدم التكنولوجي الذي انعكس بصورة

¹ تعود التسمية إلى مؤتمر يالطا أو اتفاقية يالطا، وهي الاتفاقية الموقعة بين الاتحاد السوفياتي بز عامة ستالين وبين بريطانيا بز عامة تشرشل والولايات المتحدة الأمريكية بز عامة روزفلت، وقعت هذه الاتفاقية في مدينة يالطا السوفياتية الواقعة على سواحل البحر الأسود من 4 إلى 11 من فبراير عام 1945، ولقد ناقش المؤتمر كيفية محاكمة أعضاء الحزب النازي وتقديمهم كمجرمي حرب، بالإضافة إلى كيفية تقسيم ألمانيا، هل إلى أربع كما رغبت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أي بزيادة فرنسا أم إلى ثلاث كما رغبت الاتحاد السوفياتي، وأيضا تقسيم مدينة برلين بنفس الطريقة التي قسمت بها ألمانيا. كان الهدف من المؤتمر هو تنظيم حالة السلم ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي عرفت بمرحلة الحرب الباردة.

مباشرة على مجال التسلح، فأدى إلى ظهور أنواع جديدة من الأسلحة ذات القوة التدميرية الهائلة، ومنها الأسلحة الذرية، مما أدى إلى التحول بالنظام الدولي من توازن القوى التقليدي، إلى التوازن القائم على الأسلحة الذرية، وهو ما أصبح يعرف بتوازن الرعب النووي.

كان للتناقض الإيديولوجي بين القطبين أثره البالغ في تعميق هذا الخلاف بينهما، فقد أدى ذلك الخلاف الإيديولوجي إلى انقسام دول العالم المتقدم إلى كتلتين رئيسيتين، الكتلة الغربية الرأسمالية تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها دول غرب أوروبا وكندا واليابان، والكتلة الاشتراكية الشيوعية التي يتزعمها الاتحاد السوفياتي ومن ورائه دول شرق أوروبا، وتتمثل هاتان الكتلتان في حلف الشمال الأطلسي وحلف وارسو.

لقد لجأ كلا القطبين في صراعه مع الآخر إلى الاستحواذ على أراض العالم الثالث عبر الوسائل غير المباشرة تجنباً للاحتكاك المباشر بينهما، ومن أمثلة تلك الوسائل، نجد الدبلوماسية والدعاية الاقتصادية وإقامة الأحلاف، ودعم نظم الحكم الموالية والعمل على إسقاط نظم الحكم المعادية عن طريق إثارة الفوضى والثورات وتدبير الانقلابات والاحتلالات، إلى جانب الحروب بالوكالة...، إلى غير ذلك من الوسائل والأساليب مع مراعاة الحذر والحيلة دون تصعيد الصراع المباشر بين القطبين.

يَبْدُ أن هذا الصراع بين القطبين على العالم سرعان ما انتهى لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، بعد ضُـمُور وتفكك الاتحاد السوفياتي للعديد من الأسباب، ليتحول بذلك النظام الدولي من نظام ثنائي القطبين إلى نظام أحادي القطبية، الذي مثلت فيه الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى والقطب الأُـوحد والوحيد المهيمن على الساحة الدولية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، حيث عمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحفاظ على هذه الهيمنة والحيلة دون ظهور قوى قد تؤثر عليها.

إن محاولة تغيير الشكل الأحادي للنظام الدولي برزت مؤخراً مع رغبة بعض الدول كروسيا في استعادة دورها ومكانتها في النظام الدولي، عبر اتخاذ مواقف واضحة في العديد من القضايا، وبعبقيدة براغماتية فكت ارتباطها بدور اللاعب الملحق للاعب أساسي

آخر في النظام الدولي، لأن الاتحاد السوفياتي حسب المحللين لم يكن انهياره في المقتل؛ فالبنية الأساسية لدوله من الدرجة الأولى لم تنهار أيضا حد الموت، وكانت من القوة بالقدر الذي مكنها من العودة السريعة إلى الحياة، عن طريق دولة روسيا الاتحادية، واستعادة مكانتها كوريث للاتحاد السوفياتي سابقا، بعدما كانت قد واجهت متغيرات دولية وإقليمية جديدة في التسعينات من القرن الماضي عملت على إبعادها من موقعها كدولة تصنف في مصاف القوى العظمى، بسبب ضعف بناها الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما اقترن باتباعها لسياسة خارجية تتماشى وطبيعة ظروفها المستجدة.

لقد شكل حدث تعرض الولايات المتحدة الأمريكية لهجمات استهدفت مراكزها الحيوية بتاريخ 11 سبتمبر 2001 منعطفا هاما، برزت خلاله تحولات ومستجدات عديدة في شكل ومضمون السياسة الدولية، واتسمت معظم هذه التحولات بكونها فاصلة وتأسيسية؛ إذ عملت على تأسيس قواعد ومفاهيم وعلاقات ومراكز قوى عالمية جديدة، كما ساهمت في تكريس الهيمنة الأمريكية في العديد من المناطق الحيوية والحساسة في العالم عموما، وفي المنطقتين العربية والشرق أوسطية خصوصا.

إضافة إلى ذلك، فعودة روسيا للساحة الدولية تزامن مع تولي فلاديمير بوتين لإدارة البلاد والتغيرات التي شهدتها السياسة الروسية على إثر ذلك، حيث عمل بوتين على رفع معدلات النمو في مختلف المجالات بوتيرة متسارعة لاستعادة مكانتها الدولية التي كانت تتمتع بها في فترة الحرب الباردة، حيث شكل وصوله للسلطة منعرجا مؤثرا في تاريخ روسيا لما بعد الاتحاد السوفياتي، بعد أن تميزت مرحلة حكم الرئيس بوريس يلتسين بالتخلي عن الأدوار السوفياتية السابقة والضعف والولاء للغرب.

إن محاولة إضعاف الهيمنة الأمريكي في الساحة الدولية وفي مناطق نفوذها التقليدية التي طالما اعتبرت مناطق جيواستراتيجية لها، جاءت بعد اقتناعها - روسيا - أن السياسة الأمريكية التي تطل دول آسيا الوسطى* والقوقاز** والعديد من الدول الأخرى القريبة من

* آسيا الوسطى، أو آسيا الداخلية، أو بلاد ما وراء النهر، كما كانت تعرف في فترة الخلافة الإسلامية، هي منطقة جغرافية مغلقة تقع في قلب قارة آسيا، أو قلب العالم، وهي تضم كلاً من أوزبكستان وتركمانستان وكازاخستان وطاجيكستان وقرغيزستان، وهي لا تطل على أي من البحار المفتوحة لكن موقعها الجغرافي يجعلها ذات أهمية كبرى.

روسيا في إطار الحرب على الإرهاب، أصبحت تهدد الأمن الروسي في مناطق تعتبرها روسيا مراكز نفوذ لها.

خلقت عودة روسيا القوية والفاعلة في السياسة الدولية مرة أخرى، فرصة حقيقية ومواتية لتخفيف الضغوط التي تمارسها عليها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لجأت لضغط مقابل، ومنافسة الولايات المتحدة الأمريكية حول العديد من المناطق التي تمثل أهمية استراتيجية واقتصادية للإدارة الأمريكية، والتحول إلى لاعب مؤثر وقوة قادرة على تحدي النفوذ الغربي في مناطق مهمة وحيوية، لاسيما في منطقة الشرق الأوسط، التي شكلت مجالا للصراع الدولي على النفوذ منذ القدم.

لقد أضى الشرق الأوسط منطقة نفوذ أساسية ومجال اهتمام كبير للدول الكبرى، حيث تجلت في الماضي إبان الحرب الباردة من خلال الأزمات التي مرت بها، وخاصة مسألة الصراع العربي الإسرائيلي وما تبعها من حروب وأحداث، وتطورات ونتائج إقليمية ودولية، أما في الوقت الراهن فإن موضوع الربيع العربي بجميع محطاته والأزمات المزمنة واللاحقة، سواء المحطة العراقية، أو السورية، أو الإيرانية... إلخ، كلها قضايا/أزمات تتصدر قائمة اهتمامات الدول الكبرى.

لقد أضحت المنطقة مكانا لصراع النفوذ الروسي-الأمريكي، معلنة عن خروج الشياطين القديمة للحرب الباردة بعد عودة الاهتمام الروسي بها، وجعلها ضمن سلم أولويات الإدارة الروسية سواء عبر المسار السياسي أو الاقتصادي أو الأمني العسكري، حيث دخلت أزماتها لمرحلة التدويل الفعلي، وباتت ميدان صراع حقيقي بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة وروسيا وحلفائها من جهة ثانية، مع ما يرافق ذلك من تقارب وتباعد وتناقض وتشابك وتداعيات بسبب كثرة المتغيرات المؤثرة في هذا الصراع.

** القوقاز أو القفقاز أو القفقاس أو بلاد القَبَق، هي منطقة جغرافية تقع عند حدود أوروبا وآسيا، وهي موطن جبال القوقاز، بما فيها أعلى جبل في أوروبا جبل ألبروز، وغالبا ما يقسم القوقاز إلى القوقاز الجنوبي والقوقاز الشمالي؛ يتكون القوقاز الجنوبي من ثلاث دول مستقلة وهي جورجيا وأذربيجان وأرمينيا، أما القوقاز الشمالي فيتكون من عدة جمهوريات ومناطق ذات حكم ذاتي أهمها الشيشان وداغستان.

الإطار المفاهيمي للبحث

إن بداية التأصيل العلمي للبحث تبدأ من تحديد الإطار المفاهيمي الذي لا يقل أهمية عن الدور التحليلي والتفسيري لمختلف المقاربات النظرية، حيث تعتبر المفاهيم من الناحية الإستراتيجية أداة ذهنية تحليلية يتصور الباحث من خلالها مادة بحثه، ويتم عن طريقها وضع المنطلقات الأساسية لأي دراسة علمية.

ولذات الغاية حاولنا في هذه الدراسة أن نفكك المفاهيم المفتاحية والتي تعتبر ضرورية لهذا البحث والمستعملة في عنوانه، والتي تنتمي للعلاقات الدولية كحقل معرفي مؤطر لهذا البحث.

أولاً: مفهوم الصراع والمفاهيم المشابهة

يستخدم الصراع غالباً لتوصيف حالة تكون فيها جماعة معينة من الأفراد، سواء قبيلة أو طائفة عرقية أو لغوية أو ثقافية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو أي شيء آخر في تعارض واع مع مجموعة أو مجموعات أخرى معينة، لأن كلا هذه المجموعات يسعى لتحقيق أهداف متناقضة فعلاً أو تبدو كذلك¹.

يعرف الصراع أيضاً على أنه صدام بين طرفين أو أكثر من القوى، أو الأشخاص الحقيقيين أو الاعتباريين، يحاول فيه كل طرف تحقيق أهدافه ومنع الطرف الآخر من تحقيق ذلك بمختلف الوسائل، وقد يكون مباشراً أو غير مباشر سلمياً أو مسلحاً واضحاً أو كامناً².

يقصد به أيضاً تنازع للإرادات الوطنية، وهو التنازع الناتج عن الاختلاف في واقع الدول وفي قراراتها وأهدافها وتطلعاتها وفي مواردها وإمكاناتها، مما يؤدي إلى اتخاذ قرارات أو انتهاج سياسات معينة متناقضة ومتضادة، ولكن بالرغم من ذلك يظل الصراع قابلاً للحل قبل الوصول لنقطة الحرب المسلحة³.

¹ جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، *النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية*، ترجمة وليد عبد الحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص. 140.

² حسين قادري، *النزاعات الدولية: دراسة وتحليل*، منشورات خير جليس، الجزائر، 2007، ص. 19.

³ علاء أبو عامر، *العلاقات الدولية*، دار الشروق للنشر، عمان، 2004، ص. 190.

أما بعض الباحثين، فيذهب إلى اعتبار الصراع تنافسا مثل "لويس كوسر" الذي عرف الصراع على أنه تنافس على القيم وعلى القوة والموارد، يكون الهدف فيه بين المتنافسين تحييد أو تصفية أو الإضرار بالخصوم.¹

وهناك بعض الاتجاهات التي تنصرف إلى التركيز على البعد التنافسي في تعريف الصراع، باعتباره أحد أشكال السلوك التنافسي بين الأفراد أو الجماعات، وأنه يحدث عندما يتنافس طرفان حول أهداف غير متوافقة، وبذلك حسب هذا التوجه، فإن الصراع هو عملية منافسة محتملة بين طرفين أو أكثر حول ظاهرة ما². تتشابه بعض المفاهيم مع مفهوم الصراع من قبيل التنافس والنزاع والتوتر و...إلخ.

1- مفهوم التنافس في العلاقات الدولية

إن المصطلح الأقرب والأكثر تداخلا مع مصطلح الصراع هو التنافس، حيث هناك العديد من التعريفات التي تطرقت للتنافس في العلاقات الدولية، ويمكن القول إن التنافس الدولي يقصد به الاختلافات الموجودة في المجتمع الدولي، وهي اختلافات تتضخم وتأخذ صورة الصراع إذ لم تتم معالجتها، فالدول تسعى إلى تعظيم مكاسبها وفقا لمفهوم المصلحة الوطنية بشكل قد يتناقض مع مصالح دول أخرى، مما يولد حالة من التنافس، وقد يشمل التنافس مجالا محددا، وقد يتسع ليشمل مجالات عديدة كالتنافس الاقتصادي والسياسي والحضاري...، خصوصا إن كانت تلك الدول التي يطبع علاقتها التنافس متباينة إيديولوجيا أو متباينة في المنهجين الاقتصادي والسياسي لكل منهما³.

وقد يرقى التنافس ليصبح صراعا عندما تحاول الأطراف دعم مراكزها على حساب مركز الآخرين، وتعمل على الحيلولة دون تحقيق الآخرين لغاياتهم أو تحييدهم بإخراجهم من اللعبة أو حتى بتدميرهم، والصراع قد يكون عنيفا أو غير عنيف، وقد يكون مستمرا أو

¹ جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، *النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية*، مرجع سابق، ص. 140.
² منير محمود بدوي، "مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع"، *مجلة دراسات مستقبلية*، العدد 3، 1997، ص. 36.
³ عبد الله فلاح عودة العضائية، "التنافس في آسيا الوسطى"، مذكرة ماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2011، ص. 4.

متقطعا، أو يمكن التحكم فيه أو خارج نطاق السيطرة، وقد يكون قابلا للحل أو غير ذلك في ظل ظروف معينة¹.

يعرف التنافس أيضا على أنه حالة تختلف فيها جهتان أو أزيد على أهداف غير متوافقة، بغض النظر عن كون الأهداف حقيقية أو متصورة.

كما يعرف على أنه موقف معين يكون لكل من المتفاعلين فيه علما بعدم التوافق في المواقف المستقبلية المحتملة، كما يكون كل منهم مضطرا أيضا لاتخاذ موقف غير متوافق مع المصالح المدركة للطرف الآخر².

2. مفهوم النزاع في العلاقات الدولية

يعرف النزاع بأنه تسلسل ينطلق من بزوغ أزمة حيث تتحول إلى نزاع قد يأخذ طابعا عسكريا، أو يتطور إلى طابع آخر قد يكون اقتصاديا، أو أمنيا، أو إعلاميا.

أما النزاع ذو الطابع الدولي، فهو نزاع وتصادم إرادات ومصالح الدول الوطنية، هذا التنازع والتصادم يكون ناتجا عن الاختلاف في دوافع الدول وتصوراتها وأهدافها ومواردها وإمكانياتها، مما يؤدي إلى نهج سياسات أكثر تناقضا واختلافا، رغم ذلك تبقى جل النزاعات بعيدة عن الحرب.

يؤكد عديد المفكرين بأن النزاع، هو ظاهرة طبيعية مغروسة في النظام الدولي، بالإضافة إلى طبيعة الإنسان الأنانية وكذا الطبيعة التنافسية للنسق الدولي، الشيء الذي يجعل من إمكانية التنبؤ بوقوع النزاع أمر صعب ومعقد³.

نجد تعريف ريمون آرون (Raymond Aron) الذي يعرف النزاع على أنه ليس وليد الوقت الحالي، بل هو موجود منذ العصور القديمة وهو نتيجة لتضاد المصالح⁴.

¹ جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، *النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية*، مرجع سابق، ص. 141.

² منير محمود بدوي، "مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع"، مرجع سابق، ص. 39.

³ حسين قادري، *النزاعات الدولية: دراسة وتحليل*، مرجع سابق، ص. 11.

⁴ Dany Deschenes, *Théories des Relations Internationales*, Canadian Journal of Political Science, Canada, 2005, p. 189.

تعرف آلن فرجيسون (Allen Vergison) أن النزاع يبدأ عندما تقوم دولة ما بفعل تكون تكلفته كبيرة لدولة أخرى، أو في الوقت نفسه تعتقد الدولة الأخرى أن بإمكانها تقليل خسائرها بالقيام بفعل مضاد تجاه الدولة الأولى التي بدأت بالمبادرة بالفعل، هذا الوضع يدل على أننا أمام دولتين، أو مجموعة من الدول تحاول تحقيق أهدافها في نفس الوقت¹.

3- مفهوم الحرب في العلاقات الدولية

يعتبر كارل فون كلاوزفيتز* (Carl Von Clawz) أن الحرب ليست شيئاً مختلفاً عن المبارزة على نطاق واسع، فالحرب عمل من أعمال العنف، يستهدف إكراه الخصم على تنفيذ إرادتنا. كما يعتبر كلاوزفيتز الحرب بأنها امتداد للسياسة بوسائل أخرى، وعمل عنف يقصد منه إجبار الخصم على الخضوع².

فالحرب عند كلاوزفيتز تعبر عن ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح متعارضة بين طرفين من البشر بوسيلة العنف وأقصى ما توصل إليه الإنسان من وسائل إدارة الحروب³.

نجد تعريف آخر لغاستون بوتول (G.Bouthoul)⁴، الذي يعرف الحرب بأنها "العنف الهائج والمنظم الذي تسبغ عليه صفة القداسة، وهي المجابهة الدموية بين مجموعات داخلية أو دولية لأغراض سياسية، وهي أيضا الحالة التي تكون فيها نسبة الموتى بالقتل الجماعي مرتفعة جدا من الناحية العددية⁵."

¹ حسين قادري، *النزاعات الدولية: دراسة وتحليل*، مرجع سابق، ص. 12.
* كارل فون كلاوزفيتز بالإنجليزية Carl von Clausewitz، ولد سنة 1780 في ماغديبورغ الألمانية وتوفي سنة 1831 في بريسلاو، هو جنرال ومؤرخ حربي بروسى. من أهم مؤلفاته كتاب (Vom Kriege) أي من الحرب. تركت كتاباته حول الفلسفة والتكتيك والإستراتيجية أثرا عميقا في المجال العسكري في البلدان الغربية. تدرس أفكاره في العديد من الأكاديميات العسكرية كما أنها تستعمل في عدة مجالات مثل قيادة المؤسسات والتسويق. ويعتبر من أكبر المفكرين العسكريين شهرة وتأثيرا على مر التاريخ.

² غاستون بوتول وآخرون، الحروب والحضارات، ترجمة أحمد عبد الكريم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، 1984، ص. 24.

³ المرجع نفسه، ص. 15.

⁴ الموسوعة الحرة ويكيبيديا، https://fr.wikipedia.org/wiki/Gaston_Bouthoul، (09.01.2017).

⁵ غاستون بوتول وآخرون، الحروب والحضارات، مرجع سابق، ص. 26.

يعرف روسو الحرب بأنها: "عبارة عن صراع مسلح يقع بين الدول بهدف فرض التوجهات السياسية باستخدام وسائل تم تنظيمها بموجب القوانين الدولية"¹.

هناك تعريف يعتبر الحرب أنها: "الصدام الفعلي بوسيلة العنف المسلح لحسم التناقضات الجذرية، التي لم يعد يجدي معها استخدام الأساليب الأكثر لنا أو الأقل تطرفاً"².

يعرف كمال حداد النزاع بأنه خلاف حاد وتاريخي حول منافع محددة مثل الحدود، أو المياه بين دولتين، إذ يكون موضوعه أحد المصالح الحيوية ويتشعب النزاع أو يتقلص نظرا للتدخل الأجنبي فيه³.

4. مفهوم التوتر في العلاقات الدولية

يعتبر التوتر نوعا من القلق وانعدام الثقة بين دولتين أو أزيد، قد يكون التوتر سابقا وسببا للنزاعات والأزمات الدولية أو نتيجة لهذه النزاعات، حيث من الممكن أن ترتفع حدة هذا التوتر لتصل حد تحولها لأزمة أو نزاع قد يكون مسلحا إن لم يتم احتواؤه بالسبل السلمية، و غالبا ما ترتبط أسباب التوتر بأسباب النزاع⁴.

يعرفه البعض باعتباره أول مرحلة للنزاع وبأنه حالة شيء يهدد بالقطيعة، أما حسب مارسيل ميرل، فالتوتر هو مواقف نزاعية لا تقضي للجوء للقوة ولو مرحليا⁵.

يعتبر التوتر بداية لحالة نزاعية، ولا يتعارض وجوده مع أنواع التعاون كالعلاقات الجزائرية المغربية الحالية، كما أنه – التوتر- يسبق مرحلة الصراع ولا يؤدي وحده إلى إليه، وإنما يعود لميل الأطراف لاستخدام أو إظهار سلوك الصراع، أي الشك والريبة وعدم الثقة بين الأطراف ليست كافية لتوليد الصراع بين الأطراف، وإنما الموقف المتعارض لأطراف النزاع، ويذهب هولستي* Holsti، في هذا الإطار إلى أن العداوة والريبة والشك،

¹ حسن قادري، النزاعات الدولية: دراسة وتحليل، مرجع سابق، ص. 15.

² علاء أبو عامر، العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 191.

³ كمال حداد، النزاعات الدولية، الدار الوطنية للدراسات والنشر، لبنان، 1997، ص. 27.

⁴ المرجع نفسه، ص. 30.

⁵ ناصيف يوسف حتي، النظرية في العلاقات الدولية، دار الكتاب العربي، لبنان، 1995، ص. 296.

* رودولف هولستي Rudolf Holsti؛ يوفاسكولا، 8 أكتوبر - 1881 بالو ألتو، كاليفورنيا، 4 أغسطس 1945، سياسي و صحافي و دبلوماسي فنلندي. وزير خارجية فنلندا بالفترتين 1919 - 1922 و 1936 - 1938 و عضو بالبرلمان الفنلندي 1913-1918 ممثلا عن الحزب الفنلندي الشاب (Nuorsuomalainen Puolue) و ممثل الحزب الوطني التقدمي منذ

ليست شروطاً كافية لنشوب صراع أو أزمة، حيث إن التوتر لا يتحول إلى صراع إن تمكنت أطرافه من الحد من تعارض المواقف المعلنة¹.

5- مفهوم الأزمة في العلاقات الدولية

تشير بعض الدراسات إلى أن مصطلح الأزمة يعود إلى جذور يونانية تشتق فيها كلمة (Crisis) من الكلمة الإغريقية (Krino)، التي تعني وسائل إدارة أو موضوع يتعلق بالقرار الحاسم أو المهم، إلا أن هذه الكلمة تستخدم بشكل عام للإشارة إلى الحالة المتسمة بالخطر والترقب والقلق².

يعد مصطلح الأزمة من المصطلحات الكثيرة التي هي محل اختلاف في تحديد معناها، وذلك نابع من اختلاف المستويات التي تحدث فيها الأزمة، حيث يستخدم مصطلح الأزمة بشكل واسع في مسائل عديدة فنقول أزمة اقتصادية، أزمة نقدية، أزمة نفسية... إلخ، فالأزمة يمكن وقوعها في أية جهة من الجهات و في أي مكان أو زمان، ويمكن الحيلولة دون وقوع بعضها، في حين أن أزمات أخرى لا يمكن معالجتها أو السيطرة عليها، وقد تتحول إلى نزاع مسلح³.

في حقل العلاقات الدولية أضحت الأزمة الدولية، تحظى باهتمام الكثير من الباحثين الذين حاولوا وضع تعريف واضح لها، لكن التصورات الفكرية لدى الباحثين أدت لتعدد التعاريف بخصوص الأزمة الدولية كمصطلح، ومن تلك التعاريف :

- يعرفها تشارلز ماكليلاند Charles Maklilan " بأنها عبارة عن تفجيرات قصيرة تتميز بكثرة وكثافة الأحداث فيها، وتتميز أيضاً بالسلوك المتكرر، أي أن كل أزمة تأخذ مساراً مماثلاً لغيرها"⁴.

عام 1919 . كما مثل هولستي فنلندا لدى عصبة الأمم كان جمهورياً (أي معارضاً للحركة الملكية الناشطة في فنلندا) و مؤيداً قوياً للديمقراطية.

¹ إبراهيم بولمكاحل، سلسلة محاضرات، مقياس تحليل النزاعات الدولية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة قسنطينة، ص. 5.

² Carsten Holbrad, *The Super Power and International Conflict*, The Macmillan Press, USA, Ltd, 1979, p. 17.

³ تحسين الزاز، إدارة الأزمة بين نقطتي التحول والغليان، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت، 2001، ص. 13.

⁴ إبراهيم بولمكاحل، محاضرات، مقياس تحليل النزاعات الدولية، مرجع سابق، ص. 6.

- يعرفها تشارلز هيرمان Charles Herman بأنها "تهديد كبير ومفاجئ في وقت قصير"¹. من خلال هذا التعريف نستنتج بأن لها - الأزمة - خصائص ثلاث رئيسية:
- خاصية المفاجئة؛ كونها غير متوقعة بالنسبة لصانع القرار.
- خاصية التهديد؛ حيث تتأثر وحدة صنع القرار بشكل كبير.
- خاصية الزمن؛ تعني محدودية زمن الاستجابة للأزمة، حيث أن صانع القرار لا يملك الوقت الكافي للتعامل مع الأزمة بحكم فجائيتها.

إن؛ الأزمة هي تعبير عن وضع نزاعي مؤقت يحمل طابع التهديد والمفاجئة، بالإضافة إلى الزخم الكبير للأحداث التي قد تقود الأزمة لتصير حرباً، إذا لم يتم إدارتها جيداً كما تعد نقطة تحول هامة في مسار الصراع، وتعبر عن رغبة طرف من الأطراف في إنهاء حالة الخلاف لصالحه، وذلك باتباعه سلوكاً مفاجئاً وغير متوقع، يفهمه الآخر، على أنه تهديد مباشر لوجوده، وقد يعمق من التضارب الموجود، الشيء الذي قد يخلق درجة عالية من الإدراك باحتمال اندلاع الحرب².

من خلال مختلف المفاهيم السابقة، يتضح أن أقرب مفهوم مشابه للصراع هو التنافس، إلا أننا اخترنا مفهوم الصراع في دراستنا لأسباب متعددة أهمها؛ كونه يشمل مجالات متعددة، إضافة إلى أن الوصول إلى الهدف في إطاره يكون بإعاقة الطرف الآخر وإزالته بشتى الوسائل الممكنة عكس التنافس، الذي لا يكون ضمنه الإضرار وعرقلة الطرف الآخر.

ثانياً: مفهوم النفوذ

النفوذ (influence) حسب قاموس بينغوين للعلاقات الدولية هو وثيق الصلة بمفهوم القوة وله معنيان.

¹ المرجع نفسه.

² المرجع نفسه، ص. 7.

الأول: هو شكل قسري للقوة، ويمكن تحليله مثل القوة بوصفه قدرة وبوصفه علاقة، ثم إن علاقات النفوذ مشابهة لعلاقات القوة بمعنى أنهما يسعيان إلى جعل شخص ما يفعل شيئاً ما، ما كان ليفعله بخلاف ذلك، فيتم إقناع الهدف بتغيير رأيه بدلاً من إجباره على ذلك. يغلب على علاقات النفوذ بهذا المعنى القسري، أن تشيع بين الفاعلين الذين اعتادوا على توقع ونيل مستوى عالٍ من التجاوب في علاقاتهم - حلفاء بدلاً من خصوم شركاء في تآلف بدلاً من أطراف متصارعين -؛ في هذه الأوضاع يفضل النفوذ على القوة من أجل ضمان الاتفاق، وكثيراً ما ينظر إلى ما يدعى ترابط الحساسية من حيث التجاوب ضمن علاقة قائمة ويمكن الربط بين مفهومي - النفوذ والترابط - بهذه الطريقة.

ويمكن أيضاً تحديد علاقات النفوذ في تسلسل هرمي للسلطة، شريطة أن يقبل الفاعلون في أسفل "التسلسل الهرمي الاجتماعي" زعامة الطرف الذي في أعلى الهرم؛ فعندها يتمكن ذلك الأخير من ممارسة السطوة على الآخرين، لكنه من جهة أخرى يكون عرضة للنفوذ بدوره، ويكون التجاوب موجوداً هنا أيضاً لكن العلاقة تكون أقرب إلى ما دُعي بـ "ترابط العرضة للتأثر" (vulnerability interdependence) ويميل النفوذ، في نظام متسلسل هرمي، إلى أن تتدرج لتمرزج بالقوة عندما يسعى، أو إذا سعى الفاعلون للتلاعب بقابليات التأثر المدركة بطريقة قسرية¹.

الثاني: يمكن تحديد النفوذ ضمن علاقة القوة ذاتها، بدلاً من أن تكون بديلاً لها، لذا يمكن استعمال المصطلح لوصف علاقات قوة تفشل في توليد الإذعان، بل تولد رد فعل ما من الطرف المستهدف على محاولة الطرف الممارس للقوة. وبما أن النفوذ ينظر إليها باعتبارها فشلاً للقوة، فإن الفرق بين المفهومين يتفاعل كثيراً بهذا المعنى الثاني. والمثال على النفوذ بهذه الطريقة هو "لقد فشل في جعل الطرف المستهدف يفعل ما يريد (الطرف الممارس) لكنه مع ذلك جعله يغير سلوكه".

ففي هذا السياق الثاني تكون القدرة على ممارسة النفوذ والقدرات على ممارسة القوة شيئاً واحداً، ويمكن القول عن شخص بهذا المعنى الثاني "ظن أن لديه القوة لكن لم

¹ غراهام إيفانز وجيفري نوبينهام، قاموس بنغوين للعلاقات الدولية، مركز الخليج للأبحاث، دبي الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى 2004، ص. 340.

يكن لديه سوى النفوذ"، فأبي فاعل لا يتمكن من التغلب على المقاومة وتأمين أهدافه هو " صاحب سلطة " فقط، وليس " صاحب قوة "، ويتمثل الفرق بين هذا الاستعمال لـ"النفوذ" والاستعمال الذي ورد أنفا في الدور الذي تلعبه الجزاءات. ففي أحد استعمالات المصطلح لا تلعب جزاءات النفوذ أي دور على الإطلاق، وتكون موجودة في استعمال آخر، لكنها تفشل في تأمين الإذعان¹.

إن النفوذ من دون قوة والنفوذ ضمن القوة أفكار يصعب تجسيدها وملاحظتها تجريبيًا (empirically). بل إن العديد من الخبراء لم يحاولوا ذلك مجرد محاولة، ويجمع داهل (Dahl) 1984 وهو من أبرز الذين كتبوا عن القوة في علم السياسة ذاته، " القوة " و"السلطة" و"السيطرة" معا بوصفها " مصطلحات تشير إلى النفوذ. وبهذه الطريقة يصبح النفوذ نموذجا للمصطلح المنحوت من كلمات عدة، وقد تم تجنب هذه المقاربة هنا من خلال تعريف النفوذ بطريقتين، هما بالطبع قريبتان من القوة ولكن يمكن تمييزهما عنها، على الأقل تحليليا².

ثالثا: مفهوم ودلالات الشرق الأوسط

يعتبر مفهوم الشرق الأوسط من المفاهيم التي يصعب تحديدها بشكل دقيق وواضح، كما هو الحال في بعض الأقاليم الجغرافية الأخرى، ولا يعود السبب إلى كون الإقليم مجرد ابتكار لفظي في قاموس السياسة العالمية منذ أواخر القرن الماضي، فالإقليم له كيان جغرافي حقيقي، بكل ما تعنيه الجغرافيا من صفات وتفاعلات طبيعية وبشرية وتاريخية وسياسية، ولكن السبب في صعوبة تحديد الشرق الأوسط راجع إلى كونه إقليما هلاميا القوام، بمعنى أنه يمكن أن يتسع أو يضيق حسب التصنيف أو الهدف الذي يسعى إليه باحث في مجال من مجالات العلوم الطبيعية أو الإنسانية، أو التصنيف الذي تتخذه هيئة خاصة أو دولية، أو وزارة من وزارات الخارجية في العالم³.

¹ نفس المرجع، ص. 341.

² نفسه.

³ محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص. 292.

اعتمد مصطلح الشرق الأوسط من طرف العديد من البلدان والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، وأدخل في أدبيات العلاقات الدولية، وأدخلت معه مصطلحات جديدة مثل الشرق الأوسط العظيم والشرق الأوسط الكبير والشرق الإسلامي¹؛ كلها مصطلحات تم وضعها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في سياق ما يسمى بـ "دمقرطة العالم الإسلامي"، وهي تتعلق بعدة اعتبارات سياسية سنأتي على ذكرها.

شهدت مفهوم الشرق الأوسط الكثير من التعريفات الغامضة والمختلفة المستعملة في اللغة العربية، خصوصاً في العقود الأخيرة، فمنذ ستينيات القرن الماضي أكد الباحث Percy بأن المنطقة في الواقع مجهولة وغير محددة المعالم².

استعمل مصطلح المشرق عموماً في أوروبا لتحديد منطقة ذات مجموعة واسعة من البلدان تشمل البلدان الناطقة بالعربية، تركيا، وإيران، والهند وحتى الصين إلى غاية القرن التاسع عشر.

غموض المنطقة خلافاً لباقي مناطق وأقاليم العالم عبر عنه الباحثون والكتاب، وحتى الهيئات الحكومية والدولية بمصطلحات متباينة، سواء للدلالة عليه كلاً أو جزئياً، ومن أهمها ما يلي اللغات Levent، الشرق القديم أو الأقدم Most Ancient East، الصحاري الكلاسيكية Classical Deserts، جنوب غرب آسيا South West Asia، الشرق القريب Hither East، الشرق الأدنى، الشرق الأوسط³.

في شتبر من عام 1902 نشر ماهان مقال بعنوان "الخليج الفارسي والعلاقات الدولية" في مجلة The British National Review حيث أنه ولأول مرة استخدم عبارة الشرق الأوسط للدلالة عن خليج عدن والهند. وفقاً لمفهوم ماهان؛ كان الشرق الأوسط منطقة بين السويس وسنغافورة⁴.

¹ يحيى أحمد الكعكي، الشرق الأوسط والصراع الدولي، دار النهضة العربية، بيروت، ص. 141.

² Percy, G. E., *The Middle East an Indifinable Region* (Washington : Department of State Publication, 1964, p. 72.

³ يحيى أحمد الكعكي، الشرق الأوسط والصراع الدولي، مرجع سابق، ص. 147.

⁴ المرجع نفسه.

بعد شهرين من مقالة ماهان، بدأ مراسل صحيفة التايمز البريطانية Chirol Valentin بنشر سلسلة من المقالات تحت عنوان "مسألة الشرق الأوسط".

خلال الحرب العالمية الثانية صار مصطلح الشرق الأوسط أكثر شعبية، و يغطي منطقة تمتد من مالطا إلى إيران وسوريا، ومن هناك لإثيوبيا.

توطد مصطلح الشرق الأوسط في أدبيات العلاقات الدولية وبقوة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، في حين بدأ مصطلح الشرق الأدنى يفقد أهميته و محتواه في مقابل الاستخدام المكثف لمصطلح الشرق الأوسط¹.

إنه وبالرغم من شيوع هذا المصطلح عالميا، فليس هناك إتفاق موحد ومشترك حول الامتداد الحقيقي على المستوى الجغرافي للمنطقة موضوع الدراسة.

توضع حدود الشرق الأوسط بشكل مختلف، وذلك باختلاف المصالح والغايات، ووفق المعايير و الأنظمة العالمية، بمعنى أوسع يمكننا القول إن منطقة الشرق الأوسط تغطي المنطقة من إثيوبيا جنوبا و تركيا شمالا، أفغانستان وباكستان شرقا، إلى المغرب غربا. هناك معايير مختلفة جدا ومقتربات عديدة لتحديد حدود الشرق الأوسط.

فالباحث Tunedikck يحدد الشرق الأوسط بالمنطقة الممتدة بين البحر الأسود و البحر الأبيض المتوسط، البحر الأحمر و الخليج العربي و بحر قزوين². في حين يرى الجغرافي السويسري Boesch الشرق الأوسط كمنطقة جغرافية، هي بين ساحل بلاد الشام و ريفها، والسهول من نهري دجلة والفرات، ومن الشمال مناطق الصحراء العربية والخليج العربي³.

شكلت التغيرات الكبيرة في العلاقات الدولية بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي، وبعد استقلال دول آسيا الوسطى، تغيرا جذريا في المصطلحات المتعلقة بالشرق الأوسط.

¹ فاروق يوسف احمد، " ما هو الشرق الأوسط المعاصر: مدخل إلى إجابات متعددة"، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة، العدد 3، 1993، ص. 71.

² صلاح أحمد زبي، النظام العربي و النظام الشرق أوسطي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995، ص. 7.

³ ممدوح محمود مصطفى منصور، الصراع الأمريكي السوفياتي في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص. 40.

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، تم إدخال دول مثل أذربيجان وتركمانستان وقرغيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان، والتي كانت ذات غالبية مسلمة في آسيا الوسطى والقوقاز، إلى الشرق الأوسط وذلك حسب الباحث Lewis¹، وقد سايره الكثير من الباحثين في نفس الطرح.

طرحت الخارجية الأمريكية تعريفا لمنطقة الشرق الأوسط، بأنها المنطقة من إيران شرقا حتى المغرب غربا مع إضافة الكيان الإسرائيلي، هذه النظرة الأمريكية الجديدة للمنطقة كانت بالشراكة مع الكيان الصهيوني، حيث طرح كلاهما ما يعرف بمشروع الشرق أوسطية، لاحتواء المنطقة و جعلها تخضع للنفوذ الأمريكي الصهيوني².

منذ عام 1997 اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية على المفهوم الأوسع لتعبير الشرق الأوسط الكبير، حيث إن هذا المفهوم الجديد يضم كلا من تركيا و إيران و دول آسيا الوسطى الإسلامية الغنية بالبترو، و السوق الضخمة للسلع الأمريكية، و هو ما أكدته فيما بعد خطتها المعلنة و المعروفة بمشروع الشرق الأوسط الكبير (بلدان العالم العربي، باكستان، أفغانستان، إيران، تركيا، إسرائيل).

هذا الانتقال بين التعريفات في العصر الأمريكي لا يعود لتقسيمات التاريخ والجغرافيا أو القوميات والأقاليم، بل لاحتياجات الأمن والطاقة ورسم الخريطة الإستراتيجية الأمريكية الخادمة للمصالح الغربية والإسرائيلية في المنطقة.

مباشرة بعد هجمات 11 من ستمبر 2001، دخلت مصطلحات مثل الشرق الأوسط الكبير، والشرق الأوسط العظيم أو الشرق الأوسط الإسلامي الكبير، في أدبيات العلاقات الدولية³. في هذا السياق بدأ الرئيس بوش التعبير عن مشروعه المسمى مبادرة الشرق

¹ علاء عبد الوهاب، *الشرق الأوسط الجديد*، سيناريو الهيمنة الإسرائيلية، سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص. 59.
² محمد رياض، *الشرق الأوسط : دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي والسياسي*، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص. 22.

³Osman Nuri Ozalp, "Where is The Middle East? The Definition and Classification Problem of The Middle East as a Regional Subsystem in International Relations " TJP Turkish Journal of Politics, Vol.2.No 2, Winter 2011, p.12.

الأوسط الكبير (GMEI) الذي يهدف إلى إقامة الديمقراطيات في العالم الإسلامي حتى نهاية عام 2003.¹

وقد تألفت الجغرافيا التي وصفت بأنها الشرق الأوسط الكبير في المشروع، من دول جامعة الدول العربية، إسرائيل، إيران، تركيا، أفغانستان وباكستان. و لم تتضمن دول آسيا الوسطى في هذا المشروع، حيث أن هذه الدول تعمل فعلا مع الولايات المتحدة في معركتها ضد الإرهاب، و بدأت الولايات المتحدة نشر القواعد العسكرية في أراضيها بعد هجمات 11 سبتمبر.²

إذا كان هذا المشروع - الشرق الأوسط الكبير- قد انطلق فعليا باحتلال العراق، إلا أنه مني بفشل ذريع بسبب المقاومة الكبيرة بهذا البلد، ثم تلاه ما سمي بالشرق الأوسط الجديد الذي طرحته وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس، في ذروة الهجوم الإسرائيلية على لبنان سنة 2006، حيث قالت "إن هذه الحرب سوف تنتهي بإقامة الشرق الأوسط الجديد".³

جاء مشروع الشرق الأوسط الجديد، لإعادة صياغة المنطقة ورسم خرائط سياسية جديدة، على أسس عرقية وطائفية ولعل الصراع السني - الشيعي وقضية الأكراد أهم محاور هذا المشروع.⁴

جاء المشروع انطلاقا من فكرة أن الطوائف المتباينة في الشرق الأوسط، والتي يمكن التعايش فيما بينها من الممكن تجميعها بكيان سياسي واحد، والدول المستهدفة بالتقسيم والاستقطاع هي إيران، تركيا، العراق، السعودية، باكستان وسوريا، والإمارات ودول قد

¹ Ibid.

² Osman Nuri Ozaip, op.cit., p. 13.

³ كمال سالم الشكري، "مشروع الشرق أوسطية و الأمن العربي" مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية، المجلد 28، العدد الاول، ص. 16.

⁴ المرجع نفسه، ص. 20.

تتوسع لأهداف أمريكية – إسرائيلية هي الأردن، اليمن، أفغانستان، والدول الجديدة التي ستنشأ حسب هذه المجلة هي ثلاث دويلات – كردستان، سنيستان و شيعةستان¹.

ونظرا لاختلاف التعريفات حول مفهوم الشرق الأوسط والمجال/الحيز الجغرافي الذي يضمه هذا المصطلح، فإننا في هذا البحث سنعتمد على التقسيم الذي أعطاه صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للشرق الأوسط؛ حيث كل دولة تقع في آسيا باستثناء مصر، ويضم كل دول الهلال الخصيب كسوريا ولبنان والعراق والأردن وفلسطين، و دول شبه الجزيرة العربية وتضم السعودية والإمارات وقطر وعمان واليمن والبحرين والكويت، بالإضافة إلى دول الهضبة الإيرانية والأناضول وتضم كلا من إيران وتركيا².

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث أولا من خلال موضوع الدراسة والأهمية الكبرى لدراسة ظاهرة الصراع الدولي، ثم من خلال الأهمية التي تحتلها المنطقة موضوع الدراسة.

الأهمية الأولى تكمن في كونه من المواضيع الحديثة – في الشق المتعلق بعودة روسيا للدفاع عن مصالحها كفاعل في السياسة الدولية، وخصوصا الشرق الأوسط – الذي لازالت أحداثه في تسارع وتطور مستمرين، إضافة إلى أهمية دراسة موضوع الصراع والعلاقات التفاعلية التي تجري بين القوتين – روسيا والولايات المتحدة الأمريكية – مع ما لديهما من عناصر القوة، وما يستتبع ذلك من تفاعلات في السياسة الدولية، إضافة إلى أهمية التطرق للسياسة الخارجية للدول الكبرى، حيث إن تتبع السلوكيات الخارجية لهذه الدول يساعدنا على فهم و تفسير مجريات الأحداث في الساحة الدولية، ومنها الشرق الأوسط.

إن تتبع السلوك الخارجي الروسي والأمريكي يساعد في فهم حقيقة ودوافع الصراع على النفوذ والأهداف المرجوة منه، كما يساعد على فهم واقع الأحداث التي تمر منها منطقة

¹ عبد الوهاب المسيري، "الشرق الأوسط الجديد في التصور الأمريكي الصهيوني"، شبكة الجزيرة الإعلامية، 2 نونبر 2006، <<https://bit.ly/2Ez0knu>>، (11 مارس 2019)

² ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <<https://bit.ly/3aT0Eti>>، (16-01-2018).

الشرق الأوسط حالياً، ومحاولة تحليلها والتعرف على خلفياتها وآفاقها، وبالتالي معرفة واقع المنطقة واستشرافه مستقبلاً.

أهمية الموضوع تتجلى أيضاً، في أهمية ومكانة المنطقة التي يتناولها الموضوع بالدراسة، فالمنطقة ذات أهمية عالية في جميع تصورات العالم، فأهم القضايا العالمية، والتحديات التي يواجهها العالم بل وأخطرها، يعتقد أنها تتركز في منطقة الشرق الأوسط، فخطر الانتشار النووي، وما يترتب عنه من تداعيات نجده حاضراً وبقوة في المنطقة عبر دول كإسرائيل وإيران مثلاً، إضافة إلى الإرهاب الذي شكل الهاجس الكبير الذي يؤرق كل الدول، وتحالفت لمحاربته انطلاقاً من المنطقة التي يعتقد الغرب أن بؤره متواجدة فيها عبر الجماعات الجهادية كتنظيم القاعدة، وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) والكثير من الجماعات الأخرى، إضافة إلى الأزمات المنفجرة في المنطقة والتي لازالت تفاعلاتها مستمرة حتى كتابة هذه الأسطر.

كما أنه ليس من المبالغة القول أنه لا يوجد إقليم آخر في العالم يماثل إقليم الشرق الأوسط من حيث حجم الاضطرابات التي تشهدها دوله؛ إذ توضح الأرقام الصادرة عن قواعد بيانات الصراعات (2011-2016) هذه الحقيقة بجلاء، فعلى الرغم من أن سكانه لا يمثلون سوى 8% فقط من إجمالي سكان العالم، فإن 67% من قتلى الصراعات تقع في هذه المنطقة، التي يوجد بها حوالي 43% من إجمالي النازحين في العالم، ويقع بها 50% من إجمالي الهجمات الإرهابية في العالم، ويسقط خلالها حوالي 60% من إجمالي ضحايا الإرهاب في العالم¹.

إن أهم التحولات التي يعرفها العالم اليوم، متصلة بمنطقة الشرق الأوسط التي تعتبر حسب محللين أكاديميين ساحة للتنافس والصراع، على النفوذ من طرف كل القوى العالمية الكبرى.

¹ حالة الإقليم: التفاعلات الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط 2018-2019، التقرير الاستراتيجي، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ص 4.

كذلك أهمية هذا البحث تأتي من تسليطه الضوء على سعي كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، إلى تحقيق مزايا استراتيجية في منطقة ذات أهمية سياسية واقتصادية، وكذا دراسة لعبة التوازن بين القوتين من بوابة الشرق الأوسط، و الرغبة في تحويل موازين القوى لصالح كل منهما والعودة إلى مظاهر الحرب الباردة والنتائج التي ستترتب عن ذلك على المنطقة، بالإضافة إلى إبراز دور الثروة النفطية والغازية كمحدد وعنصر أساسي محرك للسياسات الدولية الخارجية.

أهداف البحث

إن الغايات العلمية والأكاديمية تبقى في صدارة الأهداف المرجوة من هذا البحث؛ مصحوبة بالرغبة في تكوين خبرة وتراكم معرفي في حقل العلاقات الدولية الذي يعتبر من صميم اختصاصنا الأكاديمي، خصوصا مجال الصراع والتنافس الدولي في العالم عامة والشرق الأوسط خاصة، وذلك من أجل الوصول إلى مستويات متقدمة في دراسة وتحليل مختلف القضايا الصراعية للقوى الكبرى.

تستدعي غايات البحث أيضا إظهار مدى قدرة النظرية الواقعية على تفسير الأحداث والظواهر الدولية والعلاقات الصراعية بين الدول، وذلك من خلال تنزيل أهم عناصرها ومنطلقاتها على صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط، وقراءة هذه الأحداث من زوايا قليلا ما يتم الانتباه إليها في تحليل الظاهرة، وإظهار العلاقة بين الصراع الدولي – ومنه صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط – وواقع المنطقة وما تعيشه من أزمات، نتيجة إدراك طبيعة المصالح المتشابكة والمتعارضة التي تمثل أرضية للصراع عليها بين الدولتين.

إشكالية البحث

كان لتعافي روسيا من وهنها وانكفائها عن ذاتها بعد انهيار وتفكك الاتحاد السوفياتي مع مطلع تسعينات القرن الماضي، وتلاشي حضورها في الكثير من مناطق العالم، وقعا كبيرا ومباشرا على رغبتها في العودة إلى مكانتها الطبيعية، كقوة ودولة عظمى في بنية النظام الدولي، وكوريث شرعي لمكانة وتركبة الاتحاد السوفياتي.

إن إدراك روسيا لنوايا الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، ومحاولة تقزيمها ومحاصرتها وافتعال العراقيل في حقيقتها الخلفية وما صاحب ذلك من أزمات؛ كالأزمة الجورجية وأزمة القرم... جعلها تقف في وجه تلك الرغبات وتصد من مواقفها في قضايا عديدة؛ ومنها قضايا وأزمات الشرق الأوسط، توج هذا التصعيد بتدخل عسكري مباشر في سوريا سنة 2015، لتدخل بذلك في صراع على النفوذ مع الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

وفي ظل التكلفة العالية لهذا الصراع على البلدين في مختلف الجوانب والمجالات، وفي ظل توجيه هذا الصراع لمنطقة الشرق الأوسط، وفي ظل تعدد المشاكل والقضايا الشائكة التي تعاني منها المنطقة أصلاً، تطرح الإشكالية المحورية التالية:

ما هي تداعيات صراع النفوذ بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية سواء على دول الشرق الأوسط وقضاياها الأساسية أو على المنطقة ككل؟

يتفرع من الإشكالية السابقة مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي أهمية الشرق الأوسط في السياسة الخارجية لكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية؟

- لماذا تسعى روسيا لاستعادة دورها في منطقة الشرق الأوسط؟

- ما طبيعة الصراع الروسي الأمريكي حول النفوذ؟

- ما هي مظاهر وأبعاد هذا الصراع بين البلدين؟

- ما هي العوامل المغذية لصراع النفوذ الدائر في الشرق الأوسط؟

- كيف يمكن استشراف مستقبل هذا الصراع على النفوذ بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكي؟

فرضية البحث

تبنى فرضية هذا البحث انطلاقاً من الإشكالية المحورية التي قمنا بطرحها سالفاً، معتمدين في بنائها - الفرضية - على البيان الشرطي ومتغيرين اثنين؛ الأول مستقل والثاني تابع، حيث يعتمد التأثير على المتغير التابع على ما يحدث عند تغيير المتغير المستقل، لتكون فرضية بحثنا كالآتي:

استمر الآثار السلبية لصراع النفوذ بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط، ما دام الصراع مستمراً وعوامل استمراره قائمة.

فاستمرار الصراع وعوامله تشكل ما يسمى بالمتغير المستقل، أما المتغير التابع فهو استمرار الآثار السلبية والتداعيات على منطقة الشرق الأوسط.

الإطار المنهجي للبحث.

على ضوء تعدد المتغيرات في هذا البحث، ونظراً لطبيعة الموضوع، رأينا أنه وكغيره من المواضيع السياسية تتطلب مقارنته الاعتماد على تكامل منهجي يستوجب استعمال أكثر من منهج في هذا البحث:

- المنهج التاريخي: وذلك نظراً لأهمية الأحداث والتراكمات التاريخية في توجيه السياسات المعاصرة لكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، خاصة تلك المتعلقة بترسبات وتراكمات الحرب الباردة، ودورها في بلورة العلاقات الثنائية بين البلدين لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، إضافة إلى تاريخ منطقة الشرق الأوسط الذي يعتبر موجهاً لسياسات دوله، في ما يتعلق بعلاقاتها الخارجية مع كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، كما أن التطور التاريخي للسياسة الخارجية الروسية بين الحقبة السوفياتية والروسية، يعتبر محددًا/موجهًا لسياستها الخارجية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط.

- منهج التحليل النظمي: كونه الأقرب في عملية تحليل مضمون العلاقات الروسية-الأمريكية، وكذا ظاهرة الصراع على النفوذ بين البلدين في المنطقة، ومخرجات هذا الصراع المتمثلة في تداعياته على المنطقة.

الإطار النظري للبحث

إن دراسة أي موضوع أو ظاهرة ما في العلاقات الدولية، تستدعي الرجوع إلى الخلفية المعرفية والفكرية والمرجعية النظرية لها؛ إذ توجد علاقة تلازمية بين الجانب النظري من جهة، والواقع العلمي من جهة أخرى، ويعتبر فهم وتحليل هذه العلاقة السبيل إلى الحقيقة العلمية المبنية على التفسير العلمي الذي نسعى إليه من خلال هذه الدراسة.

مثلت النظرية وعملية التنظير جوهر البحث في مجال العلاقات الدولية؛ إذ غدت النظرية بمثابة المنظار الذي يمكننا من رؤية الواقع، ويزيدنا منه اقتراباً وفهماً وإدراكاً، وغدت النظرية الواقعية الأكثر تفسيراً لظاهرة الصراع في العلاقات الدولية، وإحدى الأدوات المهمة لدى الباحث من أجل فهم وتحليل الأحداث التي يمر بها العالم بأسره، ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص، وبالتالي التوفر على مفاتيح فهم وتحليل مختلف الصراعات، التي تمر منها المنطقة عبر رصد مختلف المظاهر المجسدة للصراع، بل واستشراف المستقبل.

إن النظرية الواقعية في العلاقات الدولية هي أساس هذا العلم والأكثر شيوعاً في تحليل الأزمات الدولية، ولذلك اعتمدت النظرية الواقعية البنيوية الهجومية في هذا البحث كأساس لدراسته التحليلية، فبالإضافة إلى القواسم المشتركة لكل التيارات الواقعية عبر فروضها الأساسية كالمصلحة الوطنية والقوة، واعتبار الدولة كفاعل أساسي في تحليل العلاقات الدولية، حيث إن الفاعلين غير الدوليين كالمنظمات الدولية، هم مجرد أدوات لتحقيق مصالح الدول الكبرى، واعتبار الدولة كفاعل عقلائي تهتم في كل قراراتها بالتكلفة المفترضة والمنفعة المرجوة، دون الاكتراث لمكانة الأخلاق والقيم، استناداً لمقولة ميكافيلي "الغاية تبرر الوسيلة"، إضافة إلى غياب سلطة مركزية عليا تفرض القانون على الدول، فرغم تأسيس منظمة الأمم المتحدة وقبلها عصبة الأمم، فهذه المنظمات حسب المنظور الواقعي غير قادرة على فرض القانون الدولي، لأنها مجرد أدوات لمن أسسها.

تتميز الواقعية البنيوية الهجومية بالتركيز على بنية النظام الدولي كمحدد لطبيعة سلوك الدول، وأن الدول تسعى دائماً لتعظيم حصتها في القوة قصد الهيمنة، بل وحتى تغيير النظام الدولي بما يخدم مصالحها.

هيكلية البحث

إن محاولة الإحاطة بموضوع صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط من كل جوانبه، حتمت علينا أولاً التطرق للإطار المفاهيمي والنظري المشكل للدراسة من خلال استجلاء الغموض عن بعض المفاهيم، من قبيل الصراع والنفوذ والشرق الأوسط في حقل العلاقات الدولية، وكذا المقتررب النظري المفسر للسلوك الخارجي لكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك في مقدمة الموضوع، إضافة إلى بعض النقاط الضرورية في أي مقدمة بحثية.

ثم الانتقال مباشرة إلى صلب الموضوع عبر تقسيمه إلى قسمين رئيسيين، تناولنا في القسم الأول مظاهر وأبعاد صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة، حيث تطرقنا في هذا القسم إلى كل من المظهر السياسي والدبلوماسي للصراع، والمظهر الاقتصادي، ثم البعد الجيوبوليتيكي والبعد الأمني العسكري لهذا الصراع على النفوذ.

لننتقل في القسم الثاني من الدراسة لتداعيات هذا الصراع على دول ومنطقة الشرق الأوسط في فصل أول؛ عبر التطرق لتداعياته على بنية ومكونات الدولة في المنطقة، والنظام العربي، وكذا دور هذا الصراع في تنامي الطائفية والظاهرة الإرهابية، والعجز الأممي الذي خلفه هذا الصراع، ثم التطرق في الفصل الثاني من نفس القسم للحديث عن مستقبل هذا الصراع، ومحاولة التأكيد والدفاع عن الفرضية المحورية التي انطلقنا منها وهي استمرار الصراع على النفوذ في المنطقة بين الدولتين بالنظر إلى العديد من العوامل التي بينهاها في الشق الثاني من هذا الفصل.

القسم الأول:

**مظاهر وأبعاد صراع النفوذ الروسي-الأمريكي
في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة**

القسم الأول: مظاهر وأبعاد صراع النفوذ الروسي- الأمريكي في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة

بمجرد ما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وبمجرد انهيار النظم الشمولية النازية والفاشية في أوروبا، والتي كانت تشكل خطرا يهدد كلا القطبين الأمريكي والسوفييتي، لاحت مظاهر العداء بين الطرفين في الأفق، وظهر جليا ذلك التناقض الإيديولوجي وصراع النفوذ والمصالح الذي لم يتأخر كثيرا.

شكل الصراع على النفوذ أحد أهم/أبرز سمات الحرب الباردة بين القطبين الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والشيوعي بزعامة الاتحاد السوفييتي سابقا حيث تعددت مظاهر هذا الصراع واتخذت أبعادا مختلفة، منها ما هو إيديولوجي وما هو اقتصادي وسياسي...إلخ، كما اختلفت وتعددت مواقع هذا الصراع، من أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

أدت تلك الصراعات المتنامية حول النفوذ في مختلف مناطق العالم إلى أزمات دولية كادت أن تعصف بالسلم والأمن الدوليين، ومن هذه الأزمات نذكر على سبيل المثال؛ الأزمة الكورية لسنة 1950، والأزمة الفيتنامية لسنة 1961، وأزمة الصواريخ الكوبية لسنة 1962، والأزمة الأفغانية لسنة 1978...، لولا الإدراك الواعي من جانب القوتين لمخاطر المواجهة بينهما، لاسيما في ظل التقدم التكنولوجي وامتلاك كل منهما ترسانة نووية قادرة على تدمير القطبين معا، وذلك لانعدام القدرة على تدمير الخصم من "الضربة الأولى".*

ومع اشتداد الصراع الدولي بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية في ظل أجواء الحرب الباردة، فإن المنطقة العربية وبالذات منطقة الشرق الأوسط هي الأخرى لم تسلم من هذا الصراع حول النفوذ، وعرفت أشكالا من الصراع بين القطبين تمثل بعضها في إقامة أحلاف وتكتلات إقليمية من طرف المحور الغربي من أجل منع الاتحاد السوفييتي

* إن المقصود بعدم القدرة على تدمير الخصم من الضربة الأولى هو أنه ليس باستطاعة أي طرف، سواء الولايات المتحدة الأمريكية أو الاتحاد السوفييتي من تحقيق النصر بضربة شاملة ولو كانت باستخدام السلاح النووي، وأن بمقدور الطرف المعتدى عليه استيعاب الضربة الأولى وبالتالي الرد بضربة انتقامية قد تكون أكثر شمولية. وهذا ما شكل إبان الحرب الباردة ما كان يعرف بتوازن الرعب، حيث إن أي مواجهة محتملة كانت ستؤدي إلى تدمير الطرفين معا.

من الوصول إلى المياه الدافئة، وكذا تحركات مضادة من الجانب السوفيياتي لاستمالة بعض الدول العربية عن طريق تدعيم الأحزاب الشيوعية بها، ودعم الحركات الانفصالية والقوى الموالية بالمال والسلاح ضدا على رغبة طرف بعينه، حيث عرف العالم العديد من الصراعات بالوكالة حركتها أهداف ومصالح غايتها الهيمنة ومنع الخصم من تحقيق أي تقدم أو نصر يذكر.

وقد شكلت نهاية الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيياتي، بداية مرحلة جديدة عرف خلالها الاتحاد السوفيياتي بداية السقوط والتفكك، مما أثر على وثيرة الصراع التي كانت سائدة، حيث شهد العالم انكفاء روسيا وريثة الاتحاد السوفيياتي على نفسها، ومسايرة الولايات المتحدة الأمريكية في الكثير من القضايا، وذلك راجع إلى حالة الضعف والوهن اللذان حلا بروسيا.

إلا أنه سرعان ما استعادت روسيا عافيتها خصوصا مع وصول فلاديمير بوتين إلى سدة الحكم، فعادت بوادر الصراع بين البلدين حول النفوذ تعود من جديد، وكانت منطقة الشرق الأوسط واحدة من أهم المناطق التي شهدت صراعا على النفوذ بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعددت مظاهره وأبعاده إن على المستويين السياسي الدبلوماسي والاقتصادي، أو على المستويين الأمني العسكري والجيوبوليتيكي، ولذا الغاية سنقسم هذا القسم إلى فصلين.

الفصل الأول: مظاهر صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط

الفصل الثاني: أبعاد صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط

الفصل الأول: مظاهر صراع النفوذ الروسي - الأمريكي في الشرق الأوسط

شكل انهيار المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة العالمية، واعتبارها القطب الوحيد والأوحد في العالم، نهاية لحقبة زمنية اشتد فيها الصراع الدولي بين الاتحاد السوفيتي السابق، والولايات المتحدة الأمريكية في ظل أجواء الحرب الباردة؛ حيث سعت الولايات المتحدة وبشكل مستمر إلى احتواء النفوذ السوفياتي في العالم كله ومنه في منطقة الشرق الأوسط.

لكن سرعان ما تعافت روسيا من وهنها خصوصا مع تولي فلاديمير بوتين لمقاليد الحكم، لتعود روسيا - الوريث الشرعي لتركاة الاتحاد السوفيتي - للعب دور القوة الكبرى المدافعة عن مصالحها في العالم كله، وضمنه منطقة الشرق الأوسط موضوع الدراسة، حيث شهدت المنطقة صراعا على النفوذ بين الطرفين تعددت أشكاله ومظاهره.

من خلال هذا الفصل سنحاول التطرق لمظاهر هذا الصراع الروسي-الأمريكي على النفوذ في المنطقة كآتي:

المبحث الأول: المظهر السياسي الدبلوماسي لصراع النفوذ الروسي-الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط

المبحث الثاني: المظهر الاقتصادي لصراع النفوذ الروسي-الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط

المبحث الأول: المظهر السياسي الدبلوماسي لصراع النفوذ الروسي- الأمريكي في الشرق الأوسط

يشكل الصراع على المستوى السياسي والدبلوماسي أحد المظاهر العامة للصراع الروسي الأمريكي في الشرق الأوسط، وقد تعددت مظاهر هذا النوع من الصراع من أزمة إلى أخرى، واتخذ مستويات متعددة محلية ودولية وأمنية، كما تجلت في المواقف والقرارات السياسية للبلدين، سواء على مستوى الخطابات السياسية أو التصريحات الإعلامية، واختلفت حدة هذا المظهر من أزمة لأخرى، حيث كانت هناك أزمات شرق أوسطية بين سياسة دبلوماسية أمريكية فاعلة وروسية حذرة ومرتبكة (المطلب الأول)، وأزمات شرق أوسطية وسياسات أمريكية- روسية بخطتين متوازيين (المطلب الثاني).

المطلب الأول: أزمات شرق أوسطية بين سياسة أمريكية فاعلة وروسية حذرة ومرتبكة

من خلال هذا المطلب سنتحدث عن كل من أزمة حرب الخليج الثانية والقضية الفلسطينية والصراع العربي-الإسرائيلي والحرب على العراق، والتعامل معها من طرف القوتين موضوع الدراسة.

الفرع الأول: أزمة حرب الخليج الثانية

سميت بحرب الخليج الثانية لتمييزها عن حرب الخليج الأولى التي دارت رحاها بين العراق وإيران، حيث غزا العراق الكويت في عام 1990، واحتلها بعد يومين من بدء العملية العسكرية، واستمر الاحتلال العراقي للكويت 7 أشهر، قبل أن تسمح الأمم المتحدة في 25 من غشت باللجوء إلى القوة ضد العراق، وفي 17 من يناير 1991 تنطلق عملية عسكرية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية سميت " عاصفة الصحراء " ضد العراق ليتم تحرير الكويت في نفس الشهر وفرض حظر على العراق.

لم تقف موسكو في طريق الولايات المتحدة الأمريكية عند شنها الحرب على بغداد، ولم تعترض على حصاره بعد تحرير الكويت ولم تجرؤ على خرقه - الحصار - من طرف

واحد، وهي التي كان يدين لها العراق بنحو ست مليارات دولار، وفيه فرص عقود النفط، بل اكتفت بخطاب سياسي طالب برفع هذا الحصار كي يسد العراق ديونه.

لقد كان لخروج الولايات المتحدة الأمريكية منتصرة من الحرب الباردة، وانهيار الاتحاد السوفياتي، وسياسة التطويق التي انتهجتها أمريكا بالغ الأثر على الإستراتيجية الروسية تجاه العراق، والأزمات التي يمر بها. فما صاحب الأحداث التي نشبت بعد حرب الخليج الثانية من تغيير جوهري في الاستراتيجية السوفياتية، التي أصبحت تقوم على إنهاء المواجهة مع النظام الرأسمالي العالمي، والاتجاه إلى الاندماج معه تحت شعار الاعتماد المتبادل وتوازن المصالح بدلا من توازن القوى، جعل الاتحاد السوفياتي ينظر إلى هذه الأزمة من زاوية تفكير جديدة وسياسة مقاربة مع الغرب¹.

إن للهيمنة الأمريكية على النظام الدولي تأثير واضح على استراتيجية روسيا الاتحادية مباشرة بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، فكانت هذه الاستراتيجية في أثناء حرب الخليج الثانية وبعدها غير فاعلة في مواجهة السياسة الأمريكية تجاه العراق، ويعود الموقف الروسي إلى التحول في سياسة روسيا وخضوعها للتيار الموالي للغرب كليا.

من جهة أخرى، وأمام التحركات الأمريكية الضارة بمصالح روسيا ومنها الحرب على العراق، ضغط لوبي الشيوعيين والقوميين في الدوما على يلتسين وعارض موافقه، بينما سائر يلتسين الموجة بغرض امتصاص زخمها، وحاولت موسكو أن توازن بين موقفها من العراق وموقفها من الخليج العربي، وذلك بالتحرك حيث الحاجة الروسية إلى توقيع عقود بيع الأسلحة واستثمارات مجدية ماليا مع دول الخليج، فأبرمت موسكو اتفاق تعاون أمني مع الكويت كي لا تبقى خارج سرب القوى الكبرى التي تعهدت بالدفاع عن أمن الكويت.

في نوفمبر 1994، سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى استصدار قرار من مجلس الأمن لضرب العراق، وقد عارضت روسيا ذلك، وبذلت جهودا حثيثة من أجل احتواء

¹ ألكسي فاسيلييف، روسيا في الشرقين الأدنى والأوسط: من الرسولية إلى البرغماتية، ترجمة المركز العربي للصحافة والنشر، مراجعة احمد عبد الحافظ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص. 485.

الأزمة سلمياً، ودفعت هذه الأزمة القيادة الروسية إلى استغلال هذه الفرصة ومحاولة الإمساك بزمان المبادرة لإرضاء الداخل الروسي، وكذلك التطلع إلى أن تأخذ روسيا دوراً لها في المنطقة العربية، حيث اتخذت روسيا من هذه الأزمة التي شهدتها المنطقة فرصة لمحاولة إثبات وجودها وثقلها كدولة يعتد بها وبتوجهاتها وسياساتها على الصعيد الدولي، ولتؤكد للجميع أن توجهاتها الخارجية قد تتعارض وتخالف السياسة الأمريكية التي يرى البعض أنها – أي السياسية الروسية – تحولت إلى مجرد تابع و دولة من الدرجة الثانية في الساحة الدولية¹.

فقد كشفت هذه الأزمة عن وجود خلافات بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بشأن معالجتها، وقامت روسيا بإجراء عدة اتصالات مع كل من الأمين العام للأمم المتحدة، ورئيس منظمة الوحدة الأفريقية، ورئيس مجموعة دول عدم الانحياز في محاولة للبحث عن حل سلمي للأزمة.

وبناء على اتفاق الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن على منح وزير خارجية روسيا آنذاك (كوزيرف) فرصة لكي يبحث في بغداد على صيغة مقبولة لحل هذه الأزمة، قام هذا الوزير بجولة بدأها ببغداد وزار خلالها دولة الكويت، ولقد أشار كوزيرف إلى وجود خلافات روسية – أمريكية حول التعامل مع العراق، حيث أكد على أن روسيا تهدف إلى نزع فتيل الحرب، والخروج بالمنطقة من المسار العسكري التي كانت مقبلة عليه، إلى المسار السلمي².

ودعا كوزيرف الولايات المتحدة الأمريكية إلى تخفيف رد فعلها إزاء العراق، وقال "ليس ثمة ضرورة لرد الفعل المبالغ فيه من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ... إن روسيا في الوقت الذي تحرص فيه على حتمية تنفيذ العراق للقرارات الدولية، فإنها معنية بتخفيف العقوبات على العراق بالارتباط مع امتثال العراق لقرارات مجلس الأمن.. نحن

¹ لمى مضر الإمارة، تطور الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2006، ص. 253.

² المرجع نفسه.

نعتقد أنه لا معنى لحشر العراق في الزاوية الحرجة، بل على العكس يجب تشجيعه على تنفيذ قرارات مجلس الأمن الهادفة لتسوية الوضع في المنطقة"¹.

هذا وفي أعقاب مباحثات كوزيريف في بغداد، توصل الطرفان الروسي والعراقي يوم 13 أكتوبر 1994 إلى بيان مشترك، أكد اتخاذ الخطوات الحاسمة من أجل عدم السماح بتصعيد التوتر²، وإعادة الوضع إلى مسار الجهود السياسية والدبلوماسية، التي تؤدي في الحصيـلة النهائية إلى تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة، وإلغاء العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق، وإقامة علاقات حسن الجوار بين العراق والكويت³.

وعلى الرغم من تأكيد كوزيريف أن روسيا لن تكون قوة من الدرجة الثانية، فإن المبادرة الروسية المذكورة لم تلق النجاح المطلوب بسبب معارضة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لها، وقد أعربت روسيا عن أسفها لعدم قيام الأمم المتحدة باتخاذ أي خطوة في اتجاه تخفيف العقوبات وتشجيع العراق على المضي قدما في تنفيذ قراراتها⁴.

في الفترة بين نونبر 1997 وفبراير 1998 وقعت أزمة المفتشين حين طردت بغداد مفتشي أسلحة الدمار الشامل المرسلين من الأمم المتحدة، وكانت بغداد تخشى هجوما انتقاميا أميركيا - بريطانيا، بعدما أقر مجلس الأمن القرار 1115 الذي يدين أعمال العراق، ويطالب بالسماح لفرق التفتيش بالوصول الفوري وغير المشروط وغير المقيد لأي موقع، فتحركت الدبلوماسية الروسية لإدراك الأمر، واستطاع بريماكوف إنقاذ الموقف، بعدما شنت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حملة قصف أطلق عليها " عملية ثعلب الصحراء"، مقدما صيغة تشمل وعدا برفع الحصار عن العراق من دون تعهد نهائي في مقابل عودة المفتشين الأمميـين إلى العراق.

¹ نزار اسماعيل عبد اللطيف الحياي، "تقييم العلاقات الروسية-الأمريكية في ثلاث مراحل"، أوراق أمريكية، مركز الدراسات الدولية، العدد 56، بغداد، 2000، ص. 2.

² كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة، فرص وتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2016، ص. 38.

³ عبد الكريم حمدي، "الخليج والدور الروسي الجديد. اعتراف العراق بالكويت وارتباطه بتخفيف العقوبات"، قضايا دولية، العدد 256، إسلام آباد، 1994، ص. 16.

⁴ لمى مضر الإمارة، المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة 1990-2003، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية العربية، أبو ظبي، 2005، ص. 67.

انطلقت موسكو في مبادرتها هذه من ست قناعات: أولاً، أدركت موسكو أن بغداد لن ترد مبادرة تعفيها من هجوم عسكري يأتي على ما بقي لها مما دمرته الحرب، لذلك كان بريماكوف مقتنعاً أن بغداد لن تخذل مبادرته¹.

ثانياً، أدركت موسكو أيضاً أن على الرغم من وهنها فهي طرف له إرث سياسي ومصالح في المنطقة، وتريد من بغداد أن تسدد ما عليها من ديون، كما أن من غير الحكمة ألا تتحرك في بيئة مأزومة، حيث تصبح إدارة يلتسين عرضة لاحتجاج المعارضة الروسية واتهامها بالانسياق وراء الولايات المتحدة.

ثالثاً، تدل مبادرة روسيا على أنها ما زالت قوة كبرى لها مكانتها في السياستين الدولية والإقليمية وأن دورها يحظى برضا القوى الكبرى الفاعلة في المنطقة.

رابعاً، يعطي هيكل العلاقات الروسية – الأميركية، روسيا الفرصة أن تتحرك ما دام ذلك في سياق التفاهات الثنائية، لا من طرف روسي أحادي دون مباركة واشنطن التي كانت تخشى التصعيد في بيئة صارت سياستها فيها مأزومة².

كانت بغداد تجد استحداث الأزمات مع الولايات المتحدة وسيلة للحوار والضغط على واشنطن، أو ليتقدم طرف ثالث وسيطاً يحمل معه وعداً برفع الحصار، كما افتقدت العمليات العسكرية ضد العراق إلى الصدقية، ما دامت الولايات المتحدة لم تنو شن هجوم بري، وكانت عملياتها جوية لفترة قصيرة، وجهت ضد أهداف محدودة ذات قيمة، ما يعني أن التسوية تستدعي حضور وسيط للسيطرة على التصعيد في مسيرة تسوية هذا النزاع.

خامساً، لم تكن موسكو محرومة من فرض المناورة بالتحذير والاستعداد للتصعيد سياسياً ودبلوماسياً؛ فعندما حشدت بريطانيا قوات إضافية في الخليج العربي في مطلع عام 1998 للهجوم على العراق لا لردعه، بعد تصلب الموقف العراقي، حذر يلتسين من أن روسيا لن تسمح بذلك، لكن من دون أن يذكر كيف وأين، لم تضع هذه "المناورة" السياسية الدبلوماسية نهاية للحصار، لكنها رفعت سقف السماح للعراق ببيع حصة أكبر من نفطه.

¹ Yevgeny Primakov, *Russia and the Arabs, Behind the scene in the Middle East the Cold War to the Present*, Basic Books, New York, 2009, p. 50.

² Ibid.

سادساً؛ من الخطأ الافتراض أن روسيا كانت مشلولة الحركة كلياً، ومحرومة من فرص التدخل في سياسة المنطقة، لكنها لم تكن مستعدة لمواجهة الولايات المتحدة بسبب قيود نسق العلاقات الثنائية بين القوتين في سياق النظام الدولي بعد الحرب الباردة؛ فعندما وقع الهجوم الأمريكي على العراق في دجنبر 1998، و بعد أن اتخذ الكونغرس قرارات خولت الرئيس استخدام التدابير اللازمة لإرغام العراق على الانصياع، وتبني خيار تغيير النظام هدفاً للسياسة الخارجية الأمريكية، شجبت موسكو الهجوم الذي وصفه مجلس الدوما الروسي بأنه "إرهاب دولي" بأغلبية 398 صوتاً إلا صوت واحد فقط، ودعت موسكو إلى رفع الحصار عن العراق كما سحبت سفيرها في واشنطن¹. ومع ذلك بقيت تلك ردات فعل متأثرة بالمشاعر واستجابة لمواقف سياسية داخلية، وإظهاراً لروسيا أنها قوة كبرى².

الفرع الثاني : القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي

شكلت نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، وتربع الولايات المتحدة الأمريكية على هرم النظام العالمي، وما رافق ذلك من تحولات بنيوية في النظام الدولي، تحولاً جذرياً في الموقف الروسي من الصراع العربي-الإسرائيلي، وكذا انحدار مكانة/مرتبة روسيا من قوة عالمية عظمى إلى قوة تبحث عن هوية، كما أفضت حرب الخليج الثانية إلى اتفاق أوسلو الذي جعل فلسطين وإسرائيل طرفين متساويين قانونياً، دون أن يجعلهما متساويين عملياً.

طبع الموقف الأمريكي اتجاه القضية الفلسطينية بالاستقرار، سواء قبل نهاية الحرب الباردة أو بعدها، عنوان هذا الموقف هو الدعم الكامل لأمن إسرائيل، حيث تعتبر أمريكا مصدر الحماية العسكرية الرئيسي لإسرائيل، وسندها الراسخ أمام كل الهيئات والمنظمات الدولية³.

¹ Jack Covarrubias Tom Lansford eds, *Strategic Interest in the Middle East ; Opposition or Support for US foreign Policy*, Ashgate Publishing Limited, Hampshire, 2007, p. 68.

² N. Sakov, "Russia Relations, Day Two; Recalling the Ambassador", *Center for Nonproliferation studies , Iraq Special collection*, 18 December 1998, p. 70.

³ باسكال بونيفاس، " تناقضات الدعم الأمريكي لإسرائيل"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 28 مايو 2005، <<https://bit.ly/3ozzehk>> (12 أبريل 2019)

وذلك عكس ما مرت به السياسة الروسية، حيث عرفت الأخيرة مرحلتين أساسيتين، تخللتهما فترات تحول في الاهتمام العام لا في جوهر الموقف، الأولى في عهد يلتسين، حين لم تكن القضية الفلسطينية ضمن أولويات القيادة الروسية، بسبب توجه السياسة الروسية نحو التقرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية و الغرب من أجل الحصول على المساعدات الاقتصادية، ففقدت تفعيل مصالحها مع البلدان العربية، كما شكلت الضغوط الأمريكية على روسيا عاملاً مساعداً في دفع الأخيرة إلى فتح أبواب الهجرة أمام مواطنيها اليهود، وتجنب الصراع معه - الغرب - في مناطق تعارض المصالح، وكانت روسيا عندها خاتمة القوى بسبب التحول السياسي فيها.

وكان أندريه كوزيريف* قد قدم في هذا العهد مصالح روسيا مع إسرائيل على مصالحها مع العرب، منطلقاً من ترجيح الليبرالية والتعددية والرأسمالية، لا الأنظمة العسكرية المحافظة والدينية المعادية للغرب، إضافة إلى ذلك، أراد كوزيريف الحفاظ على دعم اللوبي الإسرائيلي وسياسته، فضلاً عن أن مليون إسرائيلي ينحدرون من روسيا.

أما الثانية فكانت بعد تعثر سياسة الانفتاح على الغرب، وتحدي الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو والاتحاد الأوروبي روسيا في حقيقتها الخلفية، ووصول يفتيني بريماكوف إلى وزارة الخارجية الذي سعى إلى استعادة روسيا هيبتها كقوة كبرى، وتوسيع التعاون في عقود الأسلحة والتقانة، فتوجه إلى الشرق الأوسط بمقاربة براغماتية عقلانية جديدة، تحمل في طياتها استمرار النهج السوفياتي، علماً أنه أدرك أن حيز الحركة للسياسة الروسية في المنطقة ضاق كثيراً.

حالة التوتر التي طبعت العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، دفعت الأخيرة إلى دعم التوجه نحو حل سلمي للصراع العربي الإسرائيلي، وتشجيع المفاوضات، والقيام بدور الوسيط حيال القضية الفلسطينية، مع رفضها العدوان الإسرائيلي اليومي على الأراضي الفلسطينية، والتغاضي الأمريكي على التجاوزات الإسرائيلية¹.

* وزير الخارجية الأسبق لروسيا بين 1992 و1996.

¹ تراث فايز دبابة، السياسة الخارجية الروسية تجاه الوطن العربي بعد انتهاء الحرب الباردة، رسالة ماجستير في العلوم السياسية الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 2002، ص ص. 87-88.

في أبريل 1996، بعد الهجوم الإسرائيلي على حزب الله في جنوب لبنان، حاولت روسيا لعب دور في التوصل إلى تسوية بين أطراف النزاع، مستندة إلى علاقاتها مع سوريا - الطرف المباشر في الأزمة -، وفي إيران - ظهير حزب الله -، بيد أن شمعون بيريز رئيس الحكومة الإسرائيلية لم يكن متحمسا لقبول العرض الروسي، ما دامت واشنطن الأمر النهائي في تدبير هذه الأزمة، وإدارتها كطرف خارجي له صدقية عالية وتأثير بالغ في مواقف الدول العربية، كما لم يكن موقف وارن كريستوفر وزير الخارجية الأميركية إيجابيا، وأبلغ الروس أننا قادرون على التعامل مع هذه الأزمة من دونكم¹.

أدركت إسرائيل أن موسكو تعجز عن الضغط على العرب، وأن هناك معوقات متمثلة في معاناتها وضعفها بنويها، فيما تستطيع واشنطن ذلك. ففي رأي القيادة الإسرائيلية لم تكن موسكو تتمتع بنفوذ كاف يمكنها من تغيير سياسة العرب، إذ لم تكن الدول العربية تتلقى مساعدات أو هبات روسية كما كانت تتلقاها من الاتحاد السوفياتي، وبالتالي لا كلمة أمر أو نهى روسية قادرة على فرض أي أمر على العرب.

لم ير العرب قوة خارجية غير الولايات المتحدة يمكنها التدخل لمصلحتهم، على الرغم من أن روسيا قادرة على دفع واشنطن إلى انخراط مبكر في إدارة الصراع العربي - الإسرائيلي، بعدما دأبت واشنطن على أن تتدخل في هذه الأزمة حين ينضج حل يصب في مصلحة إسرائيل لا العرب.

عدت الولايات المتحدة الأمريكية صمام أمان لإسرائيل وحدها، وأن التعاون الأميركي - الإسرائيلي لا يضاهيه أي تعاون أميركي - عربي لا كما ولا نوعا، فبين واشنطن وتل أبيب اتفاقيات تعاون استراتيجي تلزم الأميركيين بتعهدات لا نظير لها.

تسعى روسيا من خلال المواقف التي تتبناها تجاه قضايا الشرق الأوسط، إن صح التعبير إلى محاولة إمساك العصا من الوسط، فهي من جهة تظهر قلقها وتعاطفها تجاه إسرائيل، كون جزء من سكان إسرائيل من أصل سوفياتي / روسي، ومن جهة ثانية تحت إسرائيل على وقف هدم المنازل في الأراضي الفلسطينية، مؤكدة أن هذه الممارسات لا

¹ Robert H. Donaldson and Joseph L. Noguee, *The Foreign Policy of Russia: Changing System, Enduring Interests*, Routledge, New York, 2015, pp. 325,329.

تؤدي إلا إلى زيادة التوتر، وهو ما جاء على لسان الكسندر باكوفينكو المتحدث باسم وزارة الخارجية الروسية¹.

يجد الجانب العربي نفسه عاجزا عن إقناع واشنطن بالضغط على إسرائيل، وعن إقناع موسكو بدعمه بمعزل عن مجالها وقدرتها ومصالحها مع الولايات المتحدة وإسرائيل، خصوصا أن موسكو تقدم هذه المصالح على علاقاتها بالدول العربية.

إضافة إلى ذلك، يدرك العرب أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الطرف الخارجي القادر على الضغط على إسرائيل، وخلافا للولايات المتحدة الأمريكية، لا تتوفر روسيا على رؤية استراتيجية للتسوية طوال عقود الصراع العربي الإسرائيلي²، رغم تأكيدها على ضرورة وقف العنف، والعودة إلى المفاوضات والحوار مجددا، إذ أنها ترى أن توقف المفاوضات لا يفتح أي أفق، وأن اللجوء إلى القوة لا يعد حلا، مؤكدة استعدادها للتعاون مع كل الأطراف المعنية من أجل إقامة سلام عادل³.

في صيف 2000، بعد فشل مباحثات كامب ديفيد، صدت الولايات المتحدة الأمريكية التحرك الروسي ولم تدع إلى حضور مؤتمر شرم الشيخ*، إلا أن استبعاد روسيا بسبب ضعف وساطتها المباشرة في الصراع العربي الإسرائيلي، لم يثن موسكو عن أداء دور في ترميم العلاقات العربية العربية والفلسطينية - الفلسطينية.

ففي عام 2005، استقبلت موسكو خالد مشعل رئيس المكتب السياسي في حركة حماس، وكان ذلك اعترافا بهذه الحركة، التي تصنفها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل منظمة إرهابية، حيث أضافت وزارة الخارجية حركة حماس إلى قائمة وزارة الخارجية الأمريكية للمنظمات الإرهابية الأجنبية منذ أبريل 1993، حيث تقول الولايات المتحدة

¹ عز الدين عبد الله أبو سمهانة، الاستراتيجية الروسية تجاه الشرق الأوسط: 2000-2008، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر-غزة، 2012، ص. 130.

² Yevgeny Primakov, "Multipolar World on the Horizon", Nezavisimaya Gazeta, 22 Octobre 1996.

عن كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، 2016، 80.

³ المصدر نفسه، ص. 135.

* حضره بيل كلينتون وياسر عرفات وإيهود باراك وحسني مبارك وكوفي أنان وخافيير سولانا.

الأمريكية أن موقفها من حماس ينبع من استخدام الجماعة للعنف، ومعارضتها لمصالح أمريكا في الشرق الأوسط¹، وتؤكد موسكو بهذا التحرك أن لها أدواتها المؤثرة في مواقف أطراف لا تحاورهم واشنطن وتل أبيب، وبالتالي تستطيع أن تكون وسيطا كما أرادت موسكو الرأي العام العربي، موحية بأنها لم تحد عن دعم القضية العربية.

أمام التأثير الكبير للولايات المتحدة الأمريكية في قضايا المنطقة ومنها الصراع العربي الإسرائيلي، حرصت روسيا على توازن موقفها من القضايا العربية، مع الميل إلى العرب حيناً وإلى إسرائيل أحياناً، ما دامت الفرصة سانحة لها كي تؤدي دوراً في سياسة المنطقة، منطلقاً من أنها قوة كبرى تعترف بها الولايات المتحدة وإسرائيل.

حاول الفلسطينيون بعد العراقيل التي واجهوها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، بخصوص حقهم في تقرير مصيرهم و بدولتهم المستقلة ذات السيادة الكاملة والقدرة على البقاء، تحت مظلة الأمم المتحدة والقانون الدولي، اللجوء إلى إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد، كنتكتيك تفاوضي للضغط على المجتمع الدولي، قد كان الموقف الروسي من هذه الخطوة غير واضح وغير محدد.

فعندما أعلن عرفات عزمه تنفيذ تلك الخطوة ردت موسكو: "يجب دراسة الأوضاع والتوقيت جيداً"². ولا تتفق موسكو مع قول بعض المسؤولين الفلسطينيين بتطابق المواقف بين البلدين، فلفت لافروف نبيل شعث في يناير 2004 إلى أن وصف المواقف الروسية والفلسطينية بأنها متطابقة لأغراض إعلامية ليس أمراً صحيحاً، كما أكد بوتين ولافروف أن "المقاربتين الروسية والأميركية لهذه المسألة لا تختلفان"³، وتشكو موسكو دائماً ضيق مجال حركتها، ففي بعض الأحيان لا تستطيع توجيه الرباعية في مسار يرضي الفلسطينيين⁴، فدورها كوسيط يأتي في المرتبة الثالثة، بعد دوري واشنطن وباريس¹.

¹ "المواقف الدولية بشأن طبيعة حماس"، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، 20 ماي 2019، <<https://bit.ly/3pB1Ho7>> (2 دجنبر 2019)

² Mark N. Katz, «Putin's Pro-Israel Policy» *The Middle East Quarterly*, 17 vol. 12, no. 1, 2005, pp. 1,10.

³ كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، مرجع سابق، ص. 86.

⁴ Khalid Elgindi, «The Middle East Quarterly: A Post Mortem», *The Saban Center for Middle East Policy at Brookings*, Analysis Paper, no. 25. 2012, pp. 1,52

وتأكيدا للدعم الكبير الذي توليه الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل، فقد اعترف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل، وقام بنقل السفارة الأمريكية إليها، بل وفرض عقوبات على السلطة الفلسطينية، وعلى المؤسسات الدولية الإنسانية التي ترعى شؤون اللاجئين الفلسطينيين، وهي خطوة اعتبرها الرئيس الأمريكي متأخرة، وتصيب في الدفع بعملية السلام إلى الأمام²، في حين انتقدها الرئيس عباس أبو مازن واعتبرها "إعلانا بانسحاب أمريكا من ممارسة الدور الذي كانت تلعبه خلال العقود الماضية في رعاية عملية السلام"³.

أمام هذه التحركات الأمريكية الوازنة والمؤثرة، تبقى حركة السياسة الروسية في القضية الفلسطينية معتدلة وحذرة ومتوازنة ومتردة ودفاعية، وخلافا للاتحاد السوفياتي، لا تحول روسيا القضية الفلسطينية إلى مواجهة روسية - أميركية - غربية - إسرائيلية.

لا بد من الاعتراف بأن روسيا استعادت بعض عافيتها وثقتها بنفسها كقوة كبرى، لها خبرتها السياسية ومهارتها الدبلوماسية، ودوائرها المعنية بشؤون المنطقة في المجالات الأمنية والاقتصادية المتصلة بالطاقة والتقانة وعقود السلاح، وبالتالي لن تصدها التحديات عن التحرك بشكل إيجابي، متجاوزة ضيق الحيز المتروك لحركتها السياسية من طرف الولايات المتحدة الأمريكية في إطار القضية الفلسطينية بعد الحرب الباردة⁴.

إجمالاً يمكن بسط مجموعة من الملاحظات حول القضية الفلسطينية:

- من هذه الملاحظات؛ كون القضية الفلسطينية لم تعد قضية العرب الرئيسية أو المركزية، ولا حتى قضية القوى الكبرى، أمام تعدد الأزمات في منطقة الشرق الأوسط، وتغير البيئة الإقليمية جوهرياً، واختلاف أجندات الدول العربية.

¹ Nahla Yassine-Hamdan and Fredric S. Person, *Arab Approaches to Conflict Resolution*, Routledge, New York, 2014, p. 92.

² صبحي غندور، "الدعم الأمريكي لإسرائيل وتداعياته"، جريدة البيان، 10 أبريل 2019، <<https://bit.ly/3akgQUl>> (19 يناير 2021)

³ "ترامب يعلن اعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لإسرائيل"، BBCNEWS، 6 دجنبر 2017، <<https://bbc.in/3j0N2QC>> (22 يناير 2021)

⁴ كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، مرجع سابق، ص. 87.

- الضغط الأمريكي والغربي على روسيا، يدفعها للحفاظ على علاقات جيدة مع العرب وإسرائيل، فهي غير قادرة على نهج سياسة نشطة ومغامرة في مواجهة واشنطن وإسرائيل، كما كان يقوم بذلك الاتحاد السوفياتي إبان الحرب الباردة، لذلك لن تكون سببا في تأجيج جبهة القضية الفلسطينية، ولن تنغمس فيها إلى مستوى دور الفاعل المحدد لتطورها، وتكتفي - بواقعية - بأداء دور الراكب في المقعد الخلفي في هذه الأزمة، لا في مقعد القيادة.

- وجود ملفات ذات أولوية بالنسبة لروسيا أكثر من القضية الفلسطينية، كالملف النووي الإيراني، والأزمة السورية الحالية، لما يتيحانه من فرص تدخل أكثر ومجال حركة أرحب، وأداء دور أنشط وأكثر إيجابية وتأثير من القضية الفلسطينية.

- لم تعد القضية الفلسطينية حاضرة بنفس القوة في الخطاب العربي ببعده القومي المركزي، حيث أصبحت المواجهة محدودة ميدانيا، أطرافا وأهدافا، ما أزاح عن كاهل روسيا أي إلحاح لأداء دور نشيط ومقدام، لتقديم مبادرة من طرف واحد كقوة كبرى كان لها تأثيرها الكبير في القضية الفلسطينية، زكا هذا الطرح موجة التطبيع مع الكيان الصهيوني من طرف بعض الدول العربية كالإمارات المتحدة والبحرين...

الفرع الثالث: القضية العراقية

بعد أحداث 11 من شتنبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، وقيام الأخيرة بحملة عسكرية ضد ما تسميه الإرهاب، وإعلان كولن باول أن بلاده تراقب الدول التي دعمت الإرهاب في السابق، وتراقب العراق لأنه يطور دائما أسلحة الدمار الشامل، وهو أمر يزيد من قلق الولايات المتحدة الأمريكية، لم يستبعد الرئيس بوش أي خيار، وأنه سيقدر في الوقت المناسب كيفية التعامل مع التهديد المستمر الذي يشكله العراق للولايات المتحدة الأمريكية¹.

¹ زهير حمداني، "الحرب على الإرهاب وصناعته بعد 11 شتنبر"، 11 شتنبر 2015، <<https://bit.ly/3gFJoZR>> (23 مارس 2017)

أمام التحركات الأمريكية صرحت روسيا على لسان نيكولاي كارتوزوف، أنه إذا تم توجيه ضربة إلى العراق، فإن هذا يؤدي إلى عواقب وخيمة في المنطقة، ولهذا بذلت روسيا أقصى الجهود للحيلولة دون ذلك من خلال اتصالاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية والقيادة العراقية، مؤكداً أن لبلاده موقف مبدئي يتجلى في أن القضية العراقية يمكن أن تحل بالأساليب السلمية، وأن بلاده لم تحصل على أي أدلة على تورط العراق في أحداث 11 سبتمبر 2001 التي شهدتها الولايات المتحدة¹.

لكن عندما بدأت شرارة الحرب الأمريكية الأخيرة على العراق بالظهور بدأ كبار المسؤولين الروس بالتحدث علناً عن رفضهم الخيار العسكري في حل الأزمة العراقية، وأعلنوا التزامهم بالشرعية الدولية عن طريق الأمم المتحدة، مؤكداً أنهم الطرف الثالث لمحور السلام (فرنسا - ألمانيا- روسيا)، بل ذهب أكثر من مسؤول روسي إلى حد التلويح باستخدام حق النقض في مجلس الأمن إذا لزم الأمر، لمنع تمرير قرار يتعارض مع قناعات المحور المذكور ويمنح الحرب شرعية دولية².

وهكذا اعترضت روسيا الاتحادية على الحرب الأمريكية على العراق 2003، وجاء هذا الاعتراض لاعتبارات استراتيجية واقتصادية، فالموقف الروسي كان قائماً على الخشية من التداعيات الاستراتيجية التي ستنتج عن هذه الحرب، فروسيا الاتحادية تقلق من وجود قوات أمريكية ضخمة على مقربة من التخوم الجنوبية لروسيا، فضلاً عن القلق من طبيعة الأهداف اللاحقة التي سوف تسعى الولايات المتحدة لتحقيقها، وما إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية سوف تواصل الحرب لتشمل مناطق أخرى بعد العراق.

كما كانت تخشى من أن تكون هذه الحرب مقدمة لإقدام الولايات المتحدة الأمريكية على إعادة النظر في إستراتيجيتها العالمية، والقلق مما يمكن أن تقضي إليه الحرب من هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على نفط العراق والخليج، ومن ثم التحكم في سوق النفط العالمية، كما كانت روسيا قلقة أيضاً من انعكاسات الحرب الأمريكية على العراق على الميزان الإستراتيجي في الشرق الأوسط.

¹ المرجع نفسه.

² محمد دياب، "روسيا والمسألة العراقية" شؤون الأوسط، العدد 111، 2003، ص. 157.

رغم ذلك، لم يواجه التحرك الأمريكي-البريطاني برفض شديد تستعمل فيه كل الأوراق بما فيها ورقة الفيتو بمجلس الأمن، بل غلبت المنافع التي اعتقدت -موسكو- أنه من الممكن أن تجنبها نتيجة التناغم مع واشنطن، والحصول على مصالح بعيدة المدى، قد تكون أكثر أهمية، ولكنها تبدو اليوم غير مضمونة أو من مخلفات عصر مضى*.

هذا كله دفع روسيا إلى المناورة بحذر في الفترة التي تبين خلالها أن الغزو الأمريكي للعراق أصبح أمراً لا مفر منه، وقد كانت مواقف روسيا في هذا المجال وعلى الأخص على صعيد مجلس الأمن، مثالا على ذلك، فتصويت روسيا على القرار رقم 1441 الذي أفسح المجال للولايات المتحدة لغزو العراق كان بمثابة مفاجأة، إذا قيس على أساس المواقف اللفظية المعنية، ولعل الأكثر مفاجأة هو التصويت في القرار الرقم 1443 الذي جعل الاحتلال الأمريكي - البريطاني للعراق، وإدارته أمراً مشروعاً.

بعد غزو العراق وإسقاط نظم صدام حسين، سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى حصر المشاركة في عقود إعادة البناء في العراق في شركات الدول التي تحالفت معها في الحرب، واسبعاد الدول التي عارضتها ومنها روسيا¹.

وهو ما دفع روسيا إلى تصعيد معارضتها للخطط الأمريكية الخاصة بإسقاط الديون عن العراق والمساومة، وذلك من خلال الربط بين تنازل روسيا عن جزء من ديونها للعراق - وهو الأمر الذي كان محور زيارة عبد العزيز الحكيم أحد أعضاء مجلس الحكم الانتقالي إلى موسكو في 22 ديسمبر 2003 - مقابل دور ملموس في مشاريع إعادة البناء.

* يمكننا القول في هذا المجال بالذات عن التحرك الروسي تجاه العراق ولاسيما الحرب الأخيرة في آذار/مارس 2003، لم يختلف عن التحرك والموقف السوفييتي تجاه العراق إبان حرب الخليج الثانية، وهو تحرك يثبت ما ذهبنا إليه في الفصول السابقة من كون الإستراتيجية الروسية تسعى، انطلاقاً من البراغماتية المعتمدة عليها في تحركها على إمساك العصا من الوسط، خشية فقدان هذا الطرف أو ذاك وما يترتب على هذا الوضع من فقدان للمصالح الروسية، وذلك تحت ذرائع عدة منها الدعوة إلى ضرورة اللجوء إلى الأمم المتحدة، وضرورة حل الأزمات بالطرق السلمية، ودونما اللجوء إلى القوة العسكرية، ونبد العنف، والتلويح باستخدام حق النقض (الفيتو) في حالة اللجوء إلى العنف، من دون اللجوء الحقيقي إليه، إدراكاً من روسيا لضعف موقفها وعدم قدرتها على تنفيذ التزاماتها.

¹ عبد الله يوسف سهر، "دوافع وتداعيات التدخل العسكري الأمريكي في العراق"، مجلة السياسة الدولية، العدد 170، القاهرة، أكتوبر 2007، ص. 24.

وقد أكد نائب وزير الخارجية الروسي يوري فيديوتوف، أن العقود السابقة لشركات النفط الروسية في العراق "لم تلغ"، وأن روسيا ستتناقض مع السلطات العراقية الجديدة¹.

إن هذه التطورات الإقليمية الكبيرة التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب الأمريكية على العراق 2003، وانتشار التواجد الغربي في مناطق جغرافية قريبة من الحدود الجنوبية لروسيا الاتحادية، حيث امتد الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي إلى الحدود الروسية من الجهة الغربية والشمالية، واقتربت القوات الأمريكية من الحدود الجنوبية لروسيا الاتحادية، وهذا يعني بالنسبة لروسيا الاتحادية من الناحية الإستراتيجية أنها تواجه ما يمكن تسميته بسياسة الخنق الإستراتيجي، كل هذا دفع بروسيا إلى فتح ثغرة ما في هذا الجدار لتعبر من خلالها إلى مرتكزات المصالح الأمريكية العالمية وهي منطقة الشرق الأوسط.

إن الغزو الأمريكي للعراق، وعدم اتخاذ روسيا لموقف حازم تمنع به وقوع هذه الحرب، يعيد إلى الأذهان الخطأ الاستراتيجي الذي وقع فيه الاتحاد السوفياتي، وأدى إلى فقدان دوره على الصعيد العالمي. وربما يعود السبب إلى العوامل الداخلية والخارجية نفسها التي حالت دون تمكن الاتحاد السوفياتي السابق من اتخاذ هكذا مواقف؛ إذ أن المواقف الروسية أدت إلى خسران روسيا حليفاً استراتيجياً قوياً في منطقة كانت تربطها به علاقات واتفاقيات صداقة منذ عام 1972.

إن التعثرات الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ومنه في العراق، يقدم إلى روسيا الاتحادية فرصة استراتيجية مهمة، لتدارك أخطاء الماضي والاستفادة منها في علاقاتها مع حلفائها وكذا مع الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تزامن هذا الانغماس الأمريكي في العراق مع صعود إقليمي واضح لإيران، لم تكن روسيا الاتحادية بعيدة منه بل كانت في القلب تماماً، فهي التي وقفت إلى جانب إيران في بناء مفاعل بوشهر النووية، وزودت إيران بقدرات تكنولوجية سببت للولايات المتحدة، ولا تزال، قلقاً وإزعاجاً واضحين خشية

¹ ميخائيل مارغيلوف، "روسيا-أمريكا أين التوافق وأين الخلاف حيال الشرق الأوسط"، جريدة الحياة، العدد 51386، 2005، عن مثني علي حسين المهدي، "أثر المتغير الأمريكي في العلاقات الروسية-العراقية المعاصرة"، دراسات دولية، العدد 41، 2009، ص. 12.

انفراط الترتيبات الإقليمية الجديدة التي أرادت بحربها على العراق أن تفرضها على المنطقة.

وبسبب التعثر في العراق، إلى جانب خطورة الدخول حاليا في مواجهة عسكرية مع إيران، والوقوف الروسي إلى جانب النظام السوري عسكريا والحيلولة دون سقوطه، فإن كل الإنشغال الأمريكي في الشرق الأوسط بات بالنسبة للولايات المتحدة يمثل نافذة تفتح على خسارة جديدة، بينما يمثل لروسيا الاتحادية فرصة يجب ألا تضيع.

المطلب الثاني: أزمات شرق أوسطية وسياسات أمريكية - روسية بخطين متوازيين

عرفت العلاقات الروسية-الأمريكية الكثير من الخلافات في الكثير من القضايا العالمية، حيث اختلفت مصالح الطرفين حد التناقض أحيانا، مما جعل التوجهات السياسية والدبلوماسية للبلدين تعرف نوعا من المجابهة والندية، في الكثير من الأزمات، ومنها أزمات الشرق الأوسط، وكمثال على ذلك، نتناول أزمتي الملف النووي الإيراني، وكذا الأزمة السورية.

الفرع الأول: الأزمة الإيرانية

بدأت الأزمة النووية الإيرانية بشكل جدي في صيف عام 2003، عندما أثار تقرير من المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA)* قرارا من مجلس محافظي الوكالة والذي حدد نقاط الخلاف الرئيسية حول أنشطة إيران النووية، والتي لا يزال بعضها بدون حل حتى يومنا هذا. شهدت القضية العديد من الشد والجذب بين مختلف الفاعلين في هذا الملف، وشكلت أيضا تحديا للقوى العالمية والمنظمات الدولية، بما في ذلك الاتحاد الأوروبي، وحلف الشمال الأطلسي، و دول مجلس التعاون الخليجي...، ورغم كم التطورات

* "IAEA" (International Atomic Energy Agency) الوكالة الدولية للطاقة الذرية هي المركز العالمي للتعاون في المجال النووي، وتعزيز الاستخدام الآمن والمأمون والسلمي للتكنولوجيا النووية. تعمل في مجموعة واسعة من المجالات بما في ذلك توليد الطاقة والصحة والغذاء والزراعة وحماية البيئة، <<https://www.iaea.org/>> .

الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط، يبقى الملف النووي الإيراني ذو أهمية بالغة لدى مختلف دول العالم¹.

وقد اختلفت وجهات النظر والمواقف الدولية في التعاطي مع هذا الملف، كما شكل إحدى نقاط الخلاف في العلاقات الأمريكية-الروسية، نظرا لاختلاف التعاطي مع الملف من طرف القوتين – الروسية والأمريكية – المحكوم باختلاف الرؤى والمصالح والتوجهات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وتقاربها في كثير من الأحيان – الرؤى والمصالح – بين روسيا وإيران من جهة ثانية.

تتبع أهمية العلاقات الإيرانية الروسية من أهمية الموقع الإيراني في السياستين الإقليمية والدولية لاسيما بالنسبة لروسيا، فلإيران دور لا يمكن التقليل من شأنه في منطقة أوراسيا، إذ تطل إيران على منطقة القوقاز من جهة وعلى منطقة الخليج العربي من جهة أخرى، وعلى آسيا الوسطى السوفيتية سابقا من جهة ثالثة².

فالعلاقات الروسية-الإيرانية محكومة بعوامل متعددة ومتناقضة تحكمها الإيديولوجيا والمصلحة والجغرافية السياسية والتاريخ، فهي ليست شأنا ثنائيا يخص الجانبين فحسب، بل جعلتها أبعادها وآثارها الجيواستراتيجية تلقي بتداعيات على كافة الدول المجاورة³.

إن كبح قوة الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر مفتاح الشراكة الاستراتيجية بين موسكو وطهران، فوفقا لفلاديمير سازين، أحد الخبراء الروس البارزين في الشأن الإيراني، فإن الأهم من وجهة نظر مصالح موسكو هو أن "سياسة طهران معادية للغرب إلى حد كبير، سواء في جانبها العالمي أو الإقليمي⁴.

بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فإن إيران دولة ترعى الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، وتتطابق رؤيتها هذه مع رؤية معظم الدول العربية، وبالأساس الخليجية منها، التي

¹ Seyed Hossein Mousavian, *Iranian Nuclear Crisis*, Carnegie Endowment For International Peace, 2012, p. 1.

² سليم كاطع علي، "العلاقات الروسية-الإيرانية : الواقع والمستقبل"، مجلة اتجاهات سياسية، المركز الديمقراطي العربي، العدد الثاني، يناير 2018، ص. 102.

³ المرجع نفسه، ص. 37.

⁴ Witold Rodkiewicz, "Defying America. Russia's policy towards Iran", OSW COMMENTARY, February 22, 2020, <<https://bit.ly/31MmjR3>> (May 11, 2020)

تخاف من تمدد إيران واستغلال أذرعها في المنطقة، بما يؤثر على أمن واستقرار دول المنطقة، وتتطابق أيضا رؤية الدول الخليجية مع الموقف الإسرائيلي، المحدد الأساسي أيضا لأي ترك أمريكي في مواجهة الملف النووي الإيراني، وطموحات إيران في المنطقة.

فالعداء الأمريكي الإيراني يعود لنجاح الثورة الإيرانية واحتجاز رهائن الأمريكيين، وما استتبعه من عقوبات وحصار اقتصادي خانق، زاد من حدته ملف إيران النووي المثير للجدل، والخلافات المتواصلة حوله.

بالمقابل تحاول روسيا أن تستغل إيران كورقة مساومة من أجل تعزيز موقفها التفاوضي مع الولايات المتحدة الأمريكية، مما جعل مدى تعاونها مع طهران (لا سيما في مسائل التقنيات النووية والإمداد بالمعدات العسكرية) مشروطا باستعداد واشنطن لأخذ المصالح الروسية في الاعتبار¹.

فعندما ارتفعت حدة التوترات بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في منتصف العقد الأول من القرن الحالي، حدث انسجام وتقارب في الحوار بين روسيا وإيران. وفي الفترة من 2006 إلى 2008، لم تُكثف موسكو اتصالاتها مع الجمهورية الإسلامية في المجال العسكري فحسب لكنها حاولت أيضاً تعويض الخسائر السابقة التي فرضتها اتفاقية غور - تشيرنوميردين².

وقد بدأ التقارب بين موسكو وطهران بالظهور مرة أخرى وبشكل جلي بشأن القضية السورية في عام 2011، بسبب تقييماتهما المتقاربة للربيع العربي، فكلاهما اعتبرها ظاهرة مستوحاة من الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تشكل تهديدا محتملا لاستقرارهما الداخلي ومواقفهما الجيوسياسية في الشرق الأوسط.

¹ Ibid.

² نيكولاي كوزهانوف، "موقف روسيا بشأن برنامج إيران النووي"، معهد واشنطن، 19 أبريل 2012، <<https://bit.ly/3hLPPvA>> (13 مارس 2017)

كان كلاهما يخشى أن يؤدي الربيع العربي إلى تعزيز الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة أو تنشيط الحركات السنية الراديكالية بالنسبة لإيران، سيستلزم هذا الأخير أيضا تقوية المملكة العربية السعودية، منافستها الجيوسياسية الرئيسية في المنطقة¹.

لقد تدهورت علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع طهران منذ اندلاع الصراع السوري، وبشكل أكبر منذ انسحاب الرئيس دونالد ترامب من الاتفاق النووي لعام 2015، حيث شكل هذا الانسحاب إعادة التوتر بين الطرفين إلى واجهة الأحداث السياسية على المستوى الدولي، وتشير الكثير من التحليلات إلى أن هذا الانسحاب سيزيد من خطر تسريع إيران من وثيرة تخصيب اليورانيوم لديها، مما يجعلها قريبة من إنتاج قنبلة نووية، وهذا ما لا تود إسرائيل، التي تلوح بإمكانية توجيه ضربة عسكرية لإيران من أجل إيقاف وإبطاء البرنامج النووي للأخيرة، في الوقت نفسه، تقاربت روسيا وإيران من خلال التعاون العسكري في سوريا.

من منظور روسي، فإن البرنامج النووي الإيراني لا يمثل تهديدا خطيرا في حد ذاته. لكن تملك أسلحة دمار شامل من طرف نظام إسلامي متطرف هو أمر غير مقبول من طرف روسيا. ولم تخف السلطات الروسية مطلقا وجهة نظرها بأن النظام الإسلامي المسلح نوويا على الجانب الجنوبي لروسيا، قد يكون أقل تعاونا بكثير في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، وقد يقوض من نفوذ موسكو في مناطق الاتحاد السوفيتي السابقة هذه. وعلاوة على ذلك، فإن إيران المسلحة نوويا قد تززع الوضع في الشرق الأوسط².

ومع ذلك، تصر روسيا على أنه يجب تسوية جميع الخلافات في إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وليس من خلال عقوبات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، حيث تطالب موسكو بحل جميع القضايا حصريا من خلال المفاوضات، وليس باستخدام القوة، ودعت روسيا (إلى جانب الصين) باستخدام حق النقض ضد أي قرار من الفصل السابع لمجلس الأمن الدولي يفرض عقوبات - ناهيك عن استخدام القوة العسكرية.

¹ Witold Rodkiewicz, "Defying America. Russia's policy towards Iran", OSW COMMENTARY, Fabrury 22, 2020, <<https://bit.ly/31MmjR3>> (May 11, 2020)

² نيكولاي كوزهانوف، "موقف روسيا بشأن برنامج إيران النووي"، مرجع سابق.

إن موقف روسيا والصين ينفي فعلياً احتمالات قيام الأمم المتحدة بتقديم أسس قانونية لفرض عقوبات أو إجراءات إنفاذ عسكرية ضد إيران، مع غرق الولايات المتحدة الأمريكية في المستنقع في العراق، والآن في سوريا ربما، يتردد حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية (باستثناء إسرائيل) في المشاركة في عملية عسكرية أخرى - وهذا الموقف لروسيا والصين يجعل سياسة الضغط الأمريكية على إيران ضعيفة للغاية.

قد يشكل الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران فرصة مواتية لتعزيز مكانة ونفوذ موسكو المتزايد في سوريا، ويعزز قوتها على أقل تقدير، وستكون قادرة على تصوير الولايات المتحدة الأمريكية على أنها معتد غريب الأطوار، مما يدفع الجهات الفاعلة الإقليمية والحلفاء الدوليين إلى التشكيك في التعاون مع واشنطن¹.

إلى جانب تعزيز موقف روسيا، أسهم اغتيال الجنرال الإيراني قاسم سليماني في تحقيق أهداف روسيا المتمثلة في دق إسفين بين واشنطن وشركائها، وتعزيز التصورات العالمية للولايات المتحدة الأمريكية على أنها متقلبة وقاتلة، وقد نجحت موسكو بالفعل في تقويض علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع حلفائها في الشرق الأوسط.

من ناحية أخرى، ستستفيد روسيا من السلوك المضطرب للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، بغض النظر عما إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية وإيران ستخوضان الحرب في نهاية المطاف، ستعزز الإجراءات الأمريكية القيادة الروسية: أولاً، عن طريق إزالة المنافسة الأمريكية، وثانياً، من خلال تحويل المشاعر الإقليمية والعالمية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، شريطة أن تواصل موسكو تعاونها مع جميع دول المنطقة، وتحافظ على الاستقرار في الأراضي السورية حيث توجد القوات الروسية، فإن روسيا لديها فرصة جيدة لتحل محل النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط - بغض النظر عما سيحدث بعد ذلك².

¹ Strobe Talbott and Maggie Tennis, "The only Winner of the US-Iran Showdown is Russia", January 9, 2020, <<https://brook.gs/3hOk9WG>> (31 March, 2020)

² Ruslan Mamedov, "Russia's Position on the US-Iran Confrontation. Watching from the sidelines", Russian International Affaires Council, February 27, 2020, <<https://bit.ly/3jxe3dG>> (May 10, 2020)

لهذه الأسباب بالتحديد، ترى طهران أن موقفها السياسي قوي بما يكفي لتحدي واشنطن خطابيا بالحصانة، ويكتسب دعما وشعبية متزايدة في جميع أنحاء العالم الإسلامي وما وراءه.

فسواء كانت إيران حريصة على امتلاك أسلحة نووية في نهاية المطاف، أو أن هدفها هو شيء أقل من امتلاك أسلحة نووية - أي بناء دورة وقود نووي كاملة وتحتاج فقط إلى وقت قصير لتصنيع أسلحة نووية -، يبدو أن الموقف الروسي يزود طهران بقدر كبير من حرية المناورات الدبلوماسية والخطابية، يتم استخدامه كحاجب من الدخان لتقدم إيران المستمر في تجاوز العتبات التقنية واحدة تلو الأخرى في طريقها نحو تطوير دورة الوقود النووي وتجاهل العالم بأمر واقع بشكل عام¹.

الحقيقة هي أنه على عكس الولايات المتحدة الأمريكية، تمتلك روسيا مصالح سياسية واقتصادية ضخمة مع إيران، فهي أحد المتلقين الرئيسيين للتكنولوجيا النووية السلمية الروسية ومبيعات الأسلحة، أيضا، ينظر إلى إيران على أنها تمثل توازنا جيوسياسيا للتأثير المتزايد لتركيا والولايات المتحدة الأمريكية، والوهابية الإسلامية في جنوب وشمال القوقاز وآسيا الوسطى، أخيرا، تعد موارد النفط والغاز الإيرانية (الرابعة والثانية على التوالي في العالم) هدفا مربحا للاستثمار الروسي في المستقبل.

ودعما لموقفهم، وردا على الولايات المتحدة الأمريكية قد يشير العديد من الروس إلى عدد الدول غير الحائزة للأسلحة النووية في معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية التي لديها مثل هذه القدرة اليوم دون معارضة دولية (اليابان وألمانيا وهولندا والبرازيل والأرجنتين إلخ).

صحيح أن كل هذه الدول هي حلفاء أو شركاء مخلصين للولايات المتحدة الأمريكية، لكن هذا لا يعني أن روسيا لا تستطيع معاملة شركائها بنفس الطريقة²، حتى لو كان بعضهم غير محبوب من قبل القيادة الأمريكية الحالية، ولا يغيب عن بال الخبراء

¹ Alexei Arbatov, "Russia and the Iranian Nuclear Crisis", *Carnegie Endowment For International Peace*, May 23, 2006, <<https://bit.ly/3juuk2N>> (10 March, 2017)

² Ibid.

والسياسيين الروس أن البرنامج النووي الإيراني الحالي قريب من حيث الحجم الذي بدأ في الستينيات والسبعينيات في عهد الشاه بمساعدة أمريكية نشطة باختصار، ينظر إلى السياسة الأمريكية الحالية تجاه إيران بشكل عام في روسيا على أنها مصممة ليس ضد الانتشار النووي، ولكن ضد النظام الإيراني نفسه.

الفرع الثاني: الأزمة السورية

نظرا للأهمية الجيوسياسية لسوريا في منطقة الشرق الأوسط، والتي تمثل بيضة القبان* في التوازنات الإقليمية والدولية، مما جعلها ساحة صراع ولاسيما بعد عام 2011 من خلال اندلاع الثورة السورية وتفاقمها بدرجة كبيرة لتمثل أزمة دولية، و بروز شدة التنافس الإقليمي فيها، إذ شهدت المنطقة استقطابا إقليميا واسعا، الهدف الأساسي منه يدور حول التفرد بالقيادة الإقليمية بين الدول الإقليمية المتصدرة لقيادة المنطقة والمتمثلة في إيران وإسرائيل وتركيا والسعودية¹، إذ أخذت منحى واسعا نتج عنه تطور كبير في الأحداث السياسية، ما أدى إلى فشل الأقطاب الإقليمية المؤثرة في المنطقة من احتواء الأزمة.

لتأخذ مسارا اتجه نحو التنافس والصراع بين الدول الكبرى من أجل توظيف الأزمة لما يخدم مصالح وأهداف هذه الدول، والممثلة في روسيا الاتحادية من جهة، والولايات المتحدة الأمريكية من الجهة الأخرى، فقد أصبحت الأزمة السورية تمثل حالة من الضبابية التي تتشابك فيها التوازنات وحسابات المصالح والتباين الكبير في مواقف الدول الكبرى، كما شكلت الأزمة السورية إحدى أهم تمظهرات/تجليات الصراع الروسي-الأمريكي على النفوذ والمكانة في سياق التفاعلات الدولية في الشرق الأوسط.

سنحاول التطرق لمواقف كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا حول الأزمة السورية، وكذا أهداف الطرفين من هذه الأزمة، لنخلص إلى بعض مظاهر المواجهة السياسية والدبلوماسية الروسية-الأمريكية.

* بيضة القبان هي تلك الكتلة التي تتوسط كفتي القبان أو الميزان كي تتحكم بدقته. ويستخدم مصطلح بيضة القبان مجازا للإشارة إلى الأمور الوسطى والمعتدلة في الغالب أو الأمور التي تحفظ التوازن في مجتمع أو أمر ما.
¹ حميد شهاب أحمد، "تداخل المواقف الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية) تجاه الأزمة السورية"، مجلة العلوم السياسية، 2019، ص. 1.

الفقرة الأولى: الأزمة السورية والتعاطي الروسي-الأمريكي معها

إذا كانت الأزمة السورية الراهنة قد شكلت محور اهتمام كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في إطار سياستهما الخارجية، فلنا أن نتساءل عن استراتيجية البلدين في التعامل مع الأزمة السورية الراهنة وتدبيرها، وعن مكانة هذه الأزمة في سلم أولويات السياسة الخارجية لكلا البلدين. وللإجابة عن هذه التساؤلات سوف يتم تناول النقاط التالية:

أولاً: موقف ومرامي الحضور الأمريكي في الأزمة السورية

سنتناول في هذه النقطة تحديد الموقف الأمريكي من هذه الأزمة، ودراسة تطور هذا الموقف عبر المراحل التي مرت بها القضية السورية، ثم محاولة تحديد الأهداف والمرامي التي تدفع واشنطن للحضور والتدخل في هذه الأزمة.

أ- الموقف الأمريكي من الأزمة السورية الراهنة

تميزت العلاقة بين أمريكا وسوريا بالتوتر لما يقارب خمسة عقود، فسوريا بالنسبة للإدارات الأمريكية المتعاقبة، دولة تشكل تصرفاتها تهديداً وعدائية لأمريكا وحلفائها في المنطقة، وتتضمن تصرفاتها كل القضايا والمواضيع الأكثر حساسية لدى صانع القرار الأمريكي لما بعد الحرب الباردة، ومنها: دعم الإرهاب، تطوير قدراتها في مجال أسلحة الدمار الشامل، حيث ربطت الولايات المتحدة الأمريكية الدعم السوري للإرهاب من خلال دعمها لحزب الله وحركات المقاومة الفلسطينية، والجمعيات الكردية كحزب العمال الكردستاني (PKK)¹.

فمنذ اندلاع الثورة السورية في عام 2011، اتسم دور الولايات المتحدة الأمريكية بالغموض تجاه الأزمة، لمحدودية أدوات الضغط التي تمتلكها اتجاه النظام السوري، مكتفية بمراقبة النظام وردة الفعل الشعبية، متصورة أن النظام الحاكم سيبادر باحتواء الأزمة وتقديم التنازلات التي تهدف إلى تحقيق مطالب الشعب، والعمل على إيجاد حل سلمي، لذا

¹ أيفودالر وآخرون، هلال/الأزمات، ترجمة حسان البستاني، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2006، ص. 99. عن عبد الرزاق بوزيدي، التنافس الأمريكي الروسي في الشرق الأوسط دراسة حالة الأزمة السورية، 2010-2014، مرجع سابق، ص. 120.

اقتصر الموقف الأمريكي على الدعوة لوقف العنف وتلبية مطالب المحتجين، والتهديد بعقوبات قاسية في حال لم يبدأ النظام السوري بإصلاحات سياسية حقيقية¹.

وبالنظر لعجز النظام السوري عن احتواء الأزمة وتطور الأحداث وصولاً إلى الصراع المسلح وذلك بقمع المتظاهرين، فقد برز الموقف الأمريكي في التصريحات المناهضة لنظام "بشار الأسد" لاسيما في 20 مارس 2011، بعد أن أصدرت إدارة الرئيس الأمريكي السابق "باراك أوباما" بياناً شديداً للهجة تدين فيه القمع الوحشي للمتظاهرين²، بعد ذلك انتقلت إدارة الرئيس باراك أوباما لممارسة ضغوطات على نظام بشار الأسد تمثلت بحزمة من العقوبات المالية والاقتصادية في ماي من عام 2011، ضمت الرئيس الأسد وبعضاً من المسؤولين السياسيين والأمنيين في نظامه، وقد جاء ذلك بعدما زج مباشرة بالجيش في عمليات عسكرية في المدن والقرى المنتفضة، وقد اعتمدت أمريكا في هذا الأمر على تركيا التي لها أدوات من شأنها التأثير والضغط على النظام والمعارضة في آن واحد، وعلى الرغم من أن الرئيس الأمريكي صرح في 12 يوليو 2011 بأن الرئيس السوري فقد شرعيته لعجزه عن إنجاز التحول الديمقراطي، فإنه لم يدعه للتنحي عن سدة الحكم³.

مع نهاية سنة 2011 تسارع تشكل المعارضة المسلحة السورية، واتسعت المطالب بالحماية الدولية للشعب السوري أو فرض حظر للطيران في بعض المناطق أو ممرات إنسانية، وقد تبين أن الولايات المتحدة الأمريكية متحفظة على مثل هذه الاقتراحات، حيث امتنعت عن إرسال أسلحة نوعية وفتاكة للمعارضة السورية المسلحة، حيث كانت جل المساعدات غير قتالية مثل: الطعام، والأدوية والأدوات الطبية...، ومارست نوعاً من

¹ سهام فتحي، الأزمة السورية في ظل تحول التوازنات الإقليمية والدولية 2011-2013، جامعة الأزهر، غزة، 2015، ص. 116. عن حميد شهاب أحمد، "تداخل المواقف الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية) تجاه الأزمة السورية"، مرجع سابق، ص. 4.

² ديفيد دبليو ليش، سورية- سقوط مملكة الأسد، ترجمة أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص. 201.

³ "تطورات الموقف الأمريكي من الثورة السورية"، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص. 4.

الضغوط على دول الخليج وتركيا لعدم وصول تلك الأسلحة لمن تعتبرهم جماعات إرهابية¹.

في نفس السياق تواصلت الجهود الدبلوماسية الأمريكية الرامية لإسقاط بشار الأسد سياسيا، حيث عقدت مجموعة العمل الخاصة بسوريا في 30 يونيو 2012 لاتفاق جنيف الذي يتألف من نقاط ست لححلة الأزمة السورية، إلا أن تنفيذ الاتفاق تعذر بسبب اختلاف التفسيرات المطروحة بخصوص مستقبل الرئيس بشار في المرحلة الانتقالية، حيث من جهة أصرت روسيا على أن الاتفاق لا يشير لرحيل الأسد كنقطة بداية للتنفيذ، ومن جهة أخرى تمسكت الولايات المتحدة الأمريكية بموقفها المطالب برحيل بشار الأسد، وأنه لا يمكن أن يكون جزءا من المرحلة الانتقالية.

رغم هذا الفشل، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية بقيت ترفض تقديم أي مساعدة عسكرية لقوات المعارضة السورية المسلحة، رغم الترقب الكبير الذي كان متوقعا لتدخل عسكري من واشنطن في سوريا، إلا أنه من الواضح أن الإدارة الأمريكية لم تكن تريد التدخل مهما تعددت المبررات السياسية والعسكرية².

ويمكن تحديد جملة من العوامل التي ساهمت في تحفظ الولايات المتحدة الأمريكية عن دعم المعارضة السورية في البداية أو التدخل العسكري في ما يلي:

- خشية واشنطن من التوجهات السياسية والإيديولوجية لبعض من مجموعات المعارضة المسلحة السورية، إذ لم تنشأ إدارة الرئيس باراك أوباما دعم هذه المجموعات بالسلاح بما يؤدي إلى حسم المعركة لصالحها، حيث يستحضر المسؤولون الأمريكيون تجربتهم في أفغانستان عندما ساندوا وسلحوا المقاتلين الأفغان في مواجهة القوات السوفيتية، ثم اتخذوا أمريكا هدفا لهجماتهم في ما بعد، لذلك أدرجت الولايات المتحدة الأمريكية جبهة النصرة، والدولة الإسلامية في العراق والشام على قائمة المنظمات الإرهابية في ديسمبر 2012.

¹ ناجي خليفة الدهان، "التنافس (الأمريكي، الروسي، الإيراني)، في سوريا وفي الشرق الأوسط، مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 2 يونيو 2019، <<https://bit.ly/3jE9nmn>> (3 يناير 2020)
² احمد حسين يحي "هل يقود الانقسام الدولي حول الأزمة السورية لحرب عالمية ثالثة"، 2 مارس 2013، <<https://bit.ly/34SC4rx>> (3 ماي 2018)

- تنظر الولايات المتحدة الأمريكية بالريبة إلى الثورة السورية، ومسارها المسلح وكذا ما يخلفه الحسم والتفوق العسكري لقوات المعارضة من نتائج وتبعات محتملة، أبرزها فوضى السلاح، وانتشار الجماعات المتطرفة، وغياب سلطة مركزية قوية، الأمر الذي يؤدي إلى تداعيات سلبية على أمن المنطقة ككل، وبخاصة أمن إسرائيل.

- نظرا لانقسام المعارضة السورية، وبخاصة العسكرية منها، وغياب بديل ذي توجهات معقولة في نظر الأمريكيين ليحل بدل النظام الحالي، وبالنظر كذلك للتجربة الأمريكية في العراق أيضا، والنتائج الكارثية لانهايار العراق، لجأت واشنطن لنهج سياسة تميل البحث عن حل سياسي يحافظ على مؤسسات الدولة السورية وبناء الأساسية مع رحيل الأسد عن سدة الحكم¹.

إن تمسك الولايات المتحدة الأمريكية بموقفها الرافض لتقديم أي دعم عسكري للمعارضة السورية لم يدم طويلا، حيث قرر الرئيس الأمريكي باراك أوباما عام 2013 تغيير موقفه، والتوجه لتقديم أسلحة قتالية للقوى المعتدلة ضمن المعارضة السورية كما وصفتهم إدارته، وإرسال ضباط وخبراء أمريكيين في الأردن وتركيا لتدريب قوات المعارضة السورية وتقديم الدعم في الاستخباراتي، كما استبعدت واشنطن إمكانية فرض منطقة حظر طيران على سوريا، كما استبعدت تزويد قوات المعارضة بصواريخ أرض-جو محمولة على الكتف "manpad"، لكن بالمقابل التزمت واشنطن بتقديم أسلحة آلية خفيفة، وقذائف "المورتر"، وقذائف صاروخية مضادة للدروع، حيث وصل بعض هذه الصواريخ فعلا إلى فصائل المعارضة السورية.

إن تغير الموقف الأمريكي من الأزمة السورية وإعلانها بأنها ستمتد المعارضة السورية بالأسلحة يمكن إرجاعه للعديد من العوامل منها:

✓ اختلال الوضع الميداني لصالح نظام بشار الأسد خاصة بعد سيطرة قواته على مدينة القصير الإستراتيجية، الذي نجم عنه ضغوطات خارجية (سعودية- فرنسية

¹ " تطورات الموقف الأمريكي من الثورة السورية "، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فبراير 2013، ص. 5.

خاصة) على الرئيس باراك أوباما لمنع انهيار المعارضة في ظل الخلل الذي ظهر في موازين القوى بين المعارضة والنظام السوري.

✓ تزايد الضغوطات الداخلية التي مارسها الجمهوريون وعلى رأسهم السيناتور جون ماكين، الذي دعا الرئيس الأمريكي للقيام بشيء لإنقاذ هيئة الولايات المتحدة الأمريكية.

✓ ممارسة المزيد من الضغوطات على النظام الأسد قبل الذهاب إلى مؤتمر جنيف 2، بما يمكن من إضعاف مواقفه التفاوضية¹.

لقد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية منذ انتشار أخبار عن استخدام نظام الأسد للأسلحة الكيماوية تهدد باتخاذ إجراءات ردعية وقاسية في حالة استخدام السلاح الكيماوي، وقد اعتبر الرئيس أوباما في تصريحه الشهير أن استخدام السلاح الكيماوي يعد خطأ أحمر، وزاد بأن سوريا ستعرض لعواقب وخيمة في حال استخدامها للأسلحة الكيماوية ضد الشعب السوري، غير أن تقارير جديدة وصلت للبيت الأبيض تؤكد استخدام القوات السورية النظامية لغاز السارين في الغوطة الشرقية، مما دفع بالولايات المتحدة إلى تحريك قواتها البحرية المتواجدة في البحر الأبيض المتوسط استعدادا لتوجيه ضربة عسكرية لسوريا².

غير أن جميع الجهود الدبلوماسية التي قام بها أوباما ووزير الخارجية جون كيري لبناء تحالف دولي، يساعد على تنفيذ ضربة عسكرية لسوريا بتهمة استخدام نظام الأسد لأسلحة كيماوية في مناطق ريف دمشق عرف فشلا ذريعا، فقد كان قرار الرئيس باراك أوباما متعجلا لتوجيه ضربة عسكرية لسوريا، الشيء الذي تسبب في إرباك للموقف الدولي وتباين بين أمريكا وروسيا، وانقسام في الاتحاد الأوروبي وداخل مجلس الأمن، كما أحدث إرباكا للمجتمع الأمريكي.

¹ "في أسباب تغيير الموقف الأمريكي من تسليح المعارضة السورية" المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 12 ماي 2014، <<https://bit.ly/3borQQP>> (20 أبريل 2017)

² فايز الدويري، خيارات العمل العسكري سوريا" مركز الجزيرة للدراسات، 28 غشت 2013، <<https://bit.ly/3jEfXJg>> (10 ماي 2017)

في ظل هذه الأوضاع المعقدة تقدمت روسيا باقتراح للولايات المتحدة بأن تسلم سوريا ترسانتها الكيماوية للمجتمع الدولي، مقابل تجنب سوريا أي ضربة عسكرية، هذه المبادرة وافقت عليها الولايات المتحدة وسوريا وبدأ النظام السوري بتسليم شحناته الكيماوية عبر مراحل، وتقلصت احتمالات الضربة العسكرية على سوريا¹.

عكس الغموض الذي كان يلف الدعم الأمريكي للمعارضة السورية في بداية الأزمة، أصبح الدعم الأمريكي واضحاً حيث عرف عام 2014 قرار واشنطن وقف العمل في سفارة سوريا في الولايات المتحدة الأمريكية، كما طالبت أيضاً بمغادرة دبلوماسيي النظام السورية للأراضي الأمريكية، كما قررت الرفع من تمثيلية الائتلاف الوطني السورية المعارض وذلك وفق قانون البعثات الدبلوماسية، وهو تأكيد لرغبة واشنطن في عزل نظام الأسد في الساحة الدولية.

تدرك واشنطن أن إسقاط نظام بشار الأسد لن يتأتى فقط بمجموع الإجراءات الدبلوماسية التي يمكن أن تتخذها الإدارة الأمريكية، بل لا بد من إجراءات موازية تخص تقديم دعم عسكري ومالي لفصائل المعارضة السورية، ولذات الغاية أعلنت واشنطن عن اتخاذ إجراءات وتدابير تهم دعم المعارضة السورية سياسياً ومادياً، وأن السلطات الأمريكية تدرس مع الكونغرس تخصيص 27 مليون دولار لمساعدة الجيش السوري الحر².

لم تقف رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في القضاء على نظام الأسد وحسم المعركة لفائدة قوى المعارضة المعتدلة، أمام موافقتها عقد مؤتمر جنيف 2 في خطوة لإيجاد تسوية دبلوماسية للأزمة السورية، إلا أن تعنت مواقف أطراف النزاع المدعومين من قبل روسيا من جهة والولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثانية، حال دون التوصل إلى اتفاق في المؤتمر، قبل أن تشن واشنطن ضربات جوية ضد داعش في سوريا في شتبر 2014³.

¹ أحمد حسين يحيى، "هل يقود الانقسام الدولي حول الأزمة السورية لحرب عالمية ثالثة"، مرجع سابق.
² عمر كوش، "حقيقة الدعم الأمريكي للمعارضة السورية"، مركز الجزيرة للدراسات، 26 يوليو 2017، <https://bit.ly/3jCiW57> (02 ماي 2018)
³ شيماء عزة، "أمريكا بين دعم الائتلاف السوري المعارض والخوف من الجماعات الجهادية"، موقع BBC، 21 يناير 2014، <https://bbc.in/3hOZSAh> < (2 يناير 2017)

إن اختلاف الحالة السورية عما جرى في ليبيا وإسقاط نظام امعمر القذافي، جعل الولايات المتحدة الأمريكية ترغب في نهج استراتيجية مغايرة قوامها دفع النظام للانهيـار من الداخل عبر التصعيد التدريجي للعقوبات، وكذا الضغط السياسي الدبلوماسي داخل المجتمع الدولي وفي المحافل الإقليمية والدولية بمساعدة كل من العربية السعودية وتركيا.

تهدف الولايات المتحدة الأمريكية من خلال نهج سياسة إنهاك النظام السوري من الداخل ودفعه للانهيـار عبر الخنق الاقتصادي، والدعم الأمني العسكري للمعارضة السورية المعتدلة، إلى تجنب المخاطر التي قد تنشأ في المنطقة والعالم في حال تفعيل الخيار العسكري ومحاولة إسقاط النظام السوري¹.

ب- المرامي الأمريكية في ظل الأزمة السورية

يحكم موقف الولايات المتحدة الأمريكية مما يجري من أحداث على الساحة السورية جملة من الدوافع والأهداف التي ترمي الإدارة الأمريكية إلى تحقيقها، فالاستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية تعمل على خلق واقع جديد، يهدف إلى خلق واقع سياسي واستراتيجي مغاير عبر التأثير في البنى الاجتماعية والسياسية بسوريا والمنطقة ككل.

بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فالهدف الأول في سوريا هو إعادة تشكيل وصياغة الخريطة السياسية في المنطقة، حيث رغم نجاح تقسيم سايكس بيكو السابق في تفكيك المنطقة، إلا أنه لم يستطع قبر مقومات التضامن الإقليمي، كما لم يمنع من قيام محور إقليمي ممانع للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في المنطقة، وتشكل سوريا الحجر الأساسي في الطرف الممانع والذي يضم إيران وسوريا وحركات المقاومة في لبنان وفلسطين، لذلك يمكن تفسير السلوك الأمريكي تجاه سوريا من خلال سعيها لكسر محور المقاومة، وبالتالي تحقيق الأمن لإسرائيل ودرء الخطر عن مصالحها الإستراتيجية في المنطقة.

إن ما يحدث في الكثير من الأقطار العربية ومنها سوريا، هو حسب الكثير من الباحثين محاولة أمريكية جديدة لتقسيم المنطقة تحت مسميات كالشرق الأوسط الجديد،

¹ أمل محمد ياسين، المواقف الإقليمية والدولية وأثرها في الأزمة السورية، مركز الرأي للدراسات، 24 ماي 2012، <https://bit.ly/3jCwe1G> < 6 دجنبر 2017 >

أساسها تشظية المنطقة إلى دويلات متناحرة على أسس هوياتية وعرقية والدينية وطائفية، الأمر الذي يضمن أمن الكيان الصهيوني¹.

شكلت أحداث ما عرف بـ" الربيع العربي" فرصة مواتية للولايات المتحدة الأمريكية من أجل إحياء فكرة مشروع الشرق الأوسط الجديد، وخاصة مع التطورات التي شهدتها الساحة السورية من أحداث متتالية، هذا المشروع الذي من خلاله سيتم تقسيم الوطن العربي، لم يعد مجرد تحليل، فقد حذرت تركيا على لسان نائب رئيس الوزراء في 30 شتنبر 2019، حيث قال "إن بعض الجهات تحاول إعادة رسم حدود المنطقة" وذلك بعد 100 عام على اتفاقية "سايكس بيكو" السرية التي وقعتها بريطانيا وفرنسا سنة 1916²، وتقع سوريا ضمن هذا المخطط والهدف تقسيمها إلى دويلات أربع صغيرة هي:

- **الدولة السنية:** تشمل حلب ودمشق وجزء من حمص، والرقّة وتدمر ودير الزور وصولاً لمدينة الحسكة عند الحدود الكردية.

- **الدولة العلوية:** تقع غرب سوريا وتتألف من محافظتي طرطوس واللاذقية بالكامل، ومناطق مصياف والسقيلية ومحرّدة التابعة لمحافظة حماه، ومناطق تلكلخ والقصير والرستن، تمتد الدولة العلوية حسب ما جاء في التقرير من حدود لواء اسكندرونة التابع لتركيا حالياً في الشمال إلى الحدود اللبنانية في الجنوب، ويحدها من الشرق باقي محافظتي حمص وحماة، ومن الشمال الشرقي محافظة إدلب.

- **الدولة الكردية:** تمتد من حدود إقليم كردستان العراق شرقاً، مروراً بالقامشلي، الحسكة، ودراسية، وكوباني، وصولاً إلى عفرين وتنتهي بمصيف سلمى الساحلي.

- **دولة الدروز:** وتشمل مناطق تواجد الدروز وصولاً إلى الحدود اللبنانية المتاخمة لحدود الطائفة الدرزية في لبنان³.

¹ عبد السلام زاقود، الأبعاد الإستراتيجية للنظام العالمي الجديد، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص ص. 92، 90.

² "الشرق الأوسط الجديد" .. هل تتحقق "نبوءة" كونداليزا ورف ببيد ترامب؟"، الخليج أونلاين، 31 مارس 2019، <<https://bit.ly/3svx9ok>> (12 ماي 2019)

³ رمزي المنياوي، الفوضى الخلاقة، دار الكتاب العربي، دمشق، 2011، ص. 153.

لتطبيق خطة التقسيم الجديد، سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى اتخاذ موقفها تجاه الأزمة السورية عبر إعلان دعمها للمعارضة السورية المعتدلة، و غرض الطرف عن إدخال السلاح إليها من طرف القوى الإقليمية (تركيا والسعودية)، و بالموازات مع ذلك تبذل كل جهودها من أجل خنق النظام السوري وإضعافه بكل الوسائل والطرق الممكنة، وقد بدت أولى بوادر التقسيم في سوريا حين حصل أكراد سوريا على حكم ذاتي نتيجة الأزمة، وقد يستطيعون مستقبلا تطويره إلى ما يشبه الاستقلال الذي يتمتع به أكراد العراق.

إن المواقف المعلنة والمتخذة من طرف الإدارة الأمريكية في الأزمة السورية تشير إلى رغبة أمريكية هدفها التفكيك السلس والنظيف لبنى الدولة السورية، وذلك عبر نظرية الفوضى البناءة، بهدف إعادة تشكيل خارطة سوريا والمنطقة ككل على المستوى الجغرافي والسياسي¹.

تتأسس نظرية الفوضى الخلاقة من المنظور الأمريكي على تفكيك البنى القائمة في دولة ما، حتى لو قاد ذلك إلى حدوث فوضى مرحلية تمهيدا لإعادة تشكيل هذه الدولة على أسس جديدة أكثر ملاءمة لمصالح أمريكا ومخططاتها في الإقليم، وحلحلة الأمور ونقلها من نقطة الجمود إلى نقطة المرونة والحركة، حتى تتمكن من التدخل وتطبيق السيناريوهات الجاهزة²، أو السماح لقوى التغيير داخل الدولة لتأخذ فرصتها، وتقوي عناصر الفعل المؤدي إلى حدوث التغيير داخل الأنظمة السياسية³.

وقد ظهر ذلك جليا في الحالة السورية، حيث تدعم الولايات المتحدة الأمريكية والغرب المعارضة السورية، بما يمكنها من إسقاط النظام بشار الأسد من الداخل، وفي نفس الوقت تعمل على حشد تأييد دولي للعمل على التدخل وإسقاط النظام السوري ودعم وصول نظام آخر يكون حليفا لها⁴.

¹ طالب الدغيم، " الفوضى " البناءة " عندما تكون سوريا ميدانها الأكبر"، مركز الجزيرة للدراسات، 29 يناير 2020، <https://bit.ly/32R3iw4> (20 ماي 2020)

² حيدر على حسين، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل النظام الدولي، دار الكتاب العلمية للطباعة والنشر، عمان، 2013، ص. 243.

³ المرجع نفسه، ص. 245.

⁴ صالح عوض عبد العال، سوريا الجدار الأخير، الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، 2013، ص. 53.

إن غاية الولايات المتحدة الأمريكية منع وصول المعدات العسكرية والسلاح لمن تعتبرهم إرهابيين كحماس وحزب الله اللبناني، فالأسلحة الموجهة من إيران مروراً بدمشق وصولاً للبنان لدعم حزب الله، والأسلحة المهربة عبر الأراضي السورية للعراق سيجري تعطيلها من خلال إشغال النظام السوري بمواجهة حالة الغليان التي تمر بها تمهيداً للإطاحة به، ويتوقع الأمريكيون أنهم إذا تمكنوا من إسقاط نظام بشار الأسد، فإنهم سيضمنون وصول نظام حليف في دمشق يسهل عملية التوصل إلى اتفاقية سلام مع إسرائيل وبالتالي سيتم توقيف تزويد حزب الله بالسلاح، مما سيؤدي إلى إضعافه كما سيتمكنون من تطويق إيران وكسر نفوذها في المنطقة¹.

في إطار تفاعل الولايات المتحدة الأمريكية مع القوى الكبر المتصارعة معها على النفوذ في المنطقة وعلى الساحة السورية خصوصاً، تسعى واشنطن إلى تحقيق هدف جيوبوليتيكي يدخل في إطار التنافس والصراع على المنطقة، ووفقاً لاستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية فإن سوريا تعتبر جزءاً من حافة الأرض التي من خلالها يمكن محاصرة روسيا من جهة الجنوب الغربي ومنعها من المياه الدافئة.

لذا فإقامة أنظمة حليفة في مناطق حية كهذه هو مطلب أمريكي ملح على اعتبار أن سوريا تعد دولة ارتكازية Pivot States، تدخل في إطار الصراع بين التالاسوكراتيا (القوة البحرية) بقيادة الولايات المتحدة والتيلوروكراتيا (القوى البرية) بقيادة روسيا الاتحادية، فسوريا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية هي جزء من إستراتيجية الاحتواء التي تهدف إلى حصر قلب الأرض الأوراسي ودفعه إلى الداخل ما أمكن تجنباً لتمدده خارج حدوده السياسية².

إن من أهداف السياسة الأمريكية في المنطقة ومنها سياسة تغيير النظام المنتهجة في سوريا هي محاولة كبح جماح النفوذ المتنامي لقوى الشرق (روسيا والصين) قبل أن يتنامى هذا النفوذ ويمتد إلى مناطق أخرى متحالفة مع واشنطن، لذلك فمصلحة الولايات

¹ يوسف مكي، "صراع أمريكي- روسي على سوريا"، مركز الخليج للدراسات، 14 يونيو 2029، <https://bit.ly/31QtaJ7> (4 شتبر 2019)

² عبد الرزاق بوزيدي، التنافس الأمريكي الروسي في الشرق الأوسط دراسة حالة الأزمة السورية، مرجع سابق، ص. 127.

المتحدة الأمريكية تقتضي تحريك التوازنات في المنطقة، وإعادة تشكيل الخارطة السياسية على أمل تقويض هذه القوى ومنع أي تغلغل في مناطق نفوذها.

إن القضاء على نظام بشار الأسد ليس مطلباً أمريكياً فحسب، بل هو أيضاً مطلباً لحلفاء الولايات المتحدة الأمريكية الخليجيين، كما أن النظام السوري يعد بالمقابل خطاً دفاعياً وأمنياً متقدماً لروسيا وموقع استراتيجي في غاية الأهمية في مواجهة الغرب، فسياسة واشنطن غايتها تطويق الدب الروسي ومنعه من القدرة على الحركة في جميع الاتجاهات، الشيء الذي جعل الساحة السورية منطقة صدام جيوبوليتيكي بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية¹.

تهدف الولايات المتحدة الأمريكية من خلال سياستها اتجاه سوريا إلى تقويض أي تقارب روسي سوري، ومنع روسيا من محاولة استعادة أمجاد الاتحاد السوفياتي سابقاً كقوة لها مكانتها ووزنها في الساحة الدولية، ولذات الغاية تسعى واشنطن إلى إسقاط الحلفاء التقليديين لروسيا في منطقة الشرق الأوسط ومنهم النظام السوري، الذي يتعتبر حليفاً مهماً يضمن تواجدتها في البحر المتوسط².

تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على عرقلة أي تحرك محتمل أو تقارب روسي مع البلدان التي تدخل في دائرة حلفاء واشنطن، أو حتى مع خصومها في المنطقة والعالم، حيث إن قوة روسيا وثقلها التاريخي كوريث للاتحاد السوفياتي، وكذا قدراتها العسكرية الكبيرة التقليدية والنووية تخولانها استعادة مكانتها في الساحة الدولية كقوة عظمى قد تشكل خطراً على ريادة واشنطن في المنطقة والعالم، لذلك كان مطلب تقزيم هذا الدور المتنامي لروسيا ملحاً لدى صانعي القرار بواشنطن، ومنعها -روسيا- من تحقيق طموح العودة للساحة الدولية كقوة كبرى، وكان القضاء على الأنظمة الحليفة لروسيا في منطقة الشرق الأوسط ضمن سياسة واشنطن في مواجهة النفوذ الروسي³.

¹ جلال خشيب، "سوريا في مهب التحولات الدولية... دراسة جيوبوليتيكية نظرية"، مجلة المن في المتوسط، العدد 8، 2014، ص. 33.

² خالد عبد العظيم، "الصراع على النفوذ في أوراسيا"، مجلة السياسة الدولية، العدد 161، 2005، ص. 268.

³ "وداعاً للشرق الأوسط.. هل أعاد ترامب بناء السياسة الخارجية الأمريكية ببراعة"، مركز الجزيرة للدراسات، 24 يناير 2020، <<https://bit.ly/2ZgzBDN>> (20 ماي 2020)

ثانياً: الموقف الروسي من الأزمة السورية و محدداته

من خلال هذه النقطة سنتناول الموقف الروسي من الأزمة السورية الراهنة، ثم نخرج على محددات الموقف الروسي من الأزمة السورية.

أ- موقف روسيا من الأزمة السورية

من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الاستراتيجية الروسية في منطقة الشرق الأوسط توطيد العلاقة بينها وبين حلفائها ومنهم النظام السوري، الذي يعد لبنة أساسية في هذه الاستراتيجية، حيث تعود العلاقة الثنائية بين البلدين إلى ما قبل عهد الرئيس حافظ الأسد وتوطدت كثيراً في عهده، إذ تعتبر هذه الشراكة من الشراكات الأكثر ديمومة في منطقة الشرق الأوسط¹.

تشكل سوريا بالنسبة لروسيا تلك البوابة وموطئ القدم البالغ الأهمية في منطقة الشرق الأوسط، وذلك في إطار سعي روسيا بوتن منذ عام 2000 إلى استعادة مكانتها في سلم القوى العظمى، إذ تشكل سوريا أيضاً ميداناً لإظهار روسيا كقوة موازنة للغرب في منطقة الشرق الأوسط، كما أن موقعها المطل على البحر الأبيض المتوسط وإسرائيل ولبنان وتركيا والعراق يجعلها مهمة في حسابات الرئيس الروسي فلاديمير بوتن².

وفي إطار سعيها - روسيا - لإجهاض أي محاولة للتدخل عسكري ضد النظام السوري أو محاولة فرض عقوبات جديدة، أكدت على موقفها الرافض لأي تدخل من شأنه أن يسمح بهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام. فإحساسها بخطأ التدخل العسكري في ليبيا الذي جاء على حساب مصالحها، يجعلها اليوم ترفض وبشدة أي عمل عسكري من شأنه أن يعيد تكرار التجربة في سوريا، وبالتالي سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على البلد كما فعلت بعد احتلال العراق عام 2003³.

¹ " What foreign powers want from the Syrian War", *DW Made for Minds*, March 12, 2019, <<https://bit.ly/3jDwT2B>> (Abril 15, 2010)

² Anna Borshchevskaya «Russia's Many interests in Syria» *The Washington Institute*, January 24, 2013, <<https://bit.ly/34Za5Gw>> (March 12, 2018)

³ وليد عبد الحفي، "محددات السياسة الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية" مركز الجزيرة للدراسات، 3 أبريل 2013، <<https://bit.ly/31SpMO0>> (1 أبريل 2017)

عطلت روسيا كل المبادرات العربية الإقليمية والدولية، من إصدار قرارات تدعم تطبيق هذه المبادرات في مجلس الأمن عبر استخدامها حق النقض في المجلس، حيث ومن البداية اعتبرت روسيا المعارضة هي السبب الرئيسي في استفحال الأزمة، باعتبارها جهة مسلحة في مواجهة جيش نظامي، إلا أنها بالمقابل طالبت النظام بإجراء إصلاحات سريعة وجدية، وقد أعلنت روسيا بأن دول الناتو اتخذت القرار الأممي رقم 1973¹، بشأن ليبيا نصا وروحا، وهي بالتالي تقف إلى جانب سوريا في السلم والحرب²، ولن تسمح بإسقاط النظام السوري، فهي قلقة من بعض التوجهات الدولية الصريحة التي تسعى لهذا الهدف. ويعتقد الكرملين بأن إبعاد السلطة الحالية في دمشق سيعترب عليه اندلاع الحرب الأهلية من جانب، وسيطرة تيارات أصولية متطرفة على زمام الأمور من جانب آخر³.

لقد أعربت واشنطن عن استعدادها لشن هجوم عسكري على سوريا، وذلك بعد اتهامها للنظام السوري باستخدام السلاح الكيماوي ضد المدنيين، مما دفع موسكو لمعارضة أي تدخل أو عملية عسكرية قد تقدم عليها واشنطن ضد النظام السوري، حيث دعت الخارجية الروسية الولايات المتحدة الأمريكية والمنتظم الدولي إلى توخي الحذر، واحترام مقتضيات القانون الدولي، كما أكدت على أن أي اعتداء أو عمل عسكري ضد النظام في سوريا ستكون له عواقب وخيمة على منطقة الشرق الأوسط ككل، وأن أي استخدام للقوة فهو يحتاج إلى تفويض من الأمم المتحدة وإلا اعتبر انتهاكا للقانون والمواثيق الدولية.

وفي خطوة تؤكد فيها روسيا رفضها لأي تدخل عسكري في سوريا، أعلن نائب وزير الدفاع الروسي أن قطعا من الأسطول الروسي الحربي سترابط باستمرار في البحر الأبيض المتوسط بالقرب من السواحل السورية، ومن هذه السفن؛ سفينة الحراسة "سميتلوفي" التابعة لأسطول البحر الأسود، كما ستنضاف إليها سفن أخرى مستقبلا، يأتي

¹ تبني مجلس الأمن الدولي في 18 مارس 2011 -بأغلبية كبيرة- القرار رقم 1973 الذي يقضي بفرض منطقة حظر جوي فوق ليبيا، واتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لحماية المدنيين.

² تم التصويت على القرار في مجلس الأمن بتاريخ 17 مارس 2011 بالأغلبية دون معارضة، حيث يقضي بفرض حظر جوي على ليبيا واتخاذ التدابير اللازمة لمنح سلاح الجو الليبي من استهداف المدنيين

³ مطر جميل وآخرون، رياح التغيير في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص ص. 243-244.

ذلك رداً على تزايد القطع البحرية الأمريكية والبريطانية ودول أخرى على مقربة من السواحل السورية¹.

تصر روسيا على الحوار لحل الأزمة السورية وعدم موافقتها على سقوط الأسد عسكرياً دون التفاوض معها، تبرز خفايا السياسة الروسية في استثمار هذا الملف في سياق صراعها مع الغرب، وقد كان لإعلان وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف أن فترة الانتظار لتنظيم العلاقات الروسية الأمريكية، لن تكون إلى الأبد كشكل من أشكال التأكيد لهذه المقاربة، رغم تأكيد سفير روسيا في بيروت الكسندر زاسيكين على غياب أي نية لبلاده في عقد صفقة على حساب سوريا².

إن بقاء النظام السوري حتى يومنا هذا يفسره التوافق الكبير وتقاطع المواقف بين موسكو والنظام السوري حول متغيرات البيئة الدولية والإقليمية، فمساعدة روسيا لنظام بشار الأسد تفسره المصالح الروسية التي تستدعي تقوية العلاقات الثنائية في مختلف المجالات، كما بالمقابل لا ننسى الدعم السوري للتحركات العسكرية الروسية في جورجيا عام 2008³.

لقد أدرك القادة الروس بدفاعهم المستमित عن النظام السوري بأن خسارة روسيا لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، معناه القضاء على أي تواجد لروسيا في منطقة الشرق الأوسط وإغلاق المنطقة نهائياً في وجههم، وتمكن أمريكا من التغلغل عبر تركيا نحو منطقتي القفقاس ووسط آسيا وزعزعة الاستقرار في روسيا نفسها، عن طريق تشجيع الحركات الانفصالية في عموم روسيا من الشيشان إلى منغوليا إلى سيبيريا.

ب: محددات الموقف الروسي من الأزمة السورية

حسمت روسيا موقفها مما يحدث في سوريا بإعلان دعمها لنظام الأسد حيث أصبحت أكثر المدافعين عنه في الساحة الدولية، فروسيا تتبّع سياسة جوهراً دعم الأنظمة التي تواجه انتفاضات شعبية في الشرق الأوسط، وهذه ليست سياسة جديدة فروسيا اتبعتها

¹ حسين يسري، "روسيا تمثل استعصاء للغرب"، صحيفة الحدث، مرجع سابق.
² ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، 2013، ص ص. 304-305.
³ وليد عبد الحى، "محددات السياسة الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية"، مرجع سابق.

في الثورة الخضراء في إيران سنة 2009، وقد ركز العديد من المحللين في شرحهم لهذه السياسة على أهمية الاستثمارات الاقتصادية، في دول مثل ليبيا وسوريا وأيضاً لوجود ارتباطات سياسية تعود إلى عهد الاتحاد السوفياتي¹.

إن الموقف الروسي حيال الأزمة في سوريا يثير مجموعة من التساؤلات عن الأسباب والحيثيات التي جعلت القادة الروس يتعاملون معها وكأنها الأهم والأكثر حساسية بالنسبة إليهم في منطقة الشرق الأوسط. ففي الوقت الذي نجد فيه إجماعاً متزايداً حول العالم يؤكد أن انهيار النظام السوري أمر لا مفر منه، في المقابل تدعم روسيا الأسد وترفض وسحب دعمها للنظام السوري، وفي هذا الإطار يذهب العديد من المراقبين إلى أن هناك العديد من العوامل المرتبطة بالمصالح الروسية في سوريا ذات طبيعة سياسية وإستراتيجية واقتصادية، وهي التي تتحكم في موقف روسيا تجاه الأزمة السورية.

حيث يعتبر الشرق الأوسط من بين أهم أسواق صادرات السلاح الروسي، وهو بذلك ثاني أكبر سوق بالنسبة لروسيا، كما أن مصالح روسيا الاقتصادية لا تعتمد فقط على تجارة السلاح وإن كانت أهمها، فقد استثمرت روسيا في قطاعات كالطاقة والصلب والطيران، وقطاع البنية التحتية... إلخ².

بلغت استثمارات روسيا في سوريا عام 2009 حوالي عشرين مليار دولار، وأهم المجالات الاقتصادية المدنية التي تخدم المصالح الروسية في سوريا مجال التنقيب عن النفط والغاز وإنتاجهما³.

إن فقدان السوق السورية والإمكانات الضخمة التي يتيحها هذا السوق للاقتصاد الروسي، شكل هاجساً للقادة الروس خصوصاً عند مقارنة الأوضاع التي تمر بها سوريا مع تلك التي عرفتها ليبيا، والأثر الاقتصادي الكبير الذي خلفه سقوط نظام القذافي على مبيعات

¹ المرجع نفسه.

² Howard Amos, "Billions of Dollars of Russian Business Suffers along with Syria," *The Moscow Times*, September 2, 2011. <<https://bit.ly/3u29WMt> (April 5, 2018).

³ "المصالح الروسية في سوريا"، شبكة الجزيرة الإعلامية، 13 يناير 2012، <<https://bit.ly/32HuSw6>>، 12 ماي 2018

الأسلحة الروسية وكذا العقود في مختلف المجالات، فقد خسرت روسيا 4 مليارات دولار بسبب خسارة عقود أسلحة مع ليبيا نتيجة حر الأسلحة الذي تفرضه الأمم المتحدة¹.

من هذا المنظور يعتقد القادة الروس اعتقاداً راسخاً بأنه لم يعد من الممكن التخلي عن النظام السوري في هذه المرحلة، حيث أن المصالح الاقتصادية لروسيا في سوريا يمكن الحفاظ عليها فقط إذا انتصر الأسد على المعارضة أو إذا تمت التسوية عن طريق التفاوض.

ترى روسيا اليوم أن الحرب في سوريا هي معركتها، لأنها تعلم حجم التآمر عليها من قبل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لإبعادها عن أماكن تواجد الطاقة المستجدة في البحر المتوسط. فالقوة النفطية تساعد روسيا على استعادة دورها من خلال قدراتها المالية والاقتصادية على المسرح الدولي.

إن تزايد الاهتمام الروسي بسوريا أيضاً يعود إلى اكتشاف ثروتها الجديدة بالعديد من الحقول النفطية على الساحل السوري وبالقرب من الحدود اللبنانية²، إضافة إلى إدراك روسيا بالرغبة الأمريكية بتمرير الغاز القطري عبر سوريا إلى أوروبا في محاولة لإنهاء تبعية الدول الأوروبية للغاز الروسي - وهذا ما سنتحدث عنه لاحقاً.

تدرك روسيا جيداً حجم الخسارة التي قد تلحق بها ما إذا تخلت عن النظام السوري والسماح بسقوطه، وهو ما يجعلها تستमित في الدفاع عنه بشتى الطرق والوسائل، وبالتالي عدم إظهار أي مرونة في مجلس الأمن بانتظام - كما سنرى في القسم الثاني - والتوصل إلى توافق مع الولايات المتحدة الأمريكية على حل يؤمن لها استمرار مصالحها في سوريا على رأسها تجارة السلاح.

إضافة إلى العوامل الاقتصادية تجد روسيا في سقوط نظام بشار الأسد مقدمة وفرصة لتجديد الاحتجاجات المناهضة والمعارضة للحكومة الإيرانية، مما قد يؤدي إلى اضطراب وعدم استقرار قد يصل الحدود الروسية.

¹ "Russia loses \$4 billion in Libya because of Gaddafi," *Pravda.ru*, February 2, 2012. <https://bit.ly/2QINTBN> (April 6, 2016).

² خالد ممدوح العربي "روسيا والطاقة الجديدة في البحر المتوسط المصالح فوق كل اعتبار"، *صحيفة المستقبل العربي*، العدد 4694-21، ماي 2013، ص. 19.

وسقوط هذين النظامين الحليين لروسيا في منطقة الشرق الأوسط هو خسارة جيواستراتيجية قاسمة، يؤثر لا محالة على الدور المرتقب لروسيا في كقوة رئيسية في التوازنات الدولية الجديدة، خصوصا في ظل تراجع مستوى الوجود العسكري الأميركي بعد الانسحاب من العراق، ومع اقتراب موعد الانسحاب من أفغانستان¹.

الفقرة الثانية: مظاهر وأوجه الصراع الروسي-الأمريكي في الأزمة السورية

لقد شكل الصراع السياسي والدبلوماسي، أحد أهم مظاهر الصراع بين الدولتين في الأزمة السورية، فتعددت أوجه هذا الصراع، إن على المستوى الأممي أو على مستوى الخطاب الرسمي.

أولا: على مستوى الخطاب والتحركات الدبلوماسية

من الأدوات التي يعبر بها النظام السياسي عن مواقفه تجاه قضية معينة؛ نجد الخطاب الرسمي للدولة، وكذا تحركاته الدبلوماسية، وهو بالتالي يتضمن دفاع ذلك النظام عن مصالحه وآرائه الإيديولوجية ومخططاته الإستراتيجية، والخطاب السياسي يتسم ببنية نظرية متماسكة، وهي بنية مستمدة من الإيديولوجية والإستراتيجية التي يتبناها النظام القائم.

تبقى التحركات الدبلوماسية والخرجات الإعلامية لكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية دليل واضح على تباين المواقف والرؤى حد التناقض بين الدولتين، وهذا يعيد إلى الأذهان الصراع الذي كان سائدا بين كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الشرخ الذي أصاب المواقف الدولية، وتلك التكتلات والتحالفات التي تنتمي لهذا الطرف أو ذلك، والتي يجمعها توافق المصالح والأهداف².

¹ Vladimir Ryzhkov, " Russian's Policy : on the way to isolation", *The Moscow Times*, May 6, 2014, <<https://bit.ly/3lNNyCO> > (february 22, 2017)

² "الصراع الأمريكي الروسي حول الأزمة في سوريا: الرسائل السياسية في الخطاب الرسمي للحكومتين"، مجلة تونس المستقبل، <<http://futuretunisie.in/p730>>، (20 مارس 2018)

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية عبر خطاباتها الإعلامية الرسمية الصادرة عن البيت الأبيض بإدانة الصراع في سوريا، قبل أن تتحول خطاباته تدريجياً إلى استنكار وشجب ما يقوم به بشار الأسد من أعمال، كما طالبت بإصلاحات سياسية شاملة تستجيب لطموح وتطلعات الشارع السوري، وقد أشار أوباما لذلك في خطاب له في مارس من عام 2011، حيث أشار إلى وجود أمل في الرئيس السوري في قيادة انتقال ديمقراطي سلس، أو فسح المجال¹، ليرتفع سقف الخطاب الأمريكي الرسمي ويطالب بشكل صريح برحيل بشار الأسد من السلطة، وأن أي حل بسوريا لن يكون الأسد ضمنه، وقد أعلن البيت الأبيض أن شرعية بشار الأسد كزعيم قد تبددت بالفعل، وقال الناطق "جاي كارتني" بأن سوريا ستكون أفضل حالاً من دون الأسد²، وقد وصل الخطاب الأمريكي حد التهديد بعمل عسكري ضد النظام السوري المتهم باستخدام الأسلحة الكيماوية ضد شعبه في مواقع مختلفة.

في المقابل نجد الخطاب الرسمي الروسي يعبر عن موقف ثابت تجاه الأحداث في سوريا، في اتساق مع ما عبر عنه الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية ألكسندر لوكاشفيتش رداً على خطاب باراك أوباما، حيث يتهم المعارضة السورية بزعة النظام وقتل وترويع الشعب السوري، كما يتهم الخطاب الرسمي الروسي المعارضة بالإرهاب والانتساب إلى تنظيم القاعدة، والتهديد باستخدام حق النقض الفيتو ضد أي قرار من شأنه أن يدين النظام السوري أو يدعو لتحرك عسكري ضده³.

وقد أوردت وزارة الخارجية الروسية في بيان رسمي لها بأنه يجب منح الرئيس الأسد مزيداً من الوقت لتنفيذ البرنامج المعلن عنه للإصلاحات السياسية والاقتصادية...، حيث قالت أن هناك إشارة واضحة لا لبس فيها أرسلت إلى السوريين بشأن وضع حد لمختلف أشكال العنف، وهذه إشارة موجهة أيضاً إلى المعارضة التي يتعين عليها الدخول في حوار مع السلطات والنأي بنفسها عن المتطرفين، واستناداً لهذه الاعتبارات لا تشاطر

¹ عماد الطفيلي، "حقيقة الموقف الأمريكي في سوريا"، مجلة Sputnik، 12 ماي 2018، <https://bit.ly/34Xsbsr> (20 ماي 2019)

² رندة حيدر، "لماذا تقف سوريا؟"، مجلة المركز، 12 ماي 2013، <29> (<https://bit.ly/3lIng4E> 2017 ماي)

³ يحيى بن مفرح الزهراني، "تحولات أمنية تأثيرات استمرار الصراع في سوريا على الأمن الخليجي"، مجلة رأي اليوم، <6> مارس 2018 (<https://bit.ly/32QcFfn>)

روسيا الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي رأيهما في ما يتعلق بالرئيس بشار الأسد، و أكدت أنه ستحافظ على خطها الثابت والتمسك بالمبادئ في الموضوع السوري¹.
لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية جاهدة إلى جعل مجلس الأمن يتبنى قرارا يفرض عقوبات صارمة ضد نظام بشار الأسد، وأمام فشلها في مسعاها هذا لجأت إلى تبني العقوبات أحادية الجانب، وقد صرحت المتحدثة الرسمية باسم وزارة الخارجية الأمريكية عام 2011 جين ساكي "إن الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت إجراء لزيادة الضغط على النظام السوري من خلال فرض عقوبات على كل الكيانات التي تساهم في عملية القمع التي يمارسها النظام ضد شعبه"². عملت الولايات المتحدة الأمريكية على توحيد جهودها مع حلفائها الأوروبيين من أجل تبني قرار مشترك بخصوص نظام الأسد، ومن هذه التحركات البيان المشترك بين أوباما والرئيس الفرنسي ساركوزي والمستشارة الألمانية ميركل حول ضرورة رحيل الأسد³.

في الجانب المقابل، أكدت روسيا على تعزيز تعاونها مع النظام السوري، في محاولة لتخفيف الضغوط الدولية عليه، وأكدت كرد على العقوبات الأمريكية أنها متمسكة بموقفها الداعم للنظام السوري قيادة وشعبا، وأن جميع النزاعات يجب أن تحل من قبل الشعب السوري، وأنه لا يمكن التدخل في الشأن السوري تحت أي مسمى كان⁴.

بعد ظهور أزمة السلاح الكيماوي واستخدام غاز السارين المحرم دوليا ضد المدنيين في سوريا، تصاعدت الاتهامات من الولايات المتحدة الأمريكية ضد نظام الأسد، بينما حملت روسيا المعارضة المسؤولية عن استخدام هذا السلاح، فقد أكد الرئيس الأمريكي أن استخدام السلاح الكيماوي يعد "خطأ أحمر" بالنسبة لأمريكا، كما قال بأن عواقب ذلك ستكون وخيمة، وقد زادت حدة الخطاب الأمريكي بعد تكرار استخدام الكيماوي من قبل قوات الأسد، حيث أكد أوباما على وجود تقارير استخباراتية تؤكد تورط النظام في استخدام

¹ المرجع نفسه.

² "عقوبات أمريكية ضد شركات سوريا وإماراتية للضغط على النظام السوري"، *Smart News*، 9 يوليو 2014،

<https://bit.ly/32Ot9Vr> < (7 دجنبر 2018)

³ جون ايربادلي، ما بعد الربيع العربي، ترجمة شيما عبد الحكيم طه، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص. 112.

⁴ روسيا وسوريا توقعان جملة من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم لإقامة مشاريع اقتصادية في سوريا، موقع الجمل، <https://bit.ly/3o083wr> < (23 ماي 2018).

السلاح الكيماوي¹، وقد ربط أوباما خطورة استخدام وانتشار السلاح الكيماوي في سوريا بالأمن القومي الأمريكي وكذا أمن الدول الحليفة كتركيا والأردن وإسرائيل، ولذا فمن صالح الأمن القومي الأمريكي توجيه ضربة عسكرية للنظام السوري².

ترفض روسيا أي محاولة أمريكية لتوجيه ضربة عسكرية للنظام السوري، وقد أكد وزير الخارجية الروسي أي خطوة أحادية من الجانب الأمريكي في ما يخص استخدام القوة العسكرية، وأنه لا بديل عن الحوار بين المعارضة والحكومة السورية³. كما هددت موسكو على لسان رئيس لجنة الشؤون الخارجية بالدوما (البرلمان الروسي) "الكسندر بوشكوف"، حيث قال "إذا أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على قصف سوريا فإن موسكو ستعيد التفكير، في الحظر الذي تفرضه على إيران الخاص بتصدير التقنيات المتقدمة لها، إلى جانب وضع نهاية لشبكة التوزيع الشمالية لأفغانستان التي ينقل البنتاجون من خلالها الرجال والعتاد عبر الأراضي الروسية⁴.

لقد كان لتوتر الأوضاع في سوريا وتزايد عدد قطع الأسطول الأمريكي في البحر المتوسط استعدادا للضربة العسكرية على سورية، أثر مباشر على ارتفاع حدة الخطاب الروسي، حيث جاء تهديد بوتين أشد تعبيرا عن وضع يشبه الحرب الباردة حيث قال: "أن روسيا سترد على أي عمل "أحادي الجانب" يقوم به الغرب، وهي أوضح إشارة لرفضها التدخل الغربي المتجاهل لمصالح موسكو في غير مكان في العالم وبخاصة في سوريا وإيران⁵.

لقد شدد الرئيس فلاديمير بوتين على ضرورة تواجد البحرية الروسية بشكل دائم في البحر المتوسط نظرا للمصالح الإستراتيجية الروسية في المنطقة، حيث قال "هذه

¹ "أسباب وأبعاد الضربة الأمريكية المحتملة" مركز الجزيرة للدراسات، <<https://bit.ly/3hOsQA9>> (7 نونبر 2017)

² خالد عبد الرحيم السيد، "سوريا بين خطاب أوباما ومقال بوتين"، مجلة الشروق، <<https://bit.ly/3hUl2Nk>> (9 يوليو 2017)

³ "مباحثات وزير الخارجية الروسي والسوري في موسكو"، سفارة روسيا الاتحادية، العدد 8، بيروت، سبتمبر، 2013، ص. 2.

⁴ إبراهيم عباس، "العام 2013 الذي عادت فيه روسيا إلى الشرق الأوسط على حساب أمريكا"، مؤسسة المدينة للصحافة والنشر، 27 ديسمبر 2013، <<https://bit.ly/3jDzny7>> (8 أكتوبر 2017)

⁵ عادل الجزري، "المؤامرة الصهيونية على سوريا القاهرة" المركز العربي لخدمات الصحافة والنشر، 2012، ص. 236.

المنطقة هامة وتضمن مصالح روسيا الخاصة بأمنها القومي"، وأضاف "أنه لهذه الأسباب ننوي خلق ظروف ملائمة لمرابطة سفننا في البحر الأبيض المتوسط"¹.

بعد وصول الخطاب الرسمي بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا إلى ذروته بشأن مسألة استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا، تمكنت موسكو وواشنطن من التوصل إلى اتفاق من خلال تقديم اقتراح لتفكيك الأسلحة الكيماوية السورية ونقلها خارج سوريا برعاية الأمم المتحدة، مقابل عدم توجيه ضربة عسكرية أمريكية لسوريا، لينتقل الخطاب بين الجانبين للمطالبة بمزيد من الضغط على طرفي النزاع في سوريا.

لغاية سنة 2014 أرسلت أسلحة للمعارضة شملت أنواعا من الأسلحة الخفيفة والصواريخ المضادة للدروع، دون أن تشمل على أنظمة دفاع جوي، وذلك بعد موافقة الكونغرس الأمريكي عليها .

انتقد الجانب الروسي القرار الغربي بتسليح المعارضة، وتقديم المساعدات لمن تسميهم بالإرهابيين من طرف دول المنطقة، وصرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في ذات السياق خلال جلسة نقاشية مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل أنه "إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر واحدا من تنظيمات المعارضة السورية الرئيسية وهو جبهة النصرة إرهابيا، فكيف يمكن للمرء أن يسلم أسلحة لأعضاء المعارضة هؤلاء، وقد تساءل الرئيس الروسي "إلى أين ستنتهي هذه الأسلحة؟ وما الدور الذي ستعبله؟

عبر قناة روسيا اليوم وفي تصريح سابق وصف الرئيس الروسي سياسة الغرب تجاه سوريا بقصر النظر، وأن عواقب تلك السياسة ستكون وخيمة، كما أكد على ثبات موقف بلاده تجاه الأزمة السورية، ودعا الدول عن الامتناع عن توريد المزيد من الأسلحة للمنطقة².

تدفع الولايات المتحدة الأمريكية عبر خطابها الرسمي في اتجاه دفع الأسد بعيدا عن مقاليد السلطة في سوريا، والعمل على إيجاد قيادة جديدة تتولى السلطة في سوريا، هذا

¹ محمد قايتي: "روسيا وأمريكا صراع المتوسط"، ON TV، 13 يونيو 2013، < <https://bit.ly/2YYtyTY> > (4 مارس 2018)

² بوتين ينتقد إمداد المعارضة السورية بالأسلحة، أخبارك، < <https://bit.ly/3512gjQ> > (26 فبراير 2017)

التوجه الأمريكي يقابله توجه روسي بالمقابل يؤكد على استمرار اعتراض المحاولات الغربية الضاغطة على النظام السوري، رغبة منها -روسيا- في عدم تكرار التجربة الليبية، ومؤكداً على استمرارها في دعم النظام السوري في مواجهة الإرهاب.

ثانياً: على المستوى الأممي والمؤتمرات الدولية

تصاعدت الضغوط الغربية والأمريكية على النظام السوري بسبب تزايد العنف والقتال الدموي بينه وبين المعارضة المسلحة، في محاولة لتغيير مسار الأحداث على الأرض، وفي سبيل ذلك رفعت الولايات المتحدة الأمريكية ودول غربية الملف السوري إلى مجلس الأمن، رغبة في استصدار قرار من مجلس الأمن شبيه بقرار مجلس الأمن بالتدخل في الأزمة الليبية، وعقد مؤتمرات برعاية روسية-أمريكية، لينتقل بذلك الصراع إلى أروقة الأمم المتحدة، ويصبح الصراع في مجلس الأمن مظهراً لصراع النفوذ بين الطرفين، ومكاناً لتسجيل النقاط على الخصوم.

ففي وقت تدفع فيه الولايات المتحدة الأمريكية نحو إجبار الرئيس السوري على ترك الحكم عبر فرض العقوبات الأممية أو عبر التدخل العسكري، تقف روسيا والصين في المقابل ضد صدور أي قرار يسمح بالتدخل العسكري الخارجي بدعوى حماية المدنيين أو حتى فرض عقوبات على نظام الأسد¹.

في أكتوبر 2011 تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي باقتراح من أجل صدور قرار في الأمم المتحدة شبيه بالقرار الذي صدر بشأن ليبيا، وينص على إدانة النظام السوري لما يتسبب به من حمام دم، وفرض عقوبات عليه إلا أن كلا من الصين وروسيا استخدمتا حق النقض الفيتو لمعارضة مشروع القرار. وقد برر ممثل روسيا في الأمم المتحدة "تسوركين" استخدام بلاده لفيتو باحترامها لسيادة الدول، ودعى المجلس لاحترام سيادة الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية كمبدأين أميين.

¹ "الحرب الروسية في سوريا: الأسباب والمآلات"، مركز الجزيرة للدراسات، 12 أكتوبر 2015، <<https://studies.aljazeera.net/ar/article/569>> (3 ماي 2017)

سنتحدث في القسم الثاني على مختلف القرارات التي أجهضت من طرف روسيا باستعمالها حق النقض الفيتو، وعدم السماح بتمرير قرارات من شأنها أن تقوض من قوة النظام السوري، وتضر - حسب المنظور الروسي - بالمصالح الروسية بسورية.

أمام استحالة استصدار قرار أممي متفق عليه لجأت الدولتان إلى محاولة إيجاد صيغة توافقية بين أطراف النزاع، لكن بالطريقة التي تراها كل دولة مناسبة لها وتضمن تحقيق مصالحها، فحاولت روسيا جمع الأطراف في "سوتشي" و"أستانا"، في مقابل المسار الأممي بجنيف.

ترى القيادة الروسية أن الدور الروسي في سورية شرعي، وهو بطلب من الدولة واعتبرت منذ البداية أن التنسيق بين اللاعبين في الميدان السوري ضرورة للتسريع في الحل، وبناء على تحالفه التأسيسي مع إيران التي كانت من بين الذين طالبوا بالتدخل في سورية، بنوا الأساس الجاذب لتركيا الطرف المحوري في الأزمة، فإيران جارة حدودية لتركيا ومنافستها في الإقليم وشريكها في الهم الكردي.

ولأن للطرفين مشروعين متقابلين فلا بد من التنسيق، أما روسيا فرأت في الميدان السوري طريق عودتها إلى القرار الدولي، فاستعملت مع إيران مبدأ المصلحة المشتركة بالدفاع عن الدولة السورية، وجذبت تركيا بمشاريع اقتصادية خطوط غاز عبرها إلى أوروبا وبالسلاح s400، والاستيراد والتصدير ونحو خمسة ملايين سائح سنوياً.. بالإضافة إلى الجوار في البحر الأسود، وهناك نقطة هامة تتعلق بالرفض الأميركي لكل طموحات تركيا.

ضمن هذه المعطيات تشكل سوتشي - مؤتمر الحوار الوطني السوري السوري- على أساس القضاء على الإرهاب والنفوذ الأميركي - الخليجي على قاعدة سيادة الدولة السورية.

وبينما فشلت مفاوضات جنيف التي يديرها الموفد الأممي ستيفان دي مستورا بين الحكومة السورية والمعارضة في تحقيق أي تقدم يذكر حتى الآن عبر جولاتها التسع، سعت روسيا إلى خلق مسارات جديد لحل الأزمة السورية عبر إطلاق مؤتمر سوتشي (مؤتمر

الحوار الوطني السوري) إلى جانب مسار الأستانة الذي تديره فعلياً وبمساعدة تركيا وإيران دون أن يكون للأمم المتحدة أو الدول الغربية دور يذكر فيها¹.

وبدا أن موسكو تريد من سوتشي أداء دور رافعة، تعيدها إلى الثنائية الدولية مع الأميركيين، مقابل مشروع تركي يسعى من خلال سوتشي للعودة إلى العالم العربي من البوابة السورية المقفلة في وجهه، فقطر لا قوة لها على أداء هذا الدور، والخليج يخشى من طموحاتها الإسلامية، ومصر ترفض إخوانيتها الإسلامية، كما أن الأميركيين لم يولوه ثقتهم إلى حدود محاولتهم إسقاط نظام أردوغان، هذا ما جعل أنقرة تتمسك بسوتشي مع محافظتها على نافذة أطلسية تطل منها على تحالفاتها التاريخية بين الحين والآخر.

بالنسبة لإيران الفريق الثالث في سوتشي، فهي تبقى في مرمى التصويب الأميركي - الخليجي - الإسرائيلي، منذ نجاح ثورتها الإسلامية في 1979، وهذا لم يمنعها من تأسيس تحالفات شملت أفغانستان وقسما من باكستان والهند واليمن والعراق وسورية ولبنان، ما أدى إلى اهتزاز النفوذ الأميركي في العالم الإسلامي، فخرجت إيران إلى الإقليم تشجع على رفض الهيمنة الأميركية، في محاولة لتوسيع إطار الصراع معها، فتتقلص معاناتها مما تتعرض له من حصار ومقاطعات وتحريض داخلي وخارجي. كما أنها وبهذه الطريقة تدعم حركة التمرد الإقليمي على الأميركيين انطلاقاً من حماية حليفها سوريا، هذا ما أدى إلى نجاح سوتشي في إدارة الجزء الأساسي من أزمة سورية على الرغم من المراوغات التركية الواضحة².

كانت الأمم المتحدة قلقة من أن مؤتمر "سوتشي" ما هو إلا محاولة روسية للتحايل على عملية السلام التابعة للأمم المتحدة في جنيف، وسعت - الأمم المتحدة - للحصول على تأكيدات بأن حدث سوتشي سيكون لمرة واحدة قبل الموافقة على حضور ستيفان دي ميستورا - مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى سوريا -، وقد سعت الأمم المتحدة للحصول

¹ "مؤتمر سوتشي حول سوريا جهد كبير ونتيجة متواضعة"، عربي NEWS، 30 يناير 2018، <<https://bbc.in/2Gu2PZd>> (2 مارس 2019)

² وفيق إبراهيم، " "سوتشي" و "أوسلو": آليات الصراع على الشرق الأوسط"، الشرق الأوسط، 17 فبراير 2019، <<https://bit.ly/31VOYD9>> (13 أكتوبر 2019)

على تأكيدات بأن روسيا تعترف بأن الأمم المتحدة لا تزال المسؤولة عن صياغة الدستور وعملية الوساطة، كما قد رفضت دول أوربية، كفرنسا مبادرة سوتشي بمعيرة الولايات الولايات المتحدة الأمريكية.

وتبقى السجلات السياسية والدبلوماسية بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية حاضرة وبقوة في الشرق الأوسط، إلى جانب بعد آخر لهذا الصراع، تحركه المصالح الاقتصادية، وتبرزه الاتفاقيات التجارية وصفقات السلاح، فهذا النوع يبقى حاضرا وبقوة نظرا لأهمية منطقة الشرق الأوسط على المستوى الاقتصادي.

المبحث الثاني: المظهر الاقتصادي لصراع النفوذ الروسي- الأمريكي في الشرق الأوسط

من خلال هذا المبحث سنتحدث عن مظهر آخر من مظاهر صراع النفوذ الروسي الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، وهو المظهر الاقتصادي للصراع، مركزين من خلاله على نقطتين مهمتين، وهما الصراع على الطاقة بين القوتين (المطلب الأول)، ثم أهمية المنطقة في ما يخص تجارة السلاح لدى البلدين (المطلب الثاني).

المطلب الأول: محورية مصادر الطاقة في الصراع الروسي- الأمريكي في المنطقة

لا زال النفط والغاز يعدان مصدرا حيويا للطاقة بالرغم من بداية تطور موارد الطاقة البديلة؛ إذ تعتمد عليه اقتصاديات الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا و تتصارع للاستئثار به، في مناطق كثرته كالشرق الأوسط.

الفرع الأول: الاهتمام الروسي- الأمريكي بنفط المنطقة، الدوافع والأسباب

تختلف مرامي الدولتين من الاهتمام بنفط الشرق الأوسط في بعض الجوانب، إلا أنها تبقى في معظمها متشابهة، تصب في كون المنطقة خزاناً طبيعياً للنفط والغاز لا تضاهيه فيها أي منطقة أخرى في العالم.

الفقرة الأولى: الدوافع الروسية

تشكل إمدادات نفط منطقة الشرق الأوسط أهمية كبرى للدول الاقتصادية الكبرى كاليابان والصين ودول أخرى¹، ومنه فإن أي تحكم للولايات المتحدة الأمريكية بأسعار النفط تراه بالمقابل الدول الكبرى المنافسة وبالخصوص روسيا الاتحادية إضراراً بمصالحها، فتوجه الولايات المتحدة الأمريكية واستراتيجيتها تقوم على منع ظهور أي قوة منافسة لهيمنتها في المنطقة، وهذا ما ما تسعى إليه بعض الدول كروسيا الطامحة في

¹ أميرة أحمد حرزني، " استراتيجية أمن الطاقة الروسية بشرق المتوسط في ظل التهديدات الأمنية بعد 2011"، المركز الديمقراطي العربي، 9 ماي 2018، < <https://democraticac.de/?p=53952> > (8 دجنبر 2018)

استعادة مكانتها وهيبتها عبر استراتيجية اقتصادية قوامها البراغمية التنافسية لهيمنة أمريكا في الشرق الأوسط.

شكل وصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وتوليهِ مقاليد السلطة نقطة تحول في السياسة الخارجية الروسية وعلاقتها بمنطقة الشرق الأوسط، فعكس ما كانت عليه مع انهيار الاتحاد السوفياتي من تقهقر وغياب لمنطق الصراع والتنافس على النفوذ في الفترة الممتدة بين 1991-1999 في عهد الرئيس بورييس يالسن، عرفت السياسة الخارجية الروسية تغييراً مع وصول فلاديمير بوتين للسلطة في انتخابات 2000 و 2008 و 2012 و 2018¹، حيث سعى بوتين إلى طرق أبواب الشرق الأوسط مجدداً في محاولة منه لمزاحمة الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك عبر العديد من الزيارات واللقاءات التي قام بها مع زعماء المنطقة.

يمثل العامل الاقتصادي عاملاً محدداً ورئيساً للسياسة الروسية تجاه المنطقة، فامتلاكها لمخزون نفطي هائل يشكل اليوم أحد المحددات الأساسية في الاستراتيجية الروسية، ويعود ذلك إلى ارتفاع كلفة استخراج النفط الروسي في سيبيريا بسبب الصعوبات التقنية، وعلى الرغم من أهمية نفط بحر قزوين، فإن الرغبة الروسية في إضعاف النفوذ الأمريكي في منطقة الخليج تعزز أهمية نفط الخليج².

ويؤكد هذه الأهمية بكل وضوح (فيكتور بوسفاليك) نائب وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط الأسبق بقوله "إن تعزيز دور روسيا في حفظ الأمن والاستقرار في منطقة الخليج العربي، دليل على الدور الإيجابي الذي تعتزم روسيا القيام به في المنطقة، ذلك الدور الذي يتصل اتصالاً مباشراً بالمصالح القومية الروسية: "وأضاف بقوله: صحيح أن

¹ "كيف تنتخب روسيا رئيسها"، مركز الجزيرة للدراسات، 10 مارس 2018، < <https://bit.ly/2GwLtded> > (24 ماي 2019)

² نبيل سرور، "الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 96، 2016، < <https://bit.ly/35a4uNI> > (25 يونيو 2018)

الحرب الباردة قد انتهت لكن التنافس مازال موجودا، واللهجة القديمة المعادية للغرب تناسب الدبلوماسية الروسية الجديدة"¹.

تلجأ الولايات المتحدة الأمريكية لمختلف الوسائل بما فيها العسكرية لإبقاء سيطرتها على منابع الذهب الأسود²، في حين تلجأ روسيا لعقد شراكات اقتصادية في مجال النفط مع دول المنطقة، والعمل على التنسيق بخصوص الإنتاج وتحديد الأسعار، أو تشكيل تحالفات في مجال الغاز والنفط، رغم أنها تدخلت عسكريا في سوريا سنة 2015 حماية لمصالحها الاستراتيجية، فضلا عن الاستثمار المشترك لمد خطوط أنابيب الغاز، كما يتلاقى الاهتمام الروسي في هذا المجال مع الاهتمام الأمريكي بالنسبة إلى تأمين تدفق النفط والغاز من مناطق الإنتاج الرئيسية كمنطقة الخليج³.

كما تملك روسيا مصالح مهمة اقتصادية و أخرى تتعلق بالأعمال في قطاع الطاقة في الشرق الأوسط يتراوح من الطاقة النووية إلى النفط والغاز. شركاتها التي تملكها الحكومة، مثل غازبروم (Gazprom) وروزاتوم (Rosatom)، تحتفظ بمصالح مهمة في مجال الطاقة _ ويشمل ذلك أسواق استهلاك رئيسية، وحقول نفط وغاز، وزبائن للبنية التحتية من الطاقة النووية _ في بلدان مثل إيران والعراق وتركيا، بالإضافة إلى إقليم كردستان-العراق وشرق المتوسط⁴. روزاتوم Rosatom بالخصوص، زادت نشاطها في الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة، فبنت مفاعلات في إيران ومصر والأردن وتركيا وافتتحت مكتبا إقليميا في دبي آملة استغلال خطط الإمارات العربية المتحدة (UAE) والمملكة العربية السعودية لزيادة قدرات الطاقة النووية.

¹ عبد العزيز مهدي الراوي، " توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات دولية، العدد 35، 2008، ص. 174.

² احمد ابراهيم محمود وآخرون، حال الأمة العربية 2010-2011 رياح التغيير، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2011، ص. 55.

³ المرجع نفسه، ص. 48.

⁴ تملك غاز بروم Gazprom حصص مشاركة في كتل غرميان وحلبجة وشكل الواقعة في إقليم كردستان العراق. راجع: العراق "Iraq"، غازبروم "Gazprom"، 18 يوليو ، 2017،

< <http://www.gazprom.com/about/production/projects/deposits/iraq> >

إن تقلب أسواق الطاقة العالمية، مترافقا مع اعتماد روسيا المتزايد على عائدات النفط نتيجة للتباطؤ الاقتصادي لديها والعقوبات الاقتصادية الغربية، ألقى بضغط أكبر على موسكو للسعي وراء مكاسب في أسواق الطاقة الشرق أوسطية.

تسعى التوجهات الروسية لعقد شراكة اقتصادية واستراتيجية وللقيام بدور تنموي حقيقي مع دول منطقة الشرق الأوسط، وبالأخص منها العربية لتوفر عائدا اقتصاديا مباشرا لروسيا مع الأخذ بالاعتبار، أن التطورات الاقتصادية في المنطقة تؤثر بشكل كبير على الاقتصاد العالمي، من خلال المساهمة العربية الفاعلة في الإنتاج العالمي للطاقة، إذ تعد روسيا ثاني أكبر منتج ومصدر للنفط في العالم بعد الملكة العربية السعودية، حيث تبلغ صادراتها 40% من إجمالي الصادرات العالمية للنفط، كما أنها أكبر دول العالم من حيث احتياطات الغاز الطبيعي، والتي تقدر بـ 27.5% من الاحتياطي العالمي، ولها الخبرة اللازمة في مجال الكشف والتنقيب عن النفط واستخراجه بفضل ما تملكه من تكنولوجيا متطورة في هذا المجال، وكذلك في مجال الصناعات البتروكيمياوية¹.

الفقرة الثانية: الدوافع الأمريكية

استنتجت الولايات المتحدة أن تحقيق مصالحها الوطنية في الشرق الأوسط لا يمكن أن يتم من خلال عزل نفسها عن العالم، وكان عليها بلورة رؤية أمريكية تأخذ بفكرة الشراكة في سياستها الخارجية من خلال التعاون مع الآخرين، بما يتوافق مع مصالح هذه الدول قدر المستطاع دون الصدام معها، وآخر فلسفة من هذا القبيل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية كان قد مثلها الرئيس بيل كلينتون وإدارته، فكانت موضع انتقادات مستمرة من الجمهوريين، أما إدارة الرئيس بوش الابن، فقد اعتمدت على استراتيجية خاصة بها، وأرست منهاجاً أحادي الجانب في تقييم الأحداث ومعالجتها، وفرضت الرؤية الأمريكية على الجميع دون الحاجة إلى التعاون مع دول العالم الأخرى، سواء كانت منافسة

¹ جيمس سلاذن James Sladden، بيكا واسر Becca Wasser، بن كونابل Ben Connable، سارة غران كليمان Sarah Grand-Clement، "الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط"، مؤسسة RAND منظور تحليلي، رؤى الخبراء بشأن قضايا السياسة الأنوية، 2017، ص. 7.

مثل روسيا والصين، أو حليفة مثل الاتحاد الأوروبي، أما إدارة كل من الرئيس أوباما وترامب فلم يكن أمامهما خيار سوى تركيز إستراتيجيتها على:

1- منع أي دولة أو مجموعة دول من المنافسة عالمياً حاضراً أو مستقبلاً، أو إبعادها عن موقع القيادة أو تقليص دورها باعتماد نظام اقتصادي جديد في الشرق الأوسط، معتمداً على أدوات من داخل المنطقة مدعومة بالوجود العسكري والاتفاقيات الإقليمية التي تلعب فيها إسرائيل وتركيا دوراً مهماً إلى جانب بعض الدول العربية.

2- الحفاظ على المصالح القومية الأمريكية الحيوية في العالم، وخاصة المصالح الإستراتيجية في الشرق الأوسط، من خلال الاختراق الاقتصادي للمنطقة والسيطرة على الثورة النفطية الهائلة، وتأمين الطاقة خاصة في دول الخليج وحمايتها وضمان إيصالها¹.

فرغم إعلان ترامب أكثر من مرة رغبته في الانسحاب من الشرق الأوسط، واتباع سياسة توحى بتغيير مكانة الشرق الأوسط ضمن سلم أولويات الإدارة الأمريكية، إلا أن الواقع العملي يؤكد بقاء القوات الأمريكية، وكذا حضور النفط ضمن أولويات السياسة الأمريكية.

واحتلت مسألة تأمين النفط جانبا كبيرا من اهتمامات كافة الإدارات الأمريكية المتعاقبة، نظراً لما يشكله النفط من مصلحة أساسية للو.م.أ والقوى الكبرى عموماً، بسبب وجود احتياطات بترولية ضخمة، ومؤكدة سهلة الاكتشاف ومنخفضة التكاليف مقارنة بأي منطقة أخرى في العالم.

إن ضمان التدفق الآمن والميسر لنفط الخليج العربي، ومنع أي قوة دولية من المساس بهذه المصالح أو منافستها، صار من أولويات السياسة الأمريكية².

أهمية الشرق الأوسط كمرتكز اقتصادي مهم وبالغ الخطورة على الاقتصاد الأمريكي تقرأ في ثلاث عناوين أساسية تتمثل في:

¹ سعد شكري شلبي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص ص. 91-90.

² سليم كاطع علي، "العلاقات الروسية-الإيرانية : الواقع والمستقبل"، مجلة اتجاهات سياسية، مرجع سابق. ص. 138.

• حماية الاقتصاد الأمريكي من أي هزة قد يتعرض لها نتيجة انقطاع تدفق النفط أو حتى ارتفاع أسعاره بشكل كبير.

• الحفاظ على مستوى ونمط الحياة في الـو.م.أ. القائمين على الاستهلاك الكثيف للطاقة، وعدم تعريض هذا المستوى والنمط لأي تهديد مهما كانت الكلفة.

• التحكم بأسعار النفط وتوزيعه، ومن ثم التحكم بعصب اقتصاديات الدول الصناعية المنافسة كروسيا والصين، أو بمعنى آخر حل المأزق الأمريكي المتمثل بتراجع موقع الاقتصاد الأمريكي عالمياً من خلال استعمال أدوات الهيمنة الكونية بما فيها الوسائل العسكرية¹، وهو ما تمثل في غزو أفغانستان عام 2001 و احتلال العراق عام 2003، والتواجد العسكري بسوريا والتموقع بالقرب من آبار النفط، والذي مكن الـو.م.أ. من السيطرة على ثاني أكبر مخزون نفطي في العالم، مما أتاح لها التحكم في تدفق هذا الاحتياطي، ومن ثم التحكم في أسعار النفط في السوق العالمية والتأثير على مستويات الطلب والعرض، وإعادة ترتيب الشركات المنتجة للنفط في العراق، أي سحب امتيازات الشركات الروسية².

فرغم أزمة الأسعار التي حصلت بين روسيا والسعودية سنة 2020، بسبب الإنتاج المرتفع، وانخفاض الأسعار العالمية بسبب وباء كورونا إلى مستويات قياسية، تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية من أجل وضع حد لحرب الأسعار هذه، وحماية لمنتجي النفط الصخري في الولايات المتحدة الأمريكية.

تتعامل الـو.م.أ. مع فكرة تحقيق الاستقلال في مجال الطاقة" عبر اتباع سياسات متعددة تتلاءم مع مصالحها ومتطلباتها، لذلك فقد واجهت إدارة الرئيس باراك أوباما وترامب من بعده، أسوة ببقية الإدارات الأمريكية المتعاقبة تحديات كبيرة بتأمين الطاقة³، صحيح أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الآن أكبر منتج للنفط في العالم، متقدمة على

¹ حسن حافظ وهيب "استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط"، مركز الدراسات الدولية، بغداد، 2011. ص. 14.

² أحمد سليم حسين زعرب، التغييرات السياسية الإقليمية وانعكاساتها على توازن القوى في الشرق الأوسط 2003-2012، كلية العلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، جامعة الأزهر، 2013، ص. 40.

³ سعد شاكر شلبي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص. 109.

السعودية وروسيا، حيث تضاعف إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية من النفط منذ عام 2011 إلى ما يقرب من 13 مليون برميل يوميا.

فمن الواضح أن طفرة النفط الصخري في أمريكا، والتي بدأت في وقت مبكر من العقد الماضي، قللت من اعتماد أمريكا على النفط الأجنبي، لاسيما بعد حظر النفط العربي في السبعينات والذي أصاب الاقتصاد بالشلل¹.

ومع ذلك لا تزال الولايات المتحدة تعتمد على الشرق الأوسط، -المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص - فقد استوردت ما معدله 906 ألف برميل يوميا من الخليج العربي سنة 2019، مقارنة بـ1,5 مليون برميل يوميا عام 2018، فالقول بأن الإنتاج الأمريكي من النفط الصخري قد غير اللعبة هو أمر صحيح، لكن القول بأن الاقتصاد الأمريكي لن يشعر بآثار اقتصادية كبيرة إذا تعرض البلد لانقطاع كبير وطويل الأمد في الشرق الأوسط هو أمر غير دقيق².

فإنتاجها - الولايات المتحدة الأمريكية - من الطاقة لا يسد الحاجة الملحة، وبذلك فهي تسعى إلى توفير الإنتاج الكافي من الطاقة وبأسعار مناسبة، لكن هذا يجعلها في مواجهة منافسة من قبل قوى كبرى على رأسها الصين وروسيا، والتي تسعى هي الأخرى لإحكام سيطرتها على الموارد الاستراتيجية في المنطقة وعلى خطوط وطرق نقل هذه المنتجات الهيدروكربونية.

اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط فيما يخص احتياجاتها من النفط، جعل مسألة تأمين الطاقة والسيطرة على منابع الإمداد من المصالح الحيوية بالنسبة لأمريكا، الأمر الذي جعل واشنطن تولي المنطقة اهتماما خاصا بحكم احتوائها على عصب الاقتصاديات العالمية، ومحطة للتنافس والصراع الدولي وصراعات القوى عبر العصور، ومركز الاستثمارات الأجنبية والسوق الاستهلاكية الضخمة وأحد أهم محاور الاستقطاب في الاستراتيجيات الدولية للقوى العظمى.

¹ Matt Egan, " Trump says America doesn't need Middle East oil. It's not that simple", *CNN BUSINESS*, January 8, 2020, <<https://cnn.it/359zEov>> (March 10, 2020)

² Ibid.

إضافة إلى ضمان مصالح الشركات الأمريكية، حيث تكمن رغبة الشركات النفطية في حرمان الشركات المنافسة لها في صناعة النفط، إذ تحتل الـ ١٠٠ الأولى عالمياً في الصناعات النفطية، وبالنظر لامتلاك منطقة الشرق الأوسط احتياطات نفطية هائلة فقد أصبح الوصول إلى هذه المنطقة، من أمنيات الشركات النفطية وذلك من أجل الاستفادة من ثروتها النفطية، وتعتبر شركة إكسون موبيل شيفرون تكساكو من أبرز الشركات الأمريكية استثماراً في نفط الشرق الأوسط.

الرغبة في الحفاظ على أسعار النفط في حدودها الدنيا والتحكم فيها من الجانب الأمريكي تقابلها رغبة روسية في الحفاظ على ارتفاع سعر النفط الذي يساعد على تعافي الاقتصاد الروسي، لذلك تعمل روسيا على التنسيق مع دول المنطقة وخصوصاً المملكة السعودية من أجل الحفاظ على ارتفاع سعر النفط، وتفادياً للأزمة التي تحدثنا عنها والتي حصلت هذه السنة.

الفرع الثاني: مظاهرات الصراع الروسي-الأمريكي في مجال الطاقة

يمثل قطاع الطاقة أحد المجالات الأساسية التي تتلاقى فيها المصالح العربية والروسية وهو جوهر الشراكة العربية-الروسية والدعامة الأساسية لها، وقد بدأت بالفعل العديد من المشاريع بين روسيا وعدد من الدول العربية، وهي بمثابة نواة لتطوير وتعميق التعاون في مجال الطاقة، ويراها العديد من المراقبين تغلغلاً روسيا في المنطقة، والتي طالما اعتبرت مجالا حيويًا للولايات المتحدة الأمريكية بدون منافس، ومن أهم مشاريع روسيا في المنطقة¹.

● تشكل العربية السعودية أهم دول الخليج العربي والشريك الاقتصادي الأول للولايات المتحدة الأمريكية، في حين تراها روسيا مجالا هاما للاستثمار في مجال الطاقة، وقد تمكنت شركات روسية أن تستثمر في السوق السعودية في مجالات مهمة كعمليات التنقيب وخطوط الأنابيب و القطاع النفطي، ومن بين أهم الاستثمارات:

¹ أمين المشابقة، سعد شلبي، التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مرحلة ما بعد الحرب الباردة، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص. 96.

- إنشاء شركة "لوك أويل" وشركة النفط الوطنية السعودية "أرامكو"، مشروع مشترك تحت إسم "لوكسار" للاكتشاف والاستثمار في حقول غاز الجزء الشمالي من صحراء الربع الخالي على مساحة 30000 كلم² مدة 40 عاما، وتعود ثمانون في المائة من أسهمها لـ "لوك أويل"، وتحظى استثمارات هذه الشركة في مجال الغاز السعودي بأهمية كبيرة في هذا المجال¹.

- يربط شركة "سنروي ترانس غاز" والمملكة السعودية عقدا تقوم بموجبه الشركة الروسية بالأعمال التحضيرية من أجل تزويد العاصمة (الرياض) بالغاز عبر الأنابيب².

● اشتراك شركتي "سينفط" و"لوك أويل" الروسيتين في تطوير حقول النفط الكويتية الشمالية الأربعة، وهي مشاريع تتراوح تكلفتها بين 7 و 8 مليار دولار.

● مشروع أنبوب الغاز "الطويلة - الفجيرة" بالإمارات العربية المتحدة والذي يبلغ طوله 240 كلم، وتقوم بتنفيذه شركة "ستروي ترانس غاز" الروسية والذي بدأ عام 2009³.

● استثمرت شركة النفط الروسية "روسنفت" 2.3 مليار في مشروع غاز الشارقة، وتبلغ كمية الغاز لهذا المشروع حوالي 70 مليار متر مكعب، حصلت روسنفت على نسبة 49% من الامتياز، فيما استحوذت شركة نفط الهلال على النسبة المتبقية.

● التعاون مع سلطة عمان في إطار مشروع "كونسورتيوم" لبناء خط أنابيب نفط في منطقة بحر قزوين لنقل النفط الكازاخستاني عبر أراضي روسيا إلى ميناء نوفورسيسك الروسي على البحر الأسود.

● تعد الشركات الروسية من قبيل "غاز بروم" و"لوك أويل" من كبريات الشركات العالمية في مجال الطاقة في مصر، وتوجد العديد من المشاريع التي بدأت فعليا بين البلدين أهمها:

¹ نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية-الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، 109.

² المرجع نفسه.

³ نورهان الشيخ، المرجع نفسه، ص. 110.

- التعاون في إنتاج النفط بين "لوك أويل" ومصر بلغ 10% من إنتاج مصر من النفط، ويقدر إنتاج شركة "لوك أويل" في مصر بحوالي 12 ألف برميل يوميا.

- إقامة مشاريع مشتركة مع الشركة الروسية "لوك أويل" لإسالة وتصدير الغاز المصري الطبيعي، والتوسع في أنشطة البحث عن البترول وإنتاجه بخليج السويس¹.

• تقوم شركة "ستروي ترانس غاز" ببناء خط أنابيب غاز في سوريا بطول 324 كم فيما يسمى بخط الغاز العربي في الجزء المار بسوريا عند الحدود السورية الأردنية إلى مدينة حمص، كما يتم بناء مصنع لتكرير البترول وثاني لتحويل الغاز من طرف هذه الشركة في سوريا².

- الاتفاق بين الحكومة الإيرانية والشركة الروسية "غاز بروم" حول استخراج الغاز، وعمليات التنقيب عن النفط في أحد أكبر حقول النفط عالميا وهو حقل "فارس الجنوبي"، كما قامت شركة "غاز بروم" بتوقيع مذكرة تفاهم مع وزارة النفط بطهران سنة 2010 من أجل تطوير آليات التعاون والتشاور في مجالي الغاز والنفط، ووقع الطرفان على عقود طويلة المدة تقضي بإيصال الغاز الروسي إلى مناطق في شمال إيران، بالإضافة إلى دور شركة "غاز بروم" ومشاركتها في إنشاء خط أنابيب الغاز الرابط بين إيران وكل من الهند وباكستان.

- الاتفاق بين شركات "غاز بروم" وشركة "قطر للغاز المسال" وشركة النفط الإيرانية الوطنية من أجل تأسيس شركة تقوم باستخراج الغاز من إيران وتسييله في قطر، وقيام الشركة بإنشاء خط لأنابيب الغاز من حقل "فارس الجنوبي" بإيران نحو منطقة رأس لفان القطرية³.

¹ نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية-الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، مرجع سابق، ص. 11.

² سعد شاكر،، التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، الأردن، عمان، 2008، ص. 97.

³ نورهان الشيخ، سياسة الطاقة الروسية وتأثيرها على التوازن الاستراتيجي العالمي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، 2009، ص. 16.

• في الجمهورية العراقية، ورغم ما فقدته روسيا من مزايا اقتصادية بسبب غزو الولايات المتحدة الأمريكية لهذا البلد، وتضرر الكثير من الشركات النفطية العاملة في جنوب البلاد وخسارتها لعقود بقيمة 6 مليارات دولار، فقد نهجت روسيا سياسة اعتمدت على شطب أكثر من 90 في المائة من ديونها على العراق¹. وبناء عليه تم الاتفاق على رجوع الشركات الروسية العاملة في مجال النفط، وحصول شركة "غاز بروم" على عقد يخص استخراج النفط من حقل "بردة" في العراق.

- حصول شركة "لوك أويل" الروسية على عقد لاستخراج النفط العراقي من "حقل القرنة" الذي يعتبر الأكبر في العالم من حيث الإنتاجية (129 مليار برميل) بمعدل 1.7 مليون برميل يوميا، ومن المتوقع أن يصل لطاقة إنتاجية تناهز مليون و200 ألف برميل يوميا.

- حصلت شركة "غاز بروم نفت" على عقد مع الحكومة العراقية حول التنقيب في حقل "بردة" حيث يتوقع أن يصل إنتاج النفط في ذات الحقل إلى 15 ألف برميل².

- استطاعت روسيا الوصول عبر النفوذ السياسي والمالي لشركاتها العملاقة في مجال الطاقة إلى النخب السياسية الجديدة في العراق، وذلك رغم استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية المتمثلة في عدم السماح للقوى المنافسة من الوصول إلى الموارد النفطية في دول الشرق الأوسط ومنها العراق، مما يؤشر على عودة روسيا للعراق³.

- حصلت الشركة الروسية "غاز بروم" العملاقة على صفقة مهمة مع إسرائيل بعد الاكتشافات الغازية الكبيرة في البحر الأبيض المتوسط همت حوض "ليفانت"، حيث منحت الشركة الروسية الحق الحصري في سوق تقارب ثلاث ملايين برميل من الغاز الطبيعي المسال لمدة عشرين سنة مقبلة، الشيء الذي عد بمثابة تحول طاقوية وجيوسياسي لروسيا في الشرق الأوسط وخطوة مهمة لحماية مصالح روسيا في سوق الطاقة الشرق أوسطية،

¹ عبد الغني سلامة، "الروسية في الشرق الأوسط"، مرجع سابق.

² ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، مرجع سابق، ص. 249.

³ س.غ. لوزبانين، عودة روسيا إلى الشرق الكبير، مرجع سابق، ص. 97.

التي تعاني من التضيق الأمريكي ومنع أي تقارب روسيا مع دول المنطقة حماية للمصالح الأمريكية في مجالات الطاقة.

لم يقتصر الصراع على النفوذ بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في المجال الطاقى في المنطقة في استخراج النفط والغاز فقط، بل مظاهر الصراع الطاقى تجلت أيضا في الرغبة في التحكم والسيطرة على مسارات هذه الطاقة، فأنايبب الطاقة أصبحت تحظى بأهمية بالغة في عصرنا الحالي، فقد شهد القرن الحالي مد الكثير من أنايبب الغاز ومشاريع كثيرة لأنايبب مستقبلية، وقد قامت كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بتنفيذ الكثير من المشاريع الخاصة بأنايبب الطاقة، وذلك لتعزيز مكانتهما في سوق الطاقة العالمي¹.

ملاح الصراع في مجال الطاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بدأت تظهر أيضا عبر استراتيجيات البلدين في ما يخص مشاريع الأنايبب الناقلة للغاز عبر منطقة الشرق الأوسط، ومن أهم المشاريع المتنافسة في هذا المجال.

❖ خط نابوكو*:

فكرة المشروع بدأت مع بداية هذا القرن، واتخذت أول خطوة عملية في بداية عام 2002، حينما وقع بروتوكول للاشتراك في المشروع بين كونسورتيوم من شركة أو إم في غاز النمساوية، وبوتاش التركية و(إم أو إل) المجرية، و(ترانس غاز) الرومانية و(بلغار غاز) البلغارية، وكان المشروع يهدف إلى ربط احتياطات الغاز في آسيا الوسطى عبر بحر قزوين بأوروبا من خلال خط أنايبب يعبر بحر قزوين إلى أذربيجان ثم إلى النمسا، دون المرور بروسيا، أي أن مشروع «نابوكو» كان مخططا له أنه بإمكانه في

¹ احمد علو، "حرب أنايبب الغاز العالمية" مجلة الجيش اللبنانية، العدد 347، ماي 2014، < <https://bit.ly/323ierS> > (19 يناير 2017)

* أطلق عليه تسمية «نابوكو»، تيمنا باسم مقطوعة موسيقية كلاسيكية أوروبية «أوبرا» حول التحرر من العبودية، من تأليف المؤلف الرومانسي الإيطالي "جوسيبي فيردي" في القرن التاسع عشر، وتستند أوبرا «نابوكو» إلى قصة وردت في التوراة وتناولت المآسي التي مر بها اليهود عبر التاريخ، خصوصا ما مر به اليهود من اضطهاد ونفي على يد الملك "نبوخذ نصر".

نهاية الأمر أن يوصل الغاز الطبيعي مباشرة من وسط آسيا إلى وسط أوروبا، من دون أن يعبر روسيا¹.

تم إبرام الاتفاق بين دول العبور في أنقرة في يونيو 2009، وكان من المقرر البدء في مد خط «نابوكو» في العام 2011، كما أنه كان مقررا أيضا أن تصل طاقة ضخ الغاز في المشروع 31 مليار متر مكعب، أي بما يعادل 5 إلى 10 في المائة من استهلاك الغاز الإجمالي في الاتحاد الأوروبي بحلول عام 2020، كون الاتحاد الأوروبي إحدى أكبر الأسواق استهلاكاً للغاز في العالم، ويبلغ استهلاك الاتحاد الأوروبي السنوي الحالي 600 مليار متر مكعب، ومتوقع أن يرتفع استهلاكه بنحو 200 مليار متر مكعب إضافي بحلول عام 2030.

خط نابوك هو مسار وممر مقترح للغاز يربط الشرق بالغرب يصل طوله لـ 33000 كيلومتر، تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية لغاية كسر وإنهاء الهيمنة الروسية على أسواق الغاز الطبيعي في أوروبا والعالم.

يمتد من أرزوم في تركيا عبر بلغاريا ورومانيا والمجر، وينتهي في مجمع غاز بومغارت، في النمسا حيث يتم توصيل الغاز من هناك إلى مزيد من الدول الأخرى الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، وتبلغ الطاقة الاستيعابية للخط 31 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً، و كان من المقرر أن يبدأ تشغيله سنة 2015، هذا الخط ستزوده كازاخستان وتركمانستان بـ 21 مليار متر مكعب سنوياً، ومصر بـ 5 مليار متر مكعب من خلال الاحتياطات في دلتا النيل، والعراق بـ 5 مليار متر مكعب من حقل أكاس، وبداية عملية الخط بدأت سنة 2013².

التفكير في تشييد هذا الخط كان مبنياً أساساً على استراتيجية حلف الناتو للاستمرار في تحرير جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابقة من الهيمنة الروسية، وبالأخص على موارد تلك الجمهوريات وبكسر احتكار روسيا وسائل الإمدادات عن طريق مشروع خط

¹ راشد أبانمي، "خط أنابيب "نابوكو " اللعبة الجيوسياسية الكبرى حول الطاقة"، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، 25 يوليو 2009 < <https://bit.ly/3i4ZPR1> > (12 مارس 2018)

² عبد الرزاق بوزيد، التنافس الروسي الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط دراسة حالة الأزمة السورية 2010-2014، مرجع سابق، ص. 81.

الطاقة "نابوكو"، الذي بدوره سيفلص اعتماد الاتحاد الأوروبي على إمدادات الغاز الروسية.

لكن هيمنة روسيا السياسية والعسكرية والتجارية ووقوفها عائقاً لتلك الاتجاهات الأوروبية - الأمريكية من أجل تنفيذ فكرة هذا المشروع الذي كان معتمداً في بدايته على المزودين الأساسيين بضخ الغاز في خط الأنابيب من حقول الغاز في الدول من القوقاز ووسط آسيا، والالتفات حول روسيا و"تحريرهم" من مخالب الدب الروسي، وكذلك إلى الحد من اعتماد أوروبا على الغاز الروسي، أو سيطرتها عليه، هذا مما أثار حفيظة الدب المجروح - أي روسيا -، التي تتربع على أكبر احتياطي للغاز في العالم، وتسيطر على جميع خطوط الأنابيب العاملة التي تنقل الغاز الطبيعي إلى أوروبا، وأظهرت روسيا ممانعتها قولا وفعلا لذلك المشروع الذي اعتبرته يستهدف كيائها الإقليمي ومعاديا لها وتبننت خطة استراتيجية دفاعية بثلاثة محاور وذات أبعاد ودوائر حلزونية تتقارب في المركز وتتباعد في زمنها التنفيذي، وذلك لمجابهة مشروع "نابوكو" وتفريغه من جدواه من النواحي القانونية والاقتصادية والسياسية.

واعتمدت لذات الغاية استراتيجية من ثلاثة محاور:

المحور الأول: إثارة نزاع الملكية القانونية حول بحر قزوين، اتبعت روسيا في تنفيذ استراتيجيتها محاور عدة وبدأتها بمحور ذي مردود فوري، وهو إثارة جدل قانوني حول مسار الأنبوب، وإمداداته وذلك من أجل الإيقاف الفوري أو على الأقل تعطيل مشروع خط نابوكو، الذي كما نوهنا سابقا كان في الأصل يعتمد على تصدير الغاز الطبيعي من رابع أكبر احتياطي غاز في العالم تركمانستان.

هذا المحور الروسي الاستراتيجي ركز على موقع تركمانستان الجغرافي المغلق، إلا من خلال المنفذ الوحيد روسيا، وإطالتها على بحر قزوين المغلق ووجود أكبر حقول الغاز التركمانستاني بالقرب من ساحل بحر قزوين، فعلى الرغم من سيطرة روسيا العسكرية على البحر بكامله، إلا أنها تعي جيدا خطورة التهديد العسكري الذي ربما يأتي بمردود سلبي أو حتى عكسي عليها إقليمياً ودولياً، وفضلت وفي خطوة ذكية جدا اللجوء إلى

القانون الدولي، وأثارت خلافا قانونيا حقيقيا يستعصي على الحل بين الدول المطلة على بحر قزوين¹.

هذا الخلاف الذي أثارته روسيا هو ماهية الصفة القانونية للمسطح المائي* لبحر قزوين في ظل القانون الدولي. وتأسيسا على ذلك المبدأ، أثارت روسيا موضوع الصفة القانونية لبحر قزوين وتبنت تعريف حوض قزوين على أنه بحيرة متجددة بمياه أنهار الفولجا، وبناء على ذلك فالقانون الدولي يعطيها الحق بتقاسم مياهه وثرواته بالتساوي بين الدول المحيطة به كما ينص القانون الدولي على ذلك، هذا المحور من الاستراتيجية الروسية جعل من المستحيل، ليس فقط إنشاء خط أنابيب الغاز عبر حوض قزوين، بل حتى تطوير تركمانستان أو أذربيجان لأية حقول غاز على سواحل حوض قزوين في ظل هذا التعريف، إلى أن يتم الاعتراف به كبحر، وبالتالي فلا حق لأي دولة أخرى مطلة على البحر في حقول النفط والغاز على شواطئ الدول الأخرى المطلة على المسطح المائي.

المحور الثاني: بناء قوة شراء وبيع احتكارية في قطاع الغاز محليا والتنسيق دوليا

تزامنا مع تنفيذ المحور الأول من استراتيجيتها، سعت روسيا إلى تنفيذ المحور الثاني بشقيه الإقليمي والدولي؛ وذلك في خطوات استباقية لمشروع نابوكو، وكان الشق الأول من المحور الثاني هو بناء قوة روسيا الاحتكارية في شراء كامل الغاز المنتج في أواسط آسيا، وبالتالي احتكار بيعه عن طريقها وعبر أنابيبها العابرة للقارات، فإضافة إلى كونها تمتلك أكبر احتياطي للغاز في العالم، حيث تمتلك 47 في المائة وتعتبر المنتج الأكبر لهذه السلعة الاستراتيجية (29 في المائة)، دخلت روسيا في عقود شراء غاز طويلة المدى مع حكومات الدول المفترض منها ضخ الغاز في خط أنابيب نابوكو، كتركمانستان التي تنتج

¹ راشد أبانمي، "خط أنابيب "نابوكو " اللعبة الجيوسياسية الكبرى حول الطاقة"، مرجع سابق.

* ولإيضاح ذلك المبدأ، فإن القانون الدولي بشكل عام يفرق بين الصفة القانونية للمسطح المائي فيما لو كان بحرا فإن القانون الدولي يحدد حقوق معينة للدول المطلة عليه، وتختلف هذه الحقوق إذا كانت صفة المسطح المائي حوضا أي «بحيرة»، فإنه يترتب عليه حقوق تختلف للدول المطلة عليه؛ فالبحر في القانون الدولي يتم تقاسم مياهه وثرواته حسب طول شواطئ الدول المحيطة به، وجرفها القاري... إلخ، فيما إذا كان المسطح المائي حوضا أو بحيرة فإن الوضع القانوني للملكية يختلف حيث يتم تقاسم مياهه وثرواته بالتساوي بين الدول المحيطة به.

حالياً نحو 80 مليار متر مكعب سنوياً، وقامت روسيا بشراء أكثر من 50 مليار متر مكعب في عقود طويلة الأجل¹.

كما دخلت بعقود شراء طويلة الأجل مع أوزبكستان التي لديها احتياطي قدره 1.8 مليار متر مكعب من الغاز، حيث قامت روسيا بشراء كامل إنتاجها من الغاز في عقد طويل الأجل، وفي ضوء ذلك انسحبت تلك الدول من أي تعهد لإمداد «نابوكو»، وأعلنت تركمانستان من جانبها أخيراً أنه حتى ولو بعد تطوير حقولها الغازية ووجود فائض في الغاز المنتج عن تلبية تعهداتها لروسيا والصين، فلن تباع الغاز لخط أنابيب نابوكو.

كما أن أذربيجان التي يعول عليها كثيراً بعد انسحاب تركمانستان من إمداد النسبة الأكبر من الغاز المنقول إلى أوروبا، دخلت هي الأخرى في تعهدات مع روسيا بعقود بيع طويلة المدى، حيث وقعت روسيا معها اتفاقاً لشراء حصة كبيرة من غازها، ولكنها أعلنت في الوقت نفسه أنها ستبيع الغاز لـ «نابوكو» إذا وجد فائضاً لديها. إلا أن محدودية الغاز المتاح للتصدير لا يعول عليه، مما زاد من الغموض في الجهة التي يعتمد عليها في ملء أنبوب غاز «نابوكو»².

أما الشق الثاني من هذا المحور الاستراتيجي فهو قيام روسيا بتوطيد علاقاتها مع الدول المالكة لثاني وثالث أكبر احتياطي في العالم، وتمخض عن تلك الجهود الروسية المدروسة بإنشاء منظمة للدول المصدرة للغاز بينها وبين إيران، التي تملك ثاني أكبر احتياطي وقطر التي تملك أكبر حقل غاز في العالم، وتضم أراضيها كميات من الغاز تضعها في المركز الثالث من حيث الاحتياطيات العالمية بعد روسيا وإيران.

إن خطوة إنشاء هذه المنظمة التي تضم أول وثاني وثالث أكبر احتياطي في العالم، هي خطوة زادت من تقوية موقع روسيا على ساحة الطاقة الدولية، ووسيلة جديدة في بسط نفوذها الدولي في مجال الغاز، وعلى الرغم من طمأنة الروس نظراءهم المستهلكين الأساسيين للغاز وعلى رأسهم الدول الأوروبية، إلا أن دول الاتحاد الأوروبي وكذلك

¹ Judy Dempsey, " Victory for Russia As the EU's Nabucco Gas Project Collapses", *Carnegie Europe*, July 01, 2013, < <https://bit.ly/3IWUjSQ> > (March 24, 2017)

² Ibid.

الولايات المتحدة الأمريكية عبروا عن استيائهم من هذه الخطوة، نظرا لتحكم روسيا من خلال هذا التجمع في مصيره وقراراته، ونظرا لامتلاك الروس الاحتياطي الأكبر لهذه السلعة الاستراتيجية في العالم (47 في المائة) وكذلك المنتج الأكبر لها، ولقد وافقت روسيا على أن تكون دولة قطر مركزا لهذه المنظمة في خطوة روسية تطمينية لأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية¹.

المحور الثالث: تكثيف الجهود لبناء خطوط غاز إضافية، تمتلك روسيا حاليا جميع خطوط الأنابيب الغازية العابرة للحدود وصولا إلى أوروبا، وتوجهت روسيا في هذا المحور الاستراتيجي إلى تكثيف الجهود لبناء خطوط غاز إضافية، واستمالت بعض الدول الأوروبية للمشاركة في بناء خطوط غازية ضخمة، كخط غاز الأنبوب الشمالي الموصل لأوروبا وكذلك خط غاز «الأنبوب الجنوبي» «ساوث ستريم» الذي يمر تحت مياه البحر الأسود، وصولا إلى بلغاريا، ملتقا على أوكراينا، وذلك بتكاليف إنشاءه تبلغ (13.9 مليار دولار) تتقاسمها مع إيطاليا.

الهدف الأساسي والرئيسي من خط نابوكو كان هو عملية ربط أوروبا بشكل مباشر بالغاز من مصادره في الشرق الأوسط وبحر قزوين، حيث اعتبر هذا الخط بمثابة بديل عن خط تيار الجنوب الروسي².

❖ خط التيار الأزرق "بلو ستريم 2"

تم الإعلان عن التيار الأزرق 2 لأول مرة في عام 2002، وفي أغسطس 2005 اقترح فلاديمير بوتين ورجب طيب أردوغان رسميا التيار الأزرق الثاني وأعلننا قرار توسيع Blue Stream One إلى جنوب شرق أوروبا³.

¹ Yeongmi Yun and Ki-cheal Park, " Characteristics of Russian Policies in Energy security toward Central Asia : Focusing on the Constuction of South Strem Pipeline", Institute for National Security Strategy, Vol. 24, No. 2, 2010, P. 160.

² idem.

³ "Blue Stream Natural Gas Pipeline", OFFSHORE TECHNOLOGIE, <<https://bit.ly/3bA9JY5>> (June 12, 2018)

كان من المتوقع أن يصبح التيار الأزرق الثاني منافسا مباشرا لخط أنابيب نابوكو من خلال نقل 16 مليار متر مكعب إضافي من الغاز من روسيا إلى تركيا، بطول 1213 كلم ويمتد "بلوستريم 2" على طول نفس الطريق مثل خط أنابيب نابوكو، وبالتوازي مع بلو ستريم 1 على البحر الأسود¹.

لعل روسيا بذلك تكون قد تمكنت من إفشال المحاولات والمشاريع الأوروبية والغربية عموما ومحاولات عزلها عن لعب دور مؤثر في إمدادات الغاز والنفط².

لعل أكثر ما شكل خطرا على "نابوكو" هو أن روسيا تقوم بالتفاوض على عقود أكثر أفضلية وتنافسية لإمدادات الغاز، لتصب في غاز بروم بسيليبا الشمالي والجنوبي، وبالتالي تقطع الطريق عن أي نفوذ (طاقوي) وسياسي لأمريكا في كل من إيران وشرق المتوسط (استثمارات "غاز بروم" في إيران وإسرائيل)، فضلا على أن تكون من أهم مستثمري أو مشغلي حقول الغاز الحديثة العهد في كل من لبنان وسوريا، المثال على ذلك توقيع روسيا وسوريا عقد "عمريت" الذي يتيح لشركة غاز بروم الروسية التنقيب عن النفط 400 ألف متر مكعب يوميا أي ما يعادل 146 مليون متر مكعب سنويا³.

زد على ذلك مشروع خط الأنابيب الروسي الألماني، أو خط أنابيب التيار الشمالي "نورد ستريم"، والذي يحمل الغاز الطبيعي الروسي مباشرة إلى ألمانيا عبر البحر، قاطعا المسافة الأكبر لأي خط أنابيب في العالم تحت الماء على الإطلاق⁴.

يضم نورد ستريم خطين متوازيين من الأنابيب، تم تشغيل الخط الأول منهما بالفعل قبل نهاية عام 2011، وهو قادر على حمل 27.5 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي

¹ Ibid.

² ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.. من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، مرجع سابق، ص 246.

* السبيل الشمالي North Stream ينقل الغاز من روسيا إلى ألمانيا مباشرة ومن فاينبرغ على ساسنيتز عبر بحر البلطيق دون المرور ببيالار ورويسيا، وهو ما خلف الضغط الأمريكي عليها.
السبيل الجنوبي South Stream يمر من روسيا إلى البحر الأسود فبلغاريا وينتفرع إلى اليونان فجنوب إيطاليا وإلى هنغاريا ليصل إلى النمسا.

³ عماد فوزي شعبي، "الصراع على الشرق الأوسط: الغاز أولا" شبكة فولتير، 17 أبريل 2012، <<https://bit.ly/3jSY2yR>> (20 يوليو 2019)

⁴ محمد السعيد، "إنقاذ أوروبا من قبضة بوتين.. هذا ما يمكن أن تلعبه الدوحة في معركة الغاز"، مركز الجزيرة للدراسات، 23 يناير 2019، <<https://bit.ly/323M0fM>> (20 ماي 2019)

الروسي مباشرة إلى ألمانيا، ومنها إلى المرافق والمنازل والشركات المستهلكة للطاقة في جميع أنحاء الاتحاد الأوروبي، حمولة من المرجح أن تكون قد تضاعف وصولاً إلى 55 مليار متر مكعب مع اكتمال الخط الثاني نهاية العام 2019، وهو ما بدا كفيلاً بإثارة أزمة دبلوماسية لم تتردد أصدائها داخل أوروبا وحسب، ولكنها عبرت إلى الضفة الأخرى من الأطلسي حيث الولايات المتحدة الأمريكية، الزعيم المتوج لـ "العالم الحر" كما تحب أن تموضع نفسها، وحامي النظام العالمي الراسخ منذ نهاية الحرب الباردة¹.

منذ اللحظة الأولى، لم تكن واشنطن راضية أبداً عن نزوع نظام برلين لفتح خط مستقل للحصول على الغاز الروسي بعيداً عن أوروبا الشرقية، التي عملت تاريخياً كحلقة وصل بين روسيا ودول وسط وغرب أوروبا، حيث رأت واشنطن أن مثل هذه الخطوة ستزيد من ارتهاق مصالح الطاقة لحلفائها الأوروبيين لتقلبات السياسة الروسية.

علماً أن روسيا قد سبق وعرقلت مشروع نابوكو، الذي كان يهدف إلى تخفيف التبعية الأوروبية لروسيا، إلا أن روسيا اتجهت إلى احتكار عقود بيع وشراء الغاز في آسيا الوسطى والشرق الأوسط، وتحديدًا مع جميع الدول التي ستمتد خط نابوكو بالغاز كتركمانستان وأوزبكستان، أدى حسب رأي بعض الاستراتيجيين ومراكز الدراسات إلى عدم توافر الغاز الآسيوي لخط نابوكو وجعل انطلاقته أمراً مستحيلاً، لكن روسيا لم تعرف أن الاستراتيجية الأمريكية المضادة كانت تعتمد على الاستعاضة عن مصادر الغاز المفقودة في وسط آسيا، بمصدر آخر جاء من صحاري الجزيرة العربية وتحديدًا من قطر، ومن هنا تولدت الفكرة الغربية بخلق "خط الغاز القطري" الذي سيمر من دولة قطر ثم المملكة العربية السعودية ليتجه نحو الأراضي السورية من الجهة الغربية، ليلتقي بخط غاز مصر وإسرائيل ويتجه بعدها شمالاً في اتجاه تركيا، هذا المشروع تعترضه عقبة كبيرة وهي عدم سماح النظام السوري بمروره عبر أراضيه، بخلفية الضرر الذي سيلحق بروسيا الحليف الاستراتيجي لسوريا.

¹ المرجع نفسه.

من كل ما سبق تتضح مكانة سوريا وموقعها الجيوستراتيجي الذي يزكّيه التركيز والاهتمام الغربي بها لما تحويه من ثروات نفطية واعدة، وبمنطقة الشرق الأوسط عموماً، ومن خلال الخط الذي يمتد من إيران عبر تركمانستان إلى الصين، والخط الأمريكي المقترح والذي يمتد من إيران عبر العراق وسوريا إلى البحر ولبنان عبر ما يعرف "بخط عرض 33" أو طريق الحرير الجديد، وربما هنا سبب الخلاف ومربط التدخلات الدولية في المنطقة¹.

هذه الصراعات والتوترات التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط، جعلت كل دول المنطقة تدخل في نوع من التنافس والتسابق على صفقات سلاح ضخمة تتقدمها العربية السعودية، وبالتالي جعل المنطقة بؤرة للصراع بين روسيا وأمريكا حول صفقات السلاح التي تدر على الدول ملايين الدولارات.

المطلب الثاني: عقود التسليح محدد أساسي في الصراع الروسي- الأمريكي في

المنطقة

تعتبر تجارة الأسلحة من بين أهم المجالات ذات المردود الاقتصادي والسياسي المهم بالنسبة للدول الكبرى المصدرة لمختلف أنواع الأسلحة، فإضافة إلى العائدات المالية الضخمة التي تحققها الدول الكبرى من تصدير الأسلحة، وتأثيراتها المباشرة والإيجابية على اقتصاديات هذه الدول، فإنها أيضاً تحقق - مبيعات الأسلحة - لها فرص لاختراق الأنظمة السياسية وضمان ولائها وتوافقها مع مصالح واستراتيجيات القوى الكبرى المصدرة للأسلحة في العالم، حيث تهدف هذه الدول في سبيل تحقيق ذلك على الهيمنة على أسواق وتجارة السلاح في منطقة الشرق الأوسط، المنطقة الأكثر استيراداً للسلاح في العالم، نظراً لحجم وتعداد الأزمات التي تعيشها المنطقة.

كل تلك المعطيات تجعل المنطقة ساحة صراع كبيرة بين كبريات شركات السلاح الروسية والأمريكية في العالم، لما تتيحه المنطقة لهذه الشركات من عقود ضخمة بمليارات الدولارات.

¹ احمد علو، "حرب انابيب الغاز العالمية"، مرجع سابق.

الفرع الأول: عقود التسليح الأمريكية مع دول المنطقة

تعد الولايات المتحدة الأمريكية أقوى دولة على مستوى العالم من مختلف المستويات خاصة على المستوى العسكري، وهذا راجع بالأساس إلى ميزانيتها الضخمة المخصصة لوزارة الدفاع، والتي بلغت سنة 2019 إلى 717 مليار دولار¹، كما تحتل الولايات المتحدة الأمريكية مكانة مركزية بين دول العالم في مجال تصدير وبيع الأسلحة، حيث يعد مجال السلاح وسيلة لدعم مكانة أمريكا وزعامتها في العالم، إضافة إلى تفويض مصالح خصومها ومحاولة السيطرة على سوق السلاح عالمياً².

ذكر معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام "سيبري" في مارس 2019 أن الولايات المتحدة الأمريكية صدرت أكثر من ثلث الأسلحة العالمية خلال السنوات الخمس الماضية، مما يعزز دورها كأكبر بائع للأسلحة في العالم، وذكر "سيبري" أن الولايات المتحدة الأمريكية باعت أسلحة إلى ما لا يقل عن 98 دولة، أكثر بكثير من أي مورد رئيسي آخر، تضمنت "أسلحة متقدمة مثل الطائرات المقاتلة والصواريخ قصيرة المدى والصواريخ الباليستية وعدد كبير من القنابل الموجهة"³.

فقد حققت أكثر من 55 مليار دولار من صفقات الأسلحة التي تفاوضت عليها الحكومة في عام 2018، وتمثل هذه القيمة 36 في المائة من صادرات الأسلحة العالمية⁴، وهي بذلك المرتبة الأولى عالمياً، في حين بلغت ميزانية روسيا 228 مليار دولار في عام 2019، و 295 مليار دولار لعام 2020⁵، حيث تعتبر منافساً قوياً للولايات المتحدة الأمريكية وترمي إلى توطيد شراكاتها وتحالفاتها مع دول حليفة في مناطق عديدة من العالم

¹ "FY 2019 Defense Budget", U.S. Department of Defence, < <https://bit.ly/3ibXWSs> > (January 2, 2020)

² حيدر على حسين، سياسة اليوم، ومستقبل النظام الدولي، دار الكتاب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص. 202.

³ "USA and France dramatically increase major arms exports; Saudi Arabia is largest arms importer, says SIPRI", STOCKHOLM INTERNATIONAL PEACE RESEARCH INSTITUTE, March 9, 2020, < <https://bit.ly/3jZIERm> > (May 12, 2020)

⁴ 96Shannon Dick and Rachel Stohl, Global Arms Trade :Settings an Example for Responsible Policy", STIMSON, November 7, 2019, < <https://bit.ly/3h8DmRu> > (January 20, 2020)

⁵ "المالية الروسية تكشف عن ميزانية الدفاع للسنوات الـ 3 المقبلة"، RTONLINE، 28 نونبر 2017، < <https://bit.ly/2R0zXJQ> > (23 ماي 2018)

ومنها منطقة الشرق الأوسط، كتسليح النظام السوري والإيراني عبر صفقات عديدة للسلاح والعمل أيضا على اختراق أسواق جديدة تعتمد على السلاح الأمريكي كإسرائيل ومصر ودول الخليج.

تعد التوترات ومشاهد الاضطرابات والاستقرار سمات بارزة تميز منطقة الشرق الأوسط كأحد أكثر مناطق المعمور توترا، وذلك لأسباب منها الاقتصادي والسياسي والديني..إلخ، فقد شهدت المنطقة الكثير من الحروب والنزاعات التي لازال بعضها قائما حتى وقتنا هذا مع إمكانية اندلاع حروب أخرى في أي لحظة. ساعد هذا الوضع القائم بالشرق الأوسط سياسات الولايات المتحدة الأمريكية ودفع أنظمة الحكم القائمة نحو المزيد من العسكرية عبر تبني سياسات دفاعية وتخصيص موارد مالية كبيرة من ميزانياتها نحو الإنفاق العسكري واقتناء الأسلحة الأمريكية، تحت مبررات كالإرهاب والسلاح النووي والتمدد الإيراني..إلخ، كل هذه المعطيات جعلت المنطقة أهم سوق للسلاح الأمريكي وأكثر مناطق العالم من حيث التواجد العسكري الأمريكي¹.

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تدعيم علاقتها مع دول الشرق الأوسط عبر عقد العديد من صفقات التسليح الكبيرة، خاصة الخليجية منها ذات الإمكانيات المالية الضخمة بفضل عوائد النفط الكبيرة، فالشرق الأوسط أضحى أحد أهم الوجهات المهمة لشركات السلاح الأمريكية ذات التأثير الكبير في السياسة الداخلية والخارجية الأمريكية، ومن أهم صفقات السلاح مع دول الشرق الأوسط نجد:

أ- السعودية

ذهبت أكثر من نصف المبيعات الأمريكية من السلاح إلى منطقة الشرق الأوسط، وتعد المملكة العربية السعودية من أكثر دول المنطقة شراءا للسلاح الأمريكي، حيث حصلت

¹ محمد مراد، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربية: بين الثبات الاستراتيجي والمتغير الظرفي، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2009، ص. 308.

* من أبرز شركات السلاح الأمريكية التي تعمل على تصدير السلاح خارج أمريكا نجد: لوكهيد مارتن، بوينغ، نورثروب جرومان جنرال دايمكس، راثيرون، بونايتد تكنولوجيز وقد بلغت قيمة صادرات الشركات من السلاح سنة 2016 أكثر من 217.2 مليار دولار. عن

Sebastian Hensiek, "10 of the Largest Arms Manufacturing Companies Worldwide", WORTHLY, <<https://bit.ly/35d6Co1>> (March 12, 2019)

المملكة العربية السعودية وحدها على 22% من إجمالي المبيعات الأمريكية، مما يجعلها السوق الأكثر أهمية بالنسبة لأمريكا. وكانت المملكة العربية السعودية أكبر مستورد للأسلحة في العالم خلال هذه الفترة 2014-2018، حيث استحوذت على 12% من الواردات العالمية¹.

بعد عقد التسليح الأكبر في العالم الذي أبرمته الولايات المتحدة الأمريكي مع السعودية سنة 2011 والبالغ 60 مليار دولار، عادت المملكة العربية السعودية بصفقة جديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2013 بقيمة 29.4 مليار دولار تضمنت حصول السعودية على مقاتلات F-15 SA، وصواريخ نوع "تاو 2" مضادة للدبابات، ودبابات (ام 1 أي 2)².

كما أبرمت الولايات المتحدة الأمريكية صفقات بقيمة 68.2 مليار دولار على الأقل للأسلحة النارية، والقنابل والأسلحة والتدريب العسكري مع المملكة العربية السعودية والإمارات المتحدة منذ بدء حربهما في اليمن³.

وجاءت سنة 2017 لتكشف عن صفقة عملاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية، تضمنت الاتفاقية التي تبلغ قيمتها 110 مليار دولار تعهدات سعودية بشراء دبابات وطائرات مقاتلة وسفن قتالية ونظام دفاع صاروخي متطور يعرف باسم "ثاد".

بالإضافة إلى الصفقة الدفاعية الضخمة، وقعت السعودية أيضا اتفاقيات مع شركات أمريكية للصناعات العسكرية تشمل :

- توقيع اتفاق مع شركة "لوكهيد مارتن" لدعم برنامج تجميع 150 طائرة هليكوبتر من طراز "Black Hawk S-70" في السعودية وهو اتفاق تبلغ قيمته 6 مليارات دولار.

¹ "USA and France dramatically increase major arms exports; Saudi Arabia is largest arms importer, says SIPRI", *STOCKHOLM INTERNATIONAL PEACE RESEARCH INSTITUTE*, March 9, 2020, < <https://bit.ly/3jZIERm> > (May 12, 2020)

² سالي مشالي "صفقات السلاح الأمريكية للدول العربية والتوازن العسكر، جريدة الوطن، 12 ماي 2017،

<http://www.oureypt.us/craiem/crime170.html> (22 أكتوبر 2019)

³ Frank Andrews, " Revealed : The full extent of US arms deals with Saudi Arabia and UAE", *MIDDLE EAST EYE*, Abril 4, 2019, <<https://bit.ly/3jWkNlp>> (Octobre 25, 2019)

- توقيع اتفاق مع شركة "رايثون" لإنشاء فرع في السعودية سيركز على تنفيذ برنامج لخلق قدرات محلية في الدفاع وصناعة الطيران والأمن في المملكة¹.

فرغم الانتقادات الموجهة للرئيس ترامب حول تمسكه بصفقات السلاح مع السعودية، مع تزايد الاتهامات للملكة السعودية بخصوص مقتل الصحفي جمال خاشقجي داخل السفارة السعودية بتركيا، إلا أنه متمسك بإتمام الصفقة لقيمتها الاقتصادية الكبيرة والوظائف التي ستخلقها، إضافة إلى أن عدم إتمام الصفقة سيجعل السعودية تتوجه بتلك الأموال لروسيا أو الصين حسب قول الرئيس الأمريكي².

ب- الإمارات

تأتي الإمارات العربية المتحدة في الرتبة الثانية بعد المملكة العربية السعودية من حيث اقتناء الأسلحة الأمريكية، فقد بلغ حجم الإنفاق الإماراتي على صفقات السلاح مع الولايات المتحدة الأمريكية 10 بليون دولار أمريكي بين سنتي 2007 و2010.

وتعد الإمارات أحد أكبر الحلفاء المقربين للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، خاصة بعد تولي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الرئاسة في 2016.

وقد سجلت واردات الإمارات من الأسلحة ذروتها في عام 2015 عند 1.22 مليار دولار، ثم تراجعت 22 بالمئة إلى 955 مليون دولار في 2016³.

وفي 2017 ارتفعت 1 بالمئة إلى 965 مليون دولار، و24 بالمئة إلى 1.2 مليار دولار في 2018، بينما انخفضت 46 بالمئة إلى 644 مليون دولار.

¹ Javier E. David, " US-Saudi Arabia seal weapons deal worth nearly \$110 billion immediately, \$350 billion over 10 years", May 20, 2017, < <https://cnb.cx/3icaJEU>> (March 12, 2018)

² Jeremy Diamand and Barbara Starr, " Trump's \$110 billion Saudi arms deal has only earned \$14.5 billion so far", CNN BUSINESS, Octobre 13, 2018, <<https://cnn.it/2FjojHn>> (February 23, 2019)

³ "سلاح أمريكا يستحوذ على صفقات الإمارات.. تعرف على أبرزها"، مجلة عربي 21، 12 يونيو 2020، <<https://bit.ly/2FdqHQ6>> (12 يوليو 2020)

وتطورت حصة الولايات المتحدة الأمريكية من 66.4 بالمئة في 2015، إلى 69 بالمئة في 2016، و62.5 بالمئة في 2017، و76.5 بالمئة في 2018 (أعلى حصة من الواردات العالمية)، فيما بلغت 59.5 بالمئة في 2019¹.

وقد قال خبراء إن تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة، يمكن أن يمهد الطريق لمزيد من مبيعات الأسلحة الأمريكية إلى الدولة الخليجية العربية²- الإمارات العربية المتحدة-.

ترغب الإمارات العربية المتحدة بعد تطبيع علاقاتها مع الكيان الصهيوني أن تحصل على صفقات سلاح أمريكية، تحصل من خلالها الإمارات على الطائرة الشبحية F35، التي تمتلكها إسرائيل في المنطقة، مما سيهدد - إذا ما تمت الصفقة - التفوق الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط، وذكرت مصادر بأن ترامب يخطط بهدوء لبيع مقاتلات الشبح F-35 وطائرات بدون طيار متقدمة للإماراتيين كجزء من خطة أوسع لإعادة تنظيم الشرق الأوسط³.

ج- الكويت

أبرمت الكويت مع الولايات المتحدة الأمريكية صفقتين من الأسلحة، الأولى كانت سنة 2010 وتضمنت أسلحة متنوعة بقيمة 1.6 مليار دولار أمريكي، والثانية سنة 2012 تشمل 60 باتريوت أمريكي للدفاع الجوي بقيمة 4.2 مليار دولار.

¹ نفس المرجع.

² "Israel-UAE deal could open up U.S. weapons sales to Gulf kingdom, experts say", *Reuters*, AUGUST 14, 2020, < [HTTPS://REUT.RS/3HEUUEO](https://reut.rs/3HEUUEO) > (SEPTEMBER 6, 2020)

³ Mark Mazzezetti and Edward Wong, " Trump Administration Pushes Arms Sale to U.A.E. Despite Israeli Worries, *The New York Times*, Aug 19, 2020, < <https://nyti.ms/3bFTsB8> > (September 5, 2020)

كما تم إبرام صفقة مع الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2016 بقيمة 10.1 مليار دولار، تتضمن شراء 32 مقاتلات إف 18 إي، و 8 مقاتلات إف 18 إف، ورادارات وصواريخ أرض-جو¹.

كما وافقت وزارة الخارجية الأمريكية على اتفاق محتمل لبيع أسلحة لدولة الكويت في هذه السنة بقيمة 1.425 مليار دولار، لتحديث نظام الدفاع الجوي الصاروخي في البلاد على أساس منظومات "باتريوت"².

هـ البحرين:

إبرام البحرين لصفقة أسلحة مع الولايات المتحدة الأمريكية بقيمة 91 مليون دولار سنة 2012، تشمل الصفقة حصول البحرين على مروحيات البلاكهوك وصواريخ مضادة للمدركات، وأسلحة أخرى تدخل في إطار برنامج "حوار الأمن الخليجي" كما أعلنت عن توقيع صفقة أسلحة مع شركة "بل" الأمريكية لصناعة الطائرات العمودية، لشراء 12 طائرة من نوع "AH-1Z فايبر" بقيمة 912 مليون دولار³.

كما تم الإعلان عن صفقة شراء أنظمة مختلفة من صواريخ باتريوت ومعدات الدعم المتعلقة بها، بتكلفة تقدر بنحو 2.48 مليار دولار. وتشمل الصفقة البحرينية المحتملة 36 صاروخ باتريوت إم أي إم-104 جي إم إي-تي، وهي نسخة مطورة يمكنها إسقاط طائرات وصواريخ كروز، كذلك تتضمن صفقة الأسلحة بيع البحرين معدات مدمجة مع أنظمة صواريخ باتريوت، بقيمة 2 مليار و 478 مليون دولار، إضافة إلى أنظمة أسلحة إضافية بقيمة 750 مليون دولار لاستخدامها في طائرات (F-16)⁴.

¹ " واشنطن توافق على بيع صفقة أسلحة كبيرة للكويت وتراجع عن إمداد قطر بسبب دعمها لتنظيمات مسلحة. ومخاوف أمريكية من لجوء الخليج لـ"السلاح الروسي"، *اليوم السابع*، 19 نوفمبر 2016، <<https://bit.ly/2FihKFj>> (24 ماي 2018)

² "واشنطن تصادق على صفقة سلاح للكويت بقيمة 1.4 مليار دولار"، *مجلة الخليج أونلاين*، 29 ماي 2020، <<http://khaleej.online/o3K18N>> (6 يوليوز 2020)

³ ADHRB ADMIN, " Trump Administration Approves new Arms Sales to Bahrain Despite Military Abuses", *Defence Rights End Culture of Impunity*, May 1, 2018, <<https://bit.ly/3iokwXW>> (March 12, 2019)

⁴ Joe Gould, " US Senate upholds arms sales to Bahrain, Qatar", *Defense News*, June 13, 2019, <<https://bit.ly/33cJLWW>> (Octobre 13, 2019)

د- قطر

منذ عام 2001، أنفقت قطر أكثر من 9 مليارات دولار على الأسلحة الأمريكية ومليار دولار على بناء القواعد، تضمنت شراء أنظمة للأسلحة الأمريكية بما في ذلك طائرات الهليكوبتر الهجومية من طراز أباتشي، وصواريخ جافلين وأنظمة الدفاع الصاروخي¹.

أبرمت قطر سنة 2012 صفقة أسلحة مع الولايات المتحدة الأمريكية بقيمة 6.6 مليار دولار، تحصل قطر بموجب هذه الصفقة على طائرات مقاتلة ودبابات، وتحديث طائرات هليكوبتر من نوع أباتشي والبلالكووك والسيهاوك، كما أبرمت قطر صفقة للحصول على رادارات الإنذار المبكر بقيمة 1.1 مليار دولار.

كما أبرمت صفقة بلغت قيمتها 12 مليار دولار سنة 2017 ، شملت شراء عشرات من المقاتلات "إف 15".

و- عمان:

عقدت الدولة العمانية بعض صفقات التسلح مع الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تعتبر الأخيرة المزود الرئيسي والمستفيد الأول من صفقات الأسلحة العمانية، ومن بين الصفقات المبرمة عام 2010 موافقة الشركة الأمريكية "لوكهيد مارتن" بيع مقاتلات F16 وعددها 18 لسلطنة عمان، ثم صفقة توريد صواريخ "ستينغر" الأمريكية المضادة للطائرات سنة 2012، وبعدها سنة 2013 صفقة عمانية أمريكية من أجل تحديث أسطول طائرات f16 بقيمة بلغت 86 مليون دولار²، والصفقة المبرمة مع شركة رايتيون Raytheon الأمريكية بقيمة 1.28 مليار دولار في 2016، تقضي بشراء نظام صواريخ أرض - جو المتطور للدفاع الجوي "NASAMS" "ناسامس"³.

¹ Eli Enos and Rachel Stohl, " Examining US Arms Sales to Qatar", *STIMSON*, July 20, 2017, < <https://bit.ly/2R85UjQ> > (March 2, 2019)

² "الخلل الأمني بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي"، مركز الخليج لسياسات التنمية، <<https://bit.ly/2FfMKFO>> (12 يناير 2018)

³ أحمد عزيز، "صفقات الأسلحة العربية.. المليارات المهدرة في صراع البحث عن "النفوذ الغائب"، نون بوست، 13 شتبر 2016، <<https://bit.ly/3xalZtA>> (13 يناير 2018)

ي- العراق

لقد شكل الغزو الأمريكي للعراق عام 2003، نقطة مفصلية في تاريخ العلاقات الأمريكية العراقية في مختلف المجالات، لاسيما العسكرية منها؛ حيث جرت بين البلدين جملة من الصفقات العسكرية والتي شملت طائرات ودبابات وغيرها، لتعزيز قدرة القوات العراقية في استعادة الاستقرار للبلاد ومنع إثارة القلق داخل البلاد والدول المجاورة، والتي ازدادت بعد الخطة الأمريكية للانسحاب من العراق عام 2011.

ذلك بعد أن كانت جل صفقات الأسلحة العراقية تفوز بها روسيا في عهد الرئيس الأسبق صدام حسين، حيث كان هناك تقارب وعلاقات كبيرة بين الجانبين - الروسي والعراقي -، فقد وقعت السلطات العراقية الكثير من صفقات التسليح مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد الانسحاب وصلت 1 مليار دولار، وضمت حصول العراق على 24 مقاتلة خفيفة هجومية من نوع AT60، وتعتبر هذه الصفقة هي الأحدث في سلسلة من صفقات التسليح الأمريكية للعراق، وكان الأخير قد سبق ووافق العراق على شراء 36 مقاتلة من نوع F16 من الولايات المتحدة الأمريكية.

سنة 2014 تم توقيع صفقة أسلحة أخرى بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية يحصل العراق بموجبها على 200 عربة من نوع "هامفي" بلغت قيمة الصفقة 101 مليون دولار، و7 مناطق خاصة بمراقبة المنشآت العسكرية بقيمة وصلت 90 مليون دولار، كما تم توقيع صفقة أسلحة بلغت قيمتها ثلاثة مليارات دولار تضمنت بيع بغداد دبابات ومدرعات، وقد وافقت وزارة الخارجية الأمريكية سنة 2017 على بيع العراق معدات عسكرية تزيد قيمتها عن 22 مليار دولار على مدى 12 عاماً¹.

¹ 22\$bn US-Iraq Arms Deal Agreed, *Iraq-Business News*, March 27, 2017, <<https://bit.ly/2Zo7u5t>> (May 12, 2018)

لقد برز العراق كواحد من أكبر عملاء الأسلحة الأمريكية في السنوات الأخيرة بمبيعات بلغت حوالي 30 مليار دولار منذ عام 2011. لم يجلب ظهور الدولة الإسلامية الأحذية الأمريكية فحسب ، بل جلب أيضا المعدات والتدريب للقوات العراقية¹.

وبسبب التطورات الأخيرة فقد تخسر الولايات المتحدة الأمريكية مليارات الدولارات من مبيعات الأسلحة للعراق، إذا طردت بغداد القوات الأمريكية من أراضيها وقلصت من علاقاتها العسكرية مع واشنطن.

ففي أعقاب اغتيال الجنرال الإيراني قاسم سليمانى بضربات بطائرة أمريكية بدون طيار، طلب العراق من القوات الأمريكية مغادرة بلاده، وهدد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بفرض عقوبات إلى جانب دفع "تريليونات الدولارات" لقاعدة جوية أقيمت في العراق إذا أرادت بغداد أن تشق طريقها للمطالبة بانسحاب كامل للقوات².

هذا الواقع سيمهد الطريق لعودة روسيا مرة أخرى لنسج علاقاتها مع العراق، خصوصا أمام تزايد التأثير الإيراني في العراق، وكذا التطورات الميدانية التي تشهدها سوريا والمنطقة.

ن- مصر:

ترتبط مصر والولايات المتحدة الأمريكية علاقات قوية في مجالات عدة بما فيها مجال التسلح العسكري، كما تتلقى مصر مليارات الدولارات من المساعدات العسكرية سنويا، وقد أبرمت مصر الكثير من الصفقات مع الجانب الأمريكي منها ما أعلن عنه البنتاغون سنة 2013 حيث شملت الصفقة بيع مصر أربع بطاريات صواريخ بقيمة 46 مليون دولار، إضافة إلى صفقة عسكرية بقيمة مليار و290 مليون دولار تحصل بموجبها مصر على أربع سفن حربية³.

¹ Ibid.

² " US Risks Billions in Arms Sales over Soured Relations with Iraq", *Defense World. Net*, January 9, 2020, < <https://bit.ly/3m5O0w1> > (March 12, 2020)

³ سالي مشالي، "صفقات السلاح الأمريكية للدول العربية والتوازن العسكر"، *الجيش المغربي*، < <https://bit.ly/34U9pBp> > (12 مارس 2018)

كما وافقت الولايات المتحدة على صفقة مع مصر سنة 2019، قيمتها 2.3 مليار دولار لتحديث 43 مروحية هجومية من طراز "آباتشي"، وأبلغت الإدارة الأمريكية الكونغرس بموافقتها على هذه الصفقة¹، وقالت الخارجية في بيان لها "إن الصفقة تشمل بيع معدات عسكرية لتجديد 43 مروحية "هجومية" من طراز آباتشي "أ-64"².

وتهدف الصفقة إلى دعم الحملة العسكرية المصرية ضد الإسلاميين في سيناء ولضمان قدرات التنسيق بين الجيشين المصري والإسرائيلي، وفق ما أعلنه مسؤول الصفقات العسكرية في الخارجية الأمريكية ريني كلارك كوبر، الذي أكد أن الجانب المصري شريك هام في مكافحة الإرهاب للولايات المتحدة الأمريكية ولحلفائها الإسرائيليين³.

تقدم الولايات المتحدة الأمريكية الكثير من المساعدات العسكرية للكثير من الدول في منطقة الشرق الأوسط التي تربطها بها علاقات استراتيجية، ومنها إسرائيل التي تدعمها أمريكا وتدعم تفوقها الاستراتيجي في المنطقة بما يخدم استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية⁴. وقد دأبت الإدارة الأمريكية على تقديم مساعدات عسكرية واقتصادية سنوية تصل لثلاث مليار دولار، منها 1.8 مليار دولار كمساعدات تذهب للجانب العسكري والباقي على شكل مساعدات اقتصادية، قبل أن تصبح كل المساعدات المقدمة من الجانب الأمريكي ذات طبيعة عسكرية⁵، حيث تساهم هذه المساعدات في ترسيخ التفوق الاستراتيجي الإسرائيلي على كافة الدول العربية من خلال مساهمتها في تمويل البرامج العسكرية الإسرائيلية، كالبرنامج الخاص بمنظومة الدفاع الصاروخية ومشروعة الطائرة

¹-"U.S. Relations With Egypt", U.S. DEPARTEMENT of STATE, September 20, 2019, <<https://bit.ly/3k6eADI>> (March 12, 2020)

² "الخارجية الأمريكية توافق على صفقة عسكرية لمصر بـ 2.3 مليار دولار"، مجلة القدس العربي، 7 مايو 2020، <<https://bit.ly/3majEst>> (12 يوليو 2020)

³ المرجع نفسه.

⁴ مصطفى محمود ممدوح، الصراع الأمريكي السوفييتي في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص. 77.
⁵ أمين المشابقة، سعد شلبي، التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مرحلة ما بعد الحرب الباردة، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص. 228.

المقاتلة "لافي" التي بلغت تكلفتها حوالي مليار دولار. طبيعة المساعدات الأمريكية المقدمة لإسرائيل وقيمتها تختلف حسب الأحداث التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط¹.

ما تبرمه الولايات المتحدة الأمريكية من صفقات السلاح مع الكثير من دول منطقة الشرق الأوسط لتحقيق أهدافا إقتصادية ومادية فقط، بل تحقق أهدافا أخرى لأمريكا يمكن إجمالها في الآتي:

- ربط الدول الشرق أوسطية وخاصة الدول العربية منها بالإستراتيجية الأمريكية التي تهدف مرحليا إلى احتواء إيران وسوريا.
- وقف سياسة التحالفات المناوئة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية كالتحالف السوري الإيراني، أو محاولة إعادة التفكير في مشروع الدفاع العربي المشترك.
- تدعيم مكانة الاقتصاد الأمريكي خصوصا وأن الولايات المتحدة الأمريكية تعد أكبر الدول استدانة في العالم، وتضررت من الأزمة المالية التي شهدتها العالم بشكل كبير، وبالتالي فعائدات صفقات السلاح الأمريكية تسد جانبا مهما من مديونية البلاد.
- دعم دول الخليج العربي ومساعدتها عسكريا لخلق ذلك التوازن العسكري بين إيران والدول الخليجية.
- هدف الولايات المتحدة الأمريكية الرئيس في منطقة الشرق الأوسط يتمثل في وقف أي تمدد للمصالح الروسية في المنطقة، والذي بدأت بواذره مع محاولات روسيا وضع قدم لها في المنطقة من خلال علاقاتها مع بعض الدول عبر عقد صفقات تسليح مع مجموعة من الدول كمصر وبعض دول الخليج العربي، أو عبر الدخول في علاقات جديدة ذات بعد عسكري².

بالإضافة إلى ما تمثله منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية كسوق كبيرة للأسلحة تدر عليها عوائد بمليارات الدولارات وبالتالي ضمان نفوذ كبير في المنطقة، إلا أنها - الولايات المتحدة الأمريكية - لا تكتفي بذلك، بل تعتمد على وجود

¹ المرجع نفسه، ص. 232.
² احمد فايق دلول، "صفقات السلام الأمريكي... الواقع والأهداف" الحوار المتمدن، العدد 2286، 19 ماي 2008، <<https://bit.ly/33kD84O>> (6 يونيو 2017)

عسكري مباشر ودائم عبر العديد من القواعد العسكرية المنتشرة في دول المنطقة وكذا في مختلف أنحاء العالم، خصوصا منطقة الخليج العربي تحسبا لأي تهديد محتمل لمصالحها الحيوية والاستراتيجية، وكذا لمنع ظهور أي منافسين في الآن ذاته¹.

الفرع الثاني: عقود التسليح الروسية مع دول المنطقة

إن قوة الصناعة العسكرية الروسية واحتفاظها بمكانة عالمية مرموقة كأحد أكبر منتجي ومصدري السلاح على المستوى العالمي جعلها في صدام وتنافس مع الولايات المتحدة الأمريكية، فبالرغم من تفوق روسيا عن الرتبة الأولى في سوق السلاح على المستوى العالمي إبان الحرب الباردة، إذ كانت تمثل حصتها من من تجارة السلاح عالميا ما يقارب 46%²، إلا أنها أصبحت اليوم المنافس رقم واحد للولايات المتحدة الأمريكية في سوق الأسلحة حسب تقارير معهد ستوكهولم للسلام الدولي وذلك لعدة عوامل منها:

- ارتفاع أسعار الأسلحة الأمريكية مقارنة بأسعار الأسلحة الروسية.
- تركيز روسيا كثيرا على صادراتها من الأسلحة لدول العالم لما تمثله من مورد مالي كبير ومهم للدخل القومي للبلاد وخاصة صفقات السلاح الموجهة لدول الشرق الأوسط، وهي بذلك لا تضع شروطا مسبقة سياسية أو إيديولوجية للحصول على السلاح الروسي عكس سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في مجال بيع السلاح الأمريكي التي تخضع لشروط قبل عقد أي صفقة عسكرية مع باقي دول العالم³، وفي إطار سعي روسيا الاتحادية إلى توثيق/تطوير علاقاتها مع دول الشرق الأوسط تقوم بعرض أسلحتها المتقدمة من طائرات حربية ودبابات حديثة وصواريخ عالية الدقة على دول المنطقة وخاصة الخليجية منها، وذلك بأسعار تنافسية إذا ما قارناها بالأسلحة الأمريكية المماثلة، إلا أن التقارب الكبير

¹ أشرق محمد كشك، "أمن الخليج في السياسة الأمريكية" مجلة السياسة الدولية، العدد 164، أبريل 2006، ص ص. 170-171.

² أنا تولى أوتكين، الاستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص. 119.

³ سعد شاكر، التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، مرجع سابق، ص. 98.

بين دول المنطقة والولايات المتحدة الأمريكية يحول دائماً ضد توطيد علاقات وعقد صفقات مع روسيا¹.

تشكل مبيعات الأسلحة الروسية في العالم نسبة 27%، من تجارة السلاح العالمية، وهي نسبة مهمة، إذ جعلها مباشرة بعد الولايات المتحدة الأمريكية التي تستحوذ على نسبة 36% من مبيعات السلاح العالمية – كما سبقت الإشارة إلى ذلك -، وتعمل روسيا على الدفع بصادراتها من الأسلحة وجعلها قادرة على المنافسة في سوق السلاح العالمية بهدف إخراج هذه الصناعة من تعثراتها التي تعود للحقبة السوفياتية، من خلال تحديث العتاد العسكري وتكنولوجيا الصناعات الدفاعية الروسية بما يكفي لمنافسة منظومة الإنتاج العسكري الضخمة الأمريكية.

تتظر روسيا الاتحادية إلى صادراتها العسكرية على أنها أداة رئيسية لتحقيق مصالحها الأمنية الوطنية، ولا سيما في شرق آسيا والشرق الأوسط، كما تعتبر تجارة الأسلحة جزءاً لا يتجزأ من صورتها كقوة عالمية تريد استعادة مكانتها العالمية وتصبح قوة مؤثرة في مناطق التنافس مع خصومها كمنطقة الشرق الأوسط التي تعد سوقاً مهماً للسلاح، بل تسعى روسيا كي تصبح المنافس الأول للولايات المتحدة الأمريكية مستغلة في ذلك ورقة صادرات السلاح².

بالإضافة إلى أن مسألة بيع الأسلحة والصناعات العسكرية من أكثر المسائل أهمية في روسيا، وذلك لما لهذه المسألة من عوائد كبيرة تساهم في الدخل القومي الروسي، إضافة إلى توفيرها العملة الصعبة التي هي بحاجة إليها، فضلاً عن تأمين فرص عمل لعشرات الآلاف من الخبراء والمتخصصين الروس، وهو أمر سيتمخض عنه ورود عملة أجنبية يمكن الاعتماد عليها في تحديث القاعدة الصناعية الحربية الروسية، وتغطية جزء من استثمارات وزارة الدفاع في مجال توريد الأسلحة إلى القوات المسلحة الروسية³.

¹ علي مفلح محافظة، العرب والعالم المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص. 232.
² سامح عباس، "أسرار وعودة السلاح الروسي لمنطقة الشرق الأوسط"، المنتدى العربي للدفاع والتسليح، 25 يناير 2011، <<https://bit.ly/2ZqBn4Z>> (8 ماي 2017)
³ عز الدين عبد الله أبو سهدانة، الاستراتيجية الروسية اتجاه الشرق الأوسط: 2000-2008 (دراسة حالة القضية الفلسطينية)، غزة جامعة الأزهر، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، 2012، ص. 100.

تعد منطقة الشرق الأوسط من أكبر المناطق في العالم تلقيا للسلاح الروسي، فقد تراوحت واردات المنطقة من السلاح الروسي بين 21 في المئة و 26 في المئة من مجمل ما تستورده دول المنطقة من عتاد عسكري، حيث تضم المنطقة عددا من أهم المشترين للعتاد العسكري الروسي، أولهم وأهمهم إيران وسوريا وبعض الدول الخليجية الأخرى.

كما تحظى الأسلحة الروسية بسمعة قوية في الشرق الأوسط، ويبدو ذلك هو السبب وراء زيادة تصديرها إليها، حيث حدد ديمتري شوجايف مدير الوكالة الاتحادية للتعاون العسكري الروسي حجم صادرات أسلحة بلاده للمنطقة بأكثر من ملياري دولار سنوياً¹.

لم تكن روسيا تنهج في سياستها اتجاه دول منطقة الشرق الأوسط منطق التدخل عسكرياً وبشكل مباشر كما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية، فقد عملت في السنين الأخيرة على تغيير تلك الصورة التي كانت تظهر الاتحاد السوفياتي سابقاً كقوة عسكرية مخيفة في المنطقة، وتحولت من سياسة العداء لقسم من دولها - منطقة الشرق الأوسط - وحليف لقسم لآخر، إلى سياسة اليد الممدودة ومد الجسور الدبلوماسية مع كل دول المنطقة، حتى في المجال العسكري الذي وصل إلى حد التعاون مع دول تعتبر تابعة للنفوذ الأمريكي خاصة منها دول الخليج وإسرائيل، ويقول مدير الشركة الروسية لتصدير السلاح: "إن الشرق الأوسط هو السوق الأهم بالنسبة لروسيا ويشمل التعاون العسكري مع العرب في كل المجالات" ولعل البارز في مجال دخول روسيا إلى أسواق بيع السلاح هو محاولات توسيع تعاونها مع دول عربية كانت على قطيعة مع الاتحاد السوفياتي السابق، ولهذه الغاية وقعت مجموعة كبيرة من الاتفاقيات في مجال تصدير الأسلحة مع دول الخليج العربي².

إلا أنه وبفضل التطورات والأحداث الدراماتيكية التي تمر منها منطقة الشرق الأوسط، وخوفاً على آخر مناطق نفوذ لروسيا في الشرق الأوسط بعد أن خسرت حليفاً مهماً كالعراق، عند السماح للولايات المتحدة الأمريكية بإسقاط نظام صدام حسين، فإن روسيا وخوفاً على سقوط النظام السوري - الحليف المهم في المنطقة - تدخلت عسكرياً

¹ "لماذا تتج روسيا في زيادة مبيعات أسلحتها في الشرق الأوسط؟"، *Made for minds DW*، 17 نوفمبر 2019، <<https://bit.ly/3k4NM6E>> (24 فبراير 2020)

² ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.. من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، مرجع سابق، ص 229-230.

سنة 2015 وبشكل مباشر، مما أنقذ النظام السوري من الانهيار الوشيك المدعوم من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، لتضع حدا لمسلسل فقدان الحلفاء الواحد تلو الآخر.

في إطار رغبة روسيا في استعادة حصتها من الأسواق العالمية، فهي تحاول جاهدة استعادة ما فقدته من مواقع في السابق، إضافة إلى العمل على دخول أسواق جديدة تسيطر عليها كبريات شركات السلاح الأمريكية وإحياء مبيعاتها من السلاح لدول الشرق الأوسط، ولذلك صممت على تدعيم علاقاتها العسكرية مع دول المنطقة وخاصة العربية منها¹، وهو ما عبر عنه نائب وزير الدفاع الأسبق ميخائيل ديميرييف بقوله "إن الشرق الأوسط سوق مهمة للغاية لروسيا... وأن روسيا في هذه المنطقة منذ سنوات وأنها تعتبر الاستثمار وتنمية إنجازاتها... وإن روسيا مستعدة لإمداد المنطقة بجميع احتياجاتها من الأسلحة الدفاعية وغيرها"².

إن ما تعرفه منطقة الشرق الأوسط في الوقت الحالي من تحولات وتغيرات في سياق ما عرف بالربيع العربي أثر بشكل كبير على صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في المنطقة، حيث استفادت موسكو بشكل أو بآخر من واقع التوترات التي عرفتها علاقة واشنطن ببعض من حلفائها في المنطقة كمصر والسعودية وتركيا، وحاولت روسيا اقتناص الفرصة وعقد صفقات تسلح مهمة على حساب الشركات الأمريكية، في محاولة لاستعادة قوة النفوذ الروسي في خمسينات وستينات القرن العشرين، وفيما يلي استعراض لأهم صفقات السلاح التي أبرمتها روسيا مع دول منطقة الشرق الأوسط، وكذا أهم زبائن روسيا في المنطقة رغم اعتماد دول المنطقة على السلاح الأمريكي بشكل كبير³.

أولا: إيران

على الرغم من أن إيران استوردت أسلحة أقل بكثير من الصين أو الهند، إلا أنها لا تزال ثالث أكبر مشتر لروسيا، والأول في منطقة الشرق الأوسط، حيث أن أكثر من 70%

¹ لمى مضر جريء الإمارة، المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة 1990-2003، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2005، ص. 146.

² المرجع نفسه، ص. 150.

³ أسعد عبد الرحمن، "موسكو وواشنطن.... تحولات في الأدوار"، مجلة الرأي، 16 فبراير 2014، <<https://bit.ly/3kaH1R0>> (20 ماي 2018)

من واردات الأسلحة الإيرانية تأتي من روسيا، وفقا لبيانات معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام¹.

وتقدر أرباح روسيا من التعاون العسكري مع إيران حوالي 13 مليار دولار، وخلال الفترة 2010-2014 شمل التعاون العسكري صفقات وقعت بين الجانبين لشراء الصواريخ المضادة للدبابات، والمنظومة الصاروخية Tor-M1، وطائرات مقاتلة SU-25UBT وطائرات "ميح 29" و طائرات سوخوي-24، ومروحيات النقل العسكري، بالإضافة إلى قطع غيار وصيانة لما يمتلكه الجيش الإيراني من دبابات روسية الصنع².

وقد وقعت إيران مع روسيا صفقات طويلة الأمد في الكرملين في مارس 2001 بين الرئيس الإيراني آنذاك محمد خاتمي والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، عندما وافق بوتين على بيع أسلحة تقليدية روسية إلى إيران بعد انقطاع دام ست سنوات، وقد شملت هذا الاتفاق مختلف أنواع الأسلحة، بما فيها الطائرات الحربية والمدرعات وأنظمة رادار وعتاد، وقال وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف، خلال زيارته الرسمية لموسكو في يوليو 2020، إن من المرجح أن تجدد إيران وروسيا "اتفاقهما لمدة 20 عامًا"، والذي ينتهي في مارس 2021³.

وعلى إثر الخلافات التي كانت بين الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وإيران حول ملفها النووي، وقعت الأخيرة سنة 2015 اتفاقا مع الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، والالتزام بقرار مجلس الأمن الدولي 2231، والذي يفرض ضرورة حصول طهران على إذن لشراء أي عتاد عسكري روسي قبل أكتوبر 2020. انسحبت الولايات

¹ Alla Kassianova, " Russian Weapons Sales to Iran, Why They Are Unlikely To Stop", PONARS Policy, Memo No. 427, December 2006, P. 2.

² فرح الزمان أبو شعير، "العلاقات الإيرانية الروسية شراكة حذرة تميز حلف الضرورة"، مركز الجزيرة للدراسات، 7 أكتوبر 2013، < <https://bit.ly/3hnhwd6> > (10 مارس 2017)

³ " After \$400B Deal With China, Iran Set To Ink 20-Year Agreement With Russia – Iran FM Javad Zarif", The Eurasian Times, July 21, 2020, < <https://bit.ly/3mbKEb1> > (Aug 12, 2020)

المتحدة الأمريكية سنة 2018 من الاتفاق النووي بدعوى عدم احترام إيران لبنود الاتفاق، فيما بقيت باقي الموقعة عليه¹.

وقد دعت الولايات المتحدة الأمريكية الأمم المتحدة إلى تجديد حظر الأسلحة المفروض على إيران والذي من المقرر أن ينتهي في أكتوبر، حيث زعم وزير الخارجية مايك بومبيو أن إيران ستكون قادرة على شراء طائرات مقاتلة روسية قادرة على ضرب روما أو وارسو إذا سمح بحدوث ذلك، وقد انتقدت روسيا والصين موقف الولايات المتحدة الأمريكية في فرض عقوبات بموجب صفقة لم تعد جزءا منها².

ومن المرجح أن لا يتم تمديد حظر الأسلحة المفروض على إيران في ظل عدم رغبة كل من روسيا والصين في ذلك، نظرا للخلافات في وجهات النظر وطرق التعامل مع هذا الملف، خصوصا أمام تعنت إدارة الرئيس ترامب، وكثرة الملفات الخلافية بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

كما تريد موسكو تقوية وتعزيز علاقاتها العسكرية مع الجانب الإيراني لعدة اعتبارات منها:

- ترى روسيا أن إيران حليفا مهما بمنطقة الشرق الأوسط وذلك بعد خسارتها لحليف مهم بالمنطقة كالعراق إثر الغزو الأمريكي للبلاد.
- تعد إيران بمثابة سوق رائجة للأسلحة الروسية خصوصا في ظل تدهور وتضرر علاقاتها مع العالم الغربي، الأمر الذي يتيح لروسيا توفير جزء معقول من السيولة لمواجهة المطالب والاحتياجات الاقتصادية، وإعادة تدوير وتشغيل آلتها العسكرية وتنشيط صناعة وتجارة السلاح الروسية.

¹ Franz-Stefan Gady, "Iran and Russia Negotiating \$10 Billion Arms Deal", *The Diplomat*, November 15, 2016, < <https://bit.ly/3hlSZFl> > (March 12, 2019)

² Edward Brown, "WW3 : Russia and Iran set to renew historic weapons deal amid US threats", *EXPRESS*, Jul 23, 2020, < <https://bit.ly/35vNTnJ> > (Aug 20, 2020)

• الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية وإجبارها على العدول عن فكرة نشر منظومة الدفاع الصاروخية الجوية المضادة للصواريخ الباليستية الروسية، وهو المشروع الذي تعارضه روسيا بشدة.

• تسعى موسكو لوضع حد لعزلتها المفروضة عليها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية من خلال سياسة التقرب من الجمهورية الإيرانية، حيث ترى روسيا أن التقارب مع إيران قادر على خلق موطئ قدم لها وتأكيد حضورها في منطقة الشرق الأوسط، وذلك لما تتمتع به إيران من تأثير ثقافي وحضاري في الكثير من دول المنطقة.

• تشكيل جبهة من الدول الحليفة للتصدي لمحاولات الهيمنة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، لذلك جاءت المساعي الجادة من الجانب الروسي للتقارب مع إيران والصين وتوثيق التعاون العسكري والاقتصادي.

• لعب ورقة الملف النووي الإيراني والاستفادة عن طريق المساومات السياسية لتحقيق أكبر قدر من المصالح في علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكذا مع الدول العربية للرفع من مبيعات الأسلحة.

لقد تحصلت موسكو على منافع غير مباشرة من احتلال الولايات المتحدة الأمريكية لأفغانستان والعراق، حيث استغلت انشغال الولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان والعراق وبدأت توسيع نفوذها فلجأت إلى إيران باعتبارها الخصم المناوئ للولايات.م.أ. والجسر الإقليمي الذي ينقلها إلى سوريا ولبنان وفلسطين، وقد أكملت موسكو العمل في مفاعل بوشهر للطاقة النووية، وأبرمت صفقة جديدة من أجل إنشاء مفاعلات نووية أخرى في إيران، بالإضافة لعقد صفقة لتصدير الأسلحة بمليارات الدولارات تتعهد بموجبها موسكو بتأمين قوارب خفر السواحل، وتحديث طائرات السوخوي 24 وطائرات الميغ الإيرانية وتزويدها بأسلحة للدفاع الجوي¹.

غير أن الولايات المتحدة الأمريكية دائماً ظلت تقف ضد أي تقارب روسي إيراني خصوصاً في مجال صفقات التسلح، وقد دعا الكونغريس الأمريكي في الكثير من المرات

¹ امجد جهاد عبد الله، التحولات الاستراتيجية في العلاقات الأمريكية الروسية، دار المهمل اللبناني، بيروت، 2011، ص. 116.

إلى فرض عقوبات على عدد من المؤسسات العسكرية الروسية بتهمة تسليم إيران تكنولوجيا عسكرية متطورة تمكنها من صناعة الصواريخ الباليستية¹.

ثانياً: العراق

يرتبط العراق بعلاقات تاريخية مع موسكو ترجع لأربعينيات القرن العشرين عندما أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفياتي، وقد ظلت العلاقات مستمرة حتى الغزو الذي قاده الولايات المتحدة عام 2003، والذي أطاح بصدام حسين أحد أكبر عملاء موسكو للأسلحة، وأصبح بذلك العراق خارج حدود صناعة الدفاع الروسية².

وقد صرح "رسلان بوخوف" مدير مركز "كاست" للدراسات الأمنية والدفاعية الروسي: "بعد سقوط صدام حسين بدا أننا فقدنا أكبر بلد مشتري للسلاح الروسي في الشرق الأوسط". قاومت موسكو لاستعادة نفوذها وحصلتها في أسواق الطاقة والسلاح في العراق وقد بدأت العلاقات بين العراق وروسيا تنشط بعد الانسحاب الأمريكي سنة 2011³.

لقد عاد التعاون في المجال العسكري سنة 2012 بالتوقيع على صفقة لشراء السلاح الروسي بأكثر من أربع مليارات دولار، يحصل العراق من خلالها على طائرات من "مي - 28 إن أي" التي يطلق عليها اسم "بصياد الليل" و42 منصة متحركة لإطلاق الصواريخ طراز بانتسير-اس 1، كما اتفق الجانبان على تدريب فوج من الخبراء العراقيين على استخدام مروحيات مي-35 في أحد المراكز التابعة للقوات الجوية الروسية، كما سيتم توقيع الحزمة الثانية من الاتفاقية لتوريد مقاتلات "ميغ 29 والمدركات"⁴.

كما أبرم العراق صفقة عسكرية مع روسيا سنة 2017 بلغت قيمتها نحو المليار دولار تشمل أنظمة صواريخ "بانتسير-إس 1 Pantsir-S1 الدفاعية وقاذفات دزيغيت Dzhigit المحمولة. وكان قد تسلم طائرات هجومية روسية من طراز "سوخوي سو-25"

¹ سامي ريجان، *العالم في القرن 21*، دار العلم للملايين، بيروت، 1998، ص. 258.

² Olesya Astakhova, "Iraq buys \$4.2 billion in Russian weapons-document", *REUTERS*, Octobre 9, 2012, < <https://reut.rs/2FoSD3I> > (March 20, 2017)

³ احمد بهاء الدين، "السلاح طريق روسيا لمزاحمة أمريكا بالشرق الأوسط"، *مجلة مصر العربية*، 20 فبراير 2014، < <https://bit.ly/33kC1SR> > (16 ماي 2017)

⁴ Olesya Astakhova, "Iraq buys \$4.2 billion in Russian weapons-document", op. cit.

Sukhoi Su-25 في يونيو، وآخر هذه الصفقات كان إبرام صفقة تسليح بقيمة 7 مليارات دولار مع الروس، تضم مقاتلات ميغ35، بالإضافة إلى تجهيز العراق بلواء مدرع متكامل¹.

رابعاً: دول الخليج العربي

نظراً لتوفرها على موارد مالية ضخمة، وبالنظر لإمكاناتها النفطية الهائلة، تبقى دول الخليج العربي من أكثر الدول في منطقة الشرق الأوسط استيراداً للأسلحة، في حقبة الاتحاد السوفياتي لم تكن دول الخليج العربي من زبائن السلاح السوفياتي، ولم تكن دوله حليفة لموسكو، إلا أنه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي تغير الوضع وأصبحت دول الخليج تعقد الكثير من صفقات التسليح مع الجانب الروسي خصوصاً في السنوات الأخيرة، حيث أصبحت دول الخليج العربي تحظى باهتمام كبير من الجانب الروسي، وذلك بهدف الرفع من مبيعات السلاح والتكنولوجيا العسكرية من خلال معارض السلاح الروسية في دول الشرق الأوسط، والتي غالباً تنتهي بعقد صفقات وعقود تسليح واتفاقيات دفاع مشترك مع الدول الخليجية وأبرزها:

• توقيع صفقات أسلحة خفيفة مع البحرين سنة 2011، وفي عام 2014 وقع الطرفان في موسكو على اتفاقية عسكرية يتم من خلالها توريد منظومات دفاعية متطورة لمملكة البحرين².

• كما وقعت روسيا على صفقة مع الإمارات العربية المتحدة تضمنت مدرعات من نوع BMP-3، وعتاد ومعدات عسكري خفيف وصواريخ مضادة للطائرات للدبابات³، لكن أهم صفقة أسلحة وقعت عليها روسيا مع الإمارات العربية المتحدة كانت صفقة تزود بموجبها بمنظومة دفاع جوي من نوع PANTSIRS-1، كما اتفق الطرفان على إطلاق قمر صناعي إماراتي بواسطة صاروخ روسي (بروتن-أم) عام 2009.

¹ "روسيا تتحدث عن مشروعها لتصدير السلاح للعراق في 2018"، مجلة بغداد بوست، 21 ديسمبر 2017، <<https://bit.ly/3bLNfUk>> (24 ماي 2018)

² محمد عمر، "صفقة بين البحرين وروسيا وسط عقوبات غربية"، مجلة الخبر الآن، 15 ديسمبر 2014، <<https://bit.ly/2Zr5pWo>> (15 ماي 2017)

³ سامح عباس، "أسرار وعودة السلاح الروسي لمنطقة الشرق الأوسط"، مرجع سابق.

• ووقعت صفقات دفاعية للاستحواذ على أكثر من 5.4 مليار دولار من الأسلحة والمعدات العسكرية خلال مؤتمر آيدكس 2019، على الرغم من الدعوات المستمرة لإنهاء الحرب في اليمن ، والتي تلعب فيها الإمارات دورا رائدا¹.

• شراء منفصل لأنظمة صواريخ Kernet-E الروسية المضادة للدبابات بقيمة 40 مليون دولار، وفقا لبيان صادر عن العميد الإماراتي محمد الحسني.

• التوقيع على صفقة أسلحة مع المملكة العربية السعودية أواخر سنة 2009، يتم بمقتضاها توريد أسلحة متطورة للسعودية بقيمة 2 مليار دولار، تضمنت الصفقة مجموعة من الأسلحة الدفاعية وصواريخ S-400 المضادة للطائرات، علما أنها ليست الصفقة الوحيدة في مجال التسلح بين البلدين²، إلا أن الصفقة لم تتم رغم وصولها للمراحل النهائية، كما جرى التباحث بين روسيا والسعودية للتوصل إلى صفقة سلاح تتجاوز 10 مليارات دولار لشراء دبابات وصواريخ روسية، هذا التقارب الدفاعي بين الروس والسعودية إن تم فإنه سينعكس على التقارب الأمريكي الإيراني الذي أقلق السعودية وروسيا وبعض حلفاء أمريكا في الشرق الأوسط³.

وفي سنة 2017 أجرت المملكة العربية السعودية وفقا للرئيس التنفيذي لشركة Rostec، محادثات مع روسيا مرة أخرى لشراء أنظمة الصواريخ S400، وجاء ذلك في أعقاب اتفاق ثنائي تم التوصل إليه خلال زيارة الملك السعودي سلمان بن عبد العزيز إلى موسكو في أكتوبر 2017، وهي أول زيارة لعاهل سعودي إلى روسيا، إلا أن الصفقة لم تتم مرة أخرى نظرا لضغوط أمريكية، كما ذكرت وكالة سبوتنيك الروسية أيضا أن المملكة العربية السعودية، ستضع اللمسات الأخيرة على صفقة لإنتاج بنادق كلاشينكوف روسية محليا بحلول نهاية فبراير 2019⁴.

¹ Adam Bensaid, "Russia is selling more Weapons to Saudi Arabia And the UAE", TRTWORLD, Feb 22, 2019, < <https://bit.ly/3iriBC0> > (April 4, 2019)

² ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا..من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، مرجع سابق، ص 237-238.

³ عبد الله ل هبضة "السعودية بوصلة التسلح نحو روسيا"، صحيفة العرب، العدد 15، 2013/11/9380، ص. 5.

⁴ Adam Bensaid, " Russia is selling more Weapons to Saudi Arabia And the UAE", op.cit.

تشعر واشنطن بقلق متزايد من تنامي النفوذ الروسي في الخليج، ومحاولة روسيا استمالة بعض الدول الخليجية والعربية وعقد صفقات تجارية معها، ومن الواضح أن الدول العربية تعمل على تنويع علاقاتها، وتهدف موسكو من ذلك تحقيق مزايا اقتصادية وسياسية، كما لا تمنع الخلافات الروسية السعودية مثلاً بشأن إيران البلدين من بناء علاقات براغماتية.

خامساً: علاقة روسيا بتركيا

ظلت أنقرة لأكثر من سبعة عقود واحدة من أكثر الحلفاء أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، واعتبرت بمثابة حائط صد ضد الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة، لذا ليس من قبيل المصادفة أن توصف العلاقات بين واشنطن وأنقرة بـ"الشراكة الاستراتيجية". إن أهمية موقع تركيا الجيوسياسي والاستراتيجي، وما تمثله لأمن الغرب والحلف الأطلسي قد سمح لهذه الشراكة بأن تظل ذات أهمية حيوية.

مع ذلك، اتخذت العلاقات بين الجانبين منحى متأرجحاً منذ محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا في يوليو 2016. وتُوج هذا المنحى المتأرجح وتَغْدَى مع وصول الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" لسدة الحكم. وبدا ظاهرياً أن العلاقات في طريقها لدخول مرحلة جديدة عنوانها الخلاف والتأزم، خاصة مع إبداء رغبة تركيا في شراء منظومة الدفاع الصاروخي S-400 الروسية، بعد رفض واشنطن بيع منظومة الدفاع الجوي الأمريكية باتريوت لتركيا.

وبالفعل وقعت تركيا في سبتمبر من عام 2017 اتفاقية شراء منظومة الدفاع الروسية الاس 400 التي تسببت في أزمة بالعلاقات بين تركيا والولايات المتحدة الأمريكية، وبدأت موسكو تسليم تركيا أول دفعة من المنظومة في يوليو من عام 2019¹.

وعلى الرغم من تهديدات الولايات المتحدة بفرض عقوبات مختلفة فإن أنقرة واصلت المفاوضات بشأن شراء منظومة الاس 400، وأعلنت رفضها التام لتقديم تنازلات

¹ Valerie Insinna and Joe Gould and Aaron Mehta, " Congress has secretly blocked US arms sales to Turkey for nearly two years", *Defense News*, August 12, 2020, <<https://bit.ly/2ZykbuV>> (Sabtembeer 4, 2020)

في هذا الصدد، وأفاد ممثل الولايات المتحدة الأمريكية لشؤون سوريا جيمس جيفري، أن شراء تركيا منظومة الدفاع الصاروخي الروسية S 400 هو العنصر الأساسي المثير للأزمة في العلاقات بين واشنطن وأنقرة، وقالت الولايات المتحدة الأمريكية إن نظام الدفاع الجوي الروسي S-400 في تركيا غير متوافق مع أنظمة الناتو، ويهدد قدرات التسلل للطائرات المقاتلة الجديدة للحلف¹.

وخلال مؤتمر صحفي لصندوق مارشال الألماني في واشنطن، شدد مستشار الخارجية الأمريكية لشؤون أوروبا وأوراسيا ماثيو بالمر، على أن مساعي تركيا لتعزيز وتوسيع نطاق التعاون مع روسيا وإبرام اتفاقيات في بعض القضايا بات يشكل مصدر قلق لدى الولايات المتحدة، قائلا: "وخصوصا فيما يتعلق بنطاق شراء المعدات العسكرية الروسية، أرى أن هذا الأمر لا يليق بحليف في الناتو وجعل تفاقم الخلاف بين تركيا والولايات المتحدة أمر محتوم لا مفر منه².

وبسبب هذا الخلاف تم استبعاد تركيا من برنامج المقاتلة الشبحية الأمريكية F-35 والتلويح بفرض عقوبات على أنقرة، إلا أن الأخيرة تجاهلت التهديدات الأمريكية، وحصلت بالفعل على الدفعة الأولى من منظومة الصواريخ S-400، وهي بصدد التفاوض على دفعة ثانية.

تجد روسيا في هذه الأزمة فرصة كبيرة للتقرب أكثر من تركيا، ومحاولة إحداث اختراق لعضو مهم في حلف الناتو عبر إبرام العديد من صفقات التسلح مع الجانب التركي، وقد سبق لروسيا أن عرضت على أنقرة التي دخلت في مشروع كبير لإنتاج طائرة حربية من الجيل الخامس محلية الصنع، استخدام المحرك الروسي الخاص بالطائرة المقاتلة SU-35، ومحاولة إقناع الجانب التركي باستخدام هذا المحرك في طائرته المحلية.

سادسا: علاقة روسيا بمصر

¹ Carlotta Gall, "Turkey Gets Shipment of Russian Missile System, Defying U.S", *The New York Times*, July 12, 2019, < <https://nyti.ms/3hxf0Br>> (December 12, 2019)

² Anton Kolodyazhnyy, Daren Butler, ' Russia hopes to agree new S-400 missile deal with Turkey next year', *REUTERS*, November 26, 2019, < <https://reut.rs/3bPRLBf>> (January 14, 2020)

بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، بدأت العلاقات المصرية الروسية تعرف نوعا من الديناميكية – بعد أن كانت تتسم بالقطيعة إبان الاتحاد السوفياتي - وبدأ نوع من التقارب بين الدولتين وعقد العديد من الاتفاقيات في محاولة من موسكو للتقرب للنظام المصري، حيث تم التوقيع على بيان حول مبادئ علاقات الصداقة والتعاون سنة 2001، وكذا برنامج طويل الأمد هدفه تطوير التعاون التجاري والاقتصادي والصناعي والعلمي والتقني بين الدولتين¹.

في الآونة الأخيرة بدأ يظهر بعض التقارب بين روسيا وجمهورية مصر خاصة في مجال التسليح، رغم كون العلاقة بين البلدين لم تصل حد التحالف الاستراتيجي بينهما، هذا التقارب بين الطرفين يدخل ضمن استراتيجية روسية كبرى تهدف إيجاد/اختراق أسواق جديدة للسلاح الروسي في منطقة الشرق الأوسط، هذا التقارب بدأ واضحا منذ سنة 2011 عند قيام الشركة الروسية " روس بورون اكسبورت" العاملة في مجال السلاح بتقديم عرض يخص طائرات الميج القتالية لوزارة الدفاع الروسية، وقد تم الاتفاق بين الطرفين على توريد أسلحة بقيمة أكثر من 1.5 مليار دولار لشراء أنظمة للدفاع الجوي ومروحيات بين سنتي 2011 و2012.

وعلى الرغم من تلقيها مليارات الدولارات من المساعدات العسكرية الأمريكية، فقد وقعت مصر بعض الصفقات الكبيرة مع روسيا في السنوات الأخيرة للطائرات والمروحيات وتقول موسكو إنها تريد فعل المزيد، وتمضي روسيا قدما في صفقة أسلحة جديدة بمليارات الدولارات مع شريك أمريكي، مما يمثل تحديا جديدا لإدارة ترامب، حيث تعاقدت القوات الجوية المصرية عام 2019 على شراء 24 مقاتلة جوية روسية الصنع من طراز Su-35 بصفقة تقدر قيمتها بحوالي 2 مليار دولار تشمل المقاتلات والتجهيزات الخاصة بها.

حذر مسؤول كبير في وزارة الخارجية مصر من التسليم الوشيك لعشرات الطائرات الحربية الروسية من طراز Su-35، في إشارة واضحة إلى أن انتصارات موسكو مع حكومة الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي تؤدي ثمارها، تسلط صفقة Su-35 الضوء

¹ س.غ لوزيانين، عودة روسيا إلى الشرق الكبير، مرجع سابق، ص. 70.

على التنسيق العسكري الوثيق بين موسكو والقاهرة، حتى مع جني مصر 1.3 مليار دولار من المساعدات الأمنية من واشنطن كل عام¹.

وقال مساعد وزير الخارجية للشؤون السياسية والعسكرية آركلارك كوبر للصحفيين في معرض دبي للطيران إن تسليم 20 طائرة مقاتلة من طراز " Su-35 يعرضهم لخطر العقوبات ويعرضهم لخطر فقدان عمليات الاستحواذ المستقبلية "وأضاف أن "القاهرة تدرك ذلك بوضوح"².

أي تقارب جديد في مجال التسلح بين مصر وروسيا لا يمكنه أن يأتي على النفوذ الأمريكي أو يلغيه، لأن كل الأنظمة العسكرية التي تعتمد عليها مصر تقريباً أمريكية، لذلك من المستحيل حصول تغيير مطلق وجذري في الترسانة العسكرية المصرية، لأن أساس التسليح المصري أمريكي المنشأ ولا يمكن أن يعمل السلاح الروسي مع أنظمة أمريكية، وعملية التحول من السلاح الأمريكي للسلاح الروسي لا شك تتطلب الكثير من الوقت، ولا يوجد كذلك أي مسعى مصري أو خطط لهذا التحول، لذلك فمساعي روسيا للعودة والصراع والتنافس على النفوذ في منطقة الشرق الأوسط يقابله حضور قوي للنفوذ الأمريكي يصعب إلغاؤه بسهولة وفي وقت قصير.

أدت أدوار روسيا المستجدة في منطقة الشرق الأوسط وخاصة منها تلك المتعلقة بصفقات التسلح مع دول المنطقة إلى تزايد منسوب قلق الولايات المتحدة الأمريكية من محاولاتها لإثبات نفسها وحماية مصالحها في الساحة الدولية والشرق أوسطية، هذا التوجه الجديد وهذه النزعة الروسية فطن لها وحذر منها الكثير من المحللين السياسيين الأمريكيين كبريجينسكي الذي قال "للأسف ما زال النبض الإمبراطوري في روسيا يزداد بقوة"، وأن دور روسيا يزداد يوماً بعد يوم في الساحة الدولية في تأكيد واضح على حضورها في الكثير من القضايا والأحداث العالمية³.

¹ PAUL MCLEARY and ARIE EGOZI, "US Threatens Egypt With Sanctions For Russian Arms Deals", *Breaking Defense*, November 19, 2019, < <https://bit.ly/2RdgTlu> > (December 15, 2019)

² Ibid.

³ امجد جهاد عبد الله، التحولات الاستراتيجية في العلاقات الأمريكية الروسية، مرجع سابق، ص. 132-133.

تستخدم روسيا في سبيل تطلعاتها المتزايدة للعب دور كبير ومحوري في العالم قوتها في مجال الصناعات الحربية، ومنطقة الشرق الأوسط من بين أهم المناطق الاستراتيجية التي أصبحت تهتم بها موسكو لزيادة مبيعاتها من السلاح، وسيبقى هذا التوجه حتى في المستقبل وذلك للفرص الكبيرة التي تتيحها المنطقة، فالدخول من باب السلاح واتفاقيات التسلح مع دول المنطقة من أجل التأثير على المستوى السياسي نهج روسي تزايدت وتيرته في السنوات الأخيرة.

لذا فإن روسيا تأمل من خلال صفقات السلاح مع الدول داخل منطقة الشرق الأوسط أن تشكل عنصرا هاما في إعادة إحياء الدور المؤثر لروسيا في الساحتين الإقليمية والدولية.

إذ أن مبيعات الأسلحة ليست مجرد مكاسب مالية فقط، وإنما هي أداة للسياسة الخارجية التكتيكية لدى الدولة الروسية لممارسة النفوذ السياسي، وتغيير ديناميكية توازن القوى، ففي ديسمبر 2013 قال نائب رئيس الوزراء ديمتري روجوزين إن مبيعات الأسلحة الروسية هي أهم عنصر في علاقات موسكو مع الدول الأخرى، وهدف موسكو الرئيسي هو بقاء النظام الذي يتطلع لتحقيقه من خلال الحد من النفوذ الغربي، والذي يتعارض مع المصالح والقيم الغربية ومنه في منطقة الشرق الأوسط¹.

إلا أن رغبة موسكو في تعزيز نفوذها في منطقة الشرق الأوسط عن طريق صادرات السلاح يقابل بنفوذ أكبر للولايات المتحدة الأمريكية في مجال التسليح، وهذا توضحه قيمة الصفقات المبرمة التي يقوم بها كل طرف مع دول منطقة الشرق الأوسط، وهو ما يعني أن ميزان القوى ما زال يميل لصالح الولايات المتحدة الأمريكية².

إن الرغبة في الحفاظ على المزايا والمصالح السياسية والاقتصادية وتطويرها لكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، جعل الطرفين يدخلان في صراع نفوذ محتدم يهدف كل طرف من خلاله تعظيم مصالحه ومكاسبه على حساب

¹ Theodore Karasik and Stephen Blank, " Russia in The Middle East", *The JAMESTOWN Foundation*, 2018, P. 196.

² سامح عباس، "أسرار وعودة السلاح الروسي لمنطقة الشرق الأوسط"، مرجع سابق.

الطرف الثاني، مما أّجّ المواجهة بين الطرفين وظهور أبعاد أخرى لصراع النفوذ الروسي-الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط.

الفصل الثاني: أبعاد صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط

إن مكانة الشرق الأوسط وتأثيره على القوى الاقتصادية العالمية، لما يتمتع به من أهمية بسوق النفط والغاز الطبيعي، وكونه سوقا استهلاكية كبرى خاصة في ما يتعلق بتجارة السلاح...، أجد صراع النفوذ بالمنطقة بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على المستويين السياسي والدبلوماسي والاقتصادي كما رأينا سابقا.

وقد سعى الطرفان إلى حماية تلك المصالح وتوسيع دائرة نفوذهما، مما قادهما إلى اعتماد كل الوسائل المتاحة في سبيل تحقيق الغاية المنشودة، ومنها التدخل العسكري في المنطقة ودعم أطراف النزاع في مختلف مناطق الشرق الأوسط، الأمر الذي ساهم في ظهور أبعاد أخرى.

المبحث الأول: البعد الأمني العسكري لصراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط.

المبحث الثاني: البعد الجيوبوليتيكي لصراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط.

المبحث الأول: البعد الأمني العسكري للصراع الروسي الأمريكي في المنطقة

يعتبر البعد الأمني العسكري الأقل حضوراً في علاقة صراع النفوذ الدائرة بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، مقارنة بمظاهر الصراع الأخرى _ الاقتصادية والسياسي الدبلوماسي _ وذلك لخطورة حضور هذا البعد في علاقات الصراع بين الطرفين، وصعوبة التكهن بمآلاته، وإمكانية حصول احتكاكات قد تؤدي إلى اصطدامات مباشرة ومسلحة بين الطرفين، إلا أنه رغم صعوبة هذا الوضع، فهو يبقى حاضراً في منطقة الشرق الأوسط خاصة في النزاع السوري.

حضور هذا البعد في صراع النفوذ بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، يعززه/يزكيه انتشار وتدخل عسكري في المنطقة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا (مطلب الأول)، وكذا تحركات الطرفين على الأرض المنذرة بخطر المواجهة (مطلب الثاني).

المطلب الأول: الانتشار والتدخل العسكري في المنطقة

تحتوي منطقة الشرق الأوسط العديد من القواعد العسكرية الأجنبية، كما تعرف انتشاراً كبيراً لقوات عسكرية من مختلف الجنسيات، وتبقى الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول تواجداً وتدخلها عسكرياً في الشرق الأوسط (الفرع الأول)، إضافة إلى دول أخرى كبريطانيا وأستراليا، لكن السنوات الأخيرة عرفت عودة خصم قديم جديد إلى منطقة الشرق الأوسط متمثلاً في روسيا، - وريثة الاتحاد السوفياتي سابقاً - وفي إطار صراع النفوذ والمصالح الدائر بين الطرفين على أصعدة عديدة، سعت روسيا إلى أن يكون لها تواجد عسكري شبه دائم في المنطقة (الفرع الثاني).

الفرع الأول: التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة

تحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بما يقرب من 800 قاعدة عسكرية في أكثر من 70 دولة ومنطقة في الخارج، وعلى النقيض من ذلك، تمتلك بريطانيا وفرنسا وروسيا حوالي 30 قاعدة أجنبية مجتمعة¹.

وقد عرفت منطقة الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة تزايد وتيرة بناء وإقامة قواعد عسكرية غربية في عدد من الدول العربية والإسلامية بالمنطقة، وتقيم الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها قواعد عسكرية في عدد من دول المنطقة لعقود من الزمن مع ما لا يقل عن 60000 جندي، يتمركزون حالياً في جميع أنحاء المنطقة وفقاً للقيادة المركزية الأمريكية².

تتوزع القواعد والتواجد العسكري الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط على مجموعة من دول المنطقة :

الفقرة الأولى: منطقة الخليج

تمتلك دول غربية عديدة قواعد عسكرية في منطقة الخليج، حيث تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية العدد الأكبر من القواعد العسكرية، في حين تضم الكويت أكبر عدد من الجنود الأميركيين في الخليج.

وتستضيف قطر أكبر قاعدة عسكرية أمريكية خارج الولايات المتحدة الأمريكية، وهي قاعدة العُديد، في وقت يتمركز فيه الأسطول الخامس الأميركي في البحرين .

ووفق معطيات نشرتها مجلة واشنطن بوست يناير 2020، فإن عدد الجنود الأميركيين العاملين لصالح وزارة الدفاع الأميركية في الكويت يبلغ 13 ألفاً،

¹ Davide Vine, " Where in the World Is the U.S. Military?", *Politico Magazine*, July/August, 2015, <<https://www.politico.com/magazine/story/2015/06/us-military-bases-around-the-world-119321>> (July 3, 2018)

² Rashaan Ayesha, " Where U.S. troops and military assets are deployed in the Middle East", *Axios*, January 8, 2020, < <https://www.axios.com/where-us-troops-deployed-middle-east-5e96fdb2-c7ba-4f26-90b4-7bf452f83847.html>> (May 15, 2020)

وفي الإمارات 5000 فردا، والبحرين 7000، والأردن 3000، والسعودية 3000، وسلطنة عمان 606، وسوريا 800، والعراق 6000، وتركيا 2500، وقطر 13 ألف جندي أمريكي¹.

وجاء تأسيس هذه القواعد وانتشار تلك القوات بموجب اتفاقيات دفاعية.

ومنذ حرب الخليج الثانية عام 1990، زاد الوجود العسكري الأمريكي في الخليج وأصبح أكثر عدداً وأوسع انتشاراً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية ثم الحرب على العراق عام 2003.

واستخدمت واشنطن تلك القواعد في عملياتها العسكرية آنذاك، ثم في الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية منذ العام 2014.

❖ البحرين :

تضم القواعد الأمريكية بالبحرين أكثر من 7000 جندي أمريكي، معظمهم من القوات البحرية، و تتمركز القوات في قاعدة الشيخ عيسى الجوية وميناء خليفة بن سلمان².

وتعد البحرين مقراً للأسطول البحري الخامس الأمريكي، الذي تشمل عملياته منطقة الخليج وخليج عمان وبحر العرب وخليج عدن والبحر الأحمر، وأجزاء من المحيط الهندي حيث يتمركز في منطقة "الجفير" شرق العاصمة المنامة، ويعتبر تأمين منطقة الخليج الفارسي في البحرين، والتي تمر عبر مياهاها قرابة نصف الإمدادات النفطية للعالم أحد مهام الأسطول³.

¹ Miriam Berger, "Where U.S. troops are in the Middle East and Afghanistan, visualized", *washingtonpost*, January 5, 2020, < <https://wapo.st/2NUzHKU> > (July 3, 2020)

² CRS Report prepared from Members and Committees of Congress, "Bahrain : Unrest, Security, and U.S. Policy", *Congressional Research Service*, June 26, 2020, <<https://fas.org/sgp/crs/mideast/95-1013.pdf>> (May July 3, 2020)

³ "القواعد العسكرية الغربية في الشرق الأوسط"، شبكة الجزيرة الإعلامية، 19 فبراير 2018، <<https://bit.ly/3eWoG81>>، (3 يونيو 2018)

❖ الإمارات:

يوجد بها أكبر عدد من القواعد لدول مختلفة، حيث تضم قواعد لثلاث دول، هي الولايات المتحدة وفرنسا وأستراليا.

تستضيف الإمارات حوالي 5000 جندي أمريكي بموجب اتفاق تعاون دفاعي، كما أن العلاقات الأمنية بين الولايات المتحدة والإمارات قوية، وتعتبر قاعدة الظفرة الجوية في أبو ظبي مركز الوجود الرئيسي للقوات الأميركية في الإمارات، لم يتم الاعتراف بوجود هذه القاعدة علنا حتى عام 2017، وتعتبر القاعدة الأكثر ازدحاما في العالم لرحلات المراقبة¹.

حيث تتمركز الطائرات الأمريكية بدون طيار، والطائرات المقاتلة F35، ويمتلك الجيش الأمريكي قوات أيضا في ميناء "جبل علي" بدبي، الذي تستخدمه قوات مشاة البحرية الأميركية (مارينز). وتوجد فيها قاعدة جوية ومستودعات متعددة لأغراض الدعم اللوجستي².

❖ الكويت:

حافظت الولايات المتحدة الأمريكية على اتفاقية تعاون دفاعي مع الكويت منذ حرب الخليج الثانية عام 1992³، تقدم الكويت بمقتضاه تسهيلات للقوات الأميركية، كما توفر لها قواعد تمرکز جوية وبرية ومستودعات تخزين للمعدات والعتاد، وتتمتع الكويت بمكانة حلف رئيسي للولايات المتحدة الأمريكية من خارج حلف شمال الأطلسي، فمنذ عام 2011 تهدف القوات الموجودة في الكويت إلى دعم عملية "Spartan Shield"⁴ وهي مهمة لردع العدوان الإقليمي واستقرار البلدان داخل المنطقة.

¹ Matthew Wallin, " U.S. Military Bases and Facilities in the Middle East", *American Security Project*, June, 2018, <<https://bit.ly/3iu30IA>> (May 22, 2019)

² " A look at foreign military bases across the Persian Gulf", *Wtopnews*, Sebyember 3, 2019, <<https://bit.ly/2C1HV1o>> (March 10, 2020)

³ Katzman Kenneth, " Kuwait: Governance, Security, and U.S. Policy", *Congressional Research Service*, Fabrury 19, 2016, <<https://bit.ly/33QOboa>>, P. 9. (July 20, 2019)

⁴ Ibid.

يوجد بالكويت أكبر عدد من الجنود الأمريكيين في الخليج، وهم حسب آخر المعلومات المقدمة من طرف الواشنطن بوست كما سبقت الإشارة إلى ذلك حوالي 13 ألف جندي أمريكي، يتمركزون في قاعدتين، هما معسكر الدوحة شمال غرب مدينة الكويت – 60 كيلومتر من الحدود مع العراق، ومعسكر "عريفجان" بالجنوب.

❖ سلطنة عمان:

تحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بالقدرة على استخدام القواعد العمانية من خلال اتفاقية الوصول إلى المرافق العمانية التي وقعتها واشنطن مع السلطنة عام 1980، وتم تجديدها مؤخرا في عام 2010¹، جعل هذا الاتفاق عمان الدولة الأولى بين دول الخليج الفارسي التي تشارك بشكل واضح مع الولايات المتحدة الأمريكية عسكريا وفقا للولايات المتحدة الأمريكية².

تقدم سلطنة عمان وفق الاتفاق السالف الذكر تسهيلات عسكرية، للقوات الأمريكية عبر استخدام المرافق والمطارات العمانية لأغراض عسكرية.

❖ السعودية:

تعتبر السعودية من أهم المراكز الأمريكية في منطقة الخليج العربي، وقد بدأ التواجد العسكري الأمريكي في المملكة مع عملية عاصفة الصحراء 1991 سنة غزو العراق للكويت، حيث استضافت عددا من القواعد العسكرية الأمريكية شبه الدائمة، هدفت إلى إخراج القوات العراقية من الكويت.

وقد شكل التواجد العسكري الأمريكي في السعودية، إمكانية مهمة للقوات الأمريكية أثناء غزو العراق سنة 2003، حيث قامت 300 طائرة حربية أمريكية مختلفة الأصناف بدك العراق انطلاقا من تلك القواعد، وسمح لها بالتالي بحرية الحركة في الأجواء

¹ "U.S. Relations With Oman", U.S. Department of State, November 27, 2019, <<https://www.state.gov/u-s-relations-with-oman/>> (July 20, 2020)

² Katzman, Kenneth, "Oman: Politics, Security, and U.S. Policy", Congressional Research Service, June 17, 2020, <<https://fas.org/sgp/crs/mideast/RS21534.pdf>> P. 15. (July 4, 2020)

السعودية، وبالقيام بعمليات التقصي والإنقاذ، كما سمح لقوات العمليات الخاصة الأمريكية وغيرها أن تنطلق من الجوف في شمال السعودية باتجاه العراق.

وتستخدم القوات الأمريكية العديد من القواعد الجوية السعودية مثل قاعدة الأمير سلطان الجوية، وقاعدة الملك عبد العزيز بالظهران، وقاعدة الملك خالد بالرياض، وقاعدة خميس مشيط وتبوك والطائف¹.

تقلص الوجود العسكري الأمريكي في السعودية بعد أبريل 2003، بانتقال القيادة المركزية للقوات الجوية الأمريكية من قاعدة الأمير سلطان الجوية إلى قاعدة العديد في قطر، في حين بقي عدد من الجنود ضمن مهام التدريب والتعاون العسكري.

ومع زيادة التوتر بين واشنطن وطهران خصوصا بعد مقتل الجنرال قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، والرجل المهم في سياسات طهران الخارجية بالمنطقة في يناير 2020 إثر ضربة جوية بالقرب من مطار بغداد، كانت قد قررت الإدارة الأمريكية للرئيس ترامب زيادة التواجد العسكري الأمريكي، استعدادا للقضاء على أي هجوم إيراني ضد القوات الأمريكية أو ضد المملكة العربية السعودية².

❖ قطر:

تضم قطر قاعدتين أمريكيتين، واحدة تعتبر أكبر موقع عسكري أمريكي في الشرق الأوسط؛ وهي قاعدة "العديد" الجوية القادرة على استضافة أكثر من 10000 جندي في اليوم الواحد، مما يعطي انطبعا على حجم وإمكانات هذه القاعد الضخمة في الشرق الأوسط³.

تقع قاعدة العديد على بعد 30 كلم جنوب غرب العاصمة الدوحة، وهي أكبر قاعدة جوية أميركية خارج الولايات المتحدة الأمريكية، يتمركز بها نحو 11 ألف عسكري،

¹ US Military Bases in Saudi Arabia, *Military bases*, <<https://bit.ly/36VLFPq>>, (March 10, 2019)

² Lolita C . Baldor, US expands troop, fighter jet presence at Saudi base, *MilitaryTimes*, January 29, <<https://bit.ly/3dgsEs1>> (20 March 2020)

³ Adam Taylor, As Trump tries to end 'endless wars,' America's biggest Mideast base is getting bigger, *The Washington Post*, <<https://wapo.st/32BKuCz>> (July 25, 2019)

غالبيتهم من سلاح الجو، وتضم المقرات الرئيسية لكل من القيادة المركزية للقوات الجوية، والمركز المشترك للعمليات الجوية والفضائية، والجناح الـ 379 للبعثات الجوية¹.

ويوجد فيها أكثر من 120 طائرة وقاذفات بي1 وطائرات استطلاع وقاذفات بعيدة المدى، مثل بي52، وطائرات تموين بالوقود في الجو، بجانب وحدات دعم وإسناد ومخازن أسلحة وذخيرة.

كما تعد القاعدة مقرا للمجموعة 319 الاستكشافية الجوية، التي تضم قاذفات ومقاتلات وطائرات استطلاعية، إضافة إلى دبابات ووحدات الدعم العسكري وكميات من العتاد والآلات العسكرية المتقدمة، لذا يعتبرها عسكريون أكبر مخزن إستراتيجي للأسلحة الأميركية في المنطقة².

و تضم قاعدة العديد أطول ممر للهبوط الجوي في منطقة الخليج بطول خمسة كيلومترات. وتستخدم واشنطن هذه القاعدة، التي تمثل أكبر وجود عسكري لها بالشرق الأوسط، في حربها على تنظيم الدولة بسوريا والعراق وأفغانستان³.

وبدأ الأميركيون في إدارة القاعدة عام 2001، ووقعت الدوحة وواشنطن في ديسمبر 2002 اتفاقا يعطي غطاء رسميا للوجود العسكري الأميركي في قاعدة العديد.

وتمتلك الولايات المتحدة الأميركية قاعدة ثانية بقطر؛ وهي قاعدة "السييلية" وتقع جنوب الدوحة، وتم افتتاحها عام 2000، وكانت مركزا للقيادة الوسطى الأميركية أثناء الحرب على العراق عام 2003، وتستخدم مستودعا للمعدات العسكرية.

الفقرة الثانية: دول خارج المنظومة الخليجية

من أهم الدول التي تتوفر على قواعد عسكرية أمريكية من غير دول الخليج؛ نجد العراق وسوريا، الدولتان الأكثر اضطرابا في المنطقة.

¹ القواعد العسكرية الغربية في الشرق الأوسط، موسوعة الجزيرة، 20 دجنبر 2017 <<https://bit.ly/3fCdNrg>>، 6) أكتوبر (2019)

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه.

❖ العراق:

بدء انتشار القوات الأمريكية في المملكة العربية السعودية رداً على عدوان صدام على الكويت، حيث كانت بداية التدخل العسكري المباشر في العراق مطلع سنة 1991 حيث شنت الولايات المتحدة الأمريكية عملية عاصفة الصحراء، وهي الحملة الجوية الهائلة ضد العراق والتي دمرت بسرعة كل قواته المسلحة وبنيتة التحتية، والتي استعرض فيه الجيش الأمريكي معداته العسكرية عالية التقنية، ولاسيما قاذفاته الشبحية وصواريخ توماهوك وكروز والعديد من القنابل الذكية الموجهة بدقة عالية، وفي أعقاب هذه الحملة الجوية أطلق الجيش الأمريكي حملة برية سميت عملية صابر الصحراء، واستمرت 100 ساعة فقط¹.

لا يزال الجيش الأمريكي يحتفظ بوجود قوات في العراق ولا يزال نشطا في ذلك البلد؛ فعلى مدى السنوات الـ 17 الماضية، حافظت الولايات المتحدة الأمريكية على وجود عسكري في العراق. فقد كانت بداية التواجد العسكري الأمريكي في العراق في مارس 2003، حيث انتشر عشرات الآلاف من القوات الأمريكية في العراق لمعركة الإطاحة بصدام حسين.

يقدر العدد الرسمي للقوات الأمريكية في العراق بنحو 5200 جندي²، وتتمركز القوات الأمريكية في العديد من القواعد المنتشرة في مختلف المناطق من العراق، منها قاعدة أبوغريب، والتي تعتبر قاعدة العمليات الأمامية، وهي واحدة من أولى القواعد العسكرية التي أنشأتها الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وتبعد عن وسط بغداد بحوالي 35 كيلومتر، إضافة إلى قاعدة "بلد" للعمليات المشتركة، وكذا قاعدة "النصر" وتقع حول مطار بغداد الدولي، ومعسكر قاعدة مشاة البحرية في الفلوجة، والعديد من القواعد الأخرى والتي يقدر عددها بحوالي 12 قاعدة عسكرية³.

¹ Paul Iddon, "The U.S. Military Has Been Engaged In Iraq For 30 Years Now ", *Forbes*, Aug 3, 2020, <<https://bit.ly/2PuzJKx>> (August 7, 2020)

² Nafiseh Kohnavard, "Iraq military bases: US pulling out of three key sites", *BBC NEWS*, March 16, 2020, <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-51914600>> (August 7, 2020)

³ "-US Military Bases in Iraq", *MILITARY BASES*, <<https://militarybases.com/overseas/iraq/>> (August 7, 2020)

وقد بدأت القوات الأمريكية المتواجدة في بعض القواعد العسكرية بالعراق في الآونة الأخيرة* بعمليات انسحاب، قال المتحدث باسم التحالف الدولي العقيد مايلز كاغينز إن عمليات الانسحاب مخطط لها من قاعدتين في غرب العراق، منها قاعدة نينوى في الموصل ومطار التقدم العسكري خارج مدينة الحبانية على نهر الفرات¹.

ويحذر محللون من أن عمليات الانسحاب هذه لن يؤدي إلا إلى تقوية فلول الدولة الإسلامية التي تقول الولايات المتحدة الأمريكية إن قواتها موجودة على الأرض لمكافحتها.

وقد أصبح وجود القوات الأجنبية ومنها الأمريكية في العراق، موضع تساؤل أكثر من أي وقت مضى منذ صعود الدولة الإسلامية في عام 2014، حيث تريد الميليشيات والسياسيون المدعومون من إيران مغادرة القوات الأمريكية لتعزيز نفوذ إيران، ويريد العديد من المتظاهرين المناهضين للحكومة، الذين كانوا يملؤون شوارع العراق منذ شهور خروج الولايات المتحدة الأمريكية وإيران لإصلاح النظام السياسي الفاسد والطائفي. بعد الغزو الذي قاده الولايات المتحدة عام 2003².

❖ سوريا:

تعتبر النقاط العسكرية الأمريكية في سوريا قواعد ارتكازية مهمتها دعم قوات "سوريا الديمقراطية" في عملياتها العسكرية ضد ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية. وحسب التقارير الاستخباراتية، فالنقاط الارتكازية العسكرية الأمريكية في سوريا تخضع لسيطرة الأكراد.

وأهم هذه النقاط هناك قاعدة كوباني أو عين العرب بريف حلب الشمالي، وتضم حوالي 300 جندي وخبير عسكري أمريكي، وغير بعيد عن قاعدة كوباني هناك قاعدة تل أبيض على الحدود السورية مع تركيا وتضم حوالي 200 جندي أمريكي، وغير بعيد عن

* في أواخر سنة 2019، ومطلع سنة 2020، حيث شنت السنتين سحب مجموعة من القوات المتمركزة في بعض القواعد العسكرية الأمريكية بالعراق، وكذا إعادة تمركز البعض منها.

¹ Samya Kullab, "U.S. pulls out of a third base in Iraq", *Military Times*, March 29, 2020, <<https://www.militarytimes.com/news/your-military/2020/03/29/us-pulls-out-of-a-third-base-in-iraq/>> (August 7, 2020)

² Miriam Berger, "Invaders, allies, occupiers, guests: A brief history of U.S. military involvement in Iraq", *The Washington post*, Jan 11, 2020, <<https://wapo.st/30Taoje>> (March10, 2020)

الحدود السورية-العراقية توجد قاعدة رميلان شرق القامشلي، والتي تم انشاؤها في خريف العام 2015 وتستقبل طائرات أمريكية وخبراء وجنود أمريكيان، وقاعدة عين عيسى في شمال سوريا وتضم حوالي 100 جندي أمريكي، وقاعدة المبروكة غرب مدينة القامشلي وقاعدة خراب عشق غرب مدينة عين عيسى وقاعدة تل بيدر شمال محافظة الحسكة¹.

وقد كشفت وكالة الأناضول التركية عن مواقع القواعد العسكرية للقوات الأمريكية والفرنسية في سوريا، والتي تتمركز في المناطق التي تسيطر عليها الميليشيات الكردية شمال سوريا، فيما أعربت واشنطن عن غضبها لما نشرته الوكالة، ولفتت إلى أن مثل هذه القواعد الميدانية يجري دائما إخفاؤها بصورة جيدة لأسباب أمنية، مما يصعب تحديد مواقع وجودها.

كما تستخدم القوات الأمريكية المباني السكنية ومعسكرات ميليشيات قوات "سوريا الديمقراطية" والمصانع المتنقلة كمراكز للقيادة، وقالت "الأناضول" إن "القوات الأمريكية وبغرض ضمان أمن هذه المواقع العسكرية، تعلن في محيطها ما يسمى بـ"الأراضي المحظورة".

وتحتضن هذه المواقع العسكرية التي يبلغ عددها 8 حسب معلومات الوكالة، عسكريين معنيين بتنسيق عمليات القصف الجوي والمدفعي للقوات الأمريكية، وضباط مسؤولين عن تدريب الكوادر العسكرية الكردية، وضباط مختصين في تخطيط العمليات وكذلك، وحدات عسكرية للمشاركة في أعمال قتالية مكثفة حسبما نقله موقع "روسيا اليوم" عن الوكالة².

أما المعدات العسكرية التي تم نشرها في هذه المواقع، فتشمل بطاريات مدفعية ذات قدرات عالية على المناورة، ومنظومات لراجمات الصواريخ، والمعدات المتنقلة لتنفيذ

¹ عادل دلال، مناطق تواجد القوات الأجنبية في سوريا وأبرز قواعدها العسكرية، مجلة أورو نيوز، 10 أكتوبر 2019، <<https://bit.ly/2DRdJHA>> (12 دجنبر 2019)

² 10 قواعد أمريكية في سوريا.. وغضب أمريكي من التسريب، مجلة وطن، 16 غشت 2020، <<https://watan.fm/news/syria-news/41863>> (12 يوليو 2020)

عمليات الاستطلاع وعربات مصفحة مثل مدرعات "Stryker" للقيام بدوريات وضمان أمن هذه المراكز¹.

يبقى من غير الواضح إلى متى سيبقى الجيش الأمريكي في العراق وسوريا، إلا أنه على الأقل في المستقبل المنظور سيظل الجيش الأمريكي منخرطاً في العراق وسوريا بطريقة أو بأخرى، خصوصاً أمام التحركات الإيرانية ورغبتها في السيطرة والهيمنة على بعض الدول ومنها العراق وسوريا، وكذا أمام الدعم التي تتلقاه من روسيا ورغبة الأخيرة في التواجد بقوة في المنطقة، ومحاولة ملأ أي فراغ قد تتركه الإدارة الأمريكية بعد تدخلها المباشر والعسكري في سوريا في إطار الصراع على النفوذ والمصالح بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية.

الفرع الثاني: التواجد العسكري الروسي في المنطقة

تشكل عودة روسيا إلى الشرق الأوسط إدراكاً روسياً بخطأ انسحابها من المواقع التي ورثته عن الاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الأوسط، ولذلك فقد سعت الدولة الروسية إلى محاولة استعادة هيبتها عبر استغلال الانكفاء والفراغ الأمريكي بشكل أساسي في المنطقة، وهو الأمر الذي وفر لها فرصة لسد الفراغ وبناء مناطق نفوذ ولعب دور أكثر نشاطاً.

لقد أعاد الرئيس الروسي "بوتين" صياغة قواعد اللعبة في الشرق الأوسط، وكانت البداية في التدخل العسكري في سوريا الذي شكل انعطاف بارزاً في تاريخ السياسة الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط لتحقيق مزيد من النفوذ الإقليمي، حيث إن سوريا بوابة للمنطقة ومنصة للوجود الروسي العسكري، ونقطة ارتكاز مهمة في الصراع الروسي-الأمريكي على النفوذ في المنطقة².

لقد اقتصر الوجود العسكري الروسي في سوريا في بداية الأمر على التعاون في المسائل اللوجستية والفنية، وذلك بفضل العلاقات التاريخية بين البلدين، حيث تعتبر روسيا

¹ المرجع نفسه.

² سركيس أبو زيد، "التواجد الأمريكي والروسي في الشرق الأوسط"، موقع العهد الإخباري، 7 شتبر 2019، <<https://www.alahednews.com.lb/article.php?id=10647&cid=124>> (17 أكتوبر 2019)

أهم حليف لسوريا في منطقة الشرق الأوسط، لكن الأمر تطور إلى وجود عسكري حقيقي حيث رمت روسيا بثقلها العسكري مع إنشاء قواعد عسكرية في سوريا أهمها:

الفقرة الأولى: قاعدة طرطوس البحرية

يعتبر ميناء طرطوس السوري القاعدة البحرية الوحيدة، خارج الاتحاد السوفياتي السابق الذي لا يزال يحتفظ بها الجيش الروسي، وقد أكدت الحكومة الروسية أهميتها الاستراتيجية، حيث يتمتع ميناء طرطوس بأهمية خاصة بالنسبة لروسيا كموقع يمكن الدفاع عنه لتحقيق هدف سياسي، وقد أوضح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين هذا الهدف باعتباره عزمًا مبدئيًا على إنهاء الحرب الأهلية السورية والحفاظ على سيادة البلاد¹.

يمكن للمرء أن يفهم هذا الموقف كدعم للمصالح الروسية، والحفاظ على الشراكة الإستراتيجية مع دولة صديقة في العالم العربي، كما أن استخدام روسيا المستمر لميناء طرطوس يشكل قيمة حقيقية لحماية روسيا لمصالحها، وقدرتها على التأثير في الأزمة السورية الحالية².

يقع ميناء طرطوس على البحر الأبيض المتوسط تقريبا، خمسة وعشرون كيلومترا شمال الحدود بين سوريا ولبنان، ويعتبر الميناء مزدوج الاستخدام، حيث يستخدم في المجال التجاري والعسكري، وتشكل حركة السفن التجارية الأغلبية؛ ففي عام 2008 رست في الميناء 2776 سفينة تجارية تحمل 12.9 مليون طن من البضائع ما يقرب من ثماني سفن تجارية في اليوم³.

في حين أن مرفق الميناء الروسي في طرطوس يوفر بعض الوظائف الحاسمة لدعم السفن الحربية الروسية التي تسحب إلى الميناء هناك. وقد تم تعيينه رسميا "مركز الاستدامة البحرية"⁴. مرافق الميناء قوية بما يكفي لدعم جميع سفن الأسطول الروسية

¹ Vladimir PUTIN : "Russia and the Changing World," *Russkiy Mir Foundation*, February 27, 2012, <<https://russkiymir.ru/en/publications/139698/>> (March 25, 2018)

² Christopher HARMER, "Russian Naval base Tartus, *Institute for the study of War*, July 31, 2012, p. 2.

³ "Port of Tartous, Port Details 2008", *World Port Source*, < <https://bit.ly/386L0ZO>> (March 20, 2018)

⁴ C. HARMER, op.cit., p. 3.

باستثناء حاملة الطائرات "الأدميرال كوزنتسوف"¹، بينما لا يوجد مرافق إصلاح سفن مماثلة لما تحتفظ به البحرية الأمريكية في قواعدهما الخارجية في يوكوسوكا باليابان أو المنامة أو البحرين، حيث يوجد في طرطوس بعض المستودعات التي تخزن قطع الغيار ويتم توفير قدرات الإصلاح الأساسية من خلال التواجد المنتظم لسفينة الإصلاح الروسية (PM-138.8)²، كما يوفر الميناء الأمن الأساسي اللازم لتفريغ البضائع العسكرية الروسية.

وبسبب بعض المشاكل التي واجهت البحرية الروسية في ميناء طرطوس، كعدم قدرة الميناء على استضافة حاملة الطائرات الروسية (الأدميرال كوزنتسوف)، وبعض المرافق الأساسية كتوجيه العمليات العسكرية من الميناء، وكذا مرافق دعم وإصلاح السفن...ألخ، وقعت الحكومة الروسية والسورية اتفاقية توسيع مركز إمداد الأسطول الحربي الروسي في مدينة طرطوس أواخر سنة 2017، وقد صادق عليها مجلس الدوما في نفس السنة، وقد استثمرت روسيا لذات الغاية حوالي 500 مليون دولار من أجل تأهيل الميناء وجعله أكثر كفاءة وفاعلية وقدرة على استقبال السفن البحرية الكبرى للأسطول الروسي وكذا عمليات الدعم والإصلاح³.

شملت الاتفاقية توسيع مساحة القاعدة البحرية العسكرية الروسية إلى نحو 24 هكتارا إضافيا، بحيث يمكنها استضافة 11 سفينة حربية روسية في آن واحد بما في ذلك السفن التي تعمل بالطاقة النووية⁴. وتقضي الاتفاقية بمنح القاعدة الروسية حصانة كاملة من القوانين السورية، وبأنه لا يسمح للسلطات السورية بدخولها، كما تسمح الاتفاقية لروسيا

¹ Ria Novosti Staff, "Russian Ship to Hold Drills Off Syria" *Twocircles*, April 5, 2012, <http://twocircles.net/2012apr06/russian_ship_hold_drills_syria.html> (May 19, 2018)

² A. Brichevsky, "Floating workshop PM-138 returned to Sevastopol from Mediterranean cruise," *Russian Central Navy Portal*, March 02, 2011, <<https://bit.ly/3g1qNHF>> (July 10, 2018)

³ "Russia plans to invest \$500 million in its only navy base outside the former Soviet Union - here's what it's like there", *Business insider*, December 18, 2019, <<https://bit.ly/3gekgcM>> (May 20, 2020)

⁴ "الدوما يقرر توسيع القاعدة البحرية بطرطوس"، شبكة الجزيرة الإعلامية، 21 دجنبر 2017، <<https://bit.ly/3dEk5FR>> (10 ماي 2019)

باستخدام قاعدة طرطوس لمدة 49 عاما مع إمكانية تمديد هذه الفترة تلقائيا لفترات متعاقبة لمدة 25 عاما دون مقابل مادي.

تستطيع روسيا بموجب الاتفاقية وبموافقة الأطراف المعنية نشر مواقع عسكرية متحركة لها خارج نطاق القاعدة بهدف حمايتها والدفاع عنها، وتهدف روسيا إلى جعل قاعدة طرطوس قادرة على تقديم خدمات الدعم للسفن الحربية واستقبال حاملات الطائرات والغواصات النووية¹.

أصدر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في ماي 2020 مرسوما، أوْعز فيه لوزير الدفاع والخارجية الروسيين، ببدء محادثات مع الجانب السوري بشأن تسليم العسكريين الروس المزيد من المنشآت وتوسيع وصولهم البحري في سوريا، ووافق بوتين في المرسوم على اقتراح الحكومة الروسية بشأن التوقيع على البروتوكول رقم 1، والخاص بـ"تسليم ممتلكات غير منقولة ومناطق بحرية إضافية" للاتفاقية المبرمة في غشت 2015 بين موسكو ودمشق والمتعلقة بنشر مجموعة من سلاح الجو الروسي في سوريا².

يدافع القادة السياسيون والعسكريون الروس على أن عودة روسيا كقوة عظمى، تتطلب أن تكون لها بحرية عالمية قابلة للنشر، وأن تلعب قاعدة طرطوس دورا رئيسيا في هذا الشأن، هذه الرغبة في امتلاك بحرية عالمية قابلة للانتشار تدفع من الناحية الظاهرية إلى الحفاظ على الوجود الدائم في قاعدة طرطوس، وتوسيعها لجعلها قادرة على استيعاب مختلف حاجيات البحرية الروسية³.

الفقرة الثانية: قاعدة حميميم الجوية

تقع قاعدة حميميم قرب بلدة حميميم، وهي تبعد 4 كم عن مدينة جبلة و19 كم جنوب شرق مدينة اللاذقية الواقعة على البحر المتوسط.

¹ المرجع نفسه.

² "القواعد العسكرية الروسية في سوريا.. توسيع لنفوذ موسكو البحري"، سكاي نيوز عربية، 30 ماي 2020، <<https://bit.ly/2VnjIsT>> (28 يونيو 2020)

³ " Russia establishing permanent presence at its Syrian bases: RIA", Reuters, December 26, 2017, < <https://reut.rs/2YPo3at> > (August 1, 2018)

قاعدة حميميم وهي القاعدة العسكرية الجوية الروسية التي أبرمت موسكو اتفاقية مع نظام دمشق بشأنها عام 2016، والتي تستخدمها القوات الروسية وتقع بالقرب من مدينة اللاذقية وتضم طائرات سوخوي وأنطونوف ومدافع وصواريخ إس 400. لجأت روسيا إلى استخدام قاعدة حميميم في صيف 2015 لتنفيذ عمليات قصف ضد المعارضة المسلحة، وقد ساهمت بشكل كبير في تقدم القوات النظامية السورية والمليشيات الموالية لها في مناطق الشمال¹.

كما تم تحديث وتوسيع قاعدة "حميميم" الجوية التي تسيطر عليها روسيا منذ بدء الحملة، وأصبح بإمكانها الآن خدمة المزيد من أنواع الطائرات بفضل بناء مهبط ثانٍ بما في ذلك الطائرات الثقيلة مثل "Tu-142M3" وناقلات الصواريخ.

قبل ذلك؛ كان على القاذفات الإستراتيجية الروسية مثل "Tu-95MS"، و "Tu-160" تنفيذ ضربات صاروخية كروز ضد قوات المتمردين السوريين، ومقاتلي تنظيم "الدولة" من القواعد الجوية الروسية "موزدوك" و"أولينيا"، حيث كانت تتزود بالوقود في الجو.

تطلع الجيش الروسي أيضا إلى بناء قاعدة "كويرس" الجوية في حلب كموقع لنشر طائرات اعتراضية من طراز "ميج-31"، والتي ستتمكن من الوصول إلى مالطا وجبل طارق في غضون ساعة وإطلاق صواريخ بعيدة المدى.

وقد نقلت وكالات أنباء روسية عن مسؤول بوزارة الدفاع الروسية حسب وكالة رويترز، أن روسيا تعمل على توسيع قاعدة حميميم الجوية في سوريا، وتعيد بناء مهبط ثانٍ للسماح للمنشأة بخدمة المزيد من الطائرات.

¹ عادل دلال، مناطق تواجد القوات الأجنبية في سوريا وأبرز قواعدها العسكرية، مجلة أورو نيوز، 10 أكتوبر 2019، < <https://bit.ly/2DRdJHA> > (12 دجنبر 2019)

ونقل عن المسؤول قوله إن الوزارة أقامت أيضا مبان جديدة لإيواء الطائرات في الموقع حماية لها من هجمات الطائرات بدون طيار، وأضاف أن ثلاثين طائرة مقاتلة وطائرة هليكوبتر منتشرة حاليا في القاعدة¹.

المطلب الثاني: الدعم الروسي-الأمريكي لأطراف النزاع بسوريا وخطر المواجهة

تشكل سوريا المكان الذي يبرز فيه البعد الأمني والعسكري للصراع الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط، عبر الدعم العسكري واللوجستي لأطراف النزاع في سوريا (الفرع الأول)، وكذا عبر مجموعة من الاحتكاكات والمناوشات العسكرية بين القوات الأمريكية والروسية في المنطقة (الفرع الثاني).

الفرع الأول: الدعم العسكري واللوجستي لأطراف النزاع في سوريا

يتجلى البعد الأمني والعسكري للصراع الروسي-الأمريكي في سوريا بشكل جلي في الدعم اللوجستيكي لأطراف الصراع في سوريا، حيث قامت كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بتقديم دعم مباشر أو غير مباشر لكلا الطرفين، حيث ترى واشنطن وموسكو أن هذا الدعم المقدم من شأنه أن يحقق نوعا من التوازن على الأرض الذي بدوره سيعزز من إمكانية النصر الدبلوماسي والسياسي لأحد طرفي الصراع².

ولذات الغاية تسعى كل من موسكو وواشنطن إلى صنع أدوات تأثير ونفوذ لهما في الصراع الدائر بسوريا، عبر دعم وتمويل المعارضة والنظام السوري، وقد اعتمدت الدولتان في تحقيق ذلك على طريقتي الدعم بشكل مباشر؛ عبر تقديم أموال وأسلحة إلى أحد أطراف النزاع ودعمه بشكل غير مباشر من خلال السماح لبعض الدول الإقليمية بتدعيم طرف على آخر (إيران والعراق بالنسبة لروسيا ودول الخليج وتركيا بالنسبة لـ الو.م.أ) وهو ما يشبه الحرب بالوكالة خلال الحرب الباردة.

¹ "Russia to expand its Hmeimim air base in Syria: reports", *Reuters*, September 26, 2019, <<https://www.reuters.com/article/us-russia-syria-airbase-idUSKBN1WB1UC>> (March 18, 2020)

² عدنان بدر حلو "جنيف 2: حل لنزاع بين الدولتين العظميين"، جريدة الأخبار، 22 يناير 2014، <<https://al-akhbar.com/Opinion/25707>> ، (15 يونيو 2018)

بالتعاون مع حلفائها في المنطقة، سارعت الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية الأزمة إلى تأكيد نفوذها في صفوف المعارضين السوريين بكل الأطياف سواء الحراك السوري الشعبي أو الحراك المسلح، وقد قدمت في سبيل ذلك كل أنواع الدعم سواء السياسي و الإعلامي، أو المساعدات اللوجستية والعسكرية والمالية عبر دول حليفة في المنطقة، كالسعودية وقطر والأردن وتركيا.

أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية عقب اجتماع اسطنبول سنة 2012 عن رفع حجم المساعدات الإنسانية والطبية، إضافة إلى توفير وسائل ومعدات الاتصال، كما أكد بعض المسؤولون بشكل غير علني على حزمة من المساعدات الجديدة التي تشمل مساعدات "غير مميت"، ستقدم للمعارضة السورية المعتدلة المقاتلة "الجيش الحر" وتشتمل على معدات وأدوات للرؤية الليلية وكذا معلومات استخباراتية أمريكية كالإعلام المبكر عن تحركات محتملة أو فعالية للقوات السورية، كما عبرت الولايات المتحدة الأمريكية على السماح وعدم الاعتراض على أي تمويل عسكري أو حتى إرسال الأسلحة من دول الجوار بشرط عدم سقوطها بيد المتشددین حسب توصيف الولايات المتحدة الأمريكية¹.

في الجانب الدبلوماسي لعبت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها دورا بارزا في تيسير جمع الدول الداعمة والمؤيدة للمعارضة السورية تحت مظلات متعددة، بما في ذلك ما يسمى بـ "مجموعة أصدقاء سوريا"، والتي شملت 11 دولة عربية وغربية تعمل على التنسيق فيما بينها لتقديم كل أشكال الدعم للمعارضة السورية خاصة في جانب التسليح.

عسكريا وعلى الرغم من تردد الولايات المتحدة الأمريكية في البداية من مسألة تسليح المعارضة السورية المسلحة من طرفها، غير أنها لم تعارض التمويل العسكري أو إرسال الأسلحة من الدول الإقليمية وأبرزها المملكة العربية السعودية وقطر وتركيا، حيث اعتمدت جميعها على استراتيجيات مختلفة لدعم المعارضة السورية بما في ذلك توفير

¹ عادل الجوري، "المؤامرة الصهيونية على سوريا القاهرة"، المركز العربي لخدمات الصحافة والنشر مجد، 2012، ص ص. 119-120.

الأموال والأسلحة، فضلا عن تسهيل مرور الخدمات اللوجستية عبر الحدود وإنشاء مراكز تدريب ومراكز للقيادة.

في يوليو 2013 صادق الرئيس أوباما على إجراء سري لتسليح المعارضة السورية ينفذ عبر وكالة الاستخبارات المركزية، بالإضافة إلى تقديم طلب مبلغ 500 مليون دولار من الكونغرس لوضع برنامج لتدريب وتجهيز عناصر خاضعة للتدقيق الأمني من المعارضة السورية المسلحة¹، كما وقد أعلنت إدارة الرئيس أوباما أنها تعمل مع الكونغرس الأمريكي بغاية تقديم أكثر من 27 مليون دولار كمساعدات جديدة غير فتاكة، ليصل مجموع الدعم من المساعدات غير الفتاكة التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية للمعارضة السورية، لما يقارب 287 مليون دولار منذ بدأ الأزمة وبعد عام تقريبا².

إن الدعم المقدم للمعارضة السورية بمختلف أنواع الأسلحة (أسلحة مضادة للدروع، قذائف صاروخية، مدافع الهاون... وغيرها) إضافة لخضوع مقاتلي المعارضة لبرنامج معزز من التدريبات والتجهيز، سيجعل الولايات المتحدة الأمريكية بين الحركات المعتدلة والمتطرفة وبين المعارضة والنظام³.

لقد شكل عدم التوافق بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية حول حل دبلوماسي للأزمة السورية في مفاوضات جنيف دافعا للولايات المتحدة الأمريكية من أجل الزيادة في مستوى الدعم اللوجستي المقدم للمعارضة السورية المعتدلة، بهدف تحقيق الحسم العسكري على أرض المعركة لصالح المعارضة، وبالتالي فرض الأمر الواقع على موسكو.

¹ تشارلز ليستر، الأزمة المستمرة: تحليل المشهد العسكري في سوريا، مركز بروكنجز الدوحة، ماي 2014، ص. 2.
² مايكل أبزنشتات وجيفري وايت، "برنامج تدريب وتجهيز المعارضة السورية المعتدلة: عنصر جوهري في السياسة الأمريكية تجاه سوريا والعراق" معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 8 يولو 2014، <<https://bit.ly/3d5FW99>>، (15 يونيو 2018)
³ "واشنطن ترفع تمثيل الائتلاف بواشنطن لبعثة دبلوماسية وتزيد الدعم اللوجستي للحر.. الجربا: ضربة للنظام وشرعيته"، جريدة شام تايمز، 6 ماي 2015، <<https://www.chamtimes.com/archives/235453>> (19 مارس 2019)

في الجهة المقابلة، فقد لعبت روسيا دوراً مهماً في دعم النظام السوري في مواجهة المعارضة المسلحة، ليس فقط في مجلس الأمن عبر رفع الفيتو ولا عبر الخطاب السياسي للقادة الروس، بل تعدى ذلك إلى مد سوريا بالخبراء العسكريين والتقنيات العسكرية المتطورة وأجهزة الانترنت والصفقات العسكرية المباشرة وقطع الغيار، وتعدت الخدمات إلى أكثر من ذلك من خلال الدعم المالي وتسيير الرحلات الروسية المباشرة لدعم ونقل الجرحى والإصابات الخطيرة إلى روسيا¹.

ولقد وجدت روسيا في الأزمة السورية فرصة نادرة لاستعادة مرتبتها الدولية، التي سبق أن انهارت إلى الحضيض مع انهيار الاتحاد السوفياتي، وهي تدرك إن لم تدعم النظام السوري فإنه سينهار وتقع سوريا في قبضة الـو.م.أ الأمر الذي سيمكنها من تجديد مسعاها لإقامة شرق أوسط جديد، يمتد من أعالي النيل إلى عمق آسيا الوسطى واستكمال بناء الكماشة حول العنق الروسي ما بين أوروبا الشرقية ودول البلقان في الغرب والشمال. ولمواجهة هذا الخطر سارعت موسكو إلى تعزيز دعمها الدبلوماسي للنظام السوري بدعم عسكري وصل التعبير عنه في كثير من الأحيان إلى مستوى الدفاع عن الأمن القومي الروسي نفسه².

إن حيوية العلاقة بين روسيا وسوريا وأهميتها الإستراتيجية هي من دفعت الروس لدعم سوريا بشتى أنواع الذخائر والأسلحة، فإن كانت قيمة الصفقات الموقعة في مجال التسليح بين الجانبين قد بلغت 34 مليار دولار في الفترة الممتدة بين 1950 – 1990 فإنه بعد تفكك وانحيار الاتحاد السوفياتي، ارتفعت القيمة المالية لصادرات الأسلحة الروسية إلى النظام السوري، حيث تضاعف المعدل خمس مرات ما بين عامي 2007-2012 حسب معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام، حيث بلغ نصيب سوريا من التجارة العسكرية

¹ كازم عكر، "عن الدور الروسي في الأزمة السورية وقضايا المنطقة: حوار مع الدكتور خالد العزي"، جريدة لبنان الجديد، 21 نونبر 2013، < <https://bit.ly/2Yh2yPG> > (17 يونيو 2018)

² عدنان بدر حلو، "جنيف 2: حل لنزاع بين الدولتين العظميين"، مرجع سابق.

الروسية ما يقارب 700 مليون دولار سنة 2010، كما أن سوريا سنة 2013 تعاقدت مع موسكو على صفقات عسكرية بقيمة 4 مليارات دولار.

إن مجمل ما تستخدمه القوات السورية في مواجهة المعارضة المسلحة، من طائرات ودبابات وطلقات نارية وصواريخ هي روسية الصنع، زودت بها روسيا النظام السوري في السنوات الأخيرة عبر عقود تسليح طويلة الأمد، ومن أبرز هذه الأسلحة:

- طائرات مقاتلة من نوع ميغ وسوخوي.
 - طائرات مروحية هجومية، مروحيات ياك 130 وميكويان.
 - الدبابات خاصة دبابة 172"
 - زودت روسيا النظام السوري بصواريخ "ياخونت YAKHONT الذي يصل مداه إلى 300 كيلومتر، بالإضافة إلى صواريخ مضادة للطائرات محمولة على الكتف من طراز IGLA-S، ومنظومة دفاع جوي من طراز KORNET- METIS، وعدد كبير من الصواريخ بعيدة ومتوسطة المدى من طراز "غراد"¹.
- ومع إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن دعمها الصريح والمعلن لقوات المعارضة السورية واستمرار تدفق الأسلحة من دول إقليمية كتركيا والأردن، تمكنت المعارضة السورية خاصة التنظيمات الإسلامية وعلى رأسها "جبهة النصرة" والدولة الإسلامية في العراق والشام، من تحقيق تقدم في العديد من المناطق في حمص ودمشق وريفها، مما ضيق الخناق على النظام السوري وهو ما دفع بالحكومة الروسية إلى زيادة دعمها العسكري للقوات النظامية وتسريع وثيرة وصول الإمدادات والمعدات العسكرية والأسلحة إلى سوريا، بما في ذلك العربات المصفحة والقنابل الموجهة ورادارات وقطع غيار للمروحيات ومناظير للرؤية الليلية ورشاشات وقاذفات قنابل.

وبفضل الدعم الروسي المقدم لنظام الأسد استطاعت قوات الأخير استعادت مبادرتها العسكرية وتمكنت من صد هجمات المعارضة السورية على دمشق وريفها الشمالي

¹ أحمد حسين الشيمي، "سوريا الدعم العسكري الروسي وضعف قدرات الثوار"، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية، 30 يونيو 2012، < <https://bit.ly/30YLq2N> > (19 يونيو 2018)

والجنوبي، إضافة لاستعادة النظام لبلدة القصير ومنطقة القامون، وبهذا تمكنت موسكو من استعادة التوازن إلى أرض المعركة بما يحقق استمرارية مصالحها.

يشير الدعم المقدم والمستمر لأطراف الصراع في سوريا إلى أن كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا تعملان على تحسين موقعهما في أرض المعركة، قبل بدأ أي مفاوضات بما يحقق مكاسب هامة على حساب الطرف المنافس. ففي الوقت الذي تواصل فيه موسكو دعم نظام بشار الأسد على صعد عدة بما في ذلك الدعم العسكري، فإن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها مستمرون في دعم المعارضة السورية بغاية إسقاط النظام السوري، وبذلك يمكن الحديث عن شكل من أشكال الحرب الباردة تدور رحاها فوق الأراضي السورية محددها الرئيسي الدفاع عن المصالح.

إلا أن تواجد القوات العسكرية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على الأراضي السورية، جعل مسألة وقوع الاحتكاكات العسكرية بين الطرفين أمرا واقعا، الشيء الذي هدد بخطر حدوث مواجهة مباشرة بين الطرفين.

الفرع الثاني: احتكاكات عسكرية بين القوات الروسية والأمريكية بالمنطقة.

تعرف الساحة السورية صراعا محتدما بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على العديد من المواقع الاستراتيجية والهامة، تتخلله بين الفينة والأخرى مناوشات بين القوات الأمريكية والروسية تجعل خطر المواجهة المباشرة بين الطرفين وخروج الأمور عن السيطرة أمرا واردا رغم مخاطره الكبيرة.

الفقرة الأولى: صراع المواقع الاستراتيجية بين الطرفين في سوريا.

تعتبر المواقع شرق الفرات من بين أهم المناطق الاستراتيجية التي يضعها الروس أمام أعينهم، حيث من شأن تحقيق السيطرة على تلك المناطق تغيير الميزان الاستراتيجي لمصلحتهم، رغم بقاء السيطرة على حقول النفط من طرف القوات الأمريكية.

ولذات الغاية فرض الروس سيطرتهم على الكثير من الطرق والمعابر الحدودية المهمة؛ منها معبر "سيمالكا" الحدودي مع إقليم كردستان العراق، حيث تعتمد عليه الولايات

المتحدة الأمريكية كمعبر لإدخال القوات، والأسلحة والمعدات إلى المناطق الواقعة تحت سيطرة "قسد"، وكذا الطريق الحيوي الذي يربط بين حلب والقامشلي، والذي يعتبر بمثابة شريان للحياة بالنسبة للمنطقة ولحقل الرميلان النفطي، حيث تتواجد بالقرب منه قاعدة عسكرية ضخمة بنتها الولايات المتحدة الأمريكية¹.

إن السيطرة الروسية على مختلف تلك المواقع الاستراتيجية بالغة الأهمية، يعتبر ضربة للتواجد الأمريكي على الأراضي السورية، إذ سيجعل ذلك القوات الأمريكية بدون طرق إمداد وتحت رحمة القوات الروسية المتمركزة في المنطقة، وبالتالي تصبح القواعد الأمريكية معزولة، الشيء الذي أدركه القادة الميدانيون الأمريكيون ودفعهم لمقاومة المحاولات الروسية للسيطرة على مختلف تلك النقاط.

إضافة إلى التحركات الميدانية الروسية، فإن الأخيرة تتبع جملة من التكتيكات لمجابهة التواجد العسكري الأمريكي شرق الفرات منها؛ الضغط على الأكراد ودفعهم للتوصل إلى اتفاق مع نظام الأسد يتيح له استعادة السيطرة الكاملة على المنطقة وإخراج الأمريكان منها، وكذا التهديد بتشكيل مجموعات مسلحة من العشائر العربية لمقاومة الوجود الأمريكي والكردي، والتهديد بنشر منظومة جوية صاروخية متطورة في مطار القامشلي.

تواجه التكتيكات الروسية بمجموعة من العقبات التي تحول دون تحقيق الأثر المطلوب في السياسة الأمريكية، وبالشكل الذي تطمح إليه روسيا، ومن بين هذه العقبات نجد أن القرار الخاص بوضع القوات الأمريكية في سوريا، أصبح بيد جهات متشددة في البنتاغون ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية التي ترفض الانسحاب، ومنح روسيا انتصارات مجانية تزيد من حضور الروس في الساحة السورية، ثم كذلك تبدل المعطيات السياسية في المنطقة الشرق الأوسط بعد مقتل الجنرال قاسم سليمان قائد فيلق القدس الإيراني، ومطالبة الحكومة العراقية بسحب القوات الأمريكية، وهو الأمر الذي رفضته الإدارة الأمريكية لاعتقادها بأنه سيؤثر على مكانتها وهيبته في كامل المنطقة².

¹ "شرق الفرات بين تزامم القوى الدولية وتحاور القوى المحلية"، مجلة عمران للدراسات الاستراتيجية، 15 ماي 2020، <<https://bit.ly/3l52n3i>> 20 يوليو 2020

² "التوتر الروسي الأمريكي في شرق الفرات: الأسباب والاحتمالات"، مركز الإمارات للسياسات، 5 فبراير 2020، <<https://bit.ly/3gjo5Ne>> (10 ماي 2020)

كما أن الرئيس الأمريكي ترامب، والذي لطالما راهنت روسيا على مزاجيته ورغبته في الخروج من سوريا، بات متمسكا بالبقاء في سوريا خصوصا مع اقتراب الاستحقاقات الانتخابية الرئاسية.

ونظرا لأهمية منطقة شرق الفرات، فقد سعى الطرفان إلى تعزيز نفوذهما في المنطقة من خلال إقامة مراكز عسكرية وأمنية، حيث أصبحت المنطقة تعج بعشرات القواعد العسكرية. تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية 13 قاعدة ونقطة عسكرية في حين يمتلك الروس خمس قواعد مدججة بالأسلحة والعتاد.

وقد سعى الطرفان كذلك ولذات الغاية، إلى استقطاب القوات الكردية وتركيا من خلال محاولة كل من روسيا وأمريكا كسب الطرفين، وتطويعهما في خدمة استراتيجيتهما الهادفة إلى إخراج كل طرف للآخر من مناطق شرق الفرات، ومحاولة استمالة المكونات الموجودة في المنطقة وعسكرتها، وقد شكلت روسيا كتيبة من الأتاتورك والأرمن الذين يعيشون في تل تمر وتحاول استمالة القبائل العربية، كذلك تسعى الولايات المتحدة إلى منح العرب في قوات "قسد" وضعية خاصة حتى لا يشعروا بالتهميش تحت قيادة الأكراد، ويكون ذلك سبباً لميلهم تجاه روسيا¹.

عملت الولايات المتحدة الأمريكية على دفع الطرف الكردي وتشجيعه على التفاوض مع الأتاتورك من أجل قطع الطريق على روسيا، وكذا من أجل تغيير المعطيات على الأرض ضد المصالح الروسية، وقد أشارت مصادر كردية إلى الاجتماعات التي عقدها "المجلس الوطني الكردي" في سوريا مع المبعوث الأمريكي الخاص إلى سوريا جيمس جيفري في إسطنبول، في الأسبوع الثاني من شهر يناير 2020 بهدف إجراء مصالحة بين قوات سوريا الديمقراطية والمجلس الوطني الكردي.

وبحسب المصادر الكردية، طالب جيفري المجلس الوطني بعدم الانسحاب من الائتلاف الوطن المعارض نتيجة خلافات الطرفين بعد عملية نبع السلام التركية، كما طالب جيفري قوات سوريا الديمقراطية بتحسين علاقاتهم مع إقليم كردستان. وأكد المصدر أن

¹ المرجع نفسه.

تركيا لا تزال تُبدي اعتراضا على التفاوض مع "قسد"، ولا تزال تطالب بضمانات لفك ارتباط الأخيرة مع "حزب العمال الكردستاني" الذي تصنفه تركيا حزبا إرهابيا، والتحول إلى حزب سياسي محلي بأجندة سورية، وقال المصدر، إن "قسد" تعمل على تشكيل وفد للتفاوض مع تركيا من شخصيات سورية لا علاقة لها بـ"العمال الكردستاني" وذلك كبادرة حسن نية نحو تركيا¹.

ومن أجل تعزيز مواقع انتشار الطرفين سارعت الدولتان إلى فرض وقائع على الأرض بهدف تغيير المعطيات السابقة نهائيا.

- سارعت روسيا إلى فرض وقائع على الأرض بهدف تغيير المعطيات السابقة نهائيا، وقامت بإنشاء سلسلة من القواعد في مناطق شرق الفرات، كالآتي:

- إنشاء روسيا قاعدة لهبوط المروحيات القتالية في مطار مدني بمدينة القامشلي في شمال شرقي سوريا، وتخضع القاعدة الجديدة لحماية من نظام بانتسير للدفاع الجوي وتم نشر طائرات هليكوبتر وطائرتين هجوميتين من طراز "ميغ 435".

- إنشاء قاعدة في مطار الطبقة العسكري بعد إخلائه بالكامل من قوات سوريا الديمقراطية، واستقدمت إليه كافة التعزيزات العسكرية بما فيها طائرات مروحية لنقل المستشارين الروس من القواعد العسكرية وإليها بين حلب ومحافظة الرقة.

- إضافة إلى تشييد قاعدة في مدينة عين عيسى شمال مدينة الرقة وعلى خطوط التماس بين الفصائل الموالية لتركيا وقوات سوريا الديمقراطية وجيش النظام السوري، وذلك في اللواء 93 مدرعات الذي يتبع الفرقة 17 في مدينة الرقة وعززته القوات الروسية بأكثر من خمسين مدرعة روسية، وقاعدة في منطقة انتشار الفرقة 17 مشاة الواقعة في المحيط الشمالي الشرقي والمحاذية لمدينة الرقة، و قاعدة في قرية السبت شمال ناحية صرين التي سيطرت عليها القوات الروسية بعد انسحاب القوات الأمريكية منها².

¹ "الجنرال ماكنزي: واشنطن ملتزمة بالقتال في سوريا وتعزيز عملياتها ضد "داعش"، المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات، 27 يناير 2020، <<http://www.center-lcrc.com/news/21696>> (16 أبريل 2020) بتصرف.
² المرجع نفسه.

وبهذا تكون القوات الروسية أنشأت قواعد عسكرية مترابطة فيما بينها جنوب مدينة عين العرب بنحو 40 كيلومترا على طريق حلب الحسكة الدولي.

بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والتي انسحبت من 16 قاعدة ونقطة عسكرية ابتداء من منبج مرورا بعين العرب والرقعة وصولا إلى الحسكة، وأبقت على وجودها في دير الزور الغنية بالنفط، وقواعدها في الحقول النفطية بالحسك بحجة حماية حقول النفط من "داعش" وحرمانه من عائداتها المالية. وأخلت القوات الأمريكية 4 نقاط مراقبة على الحدود مع تركيا، إلا أن الجيش الأمريكي عاد إلى 6 قواعد ونقاط عسكرية بعد توقف عملية "نبع السلام"، كما أسس قواعد جديدة في دير الزور، وأرسل تعزيزات إلى تلك المناطق.

وقد أعادت القوات الأمريكية انتشارها في نقاط جديدة ابتداء من أقصى شرق سوريا قرب الحدود العراقية، واتخذت من الباغوز قاعدة صغيرة - تقع الباغوز على الضفة نهر الفرات اليسرى- وتهدف واشنطن من تلك القاعدة إلى مراقبة وضبط الحدود العراقية السورية على الضفة اليسرى لنهر الفرات أو كما يعرف محليا بمنطقة الجزيرة، كما تعتبر تلك القاعدة أقرب النقاط الأمريكية إلى معبر القائم بين سوريا والعراق، والذي يتحكم فيه الحرس الثوري الإيراني¹.

يلاحظ أن الأولوية في إعادة الانتشار الأمريكي متركزة على محور نهر الفرات، حيث تسيطر الميليشيات الإيرانية على الضفة المقابلة، فأنشأ الجيش الأمريكي قاعدة في بادية السوسة غرب الباغوز نقل إليها دبابات وعربات همر وجهاز فيها مهبطا للطائرات المروحية نوع أباتشي، إضافة إلى قاعدة إلى الغرب منها في هجين في بناء سكة القطار.

وتتوافق تلك التحركات الأمريكية مع حركة بناء قواعد متسارعة لقوات سوريا الديمقراطية في المنطقة النفطية شرق دير الزور والحسكة، والتي أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية البقاء فيها، وبنت عدة قواعد في منطقة الروضة بين دير الزور والحسكة وحقول الصيخان والأزرق والملح².

¹ منهل باريش، "شرق الفرات: أمريكا تبني قواعد في وجه إيران وتعزل النفط السوري"، 9 نوفمبر 2019،

<https://bit.ly/2Qii1do>، (16 فبراير 2020)

² المرجع نفسه.

حافظت واشنطن على أبرز القواعد الأمريكية في سوريا وشرق الفرات، حيث تعتبر قاعدة الرميلان أكبرها إضافة إلى قاعدة تل بيدر وقاعدة الهول وقاعدة الشدادي جنوب الحسكة. وإضافة إلى قواعد شرق الفرات توجد قاعدة التَّنَف على الحدود العراقية السورية الأردنية، والتي تقطع الطريق الدولي السريع بين بغداد وسوريا وتحافظ الولايات المتحدة على تلك القاعدة بهدف الحد من نشاط الميليشيات الإيرانية في سوريا وتطوير إيران.

وتشير خريطة انتشار القواعد الأمريكية إلى أن الأراضي الواقعة شرق طريق دير الزور-الحسكة الجديد، وصولاً إلى جنوب الحسكة وشرق القامشلي ستكون منطقة نفوذ أمريكية خالصة.

ووفقاً للمسؤولين الأمريكيين، يوجد الآن نحو 750 جندياً أمريكياً في شرق سوريا منتشرين عبر مجموعة من الأراضي، تمتد على مسافة تزيد عن 150 كيلومتراً من دير الزور إلى المنطقة الحدودية شرق الحسكة.

الفقرة الثانية: مناوشات روسية أمريكية في المنطقة وخطر المواجهة

تتصاعد حدة التوترات بين القوات الأمريكية والروسية في مناطق شرقي الفرات وبالتحديد في محافظة الحسكة شرقي سوريا، وتُترجم هذه التوترات باحتكاكات بين جنود الطرفين، حيث تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على ترسيم حدود مناطق نفوذها، فيما تسعى روسيا إلى توسيع نفوذها في تلك المنطقة، الأمر الذي يندرج بحصول تصادم بينهما خصوصاً في ظل تباعد رؤية الطرفين للحل النهائي في سوريا.

حركات عملية الانسحاب التي قامت بها القوات الأمريكية من مناطق في شرق سوريا في أكتوبر 2019، أطماع روسيا في السيطرة على منطقة شرق الفرات الغنية بالنفط والثروات الاقتصادية، والمشرفة على طريق التجارة مع العراق والقريبة من حقول نفط شمال العراق، حيث تطمح روسيا إلى مد أنابيب لنقل نفط شمال العراق إلى الموانئ السورية بدلاً من تصديره عن طريق تركيا أو إيران.

انتشرت القوات الروسية في عدد من النقاط بعد الانسحاب الأمريكي من شريط حدودي، واستغلت روسيا الصفقة التي عقدتها مع تركيا بعد الهجوم التركي على مناطق شرق الفرات "عملية نبع السلام"، فتم الاتفاق على دخول قوات سورية وروسية إلى شرق الفرات وذلك للمرة الأولى منذ عام 2012. وتهدف روسيا من تمدها في شرق الفرات إلى تحقيق ثلاثة أهداف وهي: ضمان السيطرة العسكرية على تلك المناطق في سوريا، والوصول إلى طريق التجارة مع العراق "إم 4"، وخلق توازن مقابل الوجود العسكري الأمريكي في الخليج والعراق¹.

أشعرت التحركات الروسية القيادات العسكرية الأمريكية بمدى فداحة الخطأ الذي ارتكبه نتيجة تقليص وجودهم في سوريا، وإذا كان من غير الممكن العودة إلى المناطق التي انسحبت منها القوات الأمريكية بعد مسارعة القوات الروسية إلى احتلالها، فإن القوات الأمريكية تحاول تدارك الأوضاع عبر وقف التمدد الروسي وحصره ضمن مناطق محددة.

فقد اعترضت دورية عسكرية أمريكية في 21 يناير 2020 طريق دورية عسكرية روسية على الطريق الدولي، في محافظة الحسكة بالقرب من بلدة المالكية شمال شرقي سوريا، وأجبرت الدورية الأمريكية الدورية الروسية على العودة أدراجها باتجاه القامشلي. وهذه الحادثة ليست الأولى من نوعها، إذ تقوم القوات الأمريكية بما يشبه "الكمان" لمسار الدوريات الروسية في القامشلي ومحيطها، حيث يصر الأمريكيون على منع دخول الروس إلى مدينة الحسكة أو الوصول إلى المعابر الحدودية مع العراق، وخاصة مع اعتقاد الأمريكيين بأن المكاسب الروسية لن تتوقف عند حدود سوريا، وأن الروس يضعون أعينهم على ثروات كردستان العراق النفطية.

بالإضافة لذلك، يعلم الأمريكيون من خلال تجربتهم في سوريا أن المناطق التي تسيطر عليها روسيا تصبح مفتوحة للنفوذ الإيراني، إما لقدرة إيران على التغلغل في

¹ "أمريكا تريد العودة إلى شرق الفرات وروسيا تريد التوسع و"قسد" تلوح بشرطين أساسيين"، Xeber24، 2 ماي 2020، <<https://bit.ly/2CTeO10>> (16 يونيو 2020)

البيئات الشعبية في تلك المناطق، أو بسبب استدعاء الروس لهم من أجل المساعدة في حفظ أمن تلك المناطق¹.

ويتمثل الرد الأمريكي على الإجراءات الروسية بتأكيد استراتيجية التطويق والاحتواء، التي طبقتها القوات الأمريكية تجاه التمدد الإيراني في هذه المناطق، وإبقاء السيطرة على المناطق الحاكمة وخاصة المثلث الحدودي بين سوريا والعراق جهة القامشلي، وكذلك تأكيد ضمان بقاء سيطرة "قسد" على المنطقة بوصفها القوة المحلية الممثلة للإرادة الأمريكية.

كما عرف البحر الأبيض المتوسط احتكاكات متكررة بين الطرفين تنذر باشتعال حرب باردة بين الطرفين، حيث أكد مسؤول أمريكي أن بارجة ياروسلاف مودري الروسية نفذت مناورات وصفها بأنها تفتقر للحرفية، حيث اقتربت من مدمرة تابعة للبحرية الأمريكية في شرق البحر المتوسط، وكانت هي المرة الثانية التي تقترب فيها قطعة حربية روسية من إحدى المدمرات الأمريكية في المتوسط، ففي 17 ماي 2016 إقتربت سفينة روسية مسافة 280 مترا من البارجة الأمريكية كروفلي التابعة للبحرية الأمريكية في المتوسط، حينها وصف مسؤولون في واشنطن المناورات الروسية بالعدوانية ولا تتماشى مع قواعد الملاحة البحرية المتعلقة بالسلامة².

ألقت روسيا باللوم على الأمريكيين واتهمت المدمرة الأمريكية بمخالفة الاتفاقية بين البلدين؛ التي تقضي بأن السفن المبحرة في المياه الدولية يجب أن تبقى على مسافة آمنة لتفادي خطر الاشتباك أو الاصطدام. الاحتكاكات الجديدة في المتوسط تلت حوادث مشابهة وقعت في بحر البلطيق حيث نفذت طائرات سوخوي روسية مناورات تحاكي عملية هجومية قرب إحدى السفن الأمريكية.

¹ حسين جمو، "كمانن أمريكية للدوريات الروسية شرق الفرات"، 21 يناير 2020، <<https://bit.ly/2Yl6e2s>> (17 فبراير 2020)

² "احتكاك بحري أمريكي روسي"، قناة العربية، 2 يونيو 2016، <<https://bit.ly/3ec1q5r>> ، (18 مارس 2019)

التحركات الروسية بالسفن الأمريكية في البلطيق والمتوسط لا يمكن عزلها عن توجه روسي يحاول الرد على بعض التوجهات الأمريكية كتوسيع القبة الحديدية بأوروبا وكذا الدفاع عن مصالحه بمنطقة الشرق الأوسط¹.

تبقى هذه المناوشات المستمرة في منطقة الشرق الأوسط بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية قابلة للخروج عن السيطرة، مما يزيد من احتمال حدوث تصادم مباشر بين الطرفين، خصوصا في الساحة السورية؛ إذ تؤثر زيادة تعقيد التفاصيل الميدانية في مناطق شرق الفرات والتدخلات الكبيرة في مناطق النفوذ، إلى احتمال أن تتحول الاحتكاكات المتواترة إلى مواجهات حقيقية في ظل تناقض الاستراتيجيات واختلاف الدوافع والصراع على النفوذ، خصوصا مع إصرار روسيا على تحقيق هيمنة مطلقة على كامل تفاصيل الملف السوري في مواجهة العناد الأمريكي، ورفض الاعتراف لروسيا بحق احتكار الملف السوري.

وإذ تنطلق روسيا من واقع أن الوجود الأمريكي في مناطق النفط السورية وإقرارها "قانون قيصر لحماية المدنيين السوريين*"، سيؤثران في فعاليتها في سوريا وأنه لا حل إلا برحيل القوات الأمريكية، فإن الولايات المتحدة تسعى إلى ترميم الأخطاء التي وقعت فيها إدارة ترامب وتحاول استعادة الثقة لدى حلفائها، وهو ما أثبتته جولة جيفري على المنطقة. ويبدو هذا السيناريو محتملا ما لم يتراجع أحد الطرفين عن تحركاته أو يعيدان صيانة خطوط التنسيق بينهما والاتفاق على حدود نفوذ كل طرف.

¹ المرجع نفسه.

* "قيصر" أو "سيزر"، هو الاسم الحركي لعسكري ومصور في الطبابة الشرعية في جهاز الشرطة العسكرية للنظام، ومقره العاصمة دمشق، كانت مهمته قبل الثورة تقتصر على تصوير الحوادث الجنائية المرتبطة بالجيش والمؤسسة العسكرية من جرائم قتل وغيرها، قبل أن تسند إليه مهمة الذهاب إلى المستشفيات العسكرية للنظام في العاصمة وتصوير جثث القتلى من المعتقلين لدى النظام، فتمكن من توثيق هذه الصور وتخزينها، وجمع حوالي 55 ألف صورة لـ 11 ألف معتقل سوري قضوا تحت التعذيب، وذلك حتى منتصف 2013، وهو الموعد الذي قرر فيه "قيصر" الانشقاق عن المؤسسة العسكرية بالتعاون مع منظمات سورية ودولية، وبحوزته هذا الكم من الصور التي تشكل أكبر دليل إدانة للنظام.

وفي 11 ديسمبر من العام 2019، مرر الكونغرس مشروع القانون ضمن ميزانية وزارة الدفاع، ومن ثم أقره مجلس الشيوخ في 17 من الشهر ذاته، إلى أن وقَّعه الرئيس الأميركي دونالد ترامب في العشرين من الشهر نفسه، ليتحول الموقف السياسي الأميركي من النظام السوري إلى قانون يبدأ سريانه في 17 يونيو 2020، وسمي بقانون قيصر لحماية المدنيين السوريين، ويفرض القانون مجموعة من العقوبات على الأفراد والشركات الذين يقدمون التمويل أو المساعدة لرئيس سوريا؛ كما يستهدف عددا من الصناعات السورية بما في ذلك تلك المتعلقة بالبنية التحتية والصيانة العسكرية وإنتاج الطاقة عدى عن استهدافه للكثير من الكيانات الإيرانية والروسية التي تقدم الدعم لحكومة الأسد خلال الحرب الأهلية السورية.

كما أن خطر المواجهة قد لا يكون مباشرا بين الطرفين، وقد يأخذ شكلا من أشكال الحرب بالوكالة في مناطق متفرقة من سوريا، حيث بدأ الطرفان بتجيش المكونات المحلية واستقطابها لتثبيت النفوذ وزعزعة نفوذ الطرف الآخر، ويبدو هذا السيناريو أقل تكلفة من الصدام المباشر لكنه يؤدي غرض استنزاف طاقة الخصم وقدراته، وقد يتطور الأمر إلى حد صدام الوكلاء المباشرين كقوات سورية الديمقراطية وقوات نظام الأسد باعتبارهما أكثر القوى المجهزة والمدربة في تلك المناطق.

إن حضور البعد الأمني العسكري في صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، وتعدد أشكال المواجهة الأمنية والعسكرية، يغذيه بعد آخر يهتم بجيوبوليتيك الشرق الأوسط ومكانة هذا الجيوبوليتيك من منظور روسي أمريكي.

المبحث الثاني: البعد الجيوبوليتيكي [□] لصراع النفوذ الروسي الأمريكي في الشرق الأوسط

إن القول بتدهور المصدر الجغرافي من حيث أهميته النسبية في الصراعات الدولية نتيجة تدهور المتغير الجغرافي في السياسة الدولية، واستقرار الحدود السياسية الدولية لحد كبير، لا تسعفه الوقائع والأحداث الدولية فلا يزال يتسبب – العامل الجغرافي – في العديد من الصراعات المعاصرة، سواء كمصدر للصراع أو كحجة تساق لتبرير السلوك الصراعى، ومن بين المناطق ذات الأهمية الجغرافية نجد الشرق الأوسط؛ حيث تكتسي المنطقة أهمية كبيرة في النظام الدولي على العديد من الأصعدة؛ ومنها على المستوى الجيوبوليتيكي، حيث اعتبرت المنطقة مفتاح السيطرة على العالم.

ونظرا لأهمية المنطقة التي عدت مكانا أساسيا لارتداد التجاذبات بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، وهي أيضا تشكل بؤرة دائمة للتوتر كما أنها بقعة استراتيجية في غاية الأهمية لكل اللاعبين على الساحة الدولية.

ولتوضيح المسألة أكثر سوف نقسم هذا المبحث إلى مطلبين، **المطلب الأول** سنتحدث فيه عن الجيوبوليتيكي الشرق أوسطي والصراع الدولي، ثم في **المطلب الثاني** سنخصصه للرؤية الروسية- الأمريكية لحيوبوليتيكي الشرق الأوسط.

¹ رافق التطور العلمي و المعرفي لحقل العلاقات الدولية بروز العديد من العلوم و الأطر المعرفية المفسرة للأحداث الدولية سواء في شكلها التنافسي أو التعاوني، والمعروف أن لكل ظاهرة سياسية في الطبيعة قانون يفسرها ومهمة الباحث هي البحث عن هذا القانون، انطلاقا من هذا ساهم بعض مفكري وباحثي القرن التاسع عشر، في ميلاد علم جديد في حقل العلاقات الدولية ساهم في تفسير الأوضاع الدولية وفق قانون "الأرض" أو "الجغرافيا" سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية بمساهمته في رسم وصياغة التوجهات الخارجية للدول ألا و هو "علم الجيوبوليك".

الجيوبوليتيكا أو الجيوسياسية هو مصطلح مكون في الأصل من كلمتين إغريقيتين هما (GEO) وتعني الأرض و (POLITIQUE) وتعني سياسة الدولة، أول من ابتكر هذا المصطلح العالم السويدي رودلف كيلين (1846-1922) عام 1905 في كتابه "الدولة مظهر من مظاهر الحياة" على أنه "دراسة البيئة الطبيعية للدولة، وأن أهم ما تعنى به الدولة هو القوة، كما أن حياة الدول تعتمد على التربية والثقافة والاقتصاد والحكم وقوة السلطان"، و يحاول "كيلين" التأكيد على أن الغرض الأسمى للعلم هو جعل الجغرافيا في خدمة الدولة أي بعبارة أخرى أكثر دقة كيف يمكن لصانع القرار جعل الموقع الجغرافي كمصدر قوة للدولة في التعبير عن مواقفها السياسية؟.

ويعرفها معهد ميونخ: الجيوبوليتيكا هي الأساس العلمي الذي يقوم على فن العمل السياسي للدولة في كفاحها المميت من أجل حصولها على مجال حيوي. أما كارل هاوسهوفر Karle Hawshofer - فقد عرف علم الجيوبوليتيكي على أنه: "العلم القومي الجديد للدولة، و هي عقيدة تقوم على حتمية المجال الحيوي بالنسبة لكل العمليات السياسية"، حيث اعتبر هاوسهوفر علم الجيوبوليتيكي بمثابة العلم الجديد للدولة الذي يستند إلى الجغرافيا السياسية بدل أمور أخرى.

الموسوعة السياسية، <<https://bit.ly/2HT5HQ3>> (19 ماي 2018)

المطلب الأول: الجيوبوليتيك الشرق أوسطي والصراع الدولي

من خلال هذا المطلب سنحاول التركيز على تفسير دور الجغرافيا كمصدر للصراعات الدولية (الفرع الأول)، من خلال التطرق لمجموعة من الأسس النظرية، ثم إظهار أهمية المركز الجيواستراتيجي لمنطقة الشرق الأوسط (الفرع الثاني).

الفرع الأول: تفسير الجغرافيا كمصدر للصراعات الدولية

لقد أصبح ضروريا تفسير ما يقع من تفاعلات وأحداث بين القوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط وبالأخص في سوريا، أن نرجع إلى بعض المقاربات الجيوبوليتيكية التي كانت تطبق في زمن مضى خصوصا في فترة الحرب الباردة، فرغم من سقوط وانحيار الاتحاد السوفياتي ونهاية حقبة الحرب الباردة، فإن العالم حسب البروفيسور "سانتورو" لا يزال يحمل الطابع الثابت للحرب الباردة والتي يبقى منطقها الجيوبوليتيكي مسيطرا في تفسير الصراع الروسي- الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط¹، ذلك فإنه من الضروري إعطاء لمحة عامة عن جوهر أهم/أبرز نظريات الجيوبوليتيكا قبل محاولة إسقاط هذه التصورات النظرية على الصراع الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط².

فلقد عرفت الدراسات الجيوبوليتيكية تطورا كبيرا في الفترة ما بين الحربين العالميتين وبشكل أخص في ألمانيا على يد "فريدريك راتزل" "Friderich Ratzel" و"كارل هوشهوفر" "Karl Haushofer"، وفي الدول الأنجلوسكسونية "هالفورد ماكيندر" "H.Mackinder" و "ألفريد ماهان" "Alfred T.Mahan"، ونيكولاس سبيكمان "Nicolas Spykman" وانصببت تحليلاتهم على علاقة قوة الدولة بالجغرافيا، أي حدود الدولة بوضعها أو ما ستكون عليه الدولة من خلال تفاعلها في إطار الجغرافيا مع الدول الأخرى.

* رئيس معهد الدراسات السياسية العالمية في ميلانو.

¹ Francis P. Sempa, *Geopolitic : From the Cold War to the 21st Century*, U.S.A. and London : Transaction Publishers, 2002, p. 3.

² Jakub J. Grygiel, *Great Power and Geopolitical Change*, The Johns Hopkins University Press, Baltimore, 2006, pp. 2-3.

كما يعتبر هذا الاتجاه أن الحدود مناطق مانعة لا ثبات فيها، وأنها قابلة للزحزحة لصالح الدول الأكثر قوة، وأن الحدود كثيراً ما تؤدي إلى قيام الحروب الدولية، لأن المساحة البرية لدولة معينة تحدد قوتها، ولذلك تسعى الدول وبشكل دائم لتوسيع حدود إقليمها، وأن الرغبة في التوسع تبدو بشكل أوضح لدى الدول القومية؛ أين تخضع الحدود للتغيير بشكل دائم حيث تصبح بذلك مناطق للصراع بين الدول، ويعتبر "راتزل" وكذلك "هوشوفر" أن الدول كمنظمات أو هيئات جغرافية حيث الحدود مدعوة لأن تتغير، ويجردانها من مفهوم "المجال الحيوي"، حيث شبه "راتزل" في هذا الإطار الدول بـ "الكائنات الحية" في كتابه "الجغرافيا السياسية"، حيث جاء في كتابه "تعارض الدولة في جميع مراحل تطورها ككائن حي مع ضرورة الحفاظ على ارتباطها بالتضاريس وبالتالي يجب دراستها من وجهة نظر جغرافية..."، والتي ترتفع مقدراتها على النمو بمدى الحيز المكاني الذي تتحرك وتتفاعل فيه، لذلك استندت نظريته على فكرة الحدود المانعة التي لا ثبات فيها وأنها قابلة للزحزحة في مصلحة الدولة الأكثر قوة¹.

الفقرة الأولى: نظرية القوة البحرية لألفريد ماهان² Alfred (1840-1914)

Thayer Mahan

وتتلخص نظرية القوة البحرية بأن السيطرة على البحر ضرورة أولية للسيادة العالمية، ولقد أكد ماهان على أهمية التطور البحري في تاريخ الدول، كما أكد على أن أهم عامل جغرافي يؤثر في قوة الدولة لا يكمن في عدد الكيلومترات المربعة من الأراضي التي تمتلكها الدولة، بقدر ما يكمن في طول السواحل والموانئ التي تسيطر عليها³.

¹ "FRIEDRICH RATZEL: THE STATE AS A PHYSICAL ORGANISM", *GEOPOLITICA*, MARCH 29, 2019, <[HTTPS://BIT.LY/3KGSVVJ](https://bit.ly/3KGSVVJ)> (JAN 13, 2020)

² يعد ألفريد ماهان 1840-1914 من أشهر المؤرخين في القوة البحرية وذلك لأن خلفيته في هذا الميدان تستند إلى الإعداد العلمي الذي أحرزه من خلال دراسته في الأكاديمية التي تخرج فيها عام 1859 وبعد هذا التاريخ أصبح ضابطاً في البحرية الأمريكية وتدرج في سلم الرتب العسكرية إلى أن وصل رتبة أميرال بحري وبعدها تقاعد في عام 1908 وله ثلاث كتب هي:

1- تأثير القوة البحرية في التاريخ بين سنة 1660 - 1783 والمنشور عام 1892.

2- تأثير القوة البحرية في الثورة والإمبراطورية الفرنسية 1793 - 1812 والمنشور عام 1892.

3- القوة البحرية في علاقتها مع الحرب عام 1812.

³ نصري ذياب خاطر، *الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا*، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص ص. 57-58.

يؤكد ماهان من خلال العديد من كتاباته أن الشرط الأساسي للقوة العالمية هو التحكم في البحر، فلقد كان مقتنعا بأن القوة البحرية في المحيطات لها اليد العليا في ترجيح الصراع في أي مشكلة عالمية، فالموقع البحري المناسب يعطي ميزة سياسية واقتصادية بعيدة المدى، بينما الموقع الحبيس يشكل عيبا نسبيا¹.

جادل ماهان بأن السيطرة البريطانية على البحار، جنبا إلى جنب مع انخفاض مماثل في القوة البحرية لمنافسيها الأوروبيين الرئيسيين، مهدت الطريق لظهور بريطانيا العظمى كقوة عسكرية وسياسية واقتصادية مهيمنة في العالم. اعتقد ماهان وبعض السياسيين الأمريكيين البارزين أنه يمكن تطبيق هذه الدروس على السياسة الخارجية للولايات المتحدة، لا سيما في السعي لتوسيع الأسواق الأمريكية في الخارج. كما أكد على أن الولايات المتحدة الأمريكية ينبغي عليها أن تتوفر على قوة بحرية قوية وقواعد بحرية حولها في مناطق عديدة من العالم.

وقد أضاف ألفريد ماهان أن الدول التي تقع على البحر يجب أن يكون لديها قوة بحرية مسندة بجيوش برية ليس في أراضيها فحسب، بل وفي قواعد خارج حدودها حتى يمكنها أن تدفع الخطر من أراضيها قبل أن يصل إليها.

إعتبر ماهان أن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة التي ستسيطر على العالم في المستقبل، لذلك ألح على ضرورة بناء السفن الكبيرة وتوسع أمريكا فيما وراء البحار وتحقيق التفوق البحري التام، في العديد من بحار ومحيطات العالم وبالأخص في البحر الكاريبي والمحيط الهادي.

تحققت نظرية ماهان بعد الحرب العالمية الثانية بتفوق الولايات المتحدة الأمريكية وبروزها الفائق كقوة عالمية، وذلك بتبنيها نفس الاستراتيجية البحرية البريطانية، وبذلك تراجعت بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية وفقدانها لقواعدها البحرية البعيدة

¹ فايز محمد العيسوي، الجغرافية السياسية المعاصرة، دار المعرفة، مصر، 2003، ص. 301.

(المستعمرات) لتحل محلها قوى أخرى لا زالت مهيمنة على المجال البحري العالمي إلى يومنا هذا، وهي الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين¹.

وجهت لنظرية القوة البحرية لماهان العديد من الانتقادات منها، أنه من الصعوبة السيطرة على البحر بصورة كاملة بعكس ما جاء في مفهوم ماهان، إضافة إلى أن المحيطات لا تكتسب أهميتها إلا بعلاقتها بالقوة الأرضية، كما أن الكثير من الحروب أثبتت أن القوة البحرية وحدها غير كافية لتحقيق الانتصارات، بل لابد من ترابط بين القوة البحرية والبرية والجوية².

الفقرة الثانية: نظرية قلب العالم لهارفرد ماكندر Halford Mackinder (1861-1947)³

تعد نظرية هارفرد ماكندر قلب العالم Heart Land أول نظرية عامة في الإستراتيجية العالمية، كما أنها إحدى النظريات المعروفة في مجال القوى العالمية وقد جاء بهذه النظرية في مقال له تحت عنوان "محور الارتكاز الجغرافي في التاريخ" The Geographical Pivot of History⁴ فقد نظر ماكندر إلى العالم ككل نظرة كوكبية حيث وجد أن قارات العالم القديم الثلاث يسكنها نحو 90% من سكان العالم بينما لا يسكن القارات الأخرى سوى 10% من سكان العالم.

أطلق ماكندر على قارات العالم الثلاث إسم جزيرة العالم World Island، ويرى أن من يستطيع أن يسيطر على جزيرة العالم فإنه سيسود العالم.

أطلق ماكندر على المنطقة الوسطى في الجزيرة العالمية إسم منطقة الارتكاز Pivot Area، وقد عدل هذا الاصطلاح فيما بعد إلى قلب الأرض Heart Land وهي منطقة تغطي مساحة قدرها 3309 مليون كيلومتر مربع، بحيث تمتد من نهر الفولغا غربا في

¹ حسام الدين جاد الرب، الجغرافية المبسطة، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص.216.

² صبري فارس الهيتي، الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبوليتيكية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص.186.

³ يعد السير هالفورد ماكندر Sir Halford Mackinder أحد الجغرافيين البريطانيين البارزين، وقد شغل هذا الأستاذ عدة مناصب علمية، فكان مديرا نائبا لرئيس الجمعية الجغرافية الملكية.

⁴ نصري ذياب خاطر، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، مرجع سابق، ص.52.

روسيا إلى شرق سيبيريا، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى هضاب إيران وأفغانستان وبلوجستان في الجنوب، تتكون المناطق الشمالية والوسطى والغربية من سهل عظيم الاتساع ولا يقطعه سوى جبال الأورال¹.

نتلخص نظرية قلب العالم لماكندر في الجمل التالية:

- من يحكم شرق أوربا يسيطر على العالم.
- من يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم.
- من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم بأسره.

استمرت نظرية ماكندر لمدة تقارب القرن حيث إنه لم تنهار معظم فروضها إلا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي نهاية عام 1990، فالى جانب مزايا قلب العالم إلا أن توسط هذا القلب يجعله عرضة لائتلاف الهوامش؛ والذي قد يركز عليه الغرب بواسطة الأسلحة الجوية الحديثة، حيث إن البعض يرى أن ماكندر لم يأخذ بعين الاعتبار التطورات التكنولوجية في الأسلحة، فالسلاح الجوي والنووي قد عمل على كشف قلب العالم للغزو وسلبه مناعته الطبيعية وعمقه الاستراتيجي.

هناك أيضا من انتقد نظرية ماكندر على اعتبار أنه لم يأخذ بعين الاعتبار التطورات الإيديولوجية أيضا، إذ أن قيام بعض الثورات الشيوعية في دول الهلال الداخلي مثل الصين عام 1949، وكوريا الشمالية 1951، وفيتنام 1954، وكوبا 1960 في الهلال الخارجي، وجميعها تعدم القلب ولكن ليس بالغزو العسكري كما اعتقد ماكندر، بل بما يطلق عليه حاليا القوة الناعمة Soft Power².

¹ صبري فارس الهيثي، دراسات في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكس، مرجع سابق، ص. 208.
² عباس غالي الحديثي، نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات، دار اسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص ص. 46-47.

الفقرة الثالثة: نظرية الإطار Rimland لنيكولاس سبيكمان Nicholas Spikmn (1893-1943)¹

إهتم سبيكمان بدراسة مشكلات القوة وأثرها في العلاقات الدولية وقد تأثر سبيكمان إلى حد كبير بنظرية ماكندر، ولكن توصل إلى استنتاجات تخالف ما قرر ماكندر².

عدل سبيكمان نظرية ماكندر، حيث أنه لاحظ أن قلب العالم يحتل إقليمًا جغرافيًا لا يتمتع بصفات تؤهله لهذه القيادة أو المركز الخطير الذي وضعه فيه ماكندر، ولهذا فإن سبيكمان يرى أن الحافة التي تحيط بالقلب (الهلال الهامشي)، والتي سماها ماكندر (المنطقة الوسطى) والتي تشمل الوطن العربي بمشرقه ومغربيه، وأوروبا عبر الاتحاد السوفياتي وإيران وأفغانستان، وجنوب شرق آسيا والصين وكوريا، هي أعظم أهمية من القلب نفسه إذ أن منطقة الحافة تعتبر منطقة إلتقاء القوى البرية الزاحفة من الاتحاد السوفياتي ودول المعسكر الشرقي بالقوى البحرية والبرية لكتلة المعسكر الرأسمالي، سواء في أوروبا أو آسيا أو شمالي إفريقيا أو البحار المحيطة بها³.

أضاف سبيكمان أن الصراع والتنافس بين القوى العظمى سوف يكون على السيطرة على حافة الأرض Rimland، وقد أصبحت آراء سبيكمان أساسًا للسياسة الأمريكية في احتواء المد الشيوعي، خاصة مع ظهور الإتحاد السوفياتي بصفته المسيطر الأوحده على قلب العالم، وقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في إنشاء حلف شمال الأطلسي لمد نفوذها على الجانب الغربي من حافة الأرض، بالإضافة إلى أنها تلعب دورًا فعالًا في تقليص الدور الروسي في شرق آسيا عبر زيادة تواجدتها العسكري في الفلبين وكوبا، وإنشاء عدة تحالفات عسكرية استراتيجية مع دول آسيا باعتبارها جزءًا من سياستها لاحتواء منطقة حافة الأرض⁴.

¹ نيكولاس سبيكمان كان أستاذًا بجامعة ييل Yale الأمريكية ومن أهم المفكرين في السياسة العالمية والمتخصصين في الاستراتيجية الدولية و الجيوبوليتيكس.

² صبري فارس الهيتي، دراسات في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكس، مرجع سابق، ص.ص. 214-215.

³ المرجع نفسه، ص. 284.

⁴ فايز محمد العيسوي، الجغرافية السياسية المعاصرة، دار المعرفة، مصر، 2003، ص.ص. 215، 217.

بشكل عام، يدعو سبيكمان في نظرية الحافة إلى بناء قوة عسكرية جبارة ذات مفعول كبير في الردع العالمي، وكذلك يدعو إلى قيام قواعد عسكرية وتحالفات دفاعية وتكتلات اقتصادية للدول التي تتعاطف مع الحضارة الغربية، كدول أوروبا الغربية وكندا بالإضافة إلى الولايات المتحدة، وأن قيام تلك القواعد والتكتلات يجب أن يتمشى جغرافيا مع مناطق الهلال الخارجي الذي جاء في نظرية ماكندر، أي المناطق الساحلية لأوروبا وآسيا وشمال إفريقيا والجزر المحاذية لها، وإن تحالفات كهذه سوف تضرب طوقا عسكريا (دفاعيا) تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية وتتواجد قواتها فيه إن دعت الضرورة، كما أن هذه المناطق يجب أن تحظى بالتطور والتنمية الاقتصادية، لتبعد تفكير سكانها عن الإغراء الذي تدعو إليه المنطقة المركزية (الاتحاد السوفياتي) وحلفاؤها، وإذا ما تمت هاتان المرحلتان - القوة العسكرية الرادعة مع القواعد العسكرية والتطور الاقتصادي لمنطقة الهلال الخارجي - عندئذ يتم تحديد قوة المنطقة المركزية وتوسعها¹.

لازال المصدر الجغرافي للصراعات الدولية يتسبب في العديد من الصراعات المعاصرة، سواء كمصدر مباشر للصراع، أو كحجة تساق لتبرير السلوك الصراعي، كما يمكن للجغرافيا أن تعمل كوسيط للنزاع بين دولتين متلاصقتين جغرافيا، كما يمكن أن يرتبط المتغير الجغرافي بعامل السكان في تفسير مصادر بعض الصراعات، فضغط السكان على مساحة الدولة، وامتداد الأمة التي توجد خارج الحدود السياسية للدولة المعبرة عن هذه الأمة، والتي تعيش تحت سيطرة دولة أخرى، أو على جزء من إقليمها متاخم لإقليم الدولة الأخرى، يمكن أن تكون نقطة بداية لمواقف تعارض بين دولتين تسعى فيه الأولى لضم إقليم الدولة الملاصقة لها، أو جزء منه أو ضم الإقليم الذي تعيش عليه الامتدادات القومية لشعبها.

إن أهمية بعض المناطق الجغرافية تزيد من احتمالات دخول الدول في نزاعات من أجل السيطرة عليها، وذلك للأسباب التالية:

¹ صبري فارس الهيتي، الجغرافيا السياسية مع تطبيقاتها المعاصرة، مرجع سابق، ص.ص. 193-194.

✓ إن أهمية هذه الأقاليم قد تكون ذات أهمية إستراتيجية لطرف واحد أو أكثر، حيث إن الذي يسيطر على المنطقة موضوع النزاع، تكون له ميزة عسكرية واضحة على الدولة غير المسيطرة.

✓ قد تكون الأراضي ذات قيمة اقتصادية لوحداث أو أكثر من الأطراف لاحتوائها على ثروات طبيعية ومعدنية.

✓ قد تكون ذات أهمية لدولة معينة أو مجموعة من الدول لأسباب عقائدية أو دينية.

✓ قد تدخل الدول في نزاعات إقليمية لأسباب قانونية أو تاريخية.

كما توصلت عدة دراسات تطبيقية إلى وجود علاقات قوية بين الصراعات الدولية وعوامل الجغرافيا، خاصة التجاور والتقارب والتنازع على أقاليم أرضية ومائية، وبالمقارنة بين هذه العوامل، يرى "فاسكيز Vasques" "أن عامل التنازع على الأقاليم أقدر على تفسير الصراعات الدولية من التقارب الجغرافي -وكذلك مستوى التفاعل بين الدول المتصارعة-، وبمقارنة عامل التنازع على الأقاليم مع عامل اختلاف الدولتين في شكل نظام الحكم أو سياسته، وجد أن عامل التنازع على الأقاليم يزيد احتمال وقوع حرب بين الدولتين بشكل أكبر"¹.

إن أهمية هذا المدخل في دراسة النزاع الدولي تكمن في إبراز دور العامل الجغرافي وتأثيره على سلوكيات الدول، وبالأخص في إثارة الصراعات الدولية، وبروزه كعامل مساعد في زيادة احتمالية الدخول في صراعات بين دول تنطوي على مصادر صراعية أخرى؛ خاصة إذا ارتبط الأمر بأهمية منطقة جغرافية لطرفين أو أكثر، وإذا كانت هذه المنطقة تحظى بأهمية اقتصادية أو إستراتيجية كمطقة الشرق الأوسط.

¹ بلخيرات حوسين، "نهاية الحرب الباردة والتنظير في النزاع الدولي"، المعهد المصري للدراسات، 8 غشت 2017، <https://bit.ly/34iJ6no> (7 مارس 2018)

الفرع الثاني: المركز الجيواستراتيجي¹ لمنطقة الشرق الأوسط

تحتل منطقة الشرق الأوسط مكانا بارزا/رياديا في أي فكر استراتيجي، حيث ارتبطت أهميته بكونه جسر السيطرة على العالم، نظرا لعمقه الحضاري الضارب في التاريخ وتموقعه الجيوبوليتيكي الحساس، علاوة على القيمة الطاقوية الهائلة، هذه الخصائص جعلته من أكثر مناطق العالم أهمية، زكته وتيرة التحركات العالمية تجاهه.

هذه الأهمية تفسر كونه ساحة للصراع الدولي حول الزعامة تمثلت في الماضي في مرحلة ما يعرف بالحرب الباردة، وتتمثل الآن في صراعات وأزمات لا زالت تعصف بالمنطقة، سببها الرئيس الصراع العالمي حول السيطرة، هذا الصراع حول المنطقة لم يكن وليد الترف الاستراتيجي، بل كان مؤسسا له بمناظير جيوبوليتيكية وقواعد استراتيجية كان الإجماع فيها أن منطقة الشرق الأوسط تكاد تكون مفتاح قيادة العالم.

تتميز منطقة الشرق الأوسط بخصائص عدة أهمها:

■ إن الشرق الأوسط إقليم جغرافي يتوسط دائرة تضم القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوربا التي يعيش عليها أكثر من ثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية، وفيه تتضارب المصالح السياسية والاقتصادي والاجتماعية المحلية والعالمية، وما يتفرع عنها من تناقضات على مختلف الأصعدة².

■ تشرف المنطقة على أكبر مجموعة مائية من البحار والمحيطات هي: بحر قزوين، والبحر الأسود، والبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، والخليج العربي والمحيط الهندي.

¹ هناك خلط لدى الكثيرين بين الجيوستراتيجية والإستراتيجية والجيوبوليتيك، والجغرافيا السياسية. كما أن تعريف الجيوستراتيجية قليل جدا في المرجعيات العربية. عرفها أمين: (بأنها التخطيط السياسي والاقتصادي والعسكري الذي يهتم بالبيئة الطبيعية، من ناحية استخدامها في تحليل أو تفهم المشكلات الاقتصادية أو السياسية ذات الصلة الدولية). وأضاف: (أن الجيوستراتيجية تبحث في المركز الإستراتيجي للدولة أو الوحدة السياسية، سواء في الحرب أو السلم، فتتناوله بالتحليل إلى عناصره أو عوامله الجغرافية العشرة، وهي: الموقع، والحجم، والشكل، والاتصال بالبحر، والحدود، والعلاقة بالمحيط، والطبوغرافيا، والمناخ، والموارد، والسكان). أما عدنان يقول: إن مصطلح الجيوستراتيجية يعني: (دراسة الموقع الإستراتيجي للدولة أو المنطقة الإقليمية، ومدى تأثير هذا الموقع في العلاقات السلمية والحربية). سعود عابد، "الفرق بين الاستراتيجية والجيوستراتيجية"، مجلة الجغرافيين الشباب، <<https://bit.ly/3neJbBm>> (14 ماي 2018)

² سمير أمين وآخرون، العولمة والنظام الدولي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2004، ص. 15.

■ إنها تحتوي على العديد من الأنهار المهمة مثل: دجلة- الفرات- نهر الأردن، إضافة إلى الأنهار الصغيرة، وهي في أغلبها صالحة للملاحة، وتتحكم في الشرق الأوسط مجموعة من المداخل الرئيسية مثل:

- **قناة السويس:** ممر مائي من صنع الإنسان يبلغ طوله 190 كيلومتر يعبر برزخ السويس في شمال شرق مصر، يربط بين خليج السويس (مصر) والبحر الأبيض المتوسط، وتعد قناة السويس الطريق الأقصر والأسرع للسفن التجارية والحربية بين دول المنطقة وحتى اتجاه الدول المحيطة بها¹.

- **مضيق البوسفور والدردنيل:** هما ممران استراتيجيان يقعان ضمن الأراضي التركية، حيث يصل مضيق البوسفور بين البحر الأسود وبحر مرمرة بينما يربط الدردنيل بين بحر مرمرة وبحر إيجه؛ والذي بدوره يتصل بالبحر الأبيض المتوسط، مما يجعله أساس الحركة البحرية التي تربط مختلف دول القارة الأوروبية بالقارة الآسيوية².

- **مضيق باب المندب:** يشكل المضيق رابطا استراتيجيا حيويا في طريق التجارة البحرية بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي عبر البحر الأحمر وقناة السويس، ويعد هذا المضيق ممرا مهما لكل من الأردن والسودان وإثيوبيا، فهو الممر الوحيد لتجارتها البحرية في حال غلق قناة السويس، ولقد كان مضيق باب المندب منطقة تنافس بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي أثناء الحرب الباردة، حيث قام كل من الطرفين بإقامة قواعد عسكرية لهما بالقرب من المنطقة وتحديدًا في موقاديشيو بالصومال وجزيرة "دهلك" الإثيوبية³.

¹ Marie-Christine Doceul et Sylviane Tabary, "Le canal de Suez, les nouvelles dimensions d'une voie de passage stratégique", *Géoconfluences*, 19 mars, 2018, <<https://bit.ly/3cGhXhU>> (23 Janvier 2019)

² ليلي مدني، *الثقل الآسيوي في السياسة الدولية، محددات القوة الآسيوية*، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، برلين، 2018، ص. 30.
^{*} أرخبيل "دهلك" هو تجمع جزر في البحر الأحمر قبالة الشواطئ الإريتيرية قرب مدينة مصوع، ويبلغ عدد الجزر 126 جزيرة يسكنها حوالي 3000 نسمة.

³ Johne Calabrese, "The Bab el-Mandeb Strait: Regional and great power rivalries on the shores of the Red Sea", *Middle East Institute*, January 29, 2020, < <https://bit.ly/3ifoG3w> > (12 March, 2020)

- **مضيق هرمز:** وهو الأكثر أهمية من ناحية الجغرافيا السياسية؛ إذ يصل هذا المضيق بين الخليج العربي وخليج عمان والخليج الفارسي أي بين إيران وعمان، وتكمن أهميته في الصراع الأمريكي السوفياتي سابقا على التحكم فيه من خلال إقامة قواعد عسكرية في الجزر القريبة منه، بما في ذلك دولة البحرين (القوات الأمريكية).

بالإضافة إلى أن هذا المضيق "تمر به يوميا أكثر من 50 ناقلة نفط أي بمعدل ناقلة كل 19 دقيقة"، كما "أن هذا المضيق هو بعرض 34 كيلومتر وهو أضيق من ذلك في الوسط، مما يعني وجود إمكانية لزرع الألغام في تلك الأماكن الضيقة عبره، وهو ما يعني وقف تدفق أكثر من 18 مليون برميل نفط يوميا"، هذا ما يضيفي الأهمية الاستراتيجية لهذا المضيق بصفة خاصة ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، مضيق هرمز يقع بين عمان وإيران¹.

- **الخليج العربي:** هو الخليج الذي أضاف بدوره بعدا استراتيجيا للجغرافيا في منطقة الشرق الأوسط، من خلال وقوعه على خط الطرق المؤدية إلى الهند والشرق الأقصى، والذي تحول إلى معبر أساسي لنقل النفط من مراكز إنتاجه ومختلف القطع الحربية واتصاله بالمحيطات عن طريق مضيق جبل طارق وباب المندب ومضيق هرمز²، مما يعني أنه منطقة وصل بين مختلف المضائق والممرات البحرية في المنطقة، وقد حاولت القوى الكبرى منذ القدم السيطرة على هذه الممرات والتحكم فيها، باعتبار أن الأمر كان مرتبطا بحركة الملاحة البحرية والتجارة من خلال عمليتي التصدير والاستيراد.

وليس ببعيد ذلك الصراع الكبير الذي كان بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، من خلال السيطرة على هذه الممرات والمعابر والقضاء على أطماع غيرها من الدول، من خلال ممارسة نفوذها وسيطرتها على كل منطقة الشرق الأوسط، سواء من خلال المشاريع التي طرحت كمشروع إيزنهاور (اليونان وتركيا)، أو سلسلة الأحلاف التي ضمت دولا من المنطقة، كحلف بغداد سنة 1955 (تركيا وباكستان وإيران والعراق) أو

¹ ليلي مدني، *الثقل الآسيوي في السياسة الدولية، محددات القوة الآسيوية*، مرجع سابق، ص. 31.
² محمد مراد، *السياسة الأمريكية اتجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي*، دار المنهل اللبناني للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص. 144.

مجموعة القواعد العسكرية الموجودة تقريبا بكل الدول التي تشملها منطقة الشرق الأوسط حاليا ما عدا إيران.

والأكثر أهمية اليوم أن "يتم نقل غالبية النفط أي حوالي 63% من إنتاج النفط اليومي في العالم عن طريق البحر إلى الدول المستهلكة، و70% منه يجب أن يمر بأربع نقاط محتملة وكلها غير آمنة وهي: مضيق ملقا* والبسفور في آسيا وباب المندب ومضيق هرمز في الشرق الأوسط؛ بحيث أن تأمين هذه الطرق هو أمن وطني أساسي وأولوية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والصين ودول الخليج¹، وهو ما يزيد من أهمية طرق التجارة عبر منطقة الشرق الأوسط من خلال مضيق باب المندب ومضيق هرمز.

■ تتميز المنطقة بالاتساع والعمق ومن ثم فهي تتيح نشر القواعد العسكرية في أوقات الحرب، ولها مقدرة على امتصاص الضربات العسكرية حتى غير التقليدية.

■ تتميز هذه المنطقة بوفرة وتعدد المصادر الطبيعية والثروات المعدنية ومصادر الطاقة، هذا فضلا عن تنوع المناخ الذي يتميز بالاعتدال في أغلبه².

ولا شك أن الأهمية الجيوستراتيجية للطاقة الناضبة في منطقة الشرق الأوسط تجعل من المنطقة مركزا ومحط أنظار العالم بأسره؛ إذ يعد النفط من أهم عناصر التقدير الإستراتيجي للدولة وعليه تستند قوة الدولة، ومن خلال سيطرتها على هذه الثروة تتحكم في الصراع العالمي بأسره وليس الإقليمي فحسب بوصفه مؤشرا حقيقيا لقياس تقدم الأمم وازدهارها، فهو محور الصراع الاقتصادي والسياسي في العالم³.

* مضيق ملقا هو عبارة عن 500 ميل طويلة بين ماليزيا وجزيرة سومطرة الأندونيسية، وهو أيضا موطن لكثير من المخاطر نتيجة القرصنة.

¹ Robert E. Harkavy and Geoffrey Kemp, "Strategic Geography and the Changing Middle East", BROOKINGS, May 1, 1997, < <https://brook.gs/3kWsfnP> > (March 12, 2018)

² ممدوح محمود مصطفى منصور، ، الصراع الأمريكي السوفييتي في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص.55.
³ زياد عبد الرحمن علي الكوراني، منطقة تزاخم الاستراتيجيات بين الطاقة والصراعات الإقليمية، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2016، ص، 66. عن مجموعة باحثين، مستقبل السياسات الدولية تجاه الشرق الأوسط، مركز دراسات الشرق الأوسط، الطبعة الثالثة، عمان، 2003، ص ص. 21، 24.

ومن هنا يمكن إدراك سبب تزايد هذا الصراع وتفاقم حدته في منطقة الشرق الأوسط¹، فلقد زاد اعتماد الدول الصناعية الكبرى على النفط الذي أصبح عصب الحياة الاقتصادية لتلك الدول، وارتبط ذلك بمصالحها في المنطقة والذي بدأ الصراع بينها حول السيطرة على مصادره في منطقة الشرق الأوسط². إذ يقول الخبير النفطي "نقولا سر كيس" في كتابه "البترول عامل وحدة" (أن تاريخ الشرق الأوسط يكاد يقرأ حرفاً حرفاً من خلال عمليات استثمار النفط)، ويضيف (إن تاريخ النفط هو تاريخ الإمبريالية)³. وكتب (كالفين كوليدج)* عند افتتاح اللجنة الفدرالية للنفط "إن تفوق الأمم يمكن أن يتقرر بواسطة امتلاك النفط ومنتجاته"⁴. بينما أكد الرئيس جيمي كارتر على أهمية الشرق الأوسط والذي رأى فيه بأن الحقوق النفطية وسلامتها تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي الأمريكي⁵.

وإلى ذات المعنى يشير "نعوم تشومسكي" بقوله "لو لم يكن الشرق الأوسط يحتوي على معظم احتياطات الطاقة في العالم لما اهتم به صانعو السياسات في عالمنا اليوم"⁶. ويذكر "هارولد إيكس"⁷ في مذكراته أنه وكبار مستشاري الرئيس الأمريكي الأسبق "فرانكلين روزفلت"، كانوا يجلسون في البيت الأبيض ساعات يناقشون عالم ما بعد الحرب، ومضى يقول "كنا نضع البوصلة على أي موقع فوق مائدة الاجتماع، وحيثما وضعناها فإن إبرتها كانت تقفز تلقائياً إلى ناحية الشرق الأوسط"⁸.

¹ براء عبد القادر، القدرات العسكرية الإيرانية وأثرها في ميزان القوى في الخليج العربي، كلية العلوم السياسية جامعة النهرين، 2002، ص. 62.

² كوثر عباس الربيعي، "التأثير الأمريكي في سوق النفط العالمي"، مجلة دراسات دولية، العددان 31-32، بغداد، 2006، ص. 90.

³ المرجع نفسه.

* كالفين كوليدج (Colledge) و رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق للمدة (1923-1929).

⁴ نعوم تشومسكي وجليبر الأشقر، السلطان الخطير السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، تحرير ستيفن شالوم، ترجمة ربيع وهبة، دار الساقى، 2007، ص. 91.

⁵ عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص. 84.

⁶ نعوم تشومسكي وجليبر الأشقر، السلطان الخطير: السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، تحرير ستيفن شالوم، ترجمة ربيع وهبة، دار الساقى، 2007، ص. 91.

⁷ هارولد إيكس كلير كان مسؤول أمريكي وسياسي شغل منصب وزير الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية لمدة 13 عاماً، من عام 1933 إلى عام 1946، وهي أطول فترة شغلها أي شخص لهذا المنصب، وثاني أطول عضو في مجلس الوزراء خدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بعد جيمس ويلسون. Harold L. Ickes, Wikipedia, (10 March, 2019) <https://en.wikipedia.org/wiki/Harold_L._Ickes>

⁸ محمد حسنين هيكل، حرب الخليج، أو هام القوة والنصر، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1992، ص. 73.

تدل احتياطات النفط الهائلة التي تتوفر عليها منطقة الشرق الأوسط على أهمية المنطقة من الناحيتين الاستراتيجية والجيوستراتيجية؛ إذ يكتسب النفط أهميته كونه سلعة لا بديل عنها في الوقت الحاضر، كذلك على المدى المتوسط؛ إذ أن المصادر البديلة مازالت بطيئة التطور من حيث مجالات استخدامها، وأن أغلب التكنولوجيا المعاصرة قد صممت لاستخدام النفط والغاز كوسائل احتراق لأغلب المحركات في العالم، حيث يشكل النفط بأشكاله المختلفة والغازولين ووقود الديزل، ووقود المحركات النفاثة وغيرها 95% من كل طاقة النقل المستهلكة في عالم اليوم.

وبذلك، فإن خصائص الشرق الأوسط الجيوبوليتيكية ومركزه الجيوستراتيجي جعلته نقطة تماس استراتيجي، وساحة صراع وتنافس دولي كبير بين قوى كبرى في مقدمتها روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، مما جعل البلدين يدخلان في صراع شديد حول منطقة الشرق الأوسط، لما يشكله لكل منهما من أهمية.

المطلب الثاني: الرؤية الروسية والأمريكية لجيوبوليتيك الشرق الأوسط

من خلال هذا المطلب سنحاول التطرق لرؤية كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية لجيوبوليتيك الشرق الأوسط، انطلاقاً من أهمية هذا الجيوبوليتيك لكلا الدولتين سواء من خلال إبراز أهميتها كم منطقة جغرافية مجاورة للحدود الجنوبية لروسيا، ودورها الحيوي في المصالح العليا لروسيا...، وكذا دوره - الجيوبوليتيك - في بلورة التوجهات الخارجية للسياسة الأمريكية في المنطقة.

الفرع الأول: الجيوبوليتيك الشرق أوسطي من منظور روسي

تنطلق السياسة الروسية الجديدة من رؤيتها لأهمية القيمة الجغرافية والاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط، باعتبارها تحتل مكان الصدارة في سلم الاهتمامات العالمية، وأنه لا يمكن لأي نظام عالمي أن يتشكل بعيداً عن تلك المنطقة الاستراتيجية، وفيها يتقرر مركز

توازن القوى، ولكونها تمثل منصة ارتكاز ورافعة سياسية لأي دور محتمل لأي قوة أمريكية كانت أم روسية¹.

تعتبر روسيا الشرق الأوسط منطقة جغرافية مجاورة لحدودها الجنوبية، وحيوية لمصالحها العليا، تؤثر في أمنها القومي واقتصادها في آن واحد، وتتنظر إليها باعتبارها بقعة أرضية متواصلة مع المساحة الأوراسية المترامية، ولهذه الأوراسيا أبعاد عقائدية في ذاكرة الروس، كانت هذه العقيدة تتطلع باستمرار إلى الجنوب والغرب، أكثر مما تتطلع إلى الشرق والشمال.

الفقرة الأولى: التواصل الجغرافي بين روسيا والشرق الأوسط

يشكل العامل الجغرافي مصدرا هاما من المصادر التي تدفع الدور الروسي في الشرق الأوسط إلى الأمام، فهناك شكل من أشكال التواصل الذي تعنيه مجموعة من العوامل المؤثرة في الحراك السياسي الروسي عبر تاريخ غابر وصولا إلى يومنا هذا؛ من هذه العوامل نجد الممرات المائية والمعابر البرية والاعتبارات الدينية، إضافة إلى العامل الاقتصادي.

لقد كانت أوراسيا تعتبر في علم الجيوبوليتيك قلب العالم². هذا الاعتبار يدفع إلى الأمام أيضا بالاهتمام الروسي نحو جنوب متنوع حضاريا ودينيا وثقافيا، كما أنه يحتوي على أراض وهضاب وبحار وممرات مائية استراتيجية وحيوية، وفيها العديد من عناصر الجذب للاهتمامات السياسية، خصوصا وأن شمال روسيا متجمد طيلة أيام السنة بحيث يفتقر إلى الحركة، وشرقها بعيد ومتعب وغربها كان على الدوام مصدر الهموم والقلق والتهديد.

في جنوب غرب روسيا تتنافس وتتلاقى ثلاثة من الكيانات السياسية والجغرافية، وتكاد تختصر المساحة السياسية التي كانت وما تزال تتحرك فيها الشرق أوسطية السياسية، وهذه التوجهات الثلاثة لها تطلعات نحو آسيا الوسطى وجنوب روسيا، حيث تتنافس على

¹ عبد الغني سلامة، "السياسة الروسية في الشرق الأوسط"، الحوار المتمدن، العدد 3335، 13 أبريل 2011، <<https://bit.ly/3limVFH>> (19 ماي 2019)

² ألكسندر دوغينين، أسس الجيوبوليتيكا ومستقبل روسيا، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 232.

النفوذ بين صفوف السكان ذات الأصول الإسلامية. عنيت التوجه التركي والتوجه الإيراني، والتوجه الوهابي (ذي الأبعاد العربية)¹.

وكون عدة ملايين من أبناء روسيا يدينون بالإسلام، فإن أسبابا داخلية روسية تدفع هذه الأخيرة إلى تعزيز هذا التواصل، الذي يحدث تأثيرات كبيرة سنعرض لها فيما يلي:

أولا: التواصل الروسي - الإيراني

منذ زمن بعيد كانت روسيا تتطلع إلى إيران كامتداد جغرافي حيوي يشكل إحدى المعابر البرية باتجاه المياه الدافئة في الخليج والمحيط الهندي، ولإيران مخرج على كل نقاط أوراسيا الإستراتيجية. هذه الأوراسيا المتنوعة والحيوية يطلق على دول آسيا الوسطى فيها تسمية "بلقان أوراسيا" نظرا لمكان النزاع فيها².

وهذا التواصل الجغرافي يفرض تواسلا جيوسياسيا بين روسيا وإيران، تحاول موسكو الاستفادة من الموقع الإيراني في لعبة شد الحبال مع الغرب، وتحديدًا مع الولايات المتحدة الأمريكية كون إيران على عدااء مع هذه الأخيرة، والوحيدة تقريبا التي تحدث علنا نظام القطب الواحد، وكذلك الاستفادة من قدراتها الاقتصادية والمالية، وكونها ثاني أكبر منتج للغاز بعد روسيا التي تشرف على تشغيل أكبر حقل للغاز في العالم، بواسطة شركة "غاز بروم" وهو حقل "فارس الجنوبية" الإيراني، وتتعاون معها في سياسة إنشاء ممرات للنفط والغاز.

تستفيد روسيا أيضا من الجيوبوليتيك الإيراني لمواجهة التغلغل التركي واختراق التمويل الوهابي- العربي في أوساط الجمعيات الإسلامية، والأندية الحاكمة في دول آسيا الوسطى³. وروسيا وإيران يسعيان معا إلى منع ضم بلدان آسيا الوسطى إلى أحلاف لا تكن

¹ عماد الدين حاتم، "المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا"، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 112، خريف 2003، ص. 63.

² ميشال يمين، "العلاقات الروسية - الإيرانية"، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، ربيع 2004، ص. 78.

³ عمان الدين حاتم، "المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا"، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 113، 2004، ص. 64.

مشاعر ود للدولتين، ويتخوفان سرا من قيام "تركيا الكبرى"، مما يؤدي إلى سيطرة حلف الأطلسي على المنطقة، كون تركيا عضوا فاعلا في هذا الحلف منذ عشرات السنين¹.

وبالمقابل استفادت إيران إلى أقصى الحدود من علاقاتها الجيوسياسية مع روسيا، لاسيما بعد أن أصبحت قوة إقليمية عظمى في الشرق الأوسط ووسط آسيا، وبعد أن ارتاحت من خصميتها اللدودين على يد القوات الأمريكية، أي حركة طالبان في أفغانستان، والرئيس السابق صدام حسين في العراق².

لقد شكلت موسكو لإيران تلك المظلة التي تحميها طيلة أعوام في مجلس الأمن، إضافة إلى الاستفادة المتبادلة في التحكم بأسعار الغاز الطبيعي، وأيضا في تطوير ترسانتها العسكرية، واستفادت إيران إلى مدى بعيد من الضربة العسكرية الروسية لجورجيا في آب 2008، التي أفستت على الغرب وإسرائيل خطة محكمة لتطويق إيران.

إيران مرشحة نظرا لموقعها بأن تكون "نواة المعسكر الأوراسي الكبير"، فيما لو سمحت الظروف الدولية بإقامته في المستقبل³.

في المقابل، فإن لهذا التواصل الجيوليتيكي بين روسيا وإيران، الكثير من الأوجه السلبية على السياسة الروسية، فتعاضد الدور الإيراني يثير محاذير كبيرة للسياسة الخارجية الروسية ويخلق لها المتاعب، خاصة بعد فترة تولي الرئيس محمود أحمدي نجاد للسلطة عام 2005، حيث زادت عملية تصدير المشكلة الإيرانية إلى الخارج عن طريق خطاب سياسي متشدد حول الملفات الحساسة، كموضوع العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين والملف النووي والانتشار العسكري الأمريكي دون أن يكون لموسكو قوة التأثير في القيادات الإيرانية.

لقد شكل الامتداد الإيراني في الأساس مانعا للطموح الروسي من الوصول إلى المياه الدافئة⁴. كما أن خلافا سريا وغير معلن يجري بين الطرفين على اقتسام ثروات بحر قزوين مع الدول الخمس المطلة عليه. وقد زادت متاعب موسكو أكثر فأكثر من الدور

¹ ميشال يمين، "العلاقات الروسية- الإيرانية"، مرجع سابق، ص. 74.

² ماجد كيالي، "التجاذب الإيراني- الأميركي"، مجلة شؤون عربية، القاهرة العدد 30، 2007، ص. 14.

³ الكسندر دوغين، أسس الجيوبولتيكا ومستقبل روسيا، مرجع سابق، ص. 419.

⁴ عماد الدين حاتم، المستقبل الجيوبولتيكي لروسيا، مرجع سابق، ص. 62.

الإيراني بعد تجارب إطلاق الصواريخ البعيدة المدى التي أجرتها طهران والتي تصل إلى مسافة 2000 كلم.

إن الخشية الروسية من تحول إيران إلى دولة إقليمية عظمى منافسة جيوسياسيا لها بدأت تتوضح شيئا فشيئا خاصة إذا ما نجحت طهران في امتلاكها سلاحا نوويا¹.

تشكل إيران بقعة جغرافية في غاية الأهمية والحيوية لروسيا؛ سواء باعتبارها منفذا لها نحو المياه الدافئة، وكذا في كون إيران ورقة ضغط وسلاح في وجه المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط. فورقة إيران تستخدم في علاقة الشد والجذب بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في القضايا الحساسة والساخنة بين البلدين، وخير مثال على ذلك؛ وقف موسكو تسليم طهران منظومة صواريخ للدفاع الجوي متطورة بعد إعلان واشنطن صرف النظر عن إقامة الدرع الصاروخي في تشيكيا وبولونيا، ونفس الشيء ينطبق على انخراط موسكو في التحالف الدولي المناهض لامتلاك إيران سلاحا نوويا.

ثانيا: التواصل الروسي – التركي

لا يتشابه تأثير التواصل الجغرافي بين روسيا وتركيا، مع تأثير مثيله بين روسيا وإيران، رغم وجود تقاطع في بعض المقاربات لاسيما في التعارض أحيانا والالتقاء أحيانا أخرى في صراع النفوذ على كسب تأييد المجموعات الإسلامية في جنوب روسيا ودول آسيا الوسطى حيث يلعب الدور الروسي على التناقض بين توجه كل من طهران وأنقرة.

إن العلاقات بين روسيا وتركيا تعود إلى أكثر من خمسة قرون، غلب على معظمها نمط التنافس والحروب على عكس ما هو حاصل اليوم، وخاصة في السنوات العشر الماضية من تقارب وتعاون وحذر متبادل لم يصل أبدا إلى الخلاف. فتركيا أول دولة اعترفت بوراثة روسيا للاتحاد السوفياتي عام 1991، وبين الدولتين اليوم أكثر من 60 معاهدة تتعلق بالتعاون الاقتصادي والتجاري، أهمها خطة التعاون في القارة الأوراسية للعام 2001، وتأسيس "مجلس التعاون الاستراتيجي رفيع المستوى" في عام 2012، ثم تكريس

¹ أحمد دياب، "أوباما وإعادة صياغة العلاقات الأمريكية – الروسية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 176، نيسان 2009، ص. 233.

القمة الروسية-التركية في ديسمبر 2014 لهذه الشراكة الإستراتيجية في العديد من المجالات، منها تطوير القدرات الفضائية التركية وبناء مفاعلها النووي واعتمادها ناقلا وحيدا للغاز الروسي إلى أوروبا، وزيادة حجم التبادل التجاري بينهما إلى 100 مليار دولار في المدى القريب¹.

إلا أن التراكمات التاريخية، وحيثيات التواصل الجغرافي مازالت ترخي بظلالها على العلاقات بينهما بين الحين والآخر، فما زال في روسيا من يعتبر أن تركيا غير موجودة، ويجب أن تقسم بين اليونان والأكراد الذين تربطهم بروسيا علاقات تاريخية، والتعاون معها لا يجب أن يلغي الحلم بإقامة حزام "سلافي" حولها من اليونان وأرمينيا وصربيا وقبرص وبلغاريا².

وتحاول روسيا بكل جهدها الاستفادة من العلاقات الجيوسياسية مع تركيا، ونسيان الماضي، نظرا لأهمية الموقع الجغرافي لتركيا بالنسبة لروسيا، فهي ممر إجباري إلى المياه الدافئة، كما أنها أصبحت ممرا برياً للصادرات الروسية، لاسيما من الغاز، بحيث إن 50% من تجارة روسيا الخارجية تمر عبر المضائق التركية³.

فموقعها الجغرافي المتميز وإمكاناتها الإستراتيجية المهمة تجعلها في صلب اهتمامات روسيا، وقد أكد مركزية وفاعلية الدور الروسي رئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو "إن الدول المركزية مثل تركيا، التي تحتل موقعا مركزيا في القارة الأم أفرو- أوراسيا، لا تقبل أن تظل منحصرة في منطقة بعينها وتعرف بها، بل لديها القدرة على النفاذ إلى مناطق أخرى متعددة في آن واحد" لذا، فهو يرى أنه لا بد من النظر إلى هذا الوضع الجيوبوليتيكي، كأداة للانفتاح على العالم ضمن خطوات مرحلية من أجل تحويل التأثير الإقليمي، إلى تأثير دولي بما يسمح لتركيا في وضع سياسات دولية⁴.

¹ عماد يوسف قدورة، "روسيا وتركيا: علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية"، تحليل سياسات، المركز العربي للدراسات وتحليل السياسات، مايو 2015، ص. 2.

² صدقي عابدين، "التقارب الروسي - التركي"، مجلة السياسة الدولية، العدد 132، نيسان 1998، ص. 230.

³ المرجع نفسه، ص. 232.

⁴ أحمد داود أوغلو، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ومركز الجزيرة للدراسات، بيروت والدوحة، 2010، 143.

ترى روسيا بأن هذه الرغبة التركية تخلق نوعا من التنافس الإقليمي، بين روسيا وتركيا على أبعاد عدة - جيوسياسية وجيواقتصادية- تعد بالنسبة إلى إحداهما عوامل قوة وتعزيز نفوذ ومكانة، بينما تعد للأخرى عوامل ضعف وتهديد للمصالح الإستراتيجية، حيث الفضاء الجيوسياسي لمنطقة الشرق الأوسط الذي يشهد تحولات وتفاعلات ديناميكية تؤدي إلى خلق تنافس إقليمي ودولي بين الطرفين.

تتمثل عناصر القوة التركية التي ترى روسيا بأنها تؤدي إلى إضعاف الموقف الروسي أو التأثير في مناطق نفوذه بما يلي:

أ- روسيا ترى أن تراجع تركيا عن منهج "تصفير المشكلات" مع الجوار في أعقاب الربيع العربي قد يضر بمصالحها الاقتصادية، من خلال دعم أنقرة لتغيير الأنظمة في المنطقة، والتي تعتبرها موسكو حليفة لها. وهذا سينعكس سلبا على المصالح الروسية ليس في الشرق الأوسط فحسب وإنما في القوقاز وآسيا الوسطى أيضا¹.

ب- تثير علاقات تركيا مع أطراف ثالثة في المنطقة مخاوف روسيا تجاه القضايا التي تمس استراتيجيتها، ومثال ذلك التعاون التركي القطري لدعم المعارضة السورية التي تتقاطع مع المواقف الروسية تجاه الأزمة السورية².

ج- بحكم دعمها للجماعات المعارضة، وتبنيها إسقاط نظام بشار الأسد، وقربها الجغرافي وعلاقاتها التاريخية مع سوريا، فإن لتركيا دور كبير وفعال في رسم مستقبل سوريا ما بعد الأسد، وهذا يعني تعرض المصالح الجيوبوليتيكية الروسية في الشرق الأوسط للخطر.

د- على نقيض روسيا، تتم قراءة دور تركيا بأثر أكثر دينامية من طرف النخب في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بخصوص "نموذجها السياسي في الديمقراطية والإسلام"، أي المزج بين التقاليد المحافظة وأسلوب الحياة الغربية؛ بمعنى آخر، تركيا ومن خلال قوتها

¹ Gökhan Bacik, "Turkey and Russia in the Arab Spring: Straining Old Rifts Further?", The German Marshal of united states, 16 August, 2012, p. 2.

² Ibid.

الناعمة تستطيع تهديد المصالح الإستراتيجية لروسيا في المنطقة، في حال لم تتمكن الأخيرة من الحفاظ على مصالحها الثابتة في سوريا لما بعد الأسد.

وفي هذا السياق، يرى "كريم مصلوح" في كتابه "التعاون والتنافس في المتوسط"، أن روسيا تعاني من مشكلة جيوبوليتيكية في المتوسط، وهي أنها لا تشكل نموذجا يحتذى به ولا تتقاسم عناصر ثقافية أو مجالات جغرافية في الساحة المتوسطية على غرار تركيا¹. وهذا يؤثر سلبا على سعي روسيا الحثيث للحضور بقوة في أسواق الطاقة وبيع السلاح في المنطقة.

في المقابل، تمتلك روسيا عناصر قوة تستطيع من خلالها التأثير على المصالح الإستراتيجية لتركيا، وإضعاف مكانتها وقوتها الصاعدة في المنطقة، ومنها:

أ- تنظر تركيا الى روسيا كمورد مهم للغاز الطبيعي لها (تستورد ثلثي احتياجاتها من روسيا)، وهذا يشكل ورقة ضغط تجاه السياسات التركية المتعلقة بمصالح ونفوذ روسيا في المنطقة².

ب- الحضور القوي لروسيا في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز- ترتبط "بالمجال الروسي" اقتصاديا وثقافيا واستراتيجيا- يؤهلها لممارسة ضغط جيوبوليتيكي على أنقرة، وبالتالي الحد من طموحاتها السياسية في هذه المنطقة الحيوية³.

ج- تطابق المصالح والمواقف الروسية والإيرانية حول العديد من القضايا الإقليمية الساخنة، يضعف الدور الإقليمي لتركيا كما هو الحال في الأزمة السورية وكذلك في العراق.

د- روسيا تشكل أكبر قوة تعترض تركيا في الساحة الممتدة من شمال القوقاز وشمال البحر الأسود إلى البلقان والشرق الأوسط.

¹ كريم مصلوح، *التعاون والتنافس في المتوسط*، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2013، ص. 274.

² Gökhan Bacik, *Turkey and Russia in the Arab Spring: Straining Old Rifts Further?*, op. cit., p. 3.

³ عقيل سعيد محفوظ، *السياسة الخارجية التركية: الاستمرارية - التغيير*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012، ص. 272.

لذلك ونظرا لأهمية الجيوبوليتيك التركي، فإن روسيا تحاول تطوير العلاقات الثنائية بما يخدم المصالح الإستراتيجية الروسية، من خلال تطوير التبادل التجاري بين البلدين وخصوصا في السنوات الأخيرة، وفي مجالات مهمة مثل مجال الطاقة الكهربائية التي تستمدّها تركيا من روسيا، كما أن ثلثي احتياجات تركيا من الغاز تأتي من روسيا وبخط مباشر من سيبيريا، إضافة إلى العقود الموقعة بين البلدين التي بموجبها تبني روسيا محطة كهروذرية في تركيا، إضافة إلى مركز إنذار من الحوادث النووية. وهناك أيضا اتفاقية حول الصيد في البحر الأسود، وتلعب الدولتان الدور الأساسي في "منظمة تعاون دول حوض البحر الأسود"¹.

وتحاول تركيا الاستفادة من صداقتها مع روسيا لتعزيز مكانتها بين دول آسيا الوسطى والقوقاز ومع المجموعات الإسلامية فيها، في مواجهة تطور النفوذ الإيراني، علما أن "الجامعة التركية"² ونشاطها الذي يعيد التذكير بطموحات الأمة الطورانية الكبرى³، تثير قلق موسكو، ولكنها (أي الجامعة) في نفس الوقت لا تلقى تأييدا من سلطات أنقرة البراغماتية التي لا تخفي سعيها لإقامة تحالف بين الشعوب الناطقة باللغة التركية تحت قيادتها⁴.

وتلقى سياسة الحكومة الحالية لـ "حزب العدالة والتنمية" ارتياحا لدى المسؤولين الروس لتصرفت بحكمة حسب موسكو في ملفين أساسيين تحكمهما الجغرافيا السياسية:

الأول: حينما وقعت تركيا على اتفاقية مع روسيا سمحت بموجبها بمد خط أنابيب لنقل الغاز والنفط "السليل الجنوبي" عبر أراضيها ومياها الإقليمية في البحر الأسود، ليصل الإنتاج الروسي إلى وسط وجنوب أوروبا في 16/8/2009⁵، وذلك في مواجهة خط

¹ "روسيا وتركيا: تعاون مؤقت أم تحالف استراتيجي"، *Made for minds DS*، 19 نونبر 2018، <https://bit.ly/3lbVEUp> < (8 ماي 2019)

² هي منظمة تركية متشددة تدعو لإنشاء الدولة الطورانية الكبرى على كامل أراضي دول آسيا الوسطى.
³ هي حركة سياسية قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، هدفت إلى توحيد أبناء العرق التركي الذين ينتمون إلى لغة واحدة وثقافة واحدة.

⁴ عماد الدين حاتم، "المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا"، مرجع سابق، ص. 62.
⁵ محمد عيسى، "شركات النفط والغاز"، مجلة المستقبل العربي، العدد 370، 2009، ص. 140.

*تنص معاهدة مونتنرو للعام 1936، على منع عبور السفن العسكرية للمضايق التركية إلا بإذن، باستثناء الدول المحيطة بالبحر الأسود، وهذا ما التزمت به تركيا عام 2008.

"نابوكو" الذي خططت له دول أوربية مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية عبر الأراضي التركية أيضا.

الثاني: عندما رفضت السلطات التركية إعطاء إذن للسفن الحربية الأمريكية¹ لنقل مساعدات إلى جورجيا أثناء الأزمة الروسية – الجورجية في غشت 2008 رغم امتعاض تركيا من ردة الفعل الروسية عبر الهجمات العسكرية القاسية على جورجيا، واعتبار تركيا الأمر سعيًا من روسيا لفرض معادلة جديدة في منطقة القوقاز ووسط آسيا تنتج نظامًا دوليًا جديدًا².

ورغم بعض الحذر الذي يحتفظ به المسؤولون الروس تجاه تركيا كونها عضوا في حلف شمال الأطلسي منذ عام 1953، ولا تتطابق سياستها مع سياسة موسكو في كل شيء، ورغم سعيها للدخول عضوا في الاتحاد الأوربي، إلا أن هؤلاء المسؤولين حريصين على أن لا تعيق هذه العوامل تطور العلاقات بين البلدين. وهم يعتبرون تركيا نموذجًا إسلاميًا مفتوحًا يتناسب والمصالح الروسية.

الفقرة الثانية: الامتدادات العربية للجغرافيا الأوراسية

يختلط في التواصل بين روسيا والعالم العربي وتحديدًا الشرق أوسطي منه، البعد الجيوبوليتيكي مع البعد الديني والاقتصادي. وتعتبر جميع محاولات الروس للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، سعيًا يهدف للمشاركة في إدارة شؤون المناطق الطرفية لأوراسيا «Rimland»³.

يرى الروس أن المنطقة العربية، منطقة مجاورة وجارة تقع على أطراف أوراسيا، وهي مع أوربا السلافية (البلقان) منطقتان مهمتان لروسيا، ولهما الأولوية في السياسة الخارجية لموسكو منذ القدم⁴، وقد ساهمت مجموعة من العوامل على تحقيق تواصل له

¹ تنص معاهدة موننترو للعام 1936، على منع عبور السفن العسكرية للمضايق التركية إلا بإذن، باستثناء الدول المحيطة بالبحر الأسود، وهذا ما التزمت به تركيا عام 2008.

² براء الطه، "التوسع الناعم.. العلاقة التركية-الروسية وأبعادها الإستراتيجية"، مجلة رأي اليوم، 5 دجنبر 2019، <<https://bit.ly/3ivUJN0>> (14 يناير 2020)

³ الكسندر دوغنين، "محور موسكو- طهران"، مجلة شؤون الأوسط، 1998، ص. 40.

⁴ نبيه أصفهاني، "السياسة الخارجية الروسية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 136، القاهرة، 1999، ص. 228.

أبعاد متعددة بين روسيا والعرب، ولعل أبرز هذه العوامل كون ملايين من أبناء روسيا يدينون بالإسلام، ولدى العديد منهم التوجهات الوهابية التي لا تتفق مع التوجهات الإيرانية والطوارانية التركية.

إن من الثابت في السياسة الروسية أن المصالح الإستراتيجية للشعب تقتضي مناهضة الغرب في نزعته "الكاثوليكية والبروتستانتية"، ومما ساهم في زيادة الاعتبار عند الروس للأراضي العربية الشرق أوسطية هي أنها مهد الديانات السماوية. وإذا كانت هذه الصورة ترجع إلى الزمن القديم الغابر، فإن سقوط الشيوعية وتخلي روسيا عن هذه الإيديولوجية قد فتح الباب مجددا أمام تواصل روسيا مع بعض الدول العربية.

ولعل قرار الرئيس بوتين إعادة بناء كنيسة صيدنايا قرب دمشق وإنشاء أكبر تمثال للمسيح فيها، أهم وأكبر من تمثال الحرية في نيويورك ليعبر بوضوح عن مدى هذه الخصوصية في العلاقة بين العرب وروسيا*.

وخلال السنوات العشر الماضية، امتد التواصل الجيوسياسي والجيوديني إلى الجيوإقتصادي، والجيوميديا¹ (نموذج قطر ودبي)، نظرا للقدرة الإنتاجية الهائلة من النفط والغاز عند كل من الجانبين الروسي والعربي، ومدى تأثير تعاونهما في تحديد مستقبل أسواق هذه المواد في العالم، ولعل ظاهرة الوجود الكثيف لرجال الأعمال الروس في الخليج العربي، وعلى وجه التحديد في كل من قطر والإمارات العربية المتحدة، وتحديدا في مدينة دبي يؤشر إلى هذه الرغبة في التواصل بين الجانبين. ويترافق ذلك مع حركة هائلة من العلاقات التي أدت إلى مجموعة كبيرة من الاتفاقيات، مع عدد كبير من الدول العربية -كما سبقت الإشارة إلى ذلك-، وقد ساهمت هذه الدول في عقد مؤتمر "روسيا والعالم الإسلامي" في موسكو عام 2001، الذي اعتبر أن روسيا قادرة على الحؤول دون الانقسام الديني الذي يهدد العالم.

* زار بطريرك موسكو وعموم روسيا "كبريل" مصر في 10 نيسان 2010، وخاصة الكنيسة القبطية في الإسكندرية، لتعزيز أواصر التواصل الأخوي بين الكنائس الشرقية.

¹ خالد الحروب، "انتقال مركز الثقل في المنطقة"، مجلة شؤون عربية، عدد 130، 2007، ص. 34.

ولعب رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري دورا كبيرا في تطوير العلاقات الروسية السعودية، التي بدورها ساهمت إلى حد كبير في إدخال روسيا عضوا مراقبا في منظمة المؤتمر الإسلامي.

وكانت الأزمة الحادة التي وقعت بين الغرب وروسيا في العام 2008، اختبارا عمليا لمدى التطلع الروسي إلى المنطقة العربية. ففي أزمة الاعتراف الغربي باستقلال "كوسوفو" عن صربيا حذر بوتين من التعامل بالمثل في الشرق الأوسط لتشابه المنطقتين، وبالتالي الاعتراف بالسلطة الفلسطينية دولة كاملة الاستقلالية. وفي الأزمة القوقازية التي حدثت بعد ضرب جورجيا اعتبر الروس أن التوتر في هذه المنطقة يؤدي إلى زيادة التوتر في الشرق الأوسط. كما أنهم هددوا بنصب صواريخ "ألكسندر" المتطورة في سوريا فيما لو استمرت خطة نشر الصواريخ الغربية في أوروبا الشرقية.

أما في الوجه الآخر من الامتدادات والتواصل، فقد ولدت هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل بأعداد كبيرة قلقا وامتعاضا عند الجانب العربي، وأثرت إلى حد كبير في التركيبة السكانية لإسرائيل من خلال تقليص حجم السكان العرب فيها.

وأصبح هناك ارتدادات للسياسة الروسية داخل إسرائيل وأداة ضغط على هذه السياسة من خلال هؤلاء الذين يتزايد نفوذهم يوما بعد يوم، ولعل مؤشر دخول قائد هؤلاء "ليبرمان" إلى وزارة الخارجية الإسرائيلية خير دليل على ذلك¹.

الفرع الثاني: الجيوبوليتيك الشرق أوسطي من منظور أمريكي

تشكل منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للخطاب السياسي الرسمي للولايات المتحدة الأمريكية وحدة جيوسياسية واضحة، يحتم التعامل معها ضرورة بناء تصور جيوبوليتيكي واضح يخص كل الدول المشكلة للشرق الأوسط، بداية بإيران وتركيا وصولا للدول العربية.

¹ Bernard Sabella, "Russian Jewish Immigration and the Future of the Israeli-Palestinian Conflict", May 1993, <<https://bit.ly/3djNkPY>> (March 12, 2017)

الفقرة الأولى: الجيوبوليتيك الإيراني

بالرغم من عدم قيام أي علاقات دبلوماسية مباشرة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران منذ أن قطعت الولايات المتحدة الأمريكية هذه العلاقة بين البلدين حتى اليوم، بعد حادثة احتجاز الرهائن الأمريكيين داخل السفارة بطهران لمدة 444 يوما، على اعتبار أن إيران دولة راعية للإرهاب.

ورغم ذلك فإن الأهمية الجيوبوليتيكية لإيران في التصور الأمريكي تبقى في قائمة؛ كون أي اتفاق أو تقارب مع إيران سيشكل عامل تحجيم للدور الروسي في المنطقة¹، فسياسة التطويق المعتمدة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة روسيا عبر التواجد في أماكن عدة، كالعراق وأفغانستان يمكن تعزيزها وتقويتها صفقة أمريكية جديدة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية لغاية تحجيم نفوذ روسيا ووقف برنامجها النووي، والتعاون في إدارة النفوذ في العراق.

إن السيطرة على أهم الدول الإستراتيجية حول روسيا لتعزيز وتقوية موقفها المتفوق حاليا، تعد أهم أدوات الولايات المتحدة الأمريكية المعتمدة في ذلك على أسطولها الضخم المنتشر والممتد على معظم المجاري المائية في العالم، وكذا طرق أنابيب النفط والغاز ومسار الناقلات، وإيران واحدة من المواقع التي قد تشكل نقطة تماس بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، فواشنطن لن تتحمل إغلاق مضيق هرمز الإستراتيجي تحت أي ظرف كان².

الفقرة الثانية: الجيوبوليتيك التركي

تعد الرقعة الجغرافية التي تنهض عليه تركيا ذات أهمية مركزية وجوهرية في الإستراتيجية الأمريكية، ليس للاعتبارات الإيديولوجية بل للاعتبارات الجيوبوليتيكية؛ وهي بذلك تشترك في هذه الأهمية مع إيران، فهذه الرقعة الجغرافية التي تحتلها تركيا كانت وما

¹ فرحان الزمان أبوشعير، "العلاقات الإيرانية-الروسية: شراكة حذرة تميز حلف الضرورة"، مركز الجزيرة للدراسات، 7 أكتوبر 2013، < <https://bit.ly/2GLcqLn> > (23 ماي 2017)

² محمد سليمان الزاوي، "حرب القواعد والنفوذ الأمريكية الروسية"، مجلة السبيل، 25 يونيو 2010، < <https://bit.ly/2SCIPX7> > (10 مارس 2018)

تزال لب منطقة الأوراسيا ومركز دائرتها، ترى الولايات المتحدة الأمريكية في تركيا أساسا لسيطرتها الكونية بسبب أنها تحبس وتحاصر روسيا وتمنعها من الوصول للبحار المفتوحة. تتميز تركيا بموقع يطل على ممرات بحرية مهمة كالבوسفور والدردنيل، كما تمنع روسيا وتفصلها عن البحر الأسود والوصول لمياه البحر المتوسط، هذا الموقع بين البحرين الأسود والمتوسط يجعلها في أهم المواقع البحرية العالمية¹.

شهدت العلاقات التركية-الأمريكية نوعا من الثبات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إذ جمعت بينهما روابط متينة إلى يومنا هذا، وقد استفادت الولايات المتحدة الأمريكية من موقع تركيا المهم حيث المصالح الأمريكية والتوجهات العالمية، بمثابة المحرك الأساسي لأي علاقة مع تركيا. وتوجد تركيا ضمن مخطط استراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط كإحدى الأدوات لاحتواء ومحاصرة روسيا وإيران والالتفاف حولهما في إطار عملية نقل سلع وثروات آسيا الوسطى.

تعتبر تركيا أيضا أحد المفاتيح المهمة لفهم السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، وذلك ليس فقط بسبب البعد الجيوبوليتيكي لتركيا والذي أعطاها ميزة تنافسية عالمية، وإنما أيضا بسبب قدرة تركيا على تقديم نفسها للولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الشريك الأمثل الذي يمكن الاعتماد عليه، لذا فقد دخلت أنقرة في شراكة استراتيجية طويلة المدى مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، بشكل جعلها بمثابة (حجر الزاوية) في أي سياسة أمريكية في المنطقة².

تشكل تركيا فضاء استراتيجيا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة الممتدة من أوربا حتى القوقاز، مرورا بالبلقان والشرق الأوسط، وقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية طيلة نصف قرن على توطيد علاقاتها بأنقرة، ودعمها عسكريا واقتصاديا خاصة في ظل وجود قاعدة عسكرية أمريكية في تركيا هي قاعدة "أنجريك"^{*}، التي اعتمدت عليها

¹ عبد الفتاح إبراهيم، *على طريق الهند بغداد*، دار الشؤون الثقافية العامة، 2004، ص. 107.

² عبد الرزاق بوزيد، *التنافس الأمريكي الروسي في الشرق الأوسط دراسة حالة الأزمة السورية، 2010-2014*، جامعة محمد خيضر، كلية العلوم السياسية، 2015، ص. 66.

^{*} هي قاعدة جوية أمريكية على الأراضي التركية، بدأت عمليات بناء القاعدة عام 1951 تحت إشراف أمريكي وانتهت بعد 4 سنوات، أطلق عليها في البداية "قاعدة أضنة الجوية" قبل أن يتغير إسمها لاحقا بقاعدة "أنجريك" التي تعني شجرة التين بالتركية. وقد شكلت القاعدة نقطة انطلاق للعديد من الحملات العسكرية في الشرق الأوسط والعالم طوال عقود.

الولايات المتحدة الأمريكية في حروبها السابقة (العراق وأفغانستان) ولا زالت تعتمد عليها في تقديم الدعم اللوجستي لقواتها المرابطة في أفغانستان¹.

تحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بقرابة 1500 عسكري في هذه القاعدة العسكرية، بالإضافة لتوفرها على الكثير من الرادارات وصواريخ الباتريوت، وهذا يدخل في عقيدة الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية القائمة على انتشار القواعد العسكرية حول العالم، بغاية استمرار هيمنتها وكذا احتواء نفوذ روسيا، وبشكل خاص في الخليج العربي والبحر الأسود والبحر المتوسط².

إن العلاقة بين تركيا والولايات المتحدة الأمريكية بالرغم من بعض التوترات التي قد اعترت هذه العلاقة كفترة رئاسة الرئيس بوش الابن وفترة دونالد ترامب الحالية، إلا أن نظرت الولايات المتحدة الأمريكية لتركيا كحليف استراتيجي مهم في المنطقة قد استمرت، فلا يمكن التفريط في حليف ذو أهمية استراتيجية كتركيا بسهولة معما بلغت درجة الخلاف معه حول بعض القضايا، فالكثير من المحللين والخبراء يرون تركيا بمثابة مفاتيح تعتمد عليها الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها اتجاه منطقتي القوقاز والشرق الأوسط.

يتلخص هدف السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع تركيا في التأثير على أي تقارب روسي-تركي، والعمل على تقويض أي تفاهم أو تعاون من شأنه أن يؤثر على هيمنتها في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز ومنطقة الشرق الأوسط، وهذا يدخل في سياسة الاحتواء الجديدة لروسيا والحيلولة دون أن تصل علاقاتها ببلدان المياه الدافئة، خاصة مع تركيا التي تشكل محورا من محاور العلاقات الدولية³.

¹ " Incirlik AB In-depth Overview ", *MILITARY INSTALATIONS*, < <https://bit.ly/2GTln55> >

² ريز لطيف صادق، *العلاقات التركية-الأمريكية في عهد حزب العدالة والتنمية*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة غزة، 2011، ص.ص. 87-88. عن عبدالرزاق بوزيد، *التنافس الأمريكي الروسي في الشرق الأوسط دراسة حالة الأزمة السورية، 2010-2014*، مرجع سابق، ص. 70.

³ محمد سليمان الزاوي، "حرب القواعد والنفوذ الأمريكية الروسية"، مرجع سابق.

³ المرجع نفسه.

الفقرة الثالثة: جيوبوليتيك الدول العربية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية

تبقى الدول العربية حاضرة في الصراع الجيوبوليتيكي الروسي- الأمريكي إضافة إلى كل من إيران وتركيا، فالدول العربية هي الأخرى تمتلك مفاتيح أساسية في هذا الصراع.

دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في سعيها لإحكام السيطرة على الشرق الأوسط، في تعاون وثيق مع بلدان إقليمية في المنطقة كمصر والسعودية ودول الخليج والأردن بالإضافة إلى إسرائيل، هذا التعاون مع دول المنطقة يؤكد أهميتها في مجال الطاقة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وكذا أهميتها في إطار الصراع الدولي من أجل الهيمنة.

تهدف الولايات المتحدة الأمريكية إلى محاولة إعادة تشكيل الأمن الدولي خدمة للمصالح الأمريكية، وهي في سبيل ذلك تعمل على بناء نظام إقليمي جديد ينطلق من رؤية جيوسياسية غير تقليدية تتميز بحضور عسكري مباشر في الكثير من الدول العربية، ويحاول أيضا تحييد وإبعاد القوى الكبرى المنافسة للولايات المتحدة الأمريكية العائدة أصولها لما قبل انتهاء الحرب الباردة، عندما وضعت الولايات المتحدة الأمريكية خطوطا حُمر عن بعض أماكن الصراع الدولي بينها وبين السوفييت¹.

حاولت السياسة الخارجية الأمريكية استهداف الدول العربية في الشرق الأوسط على الخصوص من أجل الإبقاء على الميزان الاستراتيجي الدولي في المنطقة، يميل لصالحها دون القوى الأخرى المنافسة؛ وذلك عبر الحيلولة دون بروز تيارات أو قوى سياسية تهاجر العداء للولايات المتحدة الأمريكية، مما قد يشكل مدخلا لقوى دولية منافسة لها.

¹ سمير أمين وآخرون، *العولمة والنظام الدولي*، دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2004، ص. 15.

كما كثفت من تواجدها العسكري في منطقة الشرق أوسطية، ومحاولة حصار النفوذ الروسي والحيلولة دون انتشاره وتقليصه والعمل على تصفيته، واستقطاب دول المنطقة ودعم الأنظمة السياسية الموالية التي تجمعها علاقات وثيقة بواشنطن¹.

تأثرت فاعلية الولايات المتحدة الأمريكية ودورها الجيوبوليتيكي في منطقة الشرق الأوسط والعالم بتورطها عسكريا في مناطق كالعراق وأفغانستان، وبدأت كأنها متأثرة بمشهد سياسي يصعب ضبطه، الأمر الذي أدى بالإدارة الأمريكية إلى التغيير في تخطيطها الاستراتيجي بشكل يساعد على إعادة ضبط المنطقة، بالشكل الذي يمكنها من استعادة دورها، وقد بدأت معالم هذا الدور بالتشكل في سياق ما عرف بثورات الربيع في المنطقة العربية، والتي عرفت تحولات كبرى على المستوى السياسي مع نهاية سنة 2010.

شكلت الثورات العربية في المنطقة نقطة تحول فاصلة في التاريخ الحديث إذ لم يكن أحد يتوقع حدوث ثورات متزامنة في خمس مناطق من الوطن العربي، وفي دول كان ينظر إليها كدول عصية عن أي تغيير سياسي جذري بالنظر لطبيعة الأنظمة الشمولية الحاكمة².

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية عبر خططها لإدارة هذا الصراع إلى ترتيب الأوضاع في العالم العربي خدمة للاستراتيجية الأمريكية الإقليمية، القائمة على أن إسرائيل هي حجر الزاوية في السياسة الأمريكية الشرق أوسطية، والهيمنة على الموارد النفطية بالمنطقة ودعم ومساندة الأنظمة السياسية الحاكمة والموالية أو التي تجمعها علاقة جيدة معها، وإعادة بناء الأنظمة الأخرى بما يخدم المصالح الأمريكية، وتأمين خطوط الملاحة البحرية والتجارة الدولية كمضيق هرمز بما يضمن تدفق البضائع والنفط بشكل سلس وآمن، و بشكل يخدم المتطلبات الاقتصادية للغرب واستمرارها في التفرد بمنطقة الشرق الأوسط ومنع تغلغل القوى المنافسة الأخرى في المنطقة³.

¹ أحمد سليم حسين زعرب، *التغيرات السياسية الإقليمية وانعكاساتها على توازن القوى في الشرق الأوسط 2003-2012*، مرجع سابق، ص. 47. عن عبد الرزاق بوزيد، مرجع سابق، ص. 70. بتصرف

² Seth G Jones, "The Mirage of The Arab Spring Deal with The region you have not region you want", *foreign policy*, 2013, p.04.

³ مروان بشارة، " أهداف الولايات المتحدة واستراتيجياتها في العالم العربي"، دراسات، سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص. 3.

القسم الثاني:
تداعيات ومستقبل صراع النفوذ الروسي-
الأمريكي في الشرق الأوسط

القسم الثاني: تداعيات ومستقبل صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط

إن الأهمية الحيوية والإستراتيجية التي تحتلها منطقة الشرق الأوسط، والتي جعلت منه منطقة على قدر بالغ من الأهمية لاعتبارات عديدة -سابق وأن رأيناها-، جعلت منه أيضا ساحة صراع حول النفوذ، سواء من طرف القوى المحلية أو القوى العالمية، حيث على المستوى المحلي دول مثل العربية السعودية، وإيران وتركيا تتصارع جميعا من أجل بسط نفوذهم واستغلال الأوضاع المستجدة، لكسب مزيد من النفوذ والمصالح في المنطقة، وعلى المستوى العالمي دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا -الدولة العائدة وبقوة للساحة الشرق أوسطية- تتصارع على النفوذ، حيث تعددت مظاهر وأبعاد هذا الصراع.

هذه الصور المتعددة للصراع في الشرق الأوسط - التي رأينا أهم أوجهها في القسم الأول - وهذا التجاذب الروسي-الأمريكي حول النفوذ والمصالح، لا شك تؤثر على منطقة الشرق الأوسط وذلك من زوايا عديدة. سنركز على تداعيات هذا الصراع دون الخوض في ما قد يراه بعض المحللين من جوانب إيجابية لهذا الصراع في المنطقة، من قبيل توازن القوة بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، وعدم الاعتماد بشكل مطلق وكلي على قوة وحيدة كالولايات المتحدة الأمريكية وأن وجود روسيا يشكل ورقة مناورة لدول الشرق الأوسط في مواجهة الانفراد الأمريكي...إلخ.

فالواقع أن كل العلاقات القائمة بين دول المنطقة والدول المتصارعة على النفوذ _ أمريكا و روسيا _ هي علاقات غير متكافئة، تبقى فيها دول المنطقة هي الحلقة الأضعف؛ وبالتالي الاستفادة الأكبر تكون دائما للطرف القوي وليس العكس، فهذه التدخلات الخارجية للقوى الكبرى في المنطقة تؤزم الأوضاع بالمنطقة ولا تساعد في حللتها، حيث ينطبق عليها المثل الإنجليزي القائل : " عندما تتصارع الفيلة يكون العشب أكبر الضحايا".

إن اختلاف المصالح والرؤى بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية حد التناقض في منطقة الشرق الأوسط، يزيد من تأزيم المنطقة وتعد أوضاعها على مستويات عديدة سنحاول تسليط الضوء على أهمها.

تعدد مظاهر وأبعاد الصراع الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط يخلق بالضرورة آثارا وتداعيات متعددة ومتنوعة على المنطقة، حيث إن حالة الاصطفاف وسياسة الاستقطاب التي تنهجها الدولتان المتصارعتان حول النفوذ في المنطقة، تجعل أي شكل من أشكال الوحدة العربية أمرا مستحيلا وصعب التحقق، بل ويرهن مستقبل المنطقة ويجعله بين أيدي قوى أجنبية عجز أمامها المجتمع الدولي، ومجلس الأمن عن إيجاد حلول واقعية وذات فاعلية، قوى همها الوحيد حماية نفوذها وتعاضمه غير أبهة بأوضاع المنطقة ومشاكلها، الشيء الذي يزيكه واقع المنطقة والأحداث المتسارعة فيها من نزاعات مسلحة تكاد تمزق دولها، وتخلق بيئة مواتية لنمو ظواهر غير صحية كالطائفية والإرهاب.

إن الأوضاع التي يعيشها الشرق الأوسط تجعل منه بيئة إقليمية مضطربة في غاية التعقيد والصعوبة، كما تجعل عملية استشراق مستقبل المنطقة يشوبه الغموض والضبابية، نظرا لعدة اعتبارات منها استمرار مسلسل الصراع وتجاذب المصالح والنفوذ بين القوى الكبرى في المنطقة وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

ولتوضيح مختلف النقاط سابقة الذكر، سنحاول تقسيم هذا القسم إلى فصلين اثنين:

الفصل الأول: تداعيات صراع النفوذ الروسي-الأمريكي على منطقة الشرق الأوسط

الفصل الثاني: مستقبل صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط

الفصل الأول: تداعيات صراع النفوذ الروسي-الأمريكي على منطقة الشرق الأوسط

إن تعدد مظاهر وأبعاد صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط تتبعه بالضرورة تداعيات عدة على الدول والمنطقة ككل، حيث إن التدخلات الخارجية التي قد تتبع صراع النفوذ في المنطقة تجعل بناء الدولة في المنطقة يتأثر بالعوامل الخارجية، إذ كلما كان تأثير هذه العوامل أكبر كلما كان البناء يعبر فقط عن خصوصيات النظام الإقليمي والدولي وممثلاً لمصالح القوى الخارجية.

كما أن هذه التحولات البنيوية في المنطقة والمتغيرات العالمية، وصراع المصالح والنفوذ بين الدول الكبرى في المنطقة تؤثر على النظام الإقليمي العربي؛ وتجعله مخترقاً على صعد عدة، ترمي الدول الكبرى من هذا الاختراق الحيلولة دون بروز نظام عربي قوي، كما يعوق/يحول دون تفعيل الترتيبات الأمنية العربية الجماعية والمواجهة الموحدة لمختلف التهديدات، مما يؤثر أيضاً على عملية اتخاذ القرارات في مجلس الأمن بسبب تباعد وجهات النظر، واختلاف المصالح بين الدول المتصارعة على النفوذ في المنطقة.

ونتيجة لتضافر العديد من العوامل منها صراع النفوذ والتدخلات الخارجية المباشرة وغير المباشرة، وخلق مناخ يسوده الاضطراب والانفلات الأمني في منطقة الشرق الأوسط، واستغلال الاختلافات الطائفية لتحقيق مصالح القوى المتصارعة، وخلق بيئة مواتية ومجالاً ومتنسفاً لنمو الإرهاب وبالتالي حصره في الشرق الأوسط حتى أصبحت تسميته لصيقة بالمنطقة. كل هذه العوامل تجعل الحديث عن انهيار الدولة الوطنية أمراً واقعاً.

من خلال هذا الفصل سنحاول الحديث عن مختلف التداعيات التي ساهم هذا الصراع في خلقها أو استفحالها، وذلك عبر مبحثين:

المبحث الأول: تداعيات الصراع على بنية الدولة والنظام العربي

المبحث الثاني: دور الصراع في تنامي الإرهاب والعجز الأممي

المبحث الأول: تداعيات الصراع على بنية الدولة والنظام العربي

إن استهداف أي منطقة من العالم وجعلها محور اهتمام القوى الدولية الكبرى، لما تتميز به من نقاط جذب على مختلف الأصعدة، كما أن تطور هذا الاهتمام الدولي إلى أنواع من التدخلات المباشرة وغير المباشرة، وجعل هذه المنطقة بؤرة توتر بل ومنطقة صراع على النفوذ بين القوى الكبرى كما هو الحال بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط، لا شك له تداعيات كبيرة، سواء على الدولة أو الإقليم ككل.

من خلال هذا المبحث سنتحدث على تأثير صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في المنطقة على بنية ومكونات الدولة الوطنية (المطلب الأول)، في حين نتحدث عن توظيف الطائفية في الصراع وانهيار النظام العربي (المطلب الثاني).

المطلب الأول: التداعيات على بنية ومكونات الدولة الوطنية

تتأثر عملية بناء الدولة داخل منطقة الشرق الأوسط بالعديد من العوامل سواء كانت داخلية أو خارجية، فكلما كانت مكونات مجتمع الدولة المراد بناؤها هشة، كلما كان معامل التأثير بالعوامل الخارجية مرتفعاً، كلما كان واقع الدولة مجرد تعبير عن توجهات القوى الخارجية سواء كانت إقليمية أو دولية.

الفرع الأول: أثر العامل الخارجي على عملية بناء الدولة الوطنية

تتأثر عملية بناء الدولة في العالم بطبيعة النظام الإقليمي والدولي التي هي جزء منه، لكن هذا التأثير درجته وحدته تختلف حسب خصائص وطبيعة الدولة والنظام الإقليمي والدولي المنتمية إليه.

فقد تكون للعوامل الخارجية في حالات معينة آثاراً جانبية، على عملية بناء الدولة مقارنة مع العوامل الداخلية المتمثلة في التفاعلات بين القوى السياسية والاجتماعية المحلية، وفي الحقيقة هذا هو الأصح وهو الذي من المفترض أن يكون حتى تنجح عملية بناء الدولة، بأن تصبح ممثلة لخصوصيات ومصالح القوى المحلية المكونة لمجتمعها

بالدرجة الأولى وليس تعبيراً عن خصوصيات النظام الإقليمي والدولي وممثلة لمصالح القوى الخارجية.

أما في حالات أخرى تكون عملية بناء الدولة متأثرة بدرجة كبيرة بالعوامل الخارجية، لدرجة أن مختلف مكونات مجتمع الدولة المراد بناؤها تصبح هامشية ولا معنى لتفاعلاتها ولخصوصياتها، بل أكثر من ذلك تصبح تلك الفواعل المحلية مجرد أدوات تحركها القوى الإقليمية والدولية الهادفة لإيجاد نفوذ داخل الدولة المراد بناؤها، وفي الكثير من الأحيان يكون من شأن غلبة العوامل الخارجية وتهميش المكونات المحلية، وخصوصيات مجتمع الدولة المراد بناؤها أن تؤدي إلى إفشال عملية بناء الدولة، بل وقد تؤدي -حسب درجة الصراع بين القوى الإقليمية والدولية ودرجة هشاشة المجتمع - إلى إدخال الدولة في حرب أهلية وتحويلها إلى ميدان للحروب بالوكالة.

فنجاح عملية بناء الدولة تتطلب مجموعة من الشروط الإقليمية؛ كضرورة توفر مستوى معين من التوافق والتفاهم بين وحدات (الدول) النظام الإقليمي حول أهم القضايا الإقليمية المطروحة، والتي من بينها التعاون والتوافق حول عملية البناء للدولة المعنية.

وجود نوع من الاستقرار الاجتماعي والسياسي داخل وحدات النظام الإقليمي؛ أي وجود دول داخل الإقليم لديها القدرة على ممارسة سلطتها عبر كامل ترابها، بشكل يعطيها القدرة على السيطرة على حدودها بشكل يمنع ظهور جماعات مسلحة عبر وطنية تنشط في الإقليم، فضلاً على أن تكون لدول الإقليم القدرة على بناء الأمة وخلق الهوية الوطنية المتجاوز للهويات الفرعية أو عبر الوطنية، بعبارة أخرى يجب أن تكون دول الإقليم قوية من حيث علاقتها مجتمعيًا، ثم توافق الأطراف الإقليمية حول طبيعة وتوجهات نظام الحكم في الدولة التي تعرف عملية البناء، وفي سياق النظام العالمي، يجب توفر أيضاً نوع من التوافق بين القوى العالمية¹.

¹ هالدن بيتر، بناء المنظومات قبل بناء الدول: الشروط المنظوماتية المسبقة لبناء الدولة، ترجمة عبد الرحمن بستاني، الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، دراسات عالمية، عدد 96، 2011، ص. 56.

هذه الشروط الإقليمية الضرورية لعملية بناء الدولة كانت غائبة على مستوى النظام الإقليمي العربي أو الشرق أوسطي، إذ أن الأحداث التي كانت تجري داخل دول الإقليم وجملة التفاعلات الإقليمية بين الدول الإقليمية، بالإضافة إلى درجة الاختراق الخارجي للمنطقة، كلها عملت على إنتاج جملة من التداعيات الإقليمية المؤثرة سلبا على عملية بناء الدولة بالإقليم، والتي سوف تتطور فيما بعد لتصبح أكثر شدة وتحديا لعملية بناء الدولة.

وقد ظهر جليا دور العامل الخارجي في التأثير في عملية بناء الدولة في المنطقة العربية، خصوصا في فترة ما بعد الحراك الشعبي الذي شهدته العديد من دول المنطقة. حيث كان هناك أثرا مباشرا وواضحا لدور التفاعلات الإقليمية والدولية في التأثير على مسار الحراك العربي من جهة، وبالتالي التأثير في عملية بناء الدولة العربية من جهة أخرى، كما أن طبيعة الدولة وخصوصيات المجتمع المشكل لها كانا لهما دور في التأثير على سلوك القوى الإقليمية والدولية في المنطقة.

كان من المفترض أن يؤدي الحراك في المنطقة العربية، إلى إحداث قطيعة مع فكرة الدولة المغتربة وغير المعبرة عن خصوصيات مجتمعها، وإلى عملية إعادة بناء الدولة على أسس سليمة تنطلق أساسا من مجتمعها وتعبر عن خصوصياته، إلا أنه لم يؤدي إلا إلى تعميق فكرة أن المجتمعات العربية غير قادرة على قيادة عملية بناء الدولة بنفسها، في استقلال وبعيدا عن سياسات ومصالح القوى الخارجية، وهذا راجع بالأساس إلى طبيعة المجتمعات العربية غير مكتملة التكوين (غياب مفهوم الأمة) من جهة، وراجع أيضا إلى طبيعة النظام الدولي وسيادة منطق الصراع والتنافس بين وحداته.

وتأكيدا لما سبق تبقى عملية بناء الدولة وتأثرها بالعوامل الخارجية محكومة بأربع فرضيات رئيسية؛ الفرضية الأولى تؤكد على أنه كلما كان هناك تأثير كبير للقوى الخارجية يفوق تأثير القوى المحلية داخل الدولة والمشكلة لمجتمعها المراد بناؤه، كلما أدى ذلك إلى إفشال عملية بناء الدولة، وهذا ما هو حاصل في المنطقة العربية منذ تشكل نظام الدولة الوطنية، وحتى إن حدثت وتوافقت القوى الخارجية المتنافسة على أسس وشروط معينة في عملية بناء الدولة، فإن ذلك لن يؤدي سوى إلى ولادة دولة وطنية مأزومة وهامشية عن مجتمعها.

الفرضية الثانية وتتمثل في أن فشل عملية بناء أو إعادة بناء الدولة خاصة لفترة ما بعد الحراك ترجع أساسا إلى حدة الصراع الإقليمي والدولي، القائم على توسيع النفوذ داخل الدول العربية المراد إعادة بنائها، وبالتالي عدم توافق القوى الإقليمية والدولية حول العملية. الفرضية الثالثة وهي أنه كلما كان مجتمع الدولة المراد بناؤها هشا وغير منسجم كلما كانت احتمالات تهميشه عن عملية بناء دولته، واستغلال انقساماته لصالح قوى خارجية إقليمية ودولية مرتفعة جدا.

أما الفرضية الرابعة فهي أن سلوك الدول القائم على المصلحة، وطبيعة النظام الدولي القائم على الفوضى وتضارب المصالح بين وحداته، يجعل من التأثير الكبير للقوى الخارجية عائقا أساسيا في أي عملية بناء للدولة.

الفرع الثاني: الصراع الإقليمي وأثره على عملية بناء الدولة في المنطقة

شهدت منطقة الشرق الأوسط تنافسا وصراعا بين دول إقليمية مع دعم أمريكي روسي لأطراف هذا الصراع، أملت المصالح المشتركة لطرفيه، ساهم في التأثير على عملية بناء الدولة في منطقة الشرق الأوسط.

الفقرة الأولى: التنافس الإقليمي السعودي-الإيراني

في الفترة الممتدة بين الخمسينات والسبعينات من القرن الماضي كان هناك تنافس وصراع إقليمي، اتسم بتعدد الأطراف العربية وكثرة التحالفات سريعة التغير، وكانت كل من السعودية ومصر الناصرية، الطرفان الأساسيان المتقابلان اللذان قادا ذلك الصراع الإقليمي القائم على أسس إيديولوجية¹.

أطلق على تلك الصراعات في تلك الفترة اسم "الحرب العربية الباردة*"، وفي الفترة السابقة عن الحراك العربي، تم أيضا وصف أو تسمية تلك التفاعلات الإقليمية بـ "الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط"، فهي جديدة لتمييزها عن الحرب الباردة الأولى في

¹ هلال علي الدين ومطر جميل، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة 5، 1986، ص76.

* أول من أطلق هذه التسمية لوصف تلك الفترة كان مالكولم كير في كتابه الصادر عام 1956، بعنوان:

Gamal 'Abd al-Nasir and The Arab Cold War: His Rivals, 1958-1970

المنطقة، وهي شرق أوسطية على اعتبار أن هذه الحرب بخلاف الأولى، شملت إضافة للدول العربية دول غير عربية أيضاً¹، وهي أساسية في هذه الحرب على غرار إيران الفارسية.

الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط تعود بدايتها إلى الثورة الإيرانية عام 1979، التي أدت إلى إسقاط نظام حكم الشاه المعروف بشرطي أمريكا في المنطقة وصعود بدلا من ذلك نظام حكم إسلامي مناوئ للولايات المتحدة الأمريكية، وحلفائها الرئيسيين في المنطقة -إسرائيل ودول الخليج-.

عمل نظام الحكم الإسلامي الجديد في إيران بزعامة "الخميني" على تصدير الثورة إلى باقي الدول الإسلامية في مقدمتها الدول العربية*، وكان من شأن هذا أن يشكل تحديا مباشرا للدول العربية وفي مقدمتها الدولة السعودية، التي دخلت في تنافس إقليمي حاد بينها وبين إيران مستعملين في ذلك ورقة الطائفية شيعة/سنة، حيث عملت إيران ذات الأغلبية الشيعية، وبمرجعية حكم إسلامي شيعي على تعزيز نفوذها الإقليمي وعلى تصدير ثورتها الإسلامية إلى مختلف الدول العربية، من خلال تعبئة المسلمين الشيعة في تلك الدول، وبالمقابل عملت السعودية على تعبئة المسلمين السنة، ودعم الأنظمة السياسية الموالية لها في المنطقة، فكانت أربع دول عربية وهي لبنان والعراق واليمن وجزء من فلسطين المحتلة، ساحة لهذه الحرب الباردة بين الطرفين.

شكل التوازن الإقليمي السمة البارزة التي طبعت التنافس السعودي-الإيراني في المنطقة حتى عام 2003، فإيران رغم أنها استطاعت أن تحقق إنجازا في لبنان بتأسيس "حزب الله" الحليف الأساسي لها، وعززت تحالفها مع سوريا، إلا أنها لم تستطع تصدير ثورتها إلى الدول الإسلامية والعربية، ولم تستطع الظهور بمثابة القوة الإقليمية المهيمنة خاصة في ظل نظام "صدام حسين" العراقي، ووجود أنظمة سياسية عربية كانت قادرة بطريقة أو بأخرى على السيطرة على الأقليات الشيعية الموجودة داخل حدودها.

¹ غريغوري غوس، ما وراء الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط، دراسة تحليلية، مركز بروجنر، الدوحة، رقم 11، 2014، ص. 3.

* أنظر على سبيل المثال كتاب "الخميني"، المرجع الديني الأعلى في إيران، المعبر عن فكرة تصدير الثورة في بعض فقراته روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية، 1979.

إلا أن الغزو الأمريكي للعراق عوض أن يؤدي إلى تمكين الحلفاء "المعتدلين" ضد دول "محور الشر" كما كان يهدف، أدى إلى نتائج عكسية، حيث أتاح ذلك الغزو المجال لإيران من أجل بسط نفوذها في العراق¹، وهو ما مثل تغييرا في موازين القوى في المنطقة العربية لصالح إيران على حساب السعودية.

منذ ذلك الحين استطاعت إيران أن توسع نفوذها في دول عربية أخرى تضاف للبنان والعراق وسوريا الحليف الاستراتيجي لإيران، ففي فلسطين استطاعت إيران أن تظهر نفسها كمداخلة عن القضية الأم للمسلمين وللعرب، كما تمكنت من التحالف مع حركة حماس الفلسطينية ذات النفوذ الواسع في غزة، وفي اليمن استطاعت أن تجد لها مدخلا عبر "حركة الحوثيين" المنتمية للطائفة الزيدية الشيعية، المتهمة من قبل النظام السياسي اليمني وحليفها السعودية بأنها مدعومة من قبل إيران، في المقابل، تتهم "حركة الحوثيين" السعودية بالتدخل في شؤون اليمن والعمل ضدهم².

فبحلول عام 2010 أصبح لإيران نفوذا مباشرا في عدد من الدول العربية، وأصبحت لها القدرة على تعبئة الأقليات الشيعية (وأحيانا الأغلبية في حالة العراق والبحرين) المنتشرة في عدد من الدول العربية بما فيها شيعية السعودية.

وبعد موجة الحراك الشعبي التي اجتاحت معظم الدول العربية في المنطقة، والتي جاءت في سياق محلي وإقليمي مضطرب، حيث على مستوى الدولة الوطنية كانت هناك العديد من الدول تعيش ضعفا وفشلا وانهيارا في علاقتها مع مجتمعاتها الداخلية، كالعراق واليمن، وعلى المستوى الإقليمي كان هناك صراع نفوذ محتدم بين الدول الإقليمية، كان أبرزها الصراع السعودي-الإيراني كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أدى هذا الوضع المأزوم الذي تعيشه الكثير من الدول ومحيطها الإقليمي إلى احتدام صراع النفوذ الإقليمي، الشيء الذي أثر على عملية بناء الدولة الشرق أوسطية، وإدخال المنطقة في حروب باردة بين دول إقليمية برعاية دولية لأطرافها.

¹ غريغوري غوس، ، ما وراء الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص. 11.
² مجموعة الأزمات الدولية، اليمن: نزع فتيل الأزمة في صعدة، تقرير الشرق الأوسط رقم 86، أبريل 2009 ، ص ص. 8 - 11.

الفقرة الثانية: أثر الصراع على بناء الدولة

في الحروب الباردة بين القوى الإقليمية أو العالمية تصبح الدول الضعيفة ساحة لمثل هكذا حروب، فأى قوة إقليمية أو عالمية تسعى لتوسيع نفوذها على حساب الطرف الآخر عبر محاولة توجيه سياسات تلك الدول الضعيفة وفق مصالحها واستراتيجياتها، أو جعلها حليفا لها في مواجهتها لمنافسها الإقليمي أو العالمي، وحتى تنجح في ذلك عليها أن تدعم داخل تلك الدول الضعيفة طرفا معينا، يستهدف الوصول إلى السلطة على حساب منافسيه المحليين، ذلك الطرف المحلي قد يكون نظاما سياسيا قائما بحد ذاته أو جماعة معارضة تحاول إسقاط الحكم أو أقلية طائفية مذهبية عرقية تريد الانفصال أو الوصول إلى الحكم، لكن في الاتجاه المقابل، المنافس الإقليمي أو العالمي الآخر يسعى لنفس الهدف أي توسيع نفوذه عبر دعم الطرف المحلي المنافس للطرف المحلي الآخر المدعوم من جهات إقليمية أو عالمية أخرى.

دعم القوى الإقليمية أو العالمية للأطراف المحلية داخل الدول الضعيفة يكون عبر عدة آليات، فقد يكون في شكل دعم مالي أو اقتصادي أو سياسي أو إعلامي، وفي حالات شديدة يضاف إلى ذلك دعما عسكريا من خلال تسليح الأطراف المحلية، فتصبح بذلك الدول الإقليمية والعالمية تقود حربا بالوكالة داخل الدول الضعيفة ضمن السياق الكلي للحرب الباردة؛ الفكرة الأساسية هو أن تنافس القوى الإقليمية أو العالمية على النفوذ في الدول الضعيفة يركز أساسا حول خلق أنظمة حكم موالية، فالطرف الخارجي المنافس إما يعمل على إسقاط النظام القائم الموالي للمنافس الإقليمي أو العالمي، ومن ثم يسعى لإقامة نظام موالي له، أو يعمل على تثبيت النظام القائم الموالي له أمام منافسيه المحليين المدعومين من قبل القوى الخارجية المنافسة.

في المشهد العربي، شكل الانتشار السريع لموجة الحراك الشعبي ولقدرته في زعزعة أنظمة سياسية قائمة وراسخة منذ عدة سنين، أثرا كبيرا على السياسات الإقليمية التنافسية بالمنطقة، فهذا الحراك بنظرة محلية ضيقة تم تناوله من زاويتين، الأولى رأت فيه فرصة للتحول الديمقراطي وبناء أنظمة سياسية شرعية كفيلة بتحقيق التنمية المنشودة، والزاوية

الثانية اعتبرته حراكا شعبيا مزعزا للاستقرار سوف لن يؤدي إلا للمزيد من الفوضى والانفلات الأمني.

لكن بنظرة إقليمية إستراتيجية وفي إطار التنافس الإقليمي على النفوذ الذي كان قائما قبيل الحراك، فإنه تم اعتبار ذلك الحراك الشعبي بمثابة تهديد مباشر لمصالح قوى إقليمية معينة أو مكسبا إستراتيجيا لها ينبغي توظيفه، فالدول التي أدى فيها الحراك إلى زعزعة الأنظمة السياسية أصبحت أكثر ضعفا وأقل تماسكا اجتماعيا وسياسيا، الأمر الذي فتح الباب واسعا للتدخلات التنافسية من قبل القوى الإقليمية العربية، والغير عربية لتحقيق مصالحها وتقويض مصلحة الطرف المنافس الآخر.

وفي سبيل ذلك تم نهج إستراتيجية تهدف إلى دعم الحلفاء المحليين في تلك الدول الضعيفة وصلت درجة الحروب بالوكالة¹، في هذا السياق يرى "غريغوري غوس" Gregory Gause*، بأنه ينبغي النظر إلى الحرب الباردة في الشرق الأوسط بطريقة تصاعدية "من أسفل إلى أعلى"، بمعنى يجب النظر إلى الحرب الباردة على أنها نتيجة أو متغير تابع لضعف الدولة في المنطقة، ففشل أو انهيار الدولة يولد فراغا سياسيا تستغله القوى الخارجية المتنافسة فيما بينها، حيث يتم استدعاؤها من قبل المنافسين المحليين في تلك الدول الفاشلة أو المنهارة².

الحراك العربي ضم دول عربية جديدة (ليبيا وسوريا والبحرين واليمن) إلى قائمة الدول الضعيفة من حيث علاقة السلطة بالمجتمع، والتي يمكن أن تكون ميدانا إضافيا للتنافس الإقليمي بين القوى الإقليمية العربية والغير عربية.

عاش النظام الإقليمي العربي والشرق الأوسطي حالة من الفوضى والتنافس الإقليمي قبل الحراك العربي والتي تميزت أساسا بذلك الصراع الإقليمي بين ما يسمى "الدول المعتدلة" التي تقودها السعودية و"الدول الممانعة" وعلى رأسها إيران، وهو الصراع الذي

¹ مروان المعشر وآخرون، "انكسارات عربية : مواطنون، دول، وعقود اجتماعية"، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، شتبر 2016، <https://carnegie-mec.org/2017/01/18/ar-pub-67650> > (10 يونيو 2018).

* جريجوري غوز، هورئيس جون إتش ليندسي 44، وهو أستاذ الشؤون الدولية ورئيس قسم الشؤون الدولية في كلية بوش للإدارة الحكومية والخدمة العامة، جامعة تكساس A&M. وهو مؤلف لثلاث كتب والعديد من المقالات حول سياسات الشرق الأوسط، مع التركيز بشكل خاص على شبه الجزيرة العربية والخليج العربي.

² - غريغوري غوس، ما وراء الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص. 8.

غالبا ما يعرف على أنه طائفي، لكن الحراك العربي جعل ذلك الصراع الإقليمي يشتد ويتوسع أكثر، وأيضاً أدى إلى إبراز فواعل جديدة دولاتية وغير دولاتية متنافسة فيما بينها.

في إطار التنافس الإقليمي سارعت القوى الإقليمية المتنافسة إلى توجيه الحراك الشعبي بما يتوافق مع مصالحها، ففي حالات معينة وحسب مصالح كل قوة إقليمية، اعتبر الحراك مرة فرصة لتوسيع النفوذ عبر دعم الحراك، والتدخل بطرق مختلفة لإسقاط الأنظمة المعادية في دول الحراك والإتيان بأنظمة موالية، ومرة أخرى تهديدا يجب كبحه والعمل على حماية الأنظمة القائمة بشتى الوسائل.

بين طرف إقليمي يريد الحفاظ على وضع قائم خدمة لمصالحه، وآخر منافس يريد تغييره لصالحه، أصبحت دول الحراك ميدانا للتنافس والصراع الإقليمي المدعوم من أطراف دولية كبرى أهمها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

الفرع الثالث: صراع النفوذ الدولي ودوره في إعاقة عملية بناء الدولة

لفهم علاقات مصالح القوى العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بالمنطقة، ودور تلك القوى المتصارعة في إعاقة عملية بناء الدولة الوطنية بالمنطقة الشرق أوسطية، يجب أولاً فهم المنطق الذي يقوم عليه هذا الصراع العالمي في المنطقة.

إن إستراتيجية القوى العالمية تقوم على محاولة اختراق بلد ما والسعي للهيمنة عليه من أجل الاستيلاء على موارد الطاقة المربحة والسيطرة على الأسواق والحصول على العمالة الرخيصة، وإنشاء موقع عسكري متقدم من أجل التوسع، وإنشاء قواعد عسكرية من أجل السيطرة على الممرات الإستراتيجية المهمة، والقيام بعمليات استخباراتية وسرية ضد الخصوم¹.

¹ جيمس بتراس، ترجمة فاطمة نصر، الثورة العربية والثورة المضادة أمريكية الصنع، مكتب صدور للنشر، مصر، 2012، ص ص. 103 - 104.

اختراق البلد وضمان الهيمنة طويلة الأمد عليه، يكون باعتماد القوى الدولية التوسعية على وسائل أقل تكلفة وأكثر فعالية، تتمثل أساسا في ضمان عملاء ومتعاونين محليين سواء كانوا قادة سياسيين أو عسكريين أو اقتصاديين يمثلون النظام السياسي التابع¹.

الاعتماد على خلق أنظمة سياسية موالية في البلدان الضعيفة، هو جوهر الصراع إقليميا كان أو عالميا، فمن يتمكن من خلق أنظمة موالية له على حساب المنافس يكون هو المنتصر، وعلى هذا الأساس كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتغنى بقوتها وهيمنتها على المنطقة العربية حتى عشية الحراك الاجتماعي، كونها استطاعت أن تزيج كل منافسيها من المنطقة وأن تقيم تحالفات وثيقة مع معظم الأنظمة السياسية العربية الرئيسية، فكانت بذلك ضامنة لأهدافها التاريخية والجوهرية المتمثلة أساسا في السيطرة على موارد النفط العربية وبالتالي التحكم في أسعاره العالمية، وضمان أمن إسرائيل، ومحاربة الإرهاب المرتبط أساسا بالهدفين الأولين.

بخصوص أهداف صراع القوى العالمية على المنطقة العربية فهي كثيرة ومتشابهة، لكن يبقى الهدف الجوهرى يتمثل في السيطرة على موارد الطاقة، بحيث مازالت المنطقة العربية إلى غاية يومنا هذا تمثل الخزان الأول للطاقة من نفط وغاز كما سبقت الإشارة إلى ذلك في القسم الأول، ومازال لهادين الموردين دورا أساسيا في تحريك الاقتصاد الرأسمالي، كما لازال لهما دور محوري في إطار صراع القوى الكبرى².

زعزاع الحراك الاجتماعي الذي شهدته منطقة الشرق الأوسط أنظمة قائمة وأسقط أخرى، وبالطبع مادام منطق الصراع العالمي قائما أساسا على خلق أنظمة سياسية تابعة أو موالية أو حليفة، فإن ذلك الحراك كان يعني تحريك القوى العالمية المتصارعة كل حسب مصلحته، ومادما قد وضعنا سابقا بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة العالمية الأولى التي كانت مسيطرة على المنطقة من دون أي منافسة حقيقية، كونها ضمنت أنظمة سياسية

¹ المرجع نفسه، ص. 104 .

² "التنافس والصراع بين القوى العالمية على مصادر الطاقة"، مجلة القدس العربي، 27 يونيو 2015، <<https://bit.ly/3mwCSrD>> (15 ماي 2018)

موالية في دول عربية رئيسية، فإنه يكون من المؤكد بأن ذلك الحراك المهدد لبقاء الأنظمة العربية قد مثل تحدياً مباشراً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة.

لذا سوف نحاول التركيز أساساً على الولايات المتحدة الأمريكية ومنافسها الأساسي روسيا، وبالطبع تبقى هناك قوى أخرى على غرار دول الإتحاد الأوروبي والصين، إلا أنها ليس لها دوراً كبير بقدر أثر ودور الولايات المتحدة وروسيا ثم إنها، دول الإتحاد الأوروبي والصين وباقي دول العالم، في الكثير من الأحيان تصطف مع إحدى القوتين إما مع الولايات المتحدة أو مع روسيا.

بالنسبة لمواقف وتوجهات الولايات المتحدة، ينبغي الحذر من التعميم الذي قد يؤدي إلى نتائج غير صحيحة، فالحراك مثل تحدياً للولايات المتحدة الأمريكية في بعض الدول العربية التي كانت أنظمتها موالية أو متحالفة معها كمصر والبحرين واليمن، وبالتالي عملت أمريكا في تلك الدول خلف حلفائها الإقليميين (دول الخليج خاصة السعودية)، على تقويض الحراك فيها مثل ما حدث في البحرين، أو توجيهه ومجرياته مثل ما حدث في اليمن والمصر.

أما في دول أخرى فإن ذلك الحراك مثل لها، أي للولايات المتحدة الأمريكية، فرصة جوهرية لتحقيق مكاسب إستراتيجية وتوسيع نفوذها على حساب قوى إقليمية وعالمية أخرى، وهو ما كان عليه الحال في ليبيا الدولة الغنية بالنفط، وفي سوريا حليفة روسيا والدولة الرئيسية في محور المقاومة المناوئ لسياسات أمريكا وإسرائيل.

عندما تكون هناك انتفاضات أو حركات اجتماعية في دول مثل اليمن والبحرين ومصر ذات الأنظمة السياسية الموالية لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية، وتكون نسبة نجاح تلك الحركات في إسقاط الأنظمة السياسية مرتفعة جداً، تلجأ الولايات المتحدة إلى إتباع سياسات ذات ثلاثة ركائز، أولاً؛ النقد العلني لانتهاكات حقوق الإنسان والمطالبة بإصلاحات ديمقراطية حتى تحافظ على صورتها وعلى إيديولوجياتها.

ثانياً؛ العمل سرا لدعم الحكام، ثالثاً؛ البحث عن بديل محلي للنظام القائم يكون قادراً على الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة الإستراتيجية، الفكرة هو أن أمريكا لا يهتمها الحكام بل المهم هو الحفاظ على أجهزة الدولة العميلة إذ يسهل التضحية بهؤلاء الحكام في سبيل ذلك¹.

في الحراك الاجتماعي المصري، وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها مضطرة للتخلي عن نظام مبارك، بعد أن بات واضحاً بأن الأمور سوف تخرج عن السيطرة ويتحول ذلك الحراك إلى ثورة حقيقة، تسقط النظام وتأتي بنظام جديد قد يغير التوجهات الخارجية لمصر كشرطي حامي مصالح أمريكا وحلفائها في المنطقة، وعلى هذا الأساس وفي إطار إستراتيجية تغيير الأنظمة مع الحفاظ على مؤسسات الدولة العميلة قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالتخلي على رأس النظام (حسني مبارك) ودعم المجلس العسكري المصري*، المفارقة هنا هو أنه تم الترويج إعلامياً للدور البطولي لقادة المجلس العسكري كحامي للبلاد وللثورة بعد أن قام بعزل الرئيس "حسني مبارك"، لكن تم نسيان بأن المؤسسة العسكرية هي لب نظام "الرئيس مبارك" وديكتاتوريته طيلة ثلاثة عقود، وبالنسبة لأمريكا فإن "حسني مبارك" لم يكن الحليف الإستراتيجي الوحيد لها بل أيضاً كانت لديها نخب عسكرية مصرية حليفة لها².

بعد تنحية مبارك وأمام ضغط الشعب المصري، كان لزاماً على قادة الجيش المصري وعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تجاري الحراك الشعبي المطالب بالديمقراطية، عبر السماح بإجراء انتخابات شفافة وحررة انتهت بصعود حركة الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم، كان من شأن ذلك أن يؤدي إلى تغيير جوهري في العلاقات الخارجية المصرية

¹ جيمس بتراس، مرجع سابق، ص ص. 18-19.
* عن العلاقات الأمريكية-المصرية وكيف عملت الولايات المتحدة على منع أي انتقال ديمقراطي بمصر قد يطيح بالنظام القائم الحليف لها، انظر في:

Brownlee JASON, *Democracy Prevention: the Policy of the US-Egyptian Alliance*, Cambridge University Press, USA, 2012.

² يتوسع كثيراً جيمس بتراس في قضية الإستراتيجيات الأمريكية المتخذة في سبيل دعم الأنظمة الموالية في حالة ثورة أو انتفاضة شعبية، مركزاً في ذلك على الحالة المصرية، أنظر الفصل الأول والثاني، من جيمس بتراس، مرجع سابق.

سواء مع أمريكا أو مع إسرائيل، أو مع دول الخليج العربي، لكن لم يمضي عاما واحدا من حكم الإخوان المسلمين حتى تم الانقلاب عليهم من قبل المجلس العسكري، وبعدها بفترة تولى القائد الأعلى للقوات المسلحة عبد الفاتح السيسي رئاسة البلاد، وبهذا تكون قد عادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل الحراك بالنسبة لأمريكا، أي ضمان نظام موالي لها.

النقطة المهمة هو أن الولايات المتحدة الأمريكية، أدارت الأحداث في مصر بخفاء فهي لم تقدم على أي فعل يبرز بوضوح للشعوب المصرية والعربية سعيها للحفاظ على النظام القائم، وأيضا أدارت ذلك من خلف عبر تحريك حلفائها الإقليميين السعودية والإمارات العربية أساسا، اللذان عملا على دعم الانقلاب العسكري دبلوماسيا وماليا واقتصاديا¹.

أما في البحرين، دائما وفي إطار الحفاظ على الأنظمة الموالية وفي ظل إستراتيجية العمل بخفاء ووراء الحلفاء الإقليميين، تركت الولايات المتحدة الأمريكية المبادرة لدول مجلس التعاون الخليجي، من أجل إجهاض أي محاولة شعبية مهددة للنظام القائم في البحرين.

ففي ظل النظام السياسي القائم كان للولايات المتحدة الأمريكية علاقات جد مميزة مع البحرين، فهي الشريك الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية في سياسات الدفاع، بحيث تستقبل الأسطول البحري الخامس للولايات المتحدة الأمريكية، وكانت قد شاركت مع القوات الدولية للمساعدة الأمنية في أفغانستان.

وعموما فإن التسهيلات العسكرية من قبل البحرين جعل الولايات المتحدة الأمريكية تصنفها ضمن قائمة الحلفاء الرئيسيين خارج حلف شمال الأطلسي عام 2002، أما على المستوى الاقتصادي فقد بلغت حجم التجارة البنية بين الطرفين ملياري دولار لعام 2014،

¹ "الانقلاب العسكري في مصر ضد مرسي"، مركز الجزيرة الإعلامي، 12 فبراير 2016، <<https://bit.ly/3kEeUKy>> (20 مارس 2018)

وذلك في إطار اتفاقية التجارة الحرة بين البلدين التي دخلت حيز التنفيذ ابتداء من عام 2006¹.

أمام هذه المعطيات لا يمكن أبدا تصور بأن الولايات المتحدة سوف تتخلى عن النظام القائم هناك مهما كلف الأمر، وعليه تكفلت دول مجلس التعاون الخليجي بمهمة الحفاظ على النظام دون تدخل أمريكي ظاهر.

وفي اليمن لم يختلف الوضع كثيرا، حيث تركت الولايات المتحدة الأمريكية المبادرة للقوى الإقليمية الحليفة من أجل الحفاظ على مصالحها هناك.

في مصر وبعدها البحرين ثم اليمن، تؤكد بوضوح بأن أمريكا عادت إلى سياسية "الدول الوكلاء" أو "مبدأ نيكسون" الذي كان مطبقا في المنطقة العربية منذ عام 1969 إلى غاية عام 1979، القاضي أساسا بدعم الأنظمة الموالية لها في المنطقة، حتى تتحمل مسؤوليتها بنفسها دون تدخل مباشر من الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما يحدث حاليا، فالحرب التي تقودها السعودية على الحوثيين باليمن منذ عام 2015، يعكس رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة على اليمن ذات الموقع الجيوستراتيجي المهم، لكن عبر ترك المبادرة لحليفها السعودية من فرض وجودها هناك، ومنع أي منافس عالمي أو إقليمي لها وللولايات المتحدة الأمريكية من فرض نفوذه هناك².

أما في سوريا، الحالة العربية الأكثر تعبيرا عن الصراع العالمي في المنطقة، دخلت البلاد في حرب أهلية، وحروب بالوكالة، وتدخلات عسكرية مباشرة باسم محاربة الإرهاب أو باسم دعم المعارضة أو بدعوى طلب من النظام، أطراف هذه الأزمة متعددة ولكن الطرفين القائدين هما روسيا من جهة والولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى.

¹ "U.S. Relations With Bahrain", USA Department of State, 15/07/2017, <<https://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/26414.htm>> (12/05/2017)

² Mahdi DARIUS NAZEM ROAYA, "The Geopolitics behind the War in Yemen ", Journal Strategic Culture Foundation, 03/03/2015, <<https://bit.ly/3hr3FUH>> (15/7/2017).

بالنسبة لأمريكا، رأت في ذلك الحراك فرصة لإسقاط نظام الأسد المتحالف مع إيران وروسيا، فعلى المستوى الإقليمي سقوط نظام الأسد يمثل خسارة مباشرة لمحور الممانعة بصفة عامة ولإيران خصوصا، في هذا الصدد يقول "توم دونيلون" Donilon مستشار الرئيس الأمريكي السابق "باراك أوباما" للأمن القومي، إن نهاية نظام الأسد ستشكل أكبر نكسة لإيران في المنطقة حتى اليوم؛ إذ ستكون ضربة إستراتيجية ستزيد من تغيير توازن القوى لغير صالح إيران¹، وإيران بدورها تعي جيدا هذا القول الأمر الذي دفعها هي و"حزب الله" لدعم نظام الأسد بكافة الوسائل المتاحة، العسكرية والدبلوماسية والمالية، وأن تخوض حروبا بالوكالة دفاعا عن النظام ضد محور الولايات المتحدة الأمريكية ودول الخليج وتركيا.

أما بالنسبة لروسيا الحليف الإستراتيجي لسوريا ولإيران، فإن سقوط النظام السوري يعني فقدان حليف إستراتيجي بالمنطقة العربية، ولكن أيضا يعني تهديدا مباشرا لمصالحها الحيوية هناك، وأهم تلك المصالح هي أساسا جيوبوليتيكية، تتعلق أولا بالوصول إلى البحر الأبيض المتوسط بحيث توفر سوريا لروسيا قاعدة بحرية في ميناء طرطوس المطل على البحر الأبيض المتوسط؛ ثانيا إن موقع سوريا كدولة في قلب الشرق الأوسط يمكن روسيا من أن يكون لها دور في قضايا الشرق الأوسط؛ بحيث يكسبها قدرة تفاوضية أعلى على المستوى العالمي، وثالثا فإن سقوط نظام الأسد الموالي لها يعني أكيد صعود نظام موالي لمحور الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يعني إنهاء مصالح روسيا هناك، ولكن أيضا يعني ضربة مباشرة لحليفها الأخرى أي إيران²، هذا بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تكسب منطقة أخرى في إطار سياسة احتوائه ومحاصرتها لروسيا.

بصفة عامة، الصراع الروسي الأمريكي حول سوريا لا يخرج عن الأهداف التي ذكرناها سابقا، على هذا الأساس عملت الولايات المتحدة على إسقاط نظام الأسد وتغييره

¹ ريز إرليخ، ترجمة طوقان، داخل سوريا: قصة الحرب الأهمية وما على العالم أن يتوقع، الدار العربية للعلوم، لبنان، 2015، ص. 233.

² دافيد دبليو ليش، ترجمة انطوان باسيل، سورية: سقوط مملكة الأسد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، 2014، ص ص. 181 - 187.

بآخر موالي لها عبر دفع حلفائها الإقليميين، ودعم حلفائها المحليين دبلوماسيا وعسكريا، في المقابل دعمت روسيا نظام بشار الأسد عسكريا ودبلوماسيا، قبل أن تلجأ للتدخل العسكري المباشر منذ عام 2015 ، وفي ظل هذا الصراع تحولت سوريا إلى ساحة للحروب بالوكالة وللتدخلات الخارجية.

هذا الصراع على النفوذ بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في منطقة الشرق الأوسط، وهذه الاصطفافات التي خلقها هذا الصراع بين دول المنطقة وداخل الدولة الواحدة؛ حيث نجد مثلا في سوريا قوى ترحب بالوجود والنفوذ الأمريكي وقوى أخرى مدعومة من روسيا ترحب وتدافع عن نفوذ الأخيرة، مما يجعل من عملية بناء الدولة أمرا مستحيلا أو صعب التحقق في ظل تصاعد استغلال البعد الطائفي في الصراع بين هذه القوى، مما يؤثر أيضا على وحدة النظام العربي.

المطلب الثاني: توظيف البعد الطائفي في الصراع الدولي على النفوذ وانتهيار النظام العربي

تبقى مظاهر حضور البعد الطائفي* في الشرق الأوسط معطى واقعا داخل دول المنطقة، تؤكد الكثرة من الأحداث التاريخية، إلا أن ربط العنف الطائفي بالشرق الأوسط دون الحديث عن صراع النفوذ والمصالح الإقليمي والدولي، ومنه الصراع الروسي-الأمريكي يبقى كمن يضع العربة قبل الحصان؛ فواقع هذا الصراع يشير إلى استغلال هذا البعد وتأجيجه – الطائفي – داخل دول المنطقة، لتحقيق مكاسب ومصالح معينة، الشيء الذي جعل الدولة الواحدة تعيش صراعا داخليا أثرت تبعاته على النظام العربي الإقليمي.

* إن مصطلح "الطائفية" هو مصطلح مرن وغامض بطبيعته. ويستعمل المصطلح عادة للدلالة على أشكال متعارف عليها من التحيز والتضامات التاريخية والتماهي مع طائفة دينية أو إثنية كما لو كانت حزبا سياسيا، أو نظاما عن طريقه تشكل المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مجتمعات متعددة دينيا وإثنيا. وقد استعمل العالم السياسي آرنت ليبهارت (Arend Lijphart) كما هو معلوم مصطلح "الديمقراطية التوافقية" (consociational democracy) "للإشارة إلى قدرة النخب على إنشاء مساومات سياسية على أسس طائفية ومذهبية وإثنية؛ مثل الميثاق الوطني في لبنان عام 1943. Arend Lijphart, *Consociational Democracy*, Cambridge University Press, 1969, p. 208.

الفرع الأول: تنافس شيعي-سني يغذيه دعم روسي-أمريكي لأطرافه

يعتبر الصراع الإقليمي على النفوذ ذو الصبغة الطائفية موجودا في منطقة الشرق الأوسط قبل الحراك الشعبي الذي شهدته المنطقة، إلا أن تفجره الكبير كان بعد الحراك الشعبي، حيث استغلت الورقة الطائفية لحشد الدعم وإيجاد الحلفاء، بتشجيع ومباركة روسية أمريكية لأطراف هذا الصراع.

الفقرة الأولى: الصراع الإقليمي الطائفي السني-الشيعي

الصراع الإقليمي على النفوذ ذات الصبغة الطائفية كان قائما قبل بداية الحراك العربي وكان يجري أساسا داخل أربع دول عربية وهي العراق، ولبنان، واليمن نوعا ما، وأيضا داخل جزء من الأراضي الفلسطينية ولو أنه في هذه الأخيرة لم يكن ذو صبغة طائفية بل كان ذو توجه إيديولوجي، كدعم إيران لحركة حماس الذي قام على إيديولوجية مقاومة إسرائيل.

باعتبار الصراع الإقليمي بين السعودية وإيران قائم على استغلال ورقة الطائفية لحشد الدعم وإيجاد الحلفاء المحليين، فإنه يصبح من المؤكد بأن تلك القوتين الإقليميتين في إطار بحثها عن النفوذ، تسعى لاستغلال أي انهيار أو ضعف للسلطة داخل الدول العربية ذات المجتمعات المسلمة المقسمة أساسا بين الشيعة والسنة.

في المنطقة العربية توجد سبعة دول عربية واقعة في الجزء الشرقي من المنطقة تضم أقليات شيعية مهمة وهي: اليمن % 40 (هم من الطائفة الزيدية وهي فرع من الشيعة)، ولبنان % 41 ، والكويت % 30 ، والإمارات العربية المتحدة % 16، وسوريا % 13 (11% علويون و2% اثنا عشريون)، وقطر % 10، والسعودية % 15، وهناك دولتين ذات أغلبية شيعية وهي: البحرين % 75 والعراق % 60¹، في هذه الدول التسع أي

¹ "World Directory of Minorities and Indigenous Peoples", *Refworld UNHCR The UN Refugee Agency*, 2007, < <https://www.refworld.org/docid/4954ce4ec.html> > (11/6/2018).

ضعف للسلطة فيها يحولها إلى ميدان للتنافس الإقليمي بين السعودية وإيران إذ يسهل اختراقهما عبر ورقة الطائفية.

قبل الحراك كانت قد تحولت ثلاث دول عربية إلى ميدان للتنافس الإقليمي الطائفي وهي العراق، ولبنان، واليمن نوعا ما، وفي سياق الحراك الشعبي، كان من شأن إضعاف السلطة في الدول العربية ذات المجتمعات المقسمة أساسا بين السنة الشيعية أن يؤدي إلى جعلها ميدانا إضافيا للتنافس الإقليمي بين السعودية وإيران.

ففي البحرين، ذات الأغلبية الشيعية المحكومة من قبل أسرة "آل الخليفة" السنية، سرعان ما أخذ الحراك الشعبي فيها بعدا إقليميا وطابعا طائفيًا، حيث تم اتهام هؤلاء المحتجين بأنهم مدعومين من قبل إيران، ومن ثم تدخلت قوات درع الجزيرة في 14 مارس 2011 في إطار اتفاقية الدفاع المشترك بين دول مجلس التعاون الخليجي، وبناء على طلب الحكومة البحرينية التي اعتبرت بأنها تتعرض لخطر خارجي في إشارة ضمنية لإيران.

بغض النظر عن ما إذا كان ذلك الحراك تدعمه إيران أو أنه عفوي له أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية، فإن ذلك التدخل العسكري بقيادة السعودية جاء في إطار التنافس الإقليمي ذو الأبعاد الطائفية، لأنه في حالة انهيار النظام الحليف للسعودية وللولايات المتحدة الأمريكية، ومع أغلبية شيعية معارضة قد تصل للحكم، فإن ذلك حتما يمثل مكسبا إستراتيجيا لإيران على حساب السعودية، وعلى هذا الأساس جرى التدخل العسكري لحماية النظام.

رغم أن مسألة التدخل الإيراني في البحرين أمر غير مؤكد إلا أنه يبقى من المحتمل أن تكون إيران قد دعمت إن لم تكن هي التي حرضت على تلك الاحتجاجات، من خلال رجال الدين الشيعية البحرينيين المقربين لإيران، ولو أن التقرير الحكومي البحريني المعروف بتقرير "بسيوني" كان قد نفى وجود أي دليل واضح يؤكد علاقة إيران بتلك الاحتجاجات¹، على عكس ما ظل يصرح به الملك البحريني بأن إيران تقف وراء

¹ تقرير اللجنة البحرينية المستقلة لتقصي الحقائق، رئاسة محمود شريف بسيوني، المنامة، مملكة البحرين، 23 نوفمبر 2011، صدرت نسخة منقحة من التقرير في 10 دجنبر 2011، < <https://bit.ly/3oD862h> >

الاحتجاجات البحرينية، ولكن كما قلنا ما يبقى مؤكد فعلا هو أنه في حال سقوط حكم أسرة "آل خليفة" السنية فإنه من المؤكد أن تسيطر الأغلبية الشيعية على الحكم، وبأن يكونوا حلفاء جد محتملين لإيران بحكم التوجه المذهبي المشترك، وهذا ما تخشاه السعودية في إطار تنافسها الإقليمي مع إيران¹.

لكن سرعان ما ارتبط الحراك الشعبي في اليمن بالتنافس الإقليمي الإستراتيجي ذو الصبغة الطائفية، فالتنافس الإقليمي الذي كان محدودا بين السعودية وإيران في اليمن لم يلبث أن تحول بعد الحراك إلى حرب بالوكالة، وحول معه اليمن إلى دولة منهاره تمزقها الحروب الأهلية والتدخلات العسكرية الخارجية.

أدى الحراك الشعبي في اليمن إلى زعزعة السلطة القائمة، ففي ظل مجتمع قبلي وموقع جيوسراتيجي مهم لديه حدود مع السعودية، ويقع على مدخل مضيق باب المندب أحد أهم ممرات النقل التجاري في العالم، تحول اليمن إلى ساحة للتنافس الإقليمي بين السعودية وإيران مستخدمين آلية الحروب بالوكالة عبر الدعم العسكري للأطراف المحلية الحليفة، تعدها إلى تدخل عسكري مباشر؛ حيث قادت السعودية والإمارات تحالفا دوليا سنيا لوقف تمرد الحوثيين الشيعة المدعومين عسكريا وماليا من طرف إيران. ليخوضا طرفا هذه الحرب صراعا عسكريا مريرا لم تتضح بوادر نهايته حتى الآن، دفع الشعب اليمني ولا زال ضريبة الصراع على النفوذ الإقليمي بنكهة طائفية شيعية-سنية².

أما في سوريا الدولة العربية الوحيدة في المشرق العربي المناوئة للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وهي أيضا الدولة العربية الوحيدة المتحالفة مع إيران بشكل وثيق إضافة إلى حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية، - دون الحديث عن العراق الذي أصبح في حضانة إيران بعد الحرب الأمريكية عليه وإسقاط نظامه سنة 2003- أخذ الحراك الشعبي فيها طابعا سلميا عاديا لكن الدول الخليجية بزعامة السعودية، وتركيا، وإسرائيل،

¹ Simon Mabon, " The Battle for Bahrain: Iranian-Saudi Rivalry", *Middle East Policy Council*, Vol 19, N°2, Summer 2012, p. 45.

² Carole Landry, "Iran arming Yemen's Huthi rebels since 2009: UN report", *yahoo news*, April 30, 2015, <<https://www.yahoo.com/news/iran-arming-yemens-huthi-rebels-since-2009-un-202936346.html>> (12/06/2018)

اعتبروا ذلك الحراك بمثابة الفرصة الجوهرية للتخلص من نظام الأسد الحليف الإستراتيجي لإيران و"لحزب الله اللبناني" في المنطقة.

شكل موقع سوريا الاستراتيجي أهمية بالغة بالنسبة للاعبين الإقليميين والعالميين، بحيث تتوسط العراق وتركيا ولبنان والأردن وإسرائيل، وبهذا الموقع وتحالفها الإستراتيجي مع إيران جعلها بمثابة جسر وصل يبدأ من إيران الشيعية مروراً بالعراق ذات الأغلبية الشيعية، وصولاً لسوريا ذات الحكم العلوي الشيعي ثم إلى لبنان، فبفضل سوريا تصل إمدادات الأسلحة الإيرانية لحزب الله اللبناني عبر هذا الخط الجغرافي، وعليه فإن سقوط النظام السوري يعني تغيير ميزان القوى لصالح خصوم إيران في المنطقة، وهذا ما عملت عليه أساساً تركيا ودول الخليج بزعامة السعودية ومن ورائهما إسرائيل.

أمام هذه الوقائع قامت تركيا ودول الخليج بزعامة السعودية بدعم الحراك الشعبي السوري بكافة الوسائل، الإعلامية والدبلوماسية والعسكرية، هادفة بذلك إلى إسقاط النظام السوري، وبالطبع مادام النظام السوري هو في يد الأقلية العلوية الشيعية في حين أغلبية المجتمع السوري هم من السنة، فإن السعودية وحلفاءها في إطار الحروب بالوكالة عمدت إلى حشد الحلفاء المحليين (المليشيات والسياسيين) باستعمال ورقة السنة*، في حين لقي النظام السياسي السوري العلوي الدعم من إيران وحزب الله اللبناني المحسوبين على الطائفة الشيعية، بهذا تحولت سوريا إلى ساحة للحروب بالوكالة بين القوى الإقليمية المستغلة للطائفية¹.

* هذا لا ينفي أن الإمارات والسعودية عملتا على وأد انتفاضات وتحولات في الأنظمة خوفاً من صعود الإخوان المسلمين؛ حيث أن سبب العداء السعودي-الإماراتي لحركة الإخوان المسممين، يقوم أساساً على تخوفهم من الفكر السياسي لحركة الإخوان المسلمين، الذي يتنافى تماماً مع شرعية أنظمة الحكم في كلا البلدين فأى نجاح لحركة الإخوان في أي بلد عربي يمكن أن تكون بمثابة مصدر إلهام للمسلمين في باقي الدول العربية، ولكن أيضاً يمكن أن تكون تلك الدولة بمثابة نقطة ارتكاز لحركة الإخوان المسلمين، من أجل السعي لإقامة أنظمة حكم إسلامية في الدول العربية تمهيداً للخلافة المنشودة، وهو في أساسه صراع بين الفكر الوهابي والإخواني، وله أبعاد سياسية وهذا خاصة في الحالة السعودية. محمد عفان، الوهابية والإخوان: الصراع حول مفهوم الدولة وشرعية السلطة، جسر للترجمة والنشر، لبنان، 2016، ص. 141-171 وأيضاً:

David B. ROBERTS, "Mosque and State: The United Arab Emirates' Secular Foreign Policy." *Foreign Affairs*, 18 Mars 2016.

¹ Mark LYNCH, *The New Arab Wars : Uprisings and anarchy in the Middle east*, Public Affairs, 2016 , p. 20.

الصراع الإقليمي الطائفي السني/الشيوعي أكيد يتغذى من ظاهرة ضعف وفشل الدولة في النظام الإقليمي خاصة في فترة ما بعد الحراك، ولكن هذه الصراعات الإقليمية ذات الصبغة الطائفية بدورها عملت على تقويض عملية بناء الدولة الوطنية الجامعة لكل أطراف المجتمع، إذ ساهمت في تعميق الانقسامات السياسية والاجتماعية في العديد من الدول الضعيفة، وكانت في الكثير من الأحيان المسئول الأساسي في إدخال العديد من الدول العربية في حروب أهلية مدمرة استغلت فيها الورقة الطائفية لتعميق الهوة بين الفرقاء وبمباركة من قوى عالمية ودولية لأطراف هذه الصراعات كروسيا والولايات المتحدة الأمريكية.

الفقرة الثانية: دعم روسي-أمريكي لأطراف الصراع الطائفي في المنطقة

لم تغب مسألة الأقليات عن الدراسات التي تناولت الدولة في الشرق الأوسط، بل كانت حاضرة في خضم أحداث سياسية مهمة مرت على المنطقة، إلا أنها لم تكن بنفس الزخم الذي أصبحت عليه بعد اجتياح الولايات المتحدة الأمريكية للعراق في العالم 2003، حيث تحولت من إحدى إشكاليات السياسة في الشرق الأوسط، إلى موضوع رئيسي يحتل مساحة كبيرة في الدراسات المهمة بمنطقة الشرق الأوسط.

لقد أصبحت مسألة الطائفية إحدى الكلمات المفتاحية عند الحديث عن المنطقة، إذ يجري تدويره بصورة واسعة في المتابعات الصحفية وكذلك الكتابات الأكاديمية. ولعل التقابل الهوياتي الأهم في هذا النقاش خصوصاً بعد الحراك العربي هو ثنائية سني/شيوعي التي طغت على السياسة في دول الهلال الخصيب والخليج العربي¹.

لكن هذا البعد الطائفي في المنطقة لم يكن ليشكل كل هذا الزخم حوله لولا استغلاله في صراعات القوى الإقليمية والدولية على النفوذ والمصالح، فكما شاهدنا على المستوى الإقليمي من طغيان هذا البعد في العلاقة الصراعية بين السعودية وإيران، كان هذا البعد حاضراً أيضاً لدى القوى الدولية المتصارعة على النفوذ في المنطقة وعلى رأسها الولايات

¹ أحمد سعد العوفي، "الهوية الشيعية في صيرورة سياسية: تطور مجال القوة وإعادة إنتاج الهوية الشيعية في السعودية"، المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير، المؤتمر العلمي السنوي الثالث في قضايا التحول الديمقراطي، 13-14-15 شتبر 2014، ص. 14.

المتحدة الأمريكية وروسيا، حيث تم استغلال هذه الورقة لتحقيق مصالح كل طرف منهما، غير أبيهن بأوضاع المنطقة وكذا عن تداعيات هكذا استغلال عن المنطقة بأكملها، فكان الاصطفاف الروسي مع المكونات الشيعية واضحا، يقابله عداء أمريكي للشيعية المدعومين من إيران، لحساب السنة المعتدلة – حسب التوصيف الأمريكي-.

أولا: التوافق الروسي-الشيعي إمعان في تأجيج الصراع الطائفي في المنطقة

يرى الروس بأن إيران هي الحليف الأفضل لروسيا وأن التحالف بين طهران وموسكو هو أولوية بالنسبة للقوة الأوراسية الموحدة، حيث تتمتع إيران بمكانة خاصة في الساحة الاستراتيجية و تمنح المساحة المناسبة لأوراسيا للحفاظ على استقلالها عن طريق المحيط الاطلسي، ويشير "الكسندر غليويج دوغين" أن بإمكان العلاقة الإيرانية الروسية أن تتطور إلى مستوى أهم تحالف موجود، لتتمكن إيران من الدفاع عن نفسها ضد القوى الامبريالية في الغرب، وفي الوقت نفسه السماح لروسيا بالانضمام إلى المياه الدافئة التي كانت دائما الهدف الرئيسي لسياستها الخارجية.

وقال دوغين بأن العلاقات الإيرانية-الروسية تأتي في الدرجة الأولى وتجسد نوعا من التقارب لإقامة أوراسيا قوية ومستقلة. وأكد على ضرورة التعاون الاستراتيجي بين البلدين، وزاد أن البلدين يقاتلان جنبا إلى جنب في سوريا، وأن البلدين قد اتبعنا استراتيجية واحدة تجاه الشرق الأوسط، وأننا جميعا أعداء الوهابيين والراديكاليين السنة الذين يعتبرون تهديدا لإيران وروسيا، لذلك فإن التحالف الشيعي-الروسي حقيقة واقعة¹.

تتماهى المصالح الروسية والإيرانية في العداء التاريخي للحركات السنة في المنطقة، ولذلك تم تطبيق تحالف الجيش الشيعي والروسي، ولا يشمل ذلك إيران فقط، بل أيضا بغداد والقوات الشيعية العراقية، وحزب الله اللبناني، حيث يرى أن هذه الجيوش

¹ "الفيلسوف الروسي دوغين: إيران الحليف الأفضل لروسيا"، مجلة الوقت، 7 دجنبر 2016، <https://bit.ly/3eiYbKd> (6 ماي 2018)

الخمسة من روسيا وإيران وسوريا، والعراق وحزب الله اللبناني استطاعت التغلب على الوهابيين المدعومين من المجاميع المتطرفة التكفيرية في السعودية¹.

عرفت العلاقات الروسية الإيرانية في الماضي تأرجحاً بين التنافس المباشر والمنافسة المستترة ففي بعض الأحيان، انزلق البلدان إلى نزاع مسلح حيث خاضا حربين في القرن التاسع عشر، واحتلت القوات الروسية أراضٍ يعتبرها الشاه الإيراني ملكاً له في تركمانستان الآن.

بعد الثورة البلشفية، رعت القوات السوفيتية الحركات الانفصالية، أولاً في مقاطعة جيلان شمال إيران على بحر قزوين، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، في كل من أذربيجان الإيرانية وكردستان. اندلعت أزمة أذربيجان عام 1946 - وهي أول أزمة حقيقية في الحرب الباردة - بسبب رفض رئيس الوزراء السوفيتي جوزيف ستالين سحب الجيش الأحمر من إيران عام 1946².

مع وفاة الخميني عام 1989، سعى بعض المسؤولين الإيرانيين إلى تحسين العلاقات مع موسكو حتى أن آية الله علي أكبر هاشمي رفسنجاني سافر إلى موسكو لاستكشاف التقارب. بحلول نهاية التسعينيات، برزت روسيا كمورد رئيسي للأسلحة التقليدية لإيران وبدأت المساعدة في برنامجها النووي.

عندما وصل فلاديمير بوتين إلى السلطة عام 2000، ازدادت العلاقة دفئاً، حيث توسعت تجارة الأسلحة بين البلدين بشكل أكبر، وأيد دبلوماسيو الكرملين جهاراً برنامج إيران النووي كمسعى سلمي، وعملوا بجد لتخفيف العقوبات المفروضة على طهران، وأصبحت الاجتماعات رفيعة المستوى لكبار المسؤولين في البلدين شبه روتينية، حيث زار وزير الدفاع الروسي سيرجي شويغو إيران في يناير 2015، وزارها بوتين في نوفمبر - وهي أول زيارات بوتين ووزير دفاع روسي منذ عقد، التقى بوتين ونظيره الإيراني حسن روحاني عدة مرات منذ ذلك الحين.

¹ نفس المرجع.

² ANNA BORSHCHEVSKAYA, "Vladimir Putin and the Shiite Axis", *Foreign Policy*, August 30, 2016, <<https://bit.ly/3mHbmb2>> (March 12, 2019)

قد يرجع الدفء في العلاقة بين البلدين إلى العلاقات الاقتصادية، حيث رأت الصناعات العسكرية والنووية الروسية أن إيران سوق مربحة بشكل متزايد، لكن موسكو وطهران اجتماعاً أيضاً من خلال عدد متزايد من المصالح السياسية المشتركة؛ حيث يشعر كلا البلدين بالقلق من عودة ظهور حركة طالبان في أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي، ويخشى كلاهما صعود التطرف السني، والذي يرتبط بالنسبة لروسيا بعدم الاستقرار التاريخي في منطقة شمال القوقاز الذي يعود إلى الحرب مع الشيشان، عندما أدت سياسات موسكو التعسفية إلى تطرف ما بدأ كنضال انفصالي علماني.

حيث عانت روسيا من الجهاديين، السنة إثر الصراع في أفغانستان وكذا في الشيشان، فاحتلال أفغانستان في 24 من ديسمبر 1979 من طرف الجيش الروسي متذرعاً باتفاقية الصداقة الموقعة في كابل بين البلدين في 1978، جاء ضد رغبة ملايين الأفغان الذين عبروا عن رفضهم للاحتلال الروسي لبلادهم، حيث شكلوا جماعات مختلفة لمحاربة هذا الاحتلال، تلقى هؤلاء المقاتلين السنة الدعم من طرف العديد من الدول في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة السعودية وباكستان.

قامت باكستان بإيصال الأموال والأسلحة التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، والسعودية إلى المجاهدين من جهة، وفتحت أبوابها أمام ملايين اللاجئين الأفغان الفارين من الاحتلال من جهة أخرى، ولكسر شوكة المجاهدين الأفغان السنة رفع الجيش الروسي عدد جنوده إلى 100 ألف جندي في أفغانستان، إلا أنه تكبد خسائر فادحة جراء هجمات المجاهدين، فوفقاً لبيانات الجيش الروسي فقد قتل 14 ألفاً و453 عسكرياً روسيا وأصيب أكثر من 53 ألف آخرين بجروح، ليقرر الاتحاد السوفياتي الذي فشل في كسر شوكة المقاومة سحب قواته في 1988، حيث غادر آخر جندي روسي في 15 فبراير 1989 الأراضي الأفغانية لتنتهي بذلك رسمياً حقبة الاحتلال الروسي لأفغانستان¹.

ولعل من أبرز التجارب الحديثة التي تستحق الدراسة، والتأمل وتولد رؤية عميقة عن الاستراتيجية التي يتحرك بها الروس هو تعاملهم مع التجربة الشيشانية في نيل

¹ بشير البياتي، "جروح لم تندمل مع حلول الذكرى الـ 29 لانسحاب السوفيتي من أفغانستان"، ANADOLU AGENCY 15 فبراير 2018، <<https://bit.ly/3kOBSP1>> (17 يناير 2019)

الاستقلال، مروراً بحرب الشيشان الأولى ومفاوضاتها، وحرب الشيشان الثانية وخاتمتها المثيرة بقيادة رئيس الوزراء " فلاديمير بوتين" الذي يرى في تلك التجربة نجاحاً شخصياً وانتصاراً لا يمكن محوه من ذاكرة روسيا الاتحادية، بعد أن كانت الشيشان مستنقعا لم يعرف الروس كيفية الخروج منه إبان الحرب الشيشانية الأولى، في حين أصبح "بوتين" يرى في الشيشان "رافعة" أوصلته إلى سدة الحكم، بعد نجاحه بحرب الشيشان الثانية

جاءت حرب الشيشان الأولى من عام 1994 لعام 1996، حيث عقد الروس العزم للقضاء على الحركة الانفصالية في الشيشان، لما تمثله من خطر على الأمن القومي الروسي وعلى وحدة روسيا الاتحادية، حيث سيشرح نجاح الشيشان في نيل استقلالها باقي دول وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، لتسير على نفس الدرب بحسب ما يراه السياسيون والعسكريون الروس.

وفي حال سقوط القوقاز الكبير في قبضة القوميين الإسلاميين السنة*، ربما تختفي الدولة الروسية في شكلها الحالي، وتتم "يوغسلفتها" بدينامية التفكيك بعوامل وتطورات داخلية متتابعة أو بتدخل مباشر من الغرب¹، يقول بوتين في هذا الإطار: "إذا لم نوقف المتطرفين الإسلاميين في الشيشان اليوم فسنواجه غداً يوغسلافيا ثانية في أراضي روسيا الاتحادية كلها" إلا أن العملية العسكرية الروسية في الشيشان رغم نجاحها المبدئي وسقوط غروزني بيد الروس، لم تستطع تحقيق الأهداف المرجوة، بل سرعان ما انقلبت الطاولة على الروس ليتمكن الشيشانيون من هزيمتهم، وينالوا استقلالهم مجدداً²

بعد كل هذه الانتصارات التي حققها المجاهدون الشيشان، ارتكبوا عدة أخطاء استراتيجية حرفت مسارهم وأضاعحت مكتسباتهم، وقطعت المسافة الفاصلة بينهم وبين الحرب الشيشانية الثانية، وساهمت في الهزيمة السريعة، حيث أثر الاندفاع الكبير لدى

* الشيشانيون جميعهم من السنة، وهم شافعيو المذهب، ولا يوجد بينهم يهودي أو مسيحي شيشاني، وأكبرهم ثلاث عشائر الأرستغوي والنوختشي والغلغاي.

¹ Aristidis Tsatsos, " Second Chechen War : Causes, Dynamics and Termination –A civil War between Risk and Opportunity?", *ResearchGate*, January 2014, <<https://bit.ly/3kTQVH9>>(May 12, 2019)

² "الإستراتيجية الروسية بين الشيشان وسوريا"، هيومن فويس مركز طوران للدراسات، 2 دجنبر 2017، <<https://bit.ly/2HMd6B7>> (15 نونبر 2018)

المجاهدين الشيشان ورغبتهم في تحقيق أملهم في إقامة دولة إسلامية على مجريات الأمور، حيث لم يفضل المجاهدون إحداث تغيير تدريجي لا يلفت الانتباه، ولا التريث لتدعيم الاستقلال ورص الصفوف الداخلية وبناء قوة حقيقية، وقد كان لإقامة المحاكم الشرعية وتنفيذ أحكام الإعدام بحق بعض المفسدين دور كبير في تأجيج الرأي العالمي ضد القضية الشيشانية¹. لتكون بذلك الحرب الشيشانية الثانية التي أطلقها فلاديمير بوتين سنة 1999 التي قضت على طموح الجهاديين في السيطرة على داغستان وإقامة الدولة الإسلامية².

شكل المجاهدون الشيشان السنة لروسيا دائما مصدر قلق نظرا للتاريخ المليء بالمواجهات بين الطرفين، ورغم أن المواجهات انتهت في الشيشان وشمال القوقاز إلا أنها لم تنتهي في أماكن أخرى، حيث يعد المقاتلين الأجانب المهاجرين من الشيشان وشمال القوقاز إلى سوريا من أكثر المجموعات التي دار نقاش كثيف بشأنها. حيث يأتي هؤلاء المقاتلون من منطقة غرقت على مدار عقدين في الصراع المسلح ضد الجيش الروسي، مما منحهم خبرة ومهارة في القتال.

وبالرغم من قلة عددهم، فقد قاموا بدور أكبر كثيرا من حجمهم في الصراع، وشاركوا في كبرى الهجمات التي شنها المجاهدون في البلاد على مدار نصف عقد من الزمن.

وبدأ مقاتلو الشيشان وشمال القوقاز في الوصول إلى سوريا في نفس الوقت تقريبا كسائر المقاتلين الأجانب الآخرين، فمع تصاعد الصراع في سوريا في منتصف 2012، وتحوله إلى حرب نظاميه بين قوات النظام والمتمردين، تصاعدت أيضا قوة المجموعات المتمردة، وصارت سوريا بؤرة الجذب الجديدة لطالبي الجهاد.

¹ نفس المرجع.

² ريجي جينتي، "التدخل الشيشاني المدهش في سوريا"، OrintXXI، 10 ماي 2018، <<https://bit.ly/3kOGSDq>> (20 يونيو 2019)

وبلا شك، كانت كتيبة المجاهدين التي تشكلت في صيف 2012 هي أولى المجموعات ذات الزعامة الشيشانية¹، والتي سبقت تشكيل المجموعة الأكثر شهرة "جيش المهاجرين والأنصار". وقائد المجموعة هو عمر الشيشاني، المقاتل المعروف ذي الأصول الجورجية، والذي صعد نجمه عقب ذلك ضمن صفوف مقاتلي الدولة الإسلامية (داعش). وانفصل عمر عن المجموعة المكونة من حوالي 700 مقاتل في بدايات 2013، وحل محله في قيادة المجموعة مقاتل من الشيشان أيضا هو صلاح الدين شيشاني.

في ذلك الوقت، حدث تطور حيوي أدى الى زيادة تدفق المهاجرين من شمال القوقاز إلى سوريا. ففي أغسطس/آب 2012، أحبطت قوات الأمن الجورجية محاولة 20 مقاتلاً العبور من روسيا الى داغستان²، فيما عُرف بـ"واقعة لوبوتا" نسبة الى المضيق الذي حدثت فيه المواجهات بين الأمن ومقاتلي المجموعة. خلال تلك الواقعة، لقي نصف المقاتلين حتفهم، بينما تفرق النصف الآخر أثناء تبادل إطلاق النار.

اعتبر الباحثون هذا التطور منعطفا يمثل آخر محاولة جدية من قبل المسلحين لتنشيط التمرد الإقليمي في شمال القوقاز³. واتضح ذلك التغيير في سلوك المتمردين أنفسهم، حيث ذكر أحدهم أن الجهاد في شمال القوقاز صار "أصعب ألف مرة من الجهاد في سوريا".

بعد هذا المنعطف، صار المسرح السوري هو محور الأحداث ورأى مقاتلو شمال القوقاز مركزهم في سوريا، يتعزز بمساعدة حليف غير متوقع: الحكومة الروسية؛ فمنذ بداية عام 2013، بدأت قوات الأمن الروسية في دعم وتحريض تدفق المقاتلين السنة من شمال القوقاز باتجاه سوريا والعراق، بدأ هذا التحرك في داغستان، حيث شرع مندوبو المخابرات الروسية في لقاء الوسطاء المحليين في القرى النائية.

¹ "Syria: the foreign fighters joining the war against Bashar al-Assad", *The Guardian*, August 2012, <<https://bit.ly/3kO9g8t>> (March 23, 2018)

² "Saakashvili Speaks of Provocation Attempt after Deadly Clash at Border", *Civil.ge*, 31 Aug, 2012, <<https://bit.ly/3oHldiV>> (May 10, 2017)

³ Jean François Ratelle, " North Caucasian foreign fighters in Syria and Iraq: assessing the threat of returnees to the Russian Federation", *Tandfonline*, 30 Sep, 2016, <<https://bit.ly/2Ghv8Kv>> (8 March, 2019)

وكان مندوبو المخابرات يقومون بإعداد قوائم بأسماء الشباب اللذين يُعتقد أنهم شاركوا من قبل في التمرد، أو لديهم قابلية المشاركة، ويسهلون لهم الحصول على جوازات سفر، ثم يرسلونهم الى تركيا¹ وبينما كانت السلطات الشيشانية تمنع مثل هذه الأنشطة، خشية من عواقب تصدير مثل هؤلاء المقاتلين، كانت المخابرات الروسية تعتبر هذا النشاط نجاحًا كبيرًا، طبقا لتعبير أحد مندوبي المخابرات: "هم يموتون على الطريق إلى الله هناك، ونحن نتخلص من الأعمال الإرهابية هنا".²

شكلت المجموعات القوقازية المقاتلة جزءًا هامًا من القوة الجهادية المقاتلة في سوريا؛ ففي فبراير 2017، قدر فلاديمير بوتين عدد المقاتلين الموجودين في سوريا من المواطنين الروسين بأربعة آلاف مقاتل، وهو تقدير يتوافق مع تقديرات كثير من المحللين المستقلين. وتأتي كبرى تلك المجموعات المقاتلة من داغستان، وتقدر السلطات الروسية عددها بألف ومائتين داغستاني يقاتلون ضمن صفوف تنظيم داعش.

أما المقاتلون الشيشانيون فتتصدر أصولهم من جهتين حوالي ستمائة مقاتل من الشيشان ذاتها، بينما ألفين وأربعمائة آخرين قد انتقلوا إلى سوريا من دول الشتات في أوروبا، والتي كانوا قد نزحوا إليها في التسعينيات والألفية الجديدة، وحوالي مائة وخمس وسبعين آخرين من جمهورية قبردينو-بالقاريا³.

ربما للأسباب السابقة تفضل سياسة بوتين في الشرق الأوسط "المحور الشيعي" على محور السنة، رغم زعم بوتين بأنه صديق للجميع، حيث يرى الخبراء والمسؤولون الروس بأن إيران الشيعية قد تكون القوة التي تواجه الإسلاميين السنة، لذلك صنف روسيا جماع الإخوان المسلمين والدولة الإسلامية كمنظمات إرهابية، دون حزب الله الإسلامي الشيعي.

¹ Michael Weiss, " Russia's Double Game with Islamic Terror", *DAILY BEAST*, Jul 12, 2017, <<https://bit.ly/34Npx8o>> (16 Jul, 2019)

² Ibid

* هي إحدى الكيانات الفدرالية في روسيا وعاصمتها مدينة نالتشيك . ويقع فيها قمة أعلى جبال القفقاس وهي قمة جبل ألبروز المغطاة بالثلوج على مدار العام، والمرسومة على شعار وعلم الجمهورية.

³ Maxim A. Suchkov, " What's Chechnya doing in Syria? Russia is finding the Republic of Chechnya's influence to be very helpful in Syria", *AL-MONITOR*, Mar 26, 2017, <<https://bit.ly/3kQ5aN9>> (6 May, 2018)

تتوافق الرؤية الروسية والقوى الشيعية في الشرق الأوسط حول معاداة الغرب أكثر من الكتلة السنية، فالتحالف معها يتوافق مع هدف بوتن المتمثل في مواجهة الغرب ووضع نفسه كزعيم لقوة عظمى.

ثانياً: الشيعة والولايات المتحدة الأمريكية، عداء متبادل

يأتي العداء الأمريكي للشيعة من العلاقة المتوترة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، والتي بدأت منذ الثورة الإيرانية 1979 وإجبار شاه إيران "محمد رضى بهلوفي" المدعوم من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، على مغادرة البلاد في نفس السنة وبعد شهور من المظاهرات، وعودة الزعيم الديني الإسلامي آية الله الخميني من المنفى¹، وأزمة الرهائن في السفارة الأمريكية 1979-1981.

تتهم الولايات المتحدة الأمريكية إيران الشيعية برعاية الإرهاب وزعزعة الاستقرار بالمنطقة، عبر أذرعها الشيعية حزب الله في لبنان المصنف منظمة إرهابية، وكذا ميليشيات الحوثي في اليمن، وتدعم الولايات المتحدة الأمريكية "الدول السنية المعتدلة" وعلى رأسها السعودية، ودول التعاون الخليجي في الوقوف في وجه المد الشيعي في المنطقة والذي تغذيه إيران عبر خلاياها في الدول الخليجية، وباقي الدول العربية الأخرى، حيث أن الفكر الثوري يأمر الأتباع بتصدير التمرد إلى دول أخرى.

يشكل "الموت لأمريكا الموت لإسرائيل" الشعار الأكثر تردداً عند القوى الشيعية في الشرق الأوسط، من إيران إلى الميليشيات الشيعية في كل من العراق واليمن وكذا حزب الله.

نظراً للخطر التي تشكله إيران في المنطقة، تسعى السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية إلى الحيلولة دون أن تصبح إيران الشيعية قوة مهيمنة في منطقة الشرق الأوسط، لذلك اعتمدت على تطويقها بحزمة من العقوبات، حيث أصدرت إدارة كلينتون في

¹ "US-Iran relations: A brief history" BBC NEWS, 6 January, 2020, <<https://bbc.in/325xkN1>> (20 April, 2020)

عام 1996 قانون العقوبات الشامل على إيران، والذي أضيف من نواح عديدة طابعا رسميا على العداء بين البلدين¹.

لقد باتت إيان تمثل بالنسبة إلى الولايات المتحدة وإسرائيل، تحديات إستراتيجية أكثر جدية بكثير من سوريا، وهما دولتان لطالما ناصرتا العداء للغرب وإسرائيل، ووقفنا إلى جانب حزب الله الشيعي.

شكل العداء المعلن لإسرائيل والتهديدات المتنامية ضدها، دافعا آخر ينضاف إلى الكثير من العوامل الأخرى التي تجعل الولايات المتحدة الأمريكية تجاهر بالعداء هي الأخرى لإيران الشيعية، وتقف إلى جانب الدول السنية في المنطقة وعلى رأسها السعودية مستغلة البعد الطائفي خدمة لمصالحها في المنطقة ومصالح إسرائيل.

دائما ما يدعو الإيرانيون إلى تكريس إسرائيل من صفحات الزمن ويدعون إلى محوها من التاريخ وفي أكثر من مناسبة، كان يتكفل الإعلام العالمي والغربي بترجمة هذه النبرات بالحض على التدمير الفعلي للدولة الصهيونية ومحوها من على خريطة العالم، وهذا ما كان يرسخ قلق الإدارات والمجتمعات الدولية من حقيقة النوايا الإيرانية في هذا المجال، ويزيد من تخوفها على إسرائيل التي أبقيت أو ساعدها هذا على البقاء، ولو بشكل غير مقصود أو مباشر.

كانت إسرائيل من ناحيتها تستغل هذه التصريحات والمواقف، وتوظفها كرسيد معنوي ومادي لها يقوي الموقف الغربي حولها ويبقيه أبديا في مصلحتها، ويقدمها للرأي العام العالمي عبر المال والإعلام وكأنها الحمل الوديع في محيط من الذئاب المفترسة.

كما يقدم إيران كدولة إسلامية شيعية قوية في الشرق الأوسط والخليج، وتملك من الوسائل التي تجعلها موضع تهديد لهذه المنطقة الخصبة بالبترول من الكرة الأرضية . وهو ما برز بعد سقوط العراق الخصم الأساسي لطهران وتمزقه وعجزه عن تأمين توازن ما معها، لا بل وقوعه بين ذراعي إيران إلى درجة جعلت المحليين يصرون على أن إيران

¹ Nils Jordet, *Explaining the Long-term Hostility between the United State and Iran : A Historical, Theoretical and Methodological Framework*, The Fletcher School of Law and Diplomacy, Tufts University, p p. 15-25.

هي المنتصر الوحيد في الحرب على العراق خلافا لمجموعة كبرى من المنهزمين بما فيهم أمريكا المنسحبة¹.

وتعاضمت المخاوف الأمريكية من الحرس الثوري الإيراني وارتباطاته ببعض الميليشيات العربية الشيعية في العراق ، حيث تحقق الأمريكيون عن معلومات تشير إلى خطط لتعبئة مجموعات بالوكالة في العراق وسوريا لمهاجمة القوات الأمريكية، بالإضافة إلى ذلك ، أشار المسؤولون الأمريكيون إلى تهديدات ضد الملاحة التجارية وهجمات محتملة من قبل الميليشيات المرتبطة بإيران على القوات الأمريكية في العراق².

أمريكا ستبقى تقف في وجه هذه القوة الإيرانية المطردة، وأية قوة وحيدة أخرى في الشرق الأوسط، وبتناميها تتحول هذه المنطقة من العالم إلى أسواق سلاح مزدهرة تؤمن الأغذية للأنظمة القلقة من المستقبل، وهي لن تسمح لإيران بامتلاك السلاح النووي الذي يقلق إسرائيل، حيث تشكل أي زيادة في قوة إيران تهديدا استراتيجيا لها. وتبدو أمريكا ومعها العديد من دول الخليج على قناعة تامة وتعاون حثيث لفرملة الطموحات والتطلعات الإيرانية.

لقد استغلت كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في إطار صراعهما على النفوذ والمصالح في منطقة الشرق الأوسط للورقة الطائفية، فمن جهة وقفت روسيا مع المحور الشيعي المعادي للغرب وللولايات المتحدة الأمريكية بزعامة إيران، ومن جهة أخرى وقفت الولايات المتحدة الأمريكية مع الدول السنية في المنطقة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

هذا الاصطفاف الشيعي-السنّي المدعوم من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، شكل عامل تأجيج وتقوية للنصرة الطائفية، حيث زاد من تآزيم المنطقة وأدخلها في دوامة من العنف وعدم الاستقرار، والتشطي الداخلي الذي يصعب معه بناء دولة موحدة وجامعة لكل أطراف المجتمع.

¹ نفس المرجع.

² Megan Specia and Rick Gladstone, " The Tension Between America and Iran, Explained", *The New York Times*, May 16, 2019, <<https://nyti.ms/2TSxnay>> (August 20, 2019)

هذا الوضع المأزوم حقق للقوى الدولية القدرة على التأثير على أطراف الصراع الطائفي، ومنها تأمين وحماية المصالح الخاصة، في حين زاد هذا الوضع من تردّي الأوضاع الداخلية للدول، مع استحالة قيام نظام إقليمي عربي موحد.

الفرع الثاني: أثر الصراع على الأمن الإقليمي العربي

لم يكن لصراع النفوذ الدائر في الشرق الأوسط بين القوى الدولية الكبرى تداعيات فقط على المجتمع الداخلي لدول المنطقة، وإدخاله في نمط جديد ومتشابك وغير مألوف من العلاقات الاجتماعية، أي أن هذا الصراع لم يسفر فقط عن انهيار نظام الدولة الوطنية كنظام للعلاقات الداخلية، وحدث تداخل بنيوي في أسس التعايش التاريخي بين الطوائف والمذاهب والجماعات والإثنيات فحسب، بل كان لهذا الصراع تداعيات على النظام الإقليمي العربي ككل.

إن أهم وأخطر التداعيات التي خلفتها الصراعات والتدخلات الدولية في المنطقة؛ من احتلال العراق والتدخل في سوريا وغيرها، وما استتبعه من مصادرة فعلية لسيادة دول رئيسية وفاعلة في النظام الإقليمي العربي، يهز من الأساس فكرة نظام الأمن الإقليمي العربي ذاتها، لا سيما وأن هذه الدول الكبرى خلقت/أنشأت وضعا جديدا في المنطقة، أو هو في طور التشكل والتبلور وعلى الدول العربية أن تكيف نفسها مع هذا الوضع¹.

لا تستقيم دراسة الأمن الإقليمي العربي بمعزل عن تأثير المتغيرات والانعكاسات العالمية والتحويلات البنيوية، ومنها عودة الصراع العالمي على النفوذ والمصالح بين القوى الكبرى واتخاذ لمظاهر وأبعاد مختلفة، فقد أدت تلك العوامل إلى التأثير على النظام العربي، حيث بدا أكثر اختراقا على مختلف الأصعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية؛ حيث عمدت الدول الكبرى إلى التغلغل والحيلولة دون بروز نظام عربي قوي، وذلك عبر اختلاق محاور للصراع بين عدد من الدول العربية من ناحية، أو بين الدول العربية ودول الجوار من ناحية أخرى، أو في ظهور واشنطن وروسيا وحلفائهما بصورة الضامنان

¹ محمد الهزاط، تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بمكناس، طبعة 2009-2008، ص. 566. بتصرف.

الرئيسيان لأمن دول المنطقة، والمهندسان لميزان القوى الإقليمي لها أفضى ذلك إلى بروز مصادر تهديد جديدة للأمن القومي العربي، أو تعاضد مصادر تهديد كانت قائمة¹.

الفقرة الأولى: اختراق المنطقة وفرض قيود على الأمن القومي العربي

ساهمت التحولات الدولية والمتغيرات العالمية التي شهدتها العالم والمنطقة الشرق أوسطية على وجه الخصوص، على بروز دور القوى الدولية الكبرى ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في الشرق الأوسط، مما أثر سلباً على واقع الأمن القومي العربي.

أولاً: استمرار القيود المفروضة على الأمن القومي العربي من طرف الولايات المتحدة الأمريكية

أبرزت التحولات الدولية دور الولايات المتحدة في المنطقة العربية مما زاد من حجم القيود التي سبق وكانت تفرضها على الأمن العربي، كما زاد من تصاعد الاختراق الخارجي للمنطقة العربية على صعد مختلفة:

فعلى الصعيد الأمني حيث ظهر ذلك جلياً في أزمة (حرب) الخليج الثانية وتداعياتها، وما ألحقته من تدمير للعراق مما شكل استنزافاً لمقدرات الأمة وقواها الحيوية، وأعقبه سعي (واشنطن) إلى إرساء أمن فرعي خليجي؛ حيث ونتيجة للضعف العربي المتمثل في منظمته الإقليمية، لجأت بعض الدول العربية لتشكيل منظمات أخرى فرعية مثل مجلس التعاون الخليجي، الذي عد عمله خصماً من رصيد الجامعة والأمن القومي العربي؛ حيث أدى ذلك إلى تفضيل تلك الدول للأمن الخليجي على الأمن القومي العربي، والأمر مثله لدى دول المغرب العربي الذين انشغلوا بمشكلاتهم الحدودية عن الاهتمام بالقضايا العربية المشتركة وأسسوا الاتحاد المغاربي، الذي يعد أيضاً خصماً من العمل العربي المشترك.

¹ - منذر سلمان، نحو إعادة صياغة مفهوم الأمن القومي العربي ومركزاته، منشورات اللجنة العربية لحقوق الإنسان، باريس، 2011، ص. 20-25. أنظر أيضاً: فواز جرجس، النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى: دراسة في العلاقات العربية-العربية، مركز الدراسات العربية، بيروت، 1997. عن خليل إبراهيم حجاج، ومحمد أحمد المقداد، وصايل فلاح السرحان، "أثر المتغيرات الدولية على مصادر تهديد الأمن القومي العربي بعد انتهاء الحرب الباردة 1990-2010"، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، عدد 2، 2013، ص. 385.

ومن ثم يمكن تلخيص المعطيات الخارجية في عدم وجود سلطة عليا عربية موحدة للإقليم العربي، حيث ساهم ذلك في خدمة القوى الدولية في المنطقة وتحقيق مصالحها المختلفة، وظهرت تنظيمات عربية فرعية شنت الجهود العربية بينها¹.

إضافة إلى ترسيخ الوجود العسكري والانتشار والتحرك قريباً من مداخل ومخارج البحر المتوسط، والبحر الأحمر، والخليج العربي، تحقيقاً لأهداف إستراتيجية وعسكرية وطمأنة للحلفاء، وإثباتاً لقدرتها ومصادقيتها في القدرة على مواجهة أي أحداث تؤدي إلى عدم الاستقرار الإقليمي في المنطقة.

واقتصادياً حيث نظرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الوطن العربي والخليج العربي بوصفه منطقة تحظى بأهمية خاصة سواء من حيث مواردها الأولية وعلى رأسها النفط والغاز، أو الأسواق العربية وقيمتها الاستهلاكية، خصوصاً في مجال التسليح وإبرام الصفقات، التي دفعت إلى زيادة الإنفاق العسكري بنسب كبيرة مقارنة بالنتائج المحلي الإجمالي، خاصة في منطقة الخليج بسبب التطورات الأمنية الحالية والصراع مع إيران؛ مختزلين الأمن القومي الخاص بهم في الجانب الأمني فقط ما يؤثر على جهود التنمية الاقتصادية في الداخل، وعلى الأمن القومي باعتباره مفهوم شامل لا يقف فقط على الجانب العسكري. كل ذلك يفرض بالمحصاة مزيداً من القيود، ويقيد الكثير من الفرص بالنسبة للنظام العربي، وإمكانية النجاح في استخدام ثرواته وصيانة وحماية أمنه القومي.

في المجال السياسي حيث سعت الولايات المتحدة والغرب إلى إعادة تشكيل الصيغ الأمنية والإقليمية لصالحها، عبر الضغط على دول الخليج العربي لحملها على التخلي تدريجياً عن التزاماتها السياسية والمالية حيال النظم العربية التي تعارض أو لا تتجاوب مع التوجهات الأمريكية في المنطقة، كسوريا وما تشهده من تطورات داخلية، ومما يعكسه موقف الجامعة العربية ودول عربية بعينها تجاه الأزمة².

¹ علي عباس مراد، الأمن والأمن القومي: مقاربات نظرية، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص ص. 120-122.

² خليل إبراهيم حجاج و محمد أحمد مقداد وصايل فلاح السرحان، " أثر المتغيرات الدولية على مصادر تهديد الأمن القومي العربي بعد انتهاء الحرب الباردة: 1990-2010"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، العدد 3، الأردن، 2013، ص. 386.

فبسبب الاختلاف العربي حول التحرك العراقي تجاه الكويت، وعجز الجامعة عن اتخاذ قرار موحد أعطى ذلك الفرصة للولايات المتحدة لأن تتدخل، لتحقيق مصالحها وحماية أمن حليفها إسرائيل بتدمير قدرات العراق والذي كان يعد أقوى قوة عسكرية عربية في تلك الفترة، إلى جانب نشر قواتها في منطقة الخليج العربي؛ ما أضعف الأمن القومي العربي؛ حيث خسر الإمكانات العسكرية العراقية والإمكانات الاقتصادية للخليج الغني بموارد الطاقة.

وانعكس ذلك على الأوضاع الحالية، فلم تستطع جامعة الدول اتخاذ قرار فيما يتعلق بسوريا واليمن يحمي استقلالية تلك الدول على الأقل وفقاً لما ينص عليه الميثاق فبسبب تضارب المصالح العربية في القضيتين لم تتخذ الجامعة أي قرار وفتحت المجال للتدخلات الدولية والإقليمية المختلفة المستمرة إلى الآن، والتي تمعن في إضعاف القدرات العربية، علماً بأن الجيش العربي السوري كان ثاني أقوى جيش عربي بعد الجيش المصري¹.

هذا الواقع؛ جعل الحل العربي للأزمات العربية صعباً وهذا ما خرج به (نبيل العربي) أمين عام الجامعة العربية عندما أشار صراحة إلى إن الجامعة عاجزة عن إيجاد حلول للأزمات العربية في إطار البيت العربي².

لقد برز التوجه الإمبراطوري الجديد في السياسة الخارجية الأمريكية الذي يقف وراءه المحافظون الجدد والذي يدعو إلى انتهاج أسلوب الضربات الوقائية والاستباقية والتخلي عن سياسة الردع والاحتواء، باعتبار أن ذلك أكثر نجاعة في مواجهة ما يسمونه الإرهاب أو انتشار أسلحة الدمار الشامل، والدول المارقة والنظم الإقليمية التي يعتقدون أنها تهدد مصالحهم³.

¹ أحمد أمين عبد العال، "الأمن القومي العربي بين النظرية والتطبيق"، المركز الديمقراطي العربي، 16 شتبر 2018، <<https://bit.ly/35dYBib>> (12 ماي 2019)

² محمد خراط، "استراتيجية الحرب الاستباقية: الجذور والأهداف"، مجلة شؤون عربية، العدد (123)، ص ص. 88-89.

³ خليل عناني، "السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الوطن العربي"، مجلة شؤون عربية، العدد (123)، ص 73-74. وأنظر أيضاً: علي عواد الشرعة، "أثر التغير في النظام الدولي على السياسات الخارجية للدول العربية: 1990-2005"، مجلة المنارة، المجلد (14)، العدد (2)، 2008.

في ضوء متغيرات السياسة الأمريكية، فقد هدفت من خلال تحركها تجاه المنطقة العربية إلى إعادة هيكلتها عبر التعاون مع إسرائيل وحلفائها، وذلك بتكوين قوة إستراتيجية في الشمال (تركيا) لتطويقها، والجهد الموصول في الجنوب للسيطرة على مضائق تيران وهرمز مفتاحي البحر الأحمر والخليج العربي، ثم تهديد سوريا والسودان ومحاولة تحييد مصر عن دائرة التحرك العربي، وإشغالها داخلياً وتركيز جهودها الدبلوماسية في منطقة القرن الإفريقي نتيجة تهديد منابع نهر النيل وروافده.

ثانياً: عودة روسيا للمنطقة وتداعياتها على الأمن القومي العربي

إن عودة روسيا القوية لمنطقة الشرق الأوسط الرامية إلى حماية مصالح موسكو في المنطقة، وتعزيز نفوذها الجيوستراتيجي الذي كان قد بدأ يتآكل بشكل كبير بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، يشكل مرحلة جديدة من تاريخ المنطقة التي اعتبر منطقة نفوذ أمريكية بامتياز، أحد عناوينها الصراع المحتدم بين الجانبين لضمان المصالح والنفوذ، وانتهيار الأمن القومي العربي.

لقد شكلت الأزمة السورية أحد أكثر الأزمات تعقيداً وتداخلاً على الصعيد العالمي خلال السنوات الأخيرة، حيث تشابك فيها السياسي بالطائفي، والداخلي بالخارجي، والإقليمي بالدولي، ما يجعل الأمن الإقليمي العربي في مرمى الأزمة السورية، ليس فقط لتأثر عدد كبير من الدول العربية بهذه الأزمة على نحو مباشر، بل كذلك لتداخل مؤثراتها بالأمن الاجتماعي العربي¹.

يعتبر الدعم الروسي المتنامي للجمهورية الإيرانية المستند على مصالح متعددة على رأسها العداء الواضح للولايات المتحدة الأمريكية، تهديداً صريحاً ومباشراً للأمن القومي العربي المتخوف دائماً من التحركات الإيرانية، فقد أدى التدخل الروسي إلى إنهاء إمكانية إسقاط النظام السوري عسكرياً، ومن ثم القضاء على النفوذ الإيراني²، بل سمح لهذا التدخل

¹ محمد الحمامصي، "الأمن القومي العربي في مرمى الأزمة السورية"، مجلة العربي، 16 يناير 2016، <<https://bit.ly/35d3BDz>> (23 ماي 2018)

² "التحالف الروسي الإيراني مثل تحدياً كبيراً للأمن القومي التركي السعودي"، مجلة ترك برس، 22 أبريل 2016، <<https://bit.ly/35exVOr>> (28 أبريل 2019)

في إطار حماية المصالح الاستراتيجية لإيران بالتغلغل والسيطرة على العراق، وتحريك القوى المتحالفة معها اليمن، وإدخال الدول العربية في مسلسل من المواجهات في أكثر من محور.

لقد كانت عودة روسيا للصراع على النفوذ مع الولايات المتحدة الأمريكية، وبالأخص في سوريا آثارا مدمرة على الأمن القومي العربي، حيث لم تعد الحرب في سوريا مسألة تتمحور حول الشعب السوري، بل باتت ساحة المعركة لمستقبل النظام الإقليمي في الشرق الأوسط ولميزان القوى الذي يرافق هذا النظام، فقد استفادت مجموعات مسلحة عابرة للحدود تدعمها جهات فاعلة خارجية من انهيار الحدود وهشاشة الدولة السورية، وستستمر هذه المجموعات بالتدمير والتحطيم نزولا عند رغبة الجهات الدولية التي تدعمها¹.

لقد أصبحت القوى الدولية هي التي تحدد أساليب ونظم الاتصال بين الدول العربية عبر إيجاد حالة تناقض بين أمن الدولة وأمن النظام العربي، حيث يرى بعض صناع القرار العربي أن أمن الدولة القطرية هو الأساس فيما يرى آخرون ضرورة تحقيق أمن إقليمي عربي، لكن القوى الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، عملت على إفراغ كلتا الدائرتين من مضمونها (بعدهما القومي)، وكسرت الرابط بينهما بسبب تعرض هذه المفاهيم للتفكك وضعف السيطرة على آلية التفاعل العربي الداخلي والخارجي².

الفقرة الثانية: إضعاف النظام العربي يخدم الوجود الإسرائيلي

شكلت فترة ما بعد الحرب الباردة والتحولات الدولية والعالمية التي تلت هذه المرحلة ضغوطا إضافية على الجانب العربي، خاصة في ما يخص تطوير القدرات العسكرية للدول العربية؛ حيث إن أهم المظاهر التي يمكن استقراؤها اتفاقية التحالف الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل وضماتها لأنها وتفوقها العسكري، وكذلك فيما يتعلق بضبط التسلح، وتحديد معايير، والأطراف المستفيدة منه، سواء في مجال الأسلحة التقليدية أو

¹ رانج علاء الدين، " كيف سيقوي الانسحاب من سوريا روسيا وإيران"، مركز بوكنجز /الدوحة، 5 أبريل 2018، <https://brook.gs/3k8M0kE> < (17 يناير 2019)

² أحمد ثابت، "النزعة الامبراطورية الأمريكية وإعادة هيكلة الوطن العربي"، مجلة شؤون عربية، العدد (12)، ص 58-59.

النوعية التي فشلت المساعي العربية التي قادتها مصر لضم إسرائيل إلى معاهدة حظر الأسلحة النووية، أو جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل.

بالإضافة للوجود العسكري الأمريكي الغربي في المنطقة العربية، والتمركز المسبق للمعدات والمنشآت الخاصة، بالاستطلاع والإنذار المبكر والقيادة والسيطرة والحرب الإلكترونية علاوة على الحصار الاقتصادي، وتشجيع الأقليات العرقية والطائفية والإثنية على نحو ما حدث في العراق والسودان والصومال وما يحدث في سوريا¹.

لقد كان للتحويلات البنيوية الدولية وانفراد الولايات المتحدة والغرب بالهيمنة العالمية وغياب الاتحاد السوفييتي، آثار وتداعيات سلبية على النظام الإقليمي العربي، يعزیه البعض في زوال هامش المناورة وتقليص حرية الحركة أمام العرب، وزيادة حدة الانكشاف والتبعية، وتدهور مكانة العرب في النسق الدولي، وأصبحت بعض الدول العربية تعاني من عزلة سياسية.

رغم محاولات روسيا الاتحادية والصين إعادة مكانتهما على مسرح الأحداث الدولية من جديد، لكن ذلك لم يصل حتى الآن إلى مرحلة الندية والشراكة بالشكل الذي يمكن أن يفضي لإعادة صياغة شكل النظام الدولي (العالمي)، بحيث يحقق قدراً أكبر من التوازن في العلاقات الدولية.

فرغم الحضور الروسي اللافت في الشرق الأوسط مع تولي فلاديمير بوتين لسدة الحكم، ومحاولته إعادة هبة روسيا إلى المسرح الدولي كقوة عظمى لها مكانها ضمن الكبار، إلا أنه وفي علاقته الندية مع الولايات المتحدة الأمريكية بقت إسرائيل خارج منطقة التأثير السلبي بهذه العلاقة، بل كان هناك تنسيق سياسي وميداني في الساحة السورية، رغم تقديم تدريبات للجيش الجورجي وأسلحة وذخائر خلال المواجهة الروسية الجورجية عام 2008².

¹ صايل السرحان، السلوك التصويتي للمجموعتين العربية والأفريقية في الجمعية العامة للأمم المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012، ص. 193-195.

² علي العبد الله، "روسيا وإسرائيل.. تبادل الخدمات"، مجلة العربي الجديد، 29 ماي 2019، <<https://bit.ly/2IlAHlQ>> (20 أكتوبر 2019)

هذا الصراع أثر على جامعة الدول العربية، وجعلها غير ذات جدوى بسبب تموقع أعضائها بين منحاز للطرف الروسي وآخر للطرف الأمريكي، مما يجعل من المستحيل اتخاذ قرارات ذات جدوى وأثر إيجابي على الأمن القومي العربي، فالعراق وبسبب سقوطه بين أحضان إيران الحليف الاستراتيجي لروسيا ونظرا للعلاقات العميقة التي كانت تجمع العراق بروسيا قبل سقوط نظام صدام حسين، والرغبة الروسية في استعادة دفة العلاقة بين الطرفين، لا شك سيؤثر ذلك على الإجماع العربي، زد على ذلك سوريا البعيدة كل البعد عن الإجماع العربي بسبب وقوف الدول الخليجية ضد النظام السوري، في حين تقف روسيا سدا منيعا يحول دون سقوطه.

إلا أن هذا الصراع الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط بالمقابل لم يمنع روسيا وإسرائيل من التعاون والتنسيق، خصوصا بعد اندلاع الثورات العربية عام 2011، على ضوء تطابق وجهات نظرهما في الحراك الشعبي ومستقبل الإقليم في حال انتصار هذه الثورات. فكانت لغة المصالح هي الغالبة في علاقة الطرفين، فرغم الغارات التي تشنها إسرائيل داخل الأراضي السورية ضد قوات بشار الأسد، بقيت العلاقة بعيدة عن المواجهة مادامت تتم بعيدا عن التواجد العسكري الروسي، وبقي الأمن القومي العربي هو المتضرر من كل المواجهات الدائرة في المنطقة الشرق أوسطية.

فلا زالت السياسة الروسية تقوم على مبدأ المصلحة وليس الأيدولوجيا، مما غير أهدافها ومنطلقاتها وأولوياتها وارتباطاتها، حيث أصبح العامل الاقتصادي له الدور المركزي في تفاعلاتها وعلاقاتها الخارجية عند استعراض ملامح سياستها الخارجية. إلا أن المرحلة الأخيرة والممانعة الروسية في مجلس الأمن الدولي ضد السياسات الأمريكية فيما يتعلق بالحالة السورية، تشير لدى بعض المراقبين إلى أنها قد تكون بداية لتحول مفصلي في السياسة الخارجية الروسية، لكن ذلك يحتاج إلى اختيار المرحلة المقبلة لتطورات وسيناريوهات الوضع القادم في المسألة السورية كاختبار جدي لمدى التغير في هذه السياسة والرهان عليها¹.

¹ خليل إبراهيم حجاج و محمد أحمد مقداد وصايل فلاح السرحان، " أثر المتغيرات الدولية على مصادر تهديد الأمن القومي العربي بعد انتهاء الحرب الباردة: 1990-2010)، مرجع سابق، ص. 390.

إن استمرار الالتزام الأمريكي الصريح والمعلن بأمن إسرائيل بقي مبدأ يهدد الأمن العربي، وتساعد هذا التهديد في ظل غياب قوى عظمى حتى الآن في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، فحتى التواجد الروسي في المنطقة يضع مصلحة إسرائيل في اعتباره في أي تحرك في المنطقة.

لقد كانت حرب الخليج وما نجم عنها من تفكك للنظام العربي، واتساع الخلافات العربية – العربية على الصعيدين الإقليمي والدولي، وما نتج عنها وما أفرزته من نتائج خطيرة على مستقبل العلاقات العربية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وآثارها التي أدت إلى زيادة الخلل في الميزان العسكري لصالح إسرائيل عبر تدمير قوة العراق، واستثناء إسرائيل من أي مبادرة أو تصريح أو إعلان ينص على منع انتشار الأسلحة الصاروخية الباليستية أو أسلحة الدمار الشامل.

كما أن ترسيخ مبدأ التعاون الإقليمي الاقتصادي والسياسي وتغيير العقيدة العسكرية لحلف الناتو فيما يخص المنطقة العربية فيما عرف بخارج المنطقة (Out of Area) بمفهومها الجديد، الذي ينص على إمكانية نقل قوات التحالف إلى أي مكان يكون فيه تهديد للأمن والاستقرار الإقليمي، والذي بدوره قد يهدد الأمن الأوروبي وأطلسي. كلها عوامل تصب في غير صالح الأمن القومي العربي¹.

إن مراجعة شاملة للتفصيلات التي نشرت عن عملية السلام في مؤتمر مدريد في مساراتها المختلفة (الثنائية) ولجانها الخمس متعددة الأطراف، تشير إلى أن إسرائيل سعت منذ ذلك الحين وحتى الآن إلى صياغة أسسه ومبادئه ومرجعياته القانونية، بحيث تجعل أمنها هو المرجعية الرئيسية في مختلف اللجان وتأسيسها لفرض نظريتها الأمنية، وهذا ما حصل لها في المسارين الأردني والفلسطيني، وما تسعى لتحقيقه في المسارين المتبقين اللبناني والسوري اللذين لم ينجزا حتى الآن بسبب الخلاف حول طبيعة السلام أو مدى الانسحاب².

¹ محمد حسون، "الاستراتيجية المتوسطة لحلف الناتو وأثرها على الأمن القومي العربي"، مجلة بحوث جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (26)، العدد (2)، 2010، ص ص. 334-335.

² أحمد يوسف أحمد، التسوية السلمية للصراع العربية – الإسرائيلي، وتأثيرها على الأمن القومي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، معهد البحوث والدراسات العربية، ص. 89.

لكن ولاستجلاء أثر تطورات الصراع العربي -الإسرائيلي وظروف التسوية النهائية على الأمن القومي العربي، فإننا نلاحظ أن المعاهدات والمفاوضات الجارية والحروب التي تلتها (حرب لبنان وقطاع غزة) تحاول التمهيد لقيام مشاريع إقليمية تعاونية، كما هو الحال في مشروع الشرق أوسطية أو المتوسطة أو التعاون والحوار.

هذه المشاريع كلها لم يكن هدفها فقط استكشاف آفاق التعاون في مرحلة ما بعد السلام بقدر ما هي عملية تغيير جذري في الأولويات، ومحاولة خلق وقائع مادية، وبنى تنظيمية ومؤسسية تسهم بتشكيل تدريجي وتراكمي في إعادة تشكيل خريطة المنطقة العربية، وفقا لصيغ جديدة ذات أبعاد أمنية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، تمس بنية الأمن القومي العربي، وتتجاوز الهوية العربية، والاستعاضة عنها بهوية متعددة القوميات من خلال اختزال الوطن العربي كوحدة إقليمية، والتعامل مع أجزاء منه، وضم أطراف أخرى إليه عبر إدخال إسرائيل في نسيج هذه المنطقة.

الفقرة الثالثة: تصاعد القوى الإقليمية في مواجهة الأمن القومي العربي

لعل من أهم إفرازات المتغيرات الدولية والصراع الدولي في الشرق الأوسط على الوطن العربي هو تصاعد دور دول الجوار الجغرافي على حسابه، وهذا الاختلال يزيد من أطماع القوى الإقليمية ويحفزها على تحقيق طموحاتها ومصالحها على حساب الأطراف العربية بالعدوان عليها أو استباحة أمنها، عبر وسائل عديدة كالتعدي على الموارد المائية أو التدخل في الشؤون الداخلية لها، أو زعزعة استقرارها وإثارة الفتن والنعرات والانقسامات القومية المذهبية والطائفية، ومحاولة امتلاك القدرة على تحديد نمط التفاعلات السياسية والاقتصادية والأمنية بين الأقطار العربية، بحيث تصبح هي المحدد الرئيسي للعلاقات الإقليمية بما فيها التفاعلات العربية-العربية. الأمر الذي يعني أن مضمون علاقات دول الجوار مع الوطن العربي يؤثرها الخلافات والتوترات عبر محاولتها فرض رؤاها ومنظورها وتصوراتها¹.

¹ صايل السرحان، "أثر توسيع حلف الأطلسي على الأمن القومي العربي 1990-2000"، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2002، ص. 104-105. عن خليل إبراهيم حجاج، ومحمد أحمد المقداد، وصايل فلاح السرحان، "أثر المتغيرات

إن الرؤية الغربية المؤسسة لمفهوم الشرق الأوسط الجديد، تعد امتداداً منطقياً لتوجهات وملامح البيئة الدولية وانعكاساتها وآثارها وتداعياتها على المنطقة العربية، أدت إلى تزايد واضح في دور القوى الإقليمية غير العربية الساعية لتعظيم مصالحها ومحاولتها القيام بدور أكبر على الساحة الدولية، والإقليمية، وذلك في إطار استجابتها لهذه التفاعلات والتبدلات والتعامل معها، ونكتفي أن نشير هنا إلى كل من إيران، تركيا ومناقشة دور كل منها بإيجاز كمصدر تهديد للأمن القومي العربي¹.

إن اهتمام تركيا بالمنطقة العربية يساير الاقتصاد التركي ويواكبه، وإن سعيها للقيام بدور فاعل في الشرق الأوسط ناتج عن عدة متغيرات، منها الموقف الأوروبي من انضمامها للاتحاد الأوروبي، والمصالح في المنطقة العربية وآسيا الوسطى والاعتبارات الأمنية التي أفرزتها حرب الخليج، ووجودها كعضو مؤسس في حلف شمال الأطلسي، واتفاقية التعاون الأمني والعسكري مع إسرائيل².

يشكل التحرك التركي في الدائرة العربية ودائرة آسيا الوسطى فضاءات أرحب لحركتها الإقليمية، ونفوذها الدولي، وقدراتها العسكرية والسياسية والاقتصادية، لهذا عمدت إلى تقوية دورها في عدة محاور وركزت عليها، بدءاً من المشاركة في مشاريع نقل المياه، وإنشاء صندوق للتنمية في المنطقة ومشاركتها في المفاوضات متعددة الأطراف ورعايتها كوسيط للمفاوضات السورية – الإسرائيلية³.

يعد موقف تركيا من الانتفاضات الشعبية في الوطن العربي علامة بارزة على توجه تركيا للشعوب العربية، من فوق رؤوس حكامها بعد أن كانت قد سعت إلى (تصفير) مشاكلها مع معظم الدول العربية وخاصة سوريا والعراق.

الدولية على مصادر تهديد الأمن القومي العربي بعد انتهاء الحرب الباردة 1990-2010"، *دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية*، المجلد 40، عدد 2، 2013، 387.

¹ المرجع نفسه.

² عصام فاعور ملكاوي، "تركيا والخيارات الاستراتيجية"، بحث مقدم في الملتقى العلمي "الرؤى المستقبلية العربية والشركات الدولية"، كلية العلوم الاستراتيجية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والرابطة العربية للدراسات المستقبلية لاتحاد مجالس البحث العلمي العربي، الخرطوم، 2013، ص. 8.

³ وفاء كاظم عباس الشمري، "الحراك الجيوبوليتيكي الإقليمي لتركيا، الفرص والتحديات"، *مجلة مداد الآداب*، جامعة الكوفة كلية التخطيط العمراني، 2019، ص. 510.

إلا أن المرحلة الأخيرة شهدت انتكاسة لعلاقتها مع هاتين الدولتين، لأسباب سياسية تتعلق بموقفها من الأوضاع الداخلية في سوريا ورعايتها مؤتمر دول أصدقاء سوريا (الذي يدعم الحركة الاحتجاجية)، وتدخلها العسكري في سوريا في مواجهة حزب العمال الكردستاني ودعمًا للمعارضة السورية في عملية سميت بدرع الفرات¹، واختلافها مع العراق على إثر تداعيات عمليات حزب العمال الكردستاني التركي وتوغلها داخل الأراضي العراقية، وإثارتها أزمات الأراضي المتنازع عليها مع هاتين الدولتين، أو حصص المياه التي تم اقتسامها عبر نهري دجلة والفرات.

خلاصة القول أنه رغم المد والجزر في العلاقة العربية -التركية فإنها محل خلاف على الصعيد العربي، حول ما إذا كانت عامل دعم للأمن القومي العربي أم مصدر تهديد مباشر له².

أما إيران المدعومة من روسيا فتسعى القوى الكبرى (الولايات المتحدة والغرب) إلى محاولة إقناع الجانب العربي أن إيران تشكل تهديدًا لأمنها القومي، وخاصة دول الخليج العربي. الأمر الذي يقلل من الطابع التعاوني للعلاقات مع الجانب العربي، يغلب على إدراك الجهات الحاكمة الخليجية تجاه إيران المبالغة في تأثير التهديد الإيراني على الأمن الخليجي، واستبعاد إسرائيل من كونها تمثل تهديدًا حقيقيًا.

لهذا نرى الموقف الخليجي ومعه بعض الدول العربية تجاه إيران ومحاولتها كسر التحالف الإستراتيجي السوري -الإيراني، والعمل على التعاون مع الولايات المتحدة لتشنيد العزلة عليها واستخدام الملف النووي الإيراني كأحدى الوسائل المهمة لتحقيق هذه الغاية .

في المقابل يرى بعض العرب أن هناك إمكانية لاستثمار إيران كقوة إقليمية نافذة لمصلحة الأمن العربي، باعتبارها دولة إسلامية وتقع على طرف منطقة القلب العربي

¹ سعيد الحاج، "السياسة الخارجية التركية: أسباب التحول وآفاق المستقبل"، مركز الجزيرة الإعلامي، يناير 2017، <https://bit.ly/3pihPLs> (26 ماي 2019)

² موسى أحمد الجغبير، العلاقات التركية الإسرائيلية وأثرها على الأمن القومي العربي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2012، ص. 100-102. عن خليل إبراهيم حجاج، ومحمد أحمد المقداد، وصايل فلاح السرحان، "أثر المتغيرات الدولية على مصادر تهديد الأمن القومي العربي بعد انتهاء الحرب الباردة 1990-2010"، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، عدد 2، 2013، 388.

ويجمعها بالعرب اعتبارات إستراتيجية وسياسية واقتصادية وثقافية ودينية، وهي اعتبارات يمكن أن تضعف أمامها الأسباب المضادة للتفاهم، إذا ما عززها رغبة الطرفين في تغليب الحوار والرغبة في التلاقي وتغليب المصالح المشتركة واستغلال الفضاءات الممكنة للتقارب.

لم تقف تداعيات الصراع الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط عند انهيار الدولة وتفشي البعد الطائفي كمحرك للصراعات الدائرة في الشرق الأوسط، وانهيار النظام العربي، بل تعدى ذلك إلى انتشار الظاهرة الإرهابية التي عدت المنطقة بيئة خصبة لنموها وانتشار رقعتها، وكذلك وأمام حدة الصراعات وقوة الفاعلين الدوليين الداعمين لأطراف الصراعات في المنطقة، ظهر العجز الأممي في اتخاذ إجراءات ناجعة/فاعلة من شأنها أن تضع حدا لما تعيشه المنطقة.

المبحث الثاني: دور الصراع في تنامي الإرهاب والعجز الأممي

يعتبر الإرهاب الدولي من أخطر الظواهر التي يواجهها المجتمع الدولي اليوم، كما تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أكثر مناطق العالم تأثراً به، بعدما تحولت دول المنطقة إلى حواضن للإرهاب نتيجة انهيار الدولة، والانفلات الأمني..، خصوصاً في سوريا التي أصبحت أرضاً خصبة للتدريب وتلقي العتاد والتحرك بحرية تامة.

تعددت أسباب ظهور وانتشار الظاهرة الإرهابية وتناميها بمنطقة الشرق الأوسط، فهناك أسباب داخلية ومحلية، وهناك أسباب وعوامل خارجية ودولية؛ منها الصراع الدولي على النفوذ والتدخلات الدولية في المنطقة، ومنه صراع النفوذ الروسي-الأمريكي ودوره في تنامي الظاهرة الإرهابية.

هذا الصراع لم يشكل عامل يعوق أو يحول دون تفعيل الترتيبات الأمنية والعربية الجماعية والمواجهة الموحدة لهذه التهديدات فقط، بل أثر هذا الصراع بين القوى الدولية على فاعلية ودور مجلس الأمن في إدارة أزمات المنطقة.

لقد عجز مجلس الأمن في القيام بدوره في حفظ الأمن والسلم الدوليين وحماية المدنيين في سوريا من القتل والتهجير والنزوح، حيث مثلت القرارات التي اتخذها المجلس

بخصوص الأزمة السورية مجرد تسويات بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، ولم تكن تعبر عن دور مجلس الأمن وواجباته في حماية الأمن والسلم الدوليين.

ولتوضيح ذلك سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: تداعيات الصراع على الظاهرة الإرهابية في الشرق الأوسط

المطلب الثاني: تداعيات الصراع على قرارات مجلس الأمن

المطلب الأول: تداعيات الصراع على الظاهرة الإرهابية في الشرق الأوسط

تعتبر ظاهرة الإرهاب قضية متجددة رغم قدمها، وتتعدد أسبابها وتتغير بتغير الأمكنة والأزمنة، إلا أنها لا تتغير من حيث القدرة على إيقاع أكبر خسائر ممكنة، ورغم جميع المحاولات التي قامت بها الدول للقضاء على هذه الظاهرة إلا أنها في ازدياد مستمر وتنامي يثير الريبة والشك ويبعث على التساؤل.

إن دراسة أية ظاهرة أو محاولة فهمها ومعرفة أسبابها وبواعثها، يتطلب دراستها من أجل تنميتها والمحافظة عليها إن كانت ظاهرة إيجابية، أو مقاومتها والقضاء عليها إن كانت سلبية، ولما اتفق الجميع على أن ظاهرة الإرهاب ظاهرة سلبية ومرضية خطيرة يجب مقاومتها والقضاء عليها، فإن معرفة الأسباب العالمية لبواعث الإرهاب رغم تباينها واختلافها باختلاف زمانها ومكانها تبقى ذات أهمية بالغة في الإحاطة بالظاهرة وبالتالي محاولة القضاء عليها؛ لأن تحديد أسباب الإرهاب وإزالتها يجب أن يسبق العمل على اتخاذ أية تدابير لمنع الإرهاب.

وأكد أصحاب هذا الرأي استحالة القضاء على الإرهاب ما لم يكن ذلك جزءا من عملية مرسومة لاستئصال جذور الظاهرة الإرهابية وحذروا من أن الإقدام على إجراءات متسرفة لن تؤدي إلا إلى تفاقم هذه الظاهرة.

إن دراسة الظاهرة الإرهابية ومعرفة أسبابها ودوافعها ليست بالأمر الهين، فقد كتب الكثيرون حول هذه الأمور ولكنها ما زالت محل اختلاف كبير بين معظم السياسيين والمنظرين لأن كل واحد منهم يحاول أن يسوق المعنى والمصطلح من أجل تبرير الوسيلة المستخدمة لتحقيق الغاية المنشودة، لأن مقولة "ميكيافيلي" الغاية تبرر الوسيلة تنطبق على الإرهاب ومن هنا تأتي صعوبة المحاولة في الوصول إلى قواسم مشتركة بين الجميع للوصول إلى تعريف جامع مانع للإرهاب، أو بيان العلاقة بين الأعمال الإرهابية حول العالم ماضيا وحاضرا، إضافة إلى ماهية العلاقة المباشرة وغير المباشرة بين العوامل الداخلية والخارجية المسوغة للإرهاب حسب منطوق الجماعة المستخدمة له.

لذلك سنقتصر في هذا المقام على الأوضاع الدولية التي ساهمت في تنامي الظاهرة، ثم أثر سياسة الهيمنة وصراع المصالح والنفوذ كعامل مهم في تنامي الظاهرة في منطقة الشرق الأوسط.

الفرع الأول: الأوضاع الدولية وأثرها في تنامي الإرهاب العالمي

إن البيئة الدولية بما يسودها من قيم وأفكار، وما يحكمها من قواعد ونظم، وما يطرأ عليها من تغيرات متلاحقة، لاشك تؤثر على سلوكيات الأفراد والدول على السواء، مما قد يؤدي إلى ظهور بعض الظواهر الجديدة على المجتمع الدولي. وتؤثر الأوضاع الدولية السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الإرهاب سلباً أو إيجابياً، ذلك يرجع بصفة خاصة إلى اكتساب الإرهاب في الآونة الأخيرة بعداً دولياً ظاهراً¹، بعد أن أنقضت طرق الصراع المسلح التقليدية، وانتهت فترة الحرب الباردة، وانهارت النظم الشيوعية، المتهمة من قبل دول الغرب بمساندة الإرهاب ودعمه وممارسته فلم تعد هناك غير قوة واحدة تسيطر على العالم بما نتج عن ذلك من آثار عديدة على مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على مستوى العالم أجمع.

وهنا لابد أن نركز على أهم الدوافع والتي تهيج المناخ لارتكاب جرائم إرهابية على مستوى الدولة أو المستوى الدولي، وهذه الدوافع تشمل: الدوافع السياسية والاقتصادية والثقافية الدولية وهي على النحو التالي:

الفقرة الأولى: الدوافع السياسية

إن الحالة التي آلت إليها الأوضاع الدولية على المستوى السياسي لاشك توفر البيئة المواتية لممارسة الإرهاب، ويمكن إيراد بعض هذه الدوافع السياسية على النحو التالي:

أ- سقوط الشيوعية كتحالف عسكري، وانتهاء الحرب الباردة وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بسلطة الأمر والنهي في المجتمع الدولي، وأثناء قيام الشيوعية كان ينظر إليها على أنها هي مصدر الإرهاب ومؤيدته، وقد أدى

¹ ماجد أحمد الزامل، "مواجهة الإرهاب"، الحوار المتمدن، العدد 5132، 13 أبريل 2016، <https://bit.ly/3nrATFh> (12 ماي 2018)

انهيار الأيديولوجيات القديمة والبحث عن أيديولوجيات جديدة إلى تنامي حركات الإرهاب، وهذا ما حدث عندما استبدل الخطر الأخضر (الخطر الإسلامي) بالخطر الأحمر.

ب- الموقف المنحاز للنظام العالمي الجديد ضد القضايا الإنسانية، وخاصة في دول العالم الثالث، وعجز مجلس الأمن عن اتخاذ موقف قانوني مؤيد لقضايا الشعوب المقهورة، والوقف ضد ما يحدث من انتهاكات لبعض الفئات على مستوى العالم وفي مختلف المناطق، مما يبرر استخدام العنف من جانب هذه الفئات للدفاع عن وجودها إزاء حملات الإبادة التي تتعرض لها.

ت- الصراعات العرقية في مختلف المناطق، والتي تأخذ الطابع المسلح، وتستخدم تكتيكات إرهابية على المستوى الدولي ضد مصالح بعض الأقليات والإثنيات (العراق نموذج)¹.

ث- عجز بعض الشعوب حتى الآن عن الحصول على استقلالها وحققها في تقرير مصيرها، رغم القرارات الدولية التي تجمع على حقها في التمتع بالاستقلال والحرية على أراضيها، الأمر الذي يدفع حركات التحرر الوطني إلى القيام ببعض العمليات خارج حدود دولتها ضد مصالح الدول المستعمرة أو تلك الدول التي تؤذيها، وذلك لإضعاف هذه النظم ومؤيديها ولفت نظر المجتمع الدولي إلى قضيتها.

ج- النجاح الذي حققته بعض الحركات الثورية، التي كانت تستخدم تكتيكات إرهابية في الوصول إلى السلطة قديما وحديثا (ما وتسى تونج- والثورة الإيرانية) مما شجع العديد من الحركات الإرهابية على العمل السري من أجل الوصول إلى السلطة.

ح- استخدام الإرهاب كبديل عن الحرب التقليدية، بوصفه أسرع تأثيرا وأقل تكلفة للحصول على مكاسب وامتيازات سياسية على المستوى الدولي.

¹ فارس الخطاب، " الأقليات الدينية والعرقية في المعادلة السياسية العراقية"، مركز الجزيرة للدراسات، 4 يونيو 2020، <https://bit.ly/35w4LKS> < (12 غشت 2020)

خ- وجود بؤر للتوتر في معظم دول العالم سواء في الشرق الأوسط أو أمريكا اللاتينية أو أوروبا، فضلا عن الرواسب الاستعمارية، الأمر الذي يساهم في القيام بالأنشطة الإرهابية.

د- الأوضاع الدولية غير العادلة، واستمرار بعض السياسات العنصرية، في وقت يتشدق فيه المجتمع الدولي بالديمقراطية والحرية السياسية وحقوق الإنسان.

ذ- عدم قدرة المجتمع الدولي في شكله المنظم (الأمم المتحدة) على تقديم حل عادل لكثير من القضايا الدولية العادلة (القضية الفلسطينية نموذجا).

ر- إن عدم الانضباط في احترام القوانين الدولية والتسيب الدولي هو الذي يفتح المجال واسعا أمام أخطوب الإرهاب الدولي، الذي يجمع في صفوفه كل من القتل والمحترفين والمرترقة والمأجورين وغيرهم من المغرر بهم دينيا أو سياسيا أو عقائديا، وتشجيعهم على التمادي في احتقار القانون الدولي، والاعتداء على سيادة الدول والإساءة إلى حقوقها ومصالحها المشروعة بوسائل تدينها الأخلاقيات والأعراف الدولية¹.

ز- الإحباط السياسي: إن كثيرا من البلدان العربية والإسلامية لم تكتف بتهميش الجماعات الإسلامية وعدم الاكتراث لها، بل وقفت في وجهها، وتصدت لأربابها، وحصرت نشاطها، وجمدت عطاءها، حتى في بعض البلدان التي تدعي الديمقراطية وحرية الرأي، فإن هذه الأمور إذا جاءت في صالح تيار إسلامي، أو جماعة إصلاحية فسرعان ما يتحول الأمر إلى المنع والقمع والتصدي والتحدي مهما كانت الجماعة معتدلة، والتيار متسامحا، والحزب متنورا، وهذا من شأنه أن يولد المنظمات السرية، والتوجهات المناهضة، وردود الأفعال الغاضبة التي لا تجد ما تصب فيه غضبها، وتفرغ فيه شحنات

¹ منصور سيد أحمد والشربيني زكرياء أحمد، سلوك الإنسان بين الجريمة العدوان الإرهاب القاهرة، دار الفكر العربي، 2013، ص. 244.

عواطفها إلا امتطاء صهوة الإرهاب، وذلك ما تمثل واقعا حيا مشاهدا في كثير من البلدان.

س- سياسات الهيمنة والإرهاب الأمريكية الإسرائيلية¹: تعتبر هذه السياسات من الأسباب الرئيسية في تغذية التطرف الديني والإرهاب في الدول العربية، من خلال الممارسات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية في فلسطين المحتلة وما جاورها، وهي تؤثر بشكل مباشر في السكان العرب الواقعين تحت الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين والجولان السورية والاحتلال الأمريكي للعراق.

إن مشاعر الإحباط واليأس عند كثير من المسلمين وخاصة الشباب المليء بالفوران والغليان، والذي لا يرضى بالذل والهوان، وهو يرى كل يوم الإرهاب الأمريكي وتسلمته على العالم الإسلامي، ويرى كل يوم الإرهاب الصهيوني وإذلاله وقتله للشعب الفلسطيني دون أن يكون هناك ردود أفعال دولية جادة وخاصة من الحكومات العربية، كل هذه الأسباب وغيرها هي واقع يعيشه المسلم في الوقت الذي لا يدري فيه ماذا يفعل، فهو بين عجز وقهر، وهكذا يتحول الغليان عنده إلى غلو وتطرف، ومما يجعله يبحث عن حلول عاجلة وسريعة لتغيير واقع الأمة.

إن أسباب الهيمنة الأجنبية في المنطقة العربية والتي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية والتي ترسخ الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وتسكت عن ممارساته المتحدية للشرعية الدولية، وتدفع الشباب العربي والإسلامي إلى اللجوء للفكر المتطرف ومن ثم ممارسة العنف لمواجهتها.

الفقرة الثانية: الدوافع الاقتصادية

يمكن حصر أهم الأسباب الاقتصادية للإرهاب والعنف والتطرف على المستوى العالمي في:

¹ محمد عبد العزيز الهواري، "الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج"، موقع مداد، 2013، ص ص. 14-15، <https://bit.ly/3cDfB1> < (12 مارس 2019)

- عدم القدرة على إقامة تعاون دولي جدي من قبل الأمم المتحدة، وحسم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للدول. وذلك عن طريق النمو، والتقليل من الهوة السحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وتحقيق مستوى حياة أفضل للغالبية العظمى من الشعوب بكرامة وشرف.

- عدم قدرة المنظمة على إيجاد تنظيم عادل ودائم لعدد من المشكلات الدولية مثل اغتصاب الأراضي والنهب والاضطهاد¹.

- استخدام المساعدات الاقتصادية لبعض الدول كذريعة للتدخل في شؤونها الداخلية أو المحافظة على الاستقرار الدولي وحماية الأقليات، الأمر الذي يقابل بالرفض من جانب البعض ويدفعه إلى الوقوف ضده من خلال أعمال العنف.

- تعاني المجتمعات العربية من مشكلات الديون والإسكان والبطالة والارتفاع الجنوني في الأسعار وعدم التناسب بينها وبين الأجور. إضافة إلى المشاكل الصحية والمواصلات ونشر الصحف للعديد من جرائم الاعتداء على المال العام، وانحرافات المسؤولين، وتهريب الأموال العامة للخارج، ويجمع بين الإرهابيين عنصر الفقر، فأكثرهم مقيمون في الأحياء الشعبية والعشوائية ومن لم تتوافر لهم فرص العمل، وعدم سهولة السفر، وتدني أجورهم في الداخل، هذا كله يؤشر على تواجدهم في بيئة غير صحية، مما يولد لديهم كراهية وحقد اجتماعي وتعزيز لنزعة الإجرام لديهم².

- الأزمات الاقتصادية الدولية وتأثيراتها على الدول تؤدي إلى مزيد من التضخم وزيادة الأسعار وانتشار الفقرة وزيادة معدل البطالة وتدهور الخدمات، إضافة إلى ظهور طبقة من الأثرياء الذين يتحلون بسلوكيات استفزازية خاصة بالنسبة

¹ خالد الظاهر بن صالح بن ناهض، دور التربية الإسلامية في الإرهاب، دار عالم الكتب، الرياض، 2002، ص ص. 58-75.

² محمد وجويحان الترتوري، علم الإرهاب والأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب، دار ومكتبة الحامد، عمان، 2006، ص. 75.

للفقراء، مما يزيد من حدة التفاوت الطبقي، بما يساعد بنشوء تربة صالحة للتطرف تستقطب جماعات متطرفة.

- تدخلات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في اقتصاديات الدول، وهذا ما تحدث عنه جوزيف استجليتز* والذي عمل في البنك الدولي، حيث وصف عملية اتخاذ القرارات في الصندوق بأنها تعتمد على خليط غريب من الأيديولوجيا والاقتصاد الرديء، وهي عقيدة تخفي وراءها مصالح خاصة، فعندما كانت الأزمات تضرب بلدا ما كان الصندوق يصف حلولاً قديمة وغير ملائمة دون أن يأخذ في الاعتبار الآثار التي تنتج عنها وتؤثر سلباً على حياة تلك الشعوب.

وقد أدى هذا طبقاً لوجهة نظر "استجليتز" إلى أن حالات فشل الصندوق في حل مشكلات البلدان النامية كانت دائماً ما تزيد على حالات نجاحه، وقد أنتجت سياسات الصندوق الخاصة بالتكيف الهيكلي لمواجهة الأزمات وحالات عدم التوازن المزملة في اقتصاديات الدول التي طلبت مساعدة الصندوق العديد من حالات الهياج الشعبي والمجاعات فيها، وكانت المزايا تذهب فقط إلى الأثرياء فيها بينما يزداد الفقراء فقراً¹.

الفقرة الثالثة: الدوافع الاجتماعية

يقصد بالدوافع الاجتماعية تكامل العوامل الداخلية والخارجية التي تؤثر في سلوك الإنسان، وتتعدد الدوافع الخارجية للسلوك الإرهابي بصيغة عامة من خلال ما يكتسبه الفرد في مسيرة حياته، من حيث تنشئته والبيئة التي يعيش فيها من الأسرة والدراسة الجامعية والعمل وجوانب الحياة الأخرى، وقد تكون هذه الدوافع على مستوى الدولة كما قد تكون هذه العوامل ذات صبغة دولية، حيث تتأثر الدول وشعوبها بمجمل الظروف العالمية التي

* المفكر الاقتصادي الأميركي جوزيف استجليتز رئيس مجلس الاستشاريين الاقتصاديين الأميركي في فترة رئاسة بل كلينتون وكبير الاقتصاديين في البنك الدولي.
¹ "كيف ساهم صندوق النقد الدولي في صناعة أزمات العالم الثالث"، صحيفة الشرق الأوسط، عدد 9669، ماي 2005.

يمر بها المجتمع الدولي، إن هذه الدوافع قد تدفع وتغذي الميل نحو الإرهاب، فالإرهاب لا يرجع إلى عامل واحد ولكن تضافر مجموعة من العوامل منها¹:

- فقدان الثقة في النظام الاجتماعي القائم على الفروق الشاسعة بين الطبقات أدى إلى انهيار قيمة العمل، لأنه لم يعد هو مصدر الثروة ولا مصدر الهيئة والاحترام، وإنما أصبحت الطرق غير المشروعة هي التي تجلب الثراء.
- رفض القيم الاجتماعية الحاكمة للبيئة بسبب اختفاء القدوة والمثل الأعلى، وعدم الاهتمام وإهمال مشاكل الشباب والحرمان الاجتماعي أو بطء التقدم في العلاقات الاجتماعية، يؤدي إلى عدم قدرة المجتمع على استيعاب بعض الفئات استيعاباً كاملاً، مما يؤدي إلى فرض نوع من العزلة على تلك الفئات وشعورها بالتهميش فتلجأ إلى تشكيل جماعات الإرهاب.

الفرع الثاني: صراع المصالح والنفوذ وتنامي الإرهاب في الشرق الأوسط

تشكل التفاعلات الجديدة بين القوى الدولية ومنها على الخصوص بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وحلفائهما، وتدخلاتهما المتزايدة في منطقة الشرق الأوسط فرصة مواتية لتنامي الإرهاب، الذي يتم استغلال/استثمار الحرب عليه من أجل تحقيق مصالحهما الخاصة. ما من شأنه أن يظهر الإرهاب كما لو كان قوة "مقاومة" ضد القوى الدولية الطاغية، أو قوة تهدف تحرير العالم من قوى الظلم والاستبداد.

الفقرة الأولى: سياسات القوى الكبرى في المنطقة وتنامي الإرهاب

لقد شكلت الأوضاع التي آلت إليها المنطقة العربية نتيجة عقود طويلة من الظلم والاستبداد والطغيان والفساد والتهميش... نقطة استثمار بالنسبة "لداعش" وجل الجماعات الأخرى، حيث تم تحويل تداعيات هذا كله إلى مصدر قوة، فمن بين ما نجح تنظيم "داعش" في استثماره؛ سياسات القوى الدولية الكبرى الفاشلة في الشرق الأوسط، والتي يعاد إنتاجها في الوقت الراهن في المنطقة.

¹ رعد الدخيلي، "الإرهاب السياسي والاجتماعي أسبابه ودوافعه"، 2013، <<https://bit.ly/3771K2Q>> (24 مارس 2019)

عدت هذه السياسات خصوصا في الوقت الراهن بمثابة أكبر دعم دولي ضمنى للإرهاب، حيث لم تكن هذه المرة التي تؤدي فيها سياسات أمريكية، وأوروبية، وروسية (سوفيتية) إلى خلق أجواء تؤدي إلى تنامي الإرهاب.

إن ما اعترف به رئيس الوزراء البريطاني توني بلير بأن الحرب على العراق في مارس 2003 أسهمت في تنامي الإرهاب إلا تعبيراً نادراً عن ذلك. فلم يكن هذا الاعتراف بالخطأ، والاعتذار عن عدم مشاركة بريطانيا في الحرب على العراق، هو أهم ما قاله بلير، في مقابلة تليفزيونية مثيرة أجرتها معه شبكة "سي إن إن" في 26 أكتوبر 2015¹، فلا يقل أهمية عن ذلك إقراره بأن تلك الحرب كانت سبباً رئيسياً في تنامي الإرهاب، وأنها أسهمت في خلق البيئة التي أتاحت ظهور تنظيم "داعش" بعد ذلك. وبعد أيام على تلك المقابلة، أعاد السيناتور بيرني ساندرز، تأكيداً على أن غزو العراق أسهم في تنامي الإرهاب، وظهور تنظيم "داعش"، وأن الولايات المتحدة تتحمل جزءاً من المسؤولية عن ذلك².

وفي مناظرة انتخابية ضمت مرشحين ديمقراطيين محتملين، هما هيلاري كلينتون، ومارتن أومالي، غداة الهجمات الإرهابية في باريس في 13 نوفمبر 5102، وجه السيناتور بيرني ساندرز من ولاية فيرمونت انتقادات لمواقف هيلاري كلينتون في السياسة الخارجية، بما في ذلك تصويتها عام 2002 للسماح باستخدام القوة في العراق: (إن الاجتياح الكارثي للعراق، والذي عارضته في وقته، كان واحداً من أسوأ أخطاء السياسة الخارجية الأمريكية، فقد زعزع استقرار المنطقة بشكل كامل، وأدى إلى تصاعد الإرهاب، وظهور تنظيم "داعش")³.

وعودة إلى حديث بلير في المقابلة التليفزيونية معه، نجد أنه قدم نظرة أشمل في المسألة الإرهابية، إذ أوضح أن حرب 2003 ليست السبب الوحيد في تنامي الإرهاب، وأن ما يحدث في سوريا، منذ 2011، يلعب دوراً كبيراً في هذا المجال، وربما قصد بذلك قمع

¹ وحيد عبد المجيد، " دور القوى الدولية الكبرى في تنامي الإرهاب"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 29 ديسمبر 2015، < <https://bit.ly/3f3E7Mk> > (20 مارس 2018)

² نفس المرجع.

³ Amy Chozick and Jonathan Martin, " Rivals at Dimocratice Debate Attack Hillary Clinton", The New York Times, Nov 14, 2015, < <https://nyti.ms/32P9Fkq> > (March 12, 2018)

نظام بشار الأسد الانتفاضة الشعبية، وسعيه إلى إغراقها في بحر من الإرهاب، وسنعود للحديث عن هذا لاحقاً.

ويعني ذلك اتفاق بلير مع كثير من المحللين العرب والأجانب الذين يرون أن الإرهاب نشأ في منطقتنا لعوامل معظمها داخلية في الأصل، ولكنه تنامى وتوسع نتيجة سياسات بعض القوى الكبرى. فقد ظهرت الخلايا الأولى لحركات رفعت شعار "الجهاد"، بما فيها الخلية التي انتمى إليها أيمن الظواهري، زعيم تنظيم "القاعدة"، في أوائل ستينيات القرن الماضي لأسباب كانت محض داخلية.

وأكد الخبير الاستراتيجي "روبرت كريمر" في مقابلة نشرت في The Huffington Post أن أسباب ظهور "داعش" تعود إلى ما قبل وقتنا الحاضر، وذلك تحديداً إلى قرار الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش ونائبه ديك تشيني، في شن حرب غير ضرورية في العراق، حيث يقول كريمر: "إن قرار بوش باجتثاث البعث أدى إلى إبعاد السنة عن الجيش والوظائف البيروقراطية، ويرى كذلك أن أهم اثنين من القادة العسكريين في تنظيم داعش هم من كبار ضباط الجيش العراقي في عهد الرئيس السابق "صدام حسين"، وما تفعله روسيا الآن في اصطفاها مع الشيعة وتقتيل السنة في مناطق عدة من سوريا لسوف يخلق موجات كراهية سرعان ما تتحول إلى محاولات انتقام قد تسمى عمليات إرهابية في المستقبل.

الفقرة الثانية: محطات تنامي الإرهاب بالمنطقة

شكل العام الخارجي أحد العوامل المهمة والذي ساهم بقوة في تنامي الإرهاب بالمنطقة عبر محطات رئيسية، ارتبطت المحطة الأولى بالدعم الغربي الكامل لإسرائيل في حرب 1967¹، التي أحدثت نتيجتها المفجعة صدمة كبيرة للجميع.

¹ حرب 1967 وتعرف أيضاً في كل من سوريا والأردن باسم نكسة حزيران، وفي مصر باسم نكسة 67 وتسمى في إسرائيل حرب الأيام الستة، هي الحرب التي نشبت بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن بين 5 حزيران/يونيو 1967 والعاشر من الشهر نفسه، وأدت إلى احتلال إسرائيل لسيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان وتعتبر ثالث حرب ضمن الصراع العربي الإسرائيلي.

صحيح أن أخطاء كثيرة تراكمت في مرحلة شهدت صراعات عربية بينية عنيفة، واضطرابا عاما، وكانت هي العامل الأول وراء الهزيمة في تلك الحرب. ولكن الدعم الغربي لإسرائيل هو الذي جعلها هزيمة فادحة ومذلة، الأمر الذي دفع بعض الشباب إلى التمرد ضد أطروحات القومية العربية، والبحث عن بديل في تفسيرات دينية متطرفة مجافية لروح الإسلام¹.

يعتبر الوطن العربي المنطقة الحيوية للأطماع الأمريكية عسكريا واقتصاديا واستراتيجيا لما يملكه من موقع استراتيجي وثروات هائلة، إضافة إلى موروثة الحضاري العريق، ولهذا اهتمت السياسة الأمريكية في جعل الوطن والأمة جزءا من منظومتها الاستراتيجية على مختلف الصعد وفرض التبعية والتخلف عليهما.

إن من بعض الأسباب الرئيسية في تغذية التطرف الديني والإرهاب في البلاد العربية؛ هي الممارسات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية في فلسطين المحتلة وما جاورها. وهي تؤثر بشكل مباشر في ملايين من العرب الواقعين تحت الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين والجولان السورية والاحتلال الأمريكي في العراق². إضافة إلى الدعم الأمريكي اللامحدود للكيان الصهيوني الغاشم، آخرها نقل السفارة الأمريكية للقدس تأكيدا على الاصطفاف الأمريكي الإسرائيلي.

كذلك مشاعر الإحباط واليأس عند الكثير من المسلمين وخاصة الشباب المليء بالفوران والغليان، والذي لا يرضى بالذل والهوان، وهو يرى كل يوم الإرهاب الأمريكي وتسلطه على العالم الإسلامي دون احترام لأنظمة عالمية، ولا قرارات دولية، ويرى كل يوم الإرهاب الصهيوني وإذلاله وقتله للشعب الفلسطيني دون أن يكون هناك ردود أفعال جادة من الحكومات العربية، كل هذه الأسباب وغيرها هي واقع يعيشه المسلم، في الوقت الذي لا يدري فيه ماذا يفعل، فهو بين عجز وقهر، وهكذا يتحول الغليان عنده إلى غلو وتطرف، مما يجعله يبحث عن حلول عاجلة وسريعة لتغيير واقع الأمة.

¹ "صناعة الإرهاب بين بلير وبوتن"، مجلة العربي 21، 11 نوفمبر 2015، <<https://bit.ly/3f6u1KT>> (17 يونيو 2018)

² محمد الهواري، "الإرهاب: المفهوم والأسباب وسبل العلاج"، موقع الإسلام، <<https://bit.ly/36G0VOC>> (18 مارس 2018)

إضافة إلى سياسات الهيمنة الأجنبية في المنطقة العربية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، والتي ترسخ الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وتسكت عن ممارساته المتحدية للشرعية الدولية، بل تدعمه ماديا وعسكريا¹، وتحول دون قيام الأمم المتحدة بدورها في مواجهة العدوان، وتعتمد معيارين في مواقفها، تثير الغضب والنقمة وتدفع الشباب العربي والإسلامي إلى اللجوء للفكر المتطرف ومن ثم ممارسة العنف في مواجهتها.

كما أن التماذي في سياسات الاستبداد والطغيان، وغياب التوازن والعدل، هو الذي دفع البوذي المسالم لإحراق نفسه في فيتنام، وهو الذي يدفع الفلسطيني لتفجير نفسه. وإذا كنا لا نجزئ قتل المدنيين، إلا أننا ندرك أن غياب العدالة، والاعتداء على سيادة الناس واستقلالهم، وتدمير منازلهم وتجريف مزارعهم، والعدوان على مساجدهم وكنائسهم، وهو الدافع الرئيسي لهذا النوع من العمل اليابس.

وكانت **المحطة الثانية** عندما غزا الاتحاد السوفيتي السابق أفغانستان لدعم نظام شيوعي استولى على السلطة بالقوة. فقد أدى هذا الغزو إلى تدفق أعداد كبيرة من الشباب من بلاد عربية عدة لمقاومة الغزاة تحت شعار "الجهاد". وفي مجرى الحرب الأفغانية، جرى تكريس مفهوم متطرف لهذا "الجهاد"، ووجدت حركات متعصبة بيئة ملائمة للتمدد²، في ظل مساندة من قوى وإقليمية دولية كالولايات المتحدة الأمريكية في إطار ذلك الصراع المحتدم بينها وبين الاتحاد السوفيتي على النفوذ والمصالح من أجل الهيمنة العالمية، حيث وقفت ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان ودعمت المجاهدين الأفغان بالسلاح والعتاد من أجل إلحاق الهزيمة بالاتحاد السوفيتي .

¹ مايكل آرنشوات و ديفيد بولوك، " اختبار الثروات: كيف تستفيد الولايات المتحدة الأمريكية من تحالفها مع إسرائيل"، معهد واشنطن، سبتمبر 2012، <<https://bit.ly/38JDPt0>> (27 يناير 2018)

² "الاتحاد السوفياتي.. من الهيمنة إلى الأفول"، مركز الجزيرة للدراسات، 19 أكتوبر 2016، <<https://bit.ly/3nzMqCv>> (10 أبريل 2017)

وجدت مختلف الحركات المتطرفة، التي كانت إلى ذلك الوقت تنشط على أصعدة وطنية، في الجهاد ضد الجيش السوفييتي الذي غزا أفغانستان، قضية ساعدت في توحيد صفوفها كوحدة دولية تحت لواء موحد يمثل نضال المسلمين ضد غزاة "كفار"¹.

وشهدت حرب أفغانستان نشأة أول جيل من المحاربين الدوليين في صفوف الجهاد تحت شعار القاعدة . هذا الجيل الأول كان انبثاق عن البنية التي أسستها وباركتها وعملت على تدريبها الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان والمملكة العربية السعودية. خلال حرب الخليج الأولى، انفصلت هذه البنية عن انتمائها العقائدي الأول وتمردت على مؤسسيها ومعهم على جميع دول العالم، بما في ذلك البلدان المسلمة التي لا تتبنى رؤيتها للإسلام².

وعندما انتهت تلك الحرب بهزيمة الجيش السوفييتي وانسحابه، كان هناك فائض من المقاتلين وغيرهم من المتطرفين الذين شاركوا في أعمال الإِسْنَاد والإِغَاثَة. وتبلورت في تلك المحطة مقدمات تنظيم "القاعدة" الذي اعتمد على قادة ومقاتلين تعارفوا في أفغانستان.

أما **المحطة الثالثة** للدور الدولي في تنامي الإرهاب، فهي تلك التي اعتذر بلير عنها. فقد أنتجت حرب 2003، وطريقة إدارة الأوضاع بعد إسقاط نظام صدام حسين، الظروف الملائمة لظهور "القاعدة" في العراق.

وأسهم التدخل الإيراني المتزايد، وسعي طهران إلى فرض هيمنتها، في إضفاء طابع مذهبي علي الصراع الذي اشتعل في العراق. ونقل هذا التدخل الإرهاب إلى مرحلة أبعد، خاصة حين صارت حكومة نوري المالكي ذراعاً لطهران هناك³.

وفي خضم هذا الصراع المذهبي، غير تنظيم "القاعدة" في بلاد ما بين النهرين اسمها إلى "الدولة الإسلامية في العراق". وعندما نجح الأسد في خنق الانتفاضة الشعبية بالعنف الذي لعبت أجهزته الأمنية دوراً كبيراً في تأجيجه في سوريا، تصدرت حركات متطرفة المشهد، ووجد أبوبكر البغدادي فرصة ملائمة للتمدد عبر الحدود، وتأسيس "جبهة

¹ Abdelhak Basou, " Sahélisation de la violence extrémiste : Est-ce la naissance d'une troisième génération de terrorisme ?", *Policy Brief*, Avril 2018, p. 2 .

² Ibid.

³ علي رضا نادر، " الدور الذي تضطلع به إيران في العراق، هل من مجال للتعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران؟"، مؤسسة راند وجهة نظر، 2015، ص. 4.

النصرة" في نهاية 2011، ثم إعلان "داعش" الذي استقطب قطاعا من تلك الجبهة، حين رفضت قيادتها الالتحاق به.

ويمثل التدخل الدولي الراهن في سوريا، والذي صار غير مسبوق في حجمه ونطاقه، بعد التدخل العسكري الروسي، محطة رابعة في السياسات الدولية التي أنتجت توسعا في الإرهاب في مراحله المتوالية. ورغم أن في كل من المحطات الثلاث السابقة دروسا واضحة بشأن دور التدخل الأجنبي في تنامي الإرهاب، فقد تواصل هذا الدور ليصل إلي محطة رابعة بدأت بإعلان الولايات المتحدة تحالفا دوليا لمواجهة الإرهاب، ومشاركة دول عدة في قصف مواقع لهذا الإرهاب. وجاء التدخل العسكري الروسي في سوريا ضمن هذه المحطة ليضاعف النتائج السلبية للتدخل الأجنبي التي قد يجني الإرهاب ثمارها هذه المرة بدرجة أكبر من سابقتها، وكأن التاريخ يعيد إنتاج نفسه في صورة مأساوية.

الفقرة الثالثة: التدخلات الراهنة وحصر الإرهاب في المنطقة

يعتبر التاريخ حافلا بالأحداث، حيث قد تتماثل هذه الأحداث التاريخية بأحداث جديدة، مما يعيد للواجهة مجموعة من الاتجاهات التي تطرح فرضية إعادة إنتاج ما حدث في التاريخ، لكن بطرق جديدة وفي ظروف جديدة وفي زمن جديد، ويرى كارل ماركس أن التاريخ لا يعيد نفسه إلى في صورة ملهاة أو مأساة¹، وإذا ما انطبق ذلك على أزمات الشرق الأوسط وصراع النفوذ الروسي-الأمريكي في المنطقة وخاصة في الأزمة السورية والعراقية، فإن الآثار السلبية لهذا التدخل والصراع ستفاقم إسهام هذه القوى الدولية في دعم الإرهاب لتحقيق المصالح.

بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية؛ كان لابد من إيجاد عدو خطير واختلاق الذرائع لمحاربته، وهكذا كان، فكانت القاعدة وكانت داعش وسيكون غيرها وغيرها، لذلك قامت

¹ Ghizalberti, Giosue, " Tragedy and Repetition in Marx's 'The Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte" , *ACADEMIC JOURNAL ARTICLE*, 1997, <[HTTPS://BIT.LY/35F48HO](https://bit.ly/35f48ho)> (MARCH 20, 2018)

إستراتيجية أمريكا في توظيف السياسة الخارجية الأمريكية في الحرب على الإرهاب من خلال خلق الذرائع وإيجاد المبرر.

وهذا ما ظهر جليا في الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش خلال خطابه عن "الحرب العالمية ضد الإرهاب"، لوح الرئيس بخطر عودة "خلافة" إسلامية كبرى تسيطر من أوروبا إلى آسيا.

وفي يناير 2005، حذر تقرير "المجلس القومي للاستخبارات" الأمريكي، حول "رسم خريطة المستقبل العالمي"، من تأثير حركة عقائدية عالمية قوية، تستمد وقودها من الهوية الإسلامية المتشددة"، تحاول "استنهاض خلافة إسلامية"، وتشكل "تحديا صارخا للعادات والمبادئ الغربية" خلال الخمسة عشر عاما المقبلة وتوقع التقرير، أن تحل محل تنظيم "القاعدة" مجموعات لا مركزية إسلامية، تستوحي العنف والإرهاب الدولي، وتكون أكثر انتشارا من الناحية الجغرافية، تنطلق من الشرق الأوسط وتمتد إلى دول إسلامية أخرى¹.

وتدعيما للفزاعة الأمريكية من سيناريو الخلافة، تم استغلال إعلان منسوب إلى تنظيم "القاعدة"، على شبكة الأنترنت، بقيام "الخلافة" في أكتوبر 2006، حيث اتجه الرئيس الأسبق بوش إلى تعبئة الرأي العام الغربي ضد "هذه الخلافة التي تشكل إمبراطورية إسلامية شمولية تغطي أراضي الإسلام الراهنة والماضية، لتمتد من أوروبا إلى شمال إفريقيا إلى الشرق الأوسط وإلى جنوب شرق آسيا". كما أعلن نائبه "ديك تشيني" أن "إسرائيل والولايات المتحدة تقودان حربا واحدة لمنع تشكل إمبراطورية شمولية من إسبانيا تمتد على طول شمال إفريقيا حتى الشرق الأوسط وجنوب آسيا"².

¹ أشرف علام، "سيناريو الخلافة الإسلامية فزاعة أمريكية" *منتديات الرفيع*، 16 يناير 2005، <<https://bit.ly/374oeBm>> (06 يونيو 2018)

² تشيني، "الولايات المتحدة وإسرائيل تخوضان حرباً واحدة لمنع تشكل إمبراطورية تمتد من إسبانيا حتى جنوب آسيا" *عرب 48*، 31 أكتوبر 2010، <<https://bit.ly/2Y9dCNB>> (6 يونيو 2018)

مما يثير الدهشة والاستغراب أنه وبعد 9 سنوات من صدور تقرير المجلس القومي للاستخبارات في عام 2005، قام تنظيم الدولة الإسلامية بإعلان الخلافة، وتم تنصيب "أبو بكر البغدادي" خليفة للمسلمين، حيث أعلن تنظيم منشق عن تنظيم القاعدة كان قد احتل مساحات كبيرة من الأراضي في العراق وسوريا، عن قيام "خلافة" إسلامية ودعا الفصائل الجهادية في مختلف أنحاء العالم لمبايعته.

تشكل هذه الخطوة تحديا مباشرا للقيادة المركزية لتنظيم القاعدة الذي أعلن تبرؤه من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وتحديا للأسر الحاكمة في الخليج، وأفاد بيان صوتي منسوب لمتحدث الجماعة أن الجماعة التي كانت تعرف باسم الدولة الإسلامية في العراق والشام أعادت تسمية نفسها باسم "الدولة الإسلامية" وأعلنت أن زعيمها أبو بكر البغدادي هو الخليفة الحاكم.

هذه النتائج والأحداث ستفاقم المحطة الرابعة التي بدأت بالتدخل الأمريكي بالعراق، والإعلان عن تحالف دولي استغله "داعش" لزيادة جاذبيته في المنطقة، ولم يمض عام على إعلان ذلك التحالف، حتى كانت روسيا قد أرسلت عددا كبيرا من خبراءها العسكريين، وحشدت قسما كبيرا من سلاح الجو والدفاع الجوي لديها لشن غارات في سوريا تحت الشعار نفسه "مكافحة الإرهاب".

لقد اقترن هذا التدخل العسكري الروسي ببناء ائتلاف إقليمي "إيران - العراق - سوريا" مضاد فعليا للتحالف الدولي الذي تفوقه الولايات المتحدة، رغم أن كليهما "التحالف الدولي، والائتلاف الإقليمي" يواجهان الإرهاب، أو هذا هو هدفهما المعلن وليس متصورا أن يحدث هذا كله إلا في إطار تغير يحمل في طياته تحولات محتملة في أنماط التحالفات السائدة في النظام العالمي، ومؤثرة في مستقبله وربما يكون أول هذه التحولات هو

اضطرار القوتين المحافظة والمراجعة إلى إعادة النظر في بعض حساباتهما، كل بمقدار، والسعي إلى إعادة ضبط التفاعلات الصراعية بينهما¹.

فرغم اندحار هذا التنظيم في الكثير من المناطق التي كان قد سيطر عليها، إلا أن مسألة القضاء عليه نهائياً تعتبر بعيدة نظراً لبقاء ظروف نشأته؛ ومنها محاربة القوى المتجبرة والمتسلطة على رقاب الأبرياء كما يصور ذلك التنظيم.

ويعد التدخل الروسي في المنطقة ومحاولة حماية المصالح الاستراتيجية والحيوية للوجود الروسي، يشبه إلى حد ما تدخل الاتحاد السوفياتي في أفغانستان، إلا أنه قد تنجح روسيا في تجنب الوقوع في نفس المستنقع الذي وقع فيه الاتحاد السوفياتي، ولكن ذلك لن يحول دون أن يؤدي تدخلها العسكري إلى جذب المزيد من المقاتلين المؤيدين لـ"داعش" أو أي جماعة أخرى يكون لها نفس التوجه، وحصول هذه الجماعات على حواضن مجتمعية جديدة.

وهذا احتمال يصعب استبعاده بثقة واطمئنان، فتدخل روسيا بصفة خاصة، وبخلاف أية دولة أخرى في المنطقة والعالم، يستدعي التاريخ، ويخلط الحاضر بالماضي، لأن المقاومة الأفغانية لموسكو أصبحت مصدر إلهام للتنظيمات المتطرفة والإرهابية.

ولذلك، فما إن بدأت روسيا حربها الحالية، حتى شرع بعض هذه التنظيمات، وفي مقدمتها "داعش"، في استدعاء الحرب الأفغانية، واستخدامها في حملات عبر مواقع التواصل الاجتماعي لتجنيد مزيد من الأنصار، وكسب تعاطف في أوساط جديدة. واستغل "داعش" الخطأ الفادح الذي وقعت فيه الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، عندما وصفت حرب بوتين في سوريا بأنها "مقدسة"، قبل أن تحاول تدارك هذا الخطأ.

كما أن العديد من المحللين أشاروا إلى أن روسيا قامت بتسهيل انتقال الجهاديين الإسلاميين لسوريا والعراق، كحجة للتدخل العسكري بها، باعتبارها ثورة إرهابية وليست ضد نظام الأسد الدموي، وكذلك رغبة منها - روسيا - في إفراغ المناطق المجاورة لها من وجود من هم متشبعون بالفكر الجهادي، والذين عانت متعهم روسيا في سنوات عديدة،

¹ "التحالف الدولي والائتلاف الإقليمي دور دولي متجدد وتفاعلات عالمية جديدة.. الإرهاب تحول إلى ما يشبه قوة ثالثة في النظام العالمي"، مجلة المراقب، 13 يناير 2016، <<https://bit.ly/3948hyj>> (22 ماي 2017)

وبالتالي تجميعهم وحصرهم في منطقة الشرق الأوسط، من جهة للقضاء عليهم وضمان عدم عودتهم لمناطقهم وهم الذين يكلون خطرا على الأمن القومي الروسي¹.

من جهة أخرى؛ استغلال وجودهم لتبرير وجودها أيضا، حيث رأى محللون أن غارات سلاح الجو الروسي لم تستهدف داعش إلا فيما ندر، فيما تركزت معظمها على القوى الثورية المعتدلة، وسمحت للتنظيم المتطرف بالتمدد في معظم المناطق السورية والسيطرة عليها، ومعظم تلك المناطق كانت تسيطر عليها المعارضة وليس الجيش السوري.

وربما تستطيع روسيا تحقيق تغيير جزئي في ميزان القوى في سوريا لمصلحة نظام الأسد، ومساعدته في استعادة عدد من المناطق التي فقدتها. ولكن هذا "الانتصار" قد يكون فادح الثمن، إذا اقترن بنجاح "داعش" في استغلال التدخل الروسي، المتوازي مع تدخل أمريكي - غربي، لتجنيد أنصار جدد. وقد تكون النتيجة أكثر مأساوية إذا خلق هذا التدخل حالة تؤدي إلى نسخة إرهابية أكثر شراسة وانفلاتا من "داعش".

ولذلك كله، ربما تكون المحطة الرابعة لدور القوى الدولية في تنامي الإرهاب هي الأكبر من حيث ارتداداتها السلبية، إذا ثبت ما بدأنا به، وهو استمرار السباق بين هذه القوى لفترة غير قصيرة في مواجهة الإرهاب، وتحوله إلى جزء من الملامح العامة لنظام عالمي، تؤدي سيولته إلى أخطار عدة أخرى².

وهذا هو ما نود التنبيه إليه؛ فإذا عادت وراجعت هذه القوى الكبرى تاريخ مواجهتها وحربها على الإرهاب على مدى نصف قرن، فربما تظهر في دوائر صنع القرار فيها، أو في بعضها، أصوات عاقلة تطلب مراجعة جادة، وتدرك أن الإرهاب الذي تحاربه لم يكن موجودا قبل خمسة عقود، وأن رصاصاته الأولى الطائشة ارتبطت بقضية فلسطين التي تتحمل هذه القوى كلها المسؤولية عنها، وأن جذوره الضعيفة التي ترتبت على عوامل داخلية بدأت تقوى، عندما لم تكثف هذه القوى بصنع كيان إسرائيلي، بل قام معظمها

¹ أحمد عزيز، " داعش وجهاديو القوقاز..مأزق بوتن الجديد "، مجلة نون بوست، 6 أبريل 2016، <https://bit.ly/2UyT0wX> (26 دجنبر 2018)
² وحيد عبد المجيد، " دور القوى الدولية الكبرى في تنامي الإرهاب"، مرجع سابق.

بمساندة هذا الكيان في سياساته العدوانية التي أنتجت حرب 1967، وتداعياتها التي سبقت الإشارة إليها في مجال الإرهاب. وما يمكننا استخلاصه من هذا التاريخ هو أن سياسات القوى الدولية الكبرى أدت إلى توسع الإرهاب بدلا من القضاء عليه، فضلا عن صناعة أشكال وأجيال جديدة منه، آخرها حتى الآن ما صار يعرف باسم "داعش".

ومع ذلك، لم تقدم مؤسسات صنع القرار في هذه الدول على ما قد يكون بديها في مثل هذه الحالة، وهو مراجعة السياسات التي اتبعت في محاربة الإرهاب، وإجراء نقد ذاتي لتوجهاتها وممارساتها، واستيعاب دروس الفشل، سعيا إلى عدم إعادة إنتاجه في صورة أخرى¹.

لم يتم أخذ هذه الجوانب بعين الحسبان لدى مؤسسات صنع القرار في القوى الكبرى، بل أعادت هذه الدول إنتاج نفس السياسات التي تحتاج إلى مراجعة وإعادة النظر، وانجرفت كلها - القوى الدولية - في نفس السياق، بدءا من سعي الولايات المتحدة إلى تشكيل "تحالف دولي" مزعزع يفتقد الحد الأدنى من التماسك في مواجهة تنظيم "داعش"، وصولا إلى التدخل العسكري الروسي في سوريا.

كما أن عقد مؤتمر دولي بواشنطن بداية 2015، تحت عنوان "المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب" والذي كان من المفترض فيه أن تتم مراجعة القوى الكبرى لطرق تعاملها مع الأحداث الدولية ومراجعة سياساتها، تبين في الأخير أنه لم يكن أكثر من حدث هامشي لم ينتج عنه أي تغيير في توجهات هذه القوى.

كان الجديد -الذي لم يلبث أن تبخر- في ذلك المؤتمر هو الاهتمام بالعوامل المؤدية إلى تطرف يتحول إلى إرهاب، وليس فقط بالنتائج المترتبة على هذه العوامل. وفي كل الأحوال، ليس ممكنا تصور مراجعة سياسات تواصلت على مدى عقود بمجرد عقد مؤتمر، وبدون مراجعة جوهرية لهذه السياسات، وتقييم موضوعي لها.

فهذه المراجعة ضرورية من أجل بلورة سياسة جديدة تحارب الإرهاب، ولا تؤدي تداعياتها السلبية إلى تعزيزه، وصناعة المزيد منه. وبدون هذه المراجعة، قد يتعذر تطوير

¹ المرجع نفسه.

السياسة الأحادية التي تعتمد على القوة العسكرية وحدها، لتصبح متعددة الأبعاد، وتشمل ما طرح في مؤتمر واشنطن بشأن "تأسيس شبكة دولية ضد التطرف العنيف"، و"إحباط جهود داعش لتجنيد مقاتلين أجانب ومحاربته على مواقع التواصل الاجتماعي"، و"تبادل المعلومات حول المتطرفين"، و"بناء دوائر خاصة على المستوى المحلي لمحاربة بذور التطرف في المجتمعات الأكثر هشاشة"، و"إطلاق مبادرات مضادة للتطرف والحض على العنف بمشاركة الفواعل المجتمعية والمنظمات غير الحكومية"¹.

وهذه أفكار جيدة بالتأكيد، ولكن إدماجها في سياسة جديدة أكثر فاعلية في مواجهة الإرهاب تتطلب مراجعة السياسات القديمة، فضلا عن التزام الولايات المتحدة والدول الأوروبية الأكثر ثراء، وغيرها من الدول التي تدرك خطر انتشار الإرهاب في العالم، بدعم خطط للتنمية، وتطوير نظم التعليم في البلاد التي ينشط الإرهابيون فيها، ويسعون إلى تجنيد أعضاء جدد من أبنائها، في إطار مشروع عالمي متكامل تشرف عليه الأمم المتحدة. فالخطط اللازمة لمواجهة العوامل المغذية للإرهاب مكلفة للغاية، وتفق طاقات البلاد التي ينبغي اتباع هذا النوع من المواجهة فيها، وتحتاج بالتالي إلى تمويل دولي واسع النطاق.

غير أنه على هذه البلاد، التي توجد كلها في منطقة الشرق الأوسط، أن تبادر إلى مراجعة السياسات التي تتبعها هي نفسها في مواجهة الإرهاب، لكي تقدم "نموذجاً" يؤثر في سياسات القوى الدولية الكبرى. فالحكومات القائمة في معظم هذه البلاد تتحدث من وقت إلى آخر عن شمولية مواجهة الإرهاب، وتعدد أدوات هذه المواجهة، ولكنها تظل معتمدة على الأداة الأمنية والعسكرية وحدها، مثلها في ذلك مثل القوى الدولية الكبرى.

فهذه المراجعة هي السبيل الوحيد إلى وقف تمدد الإرهاب الذي لا يتوسع ويتصاعد بفعل قوة ذاتية لا تقهر، مهما تكن قدرات بعض تنظيماته، بل نتيجة قدرته على استثمار فائض القهر، والظلم، والاستعباد على مدى عقود، إلى جانب نجاحه في استغلال ضعف أدوات من يواجهونه، أو قصورها، أو نقصها، أو عدم ملائمتها. ولما كان القاسم المشترك

¹ التحالف الدولي والائتلاف الإقليمي دور دولي متجدد وتفاعلات عالمية جديدة.. الإرهاب تحول إلى ما يشبه قوة ثالثة في النظام العالمي"، مرجع سابق.

في عملية مواجهة الإرهاب، على المستويين المحلي والعالمي، هو الاعتماد على الأداة الأمنية، فإن المشكلة تصبح منهجية في المقام الأول، أي تتعلق بمنهج هذه المواجهة.

إن سياسة القوى الكبرى الفاعلة والمؤثرة في منطقة الشرق الأوسط كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا المعتمدة على الصراع من أجل النفوذ والمصالح في المنطقة، لم تكن سببا في تنامي الإرهاب في المنطقة فقط، بل كانت سببا في تعطيل العمل الأممي ومجلس الأمن، بسبب اختلاف الرأي والتوجهات المبنية على المصالح بشأن قضايا الشرق الأوسط وأزماته.

المطلب الثاني: تداعيات الصراع على قرارات مجلس الأمن

يعتبر مجلس الأمن بمثابة الهيئة التنفيذية للأمم المتحدة، ومهمته الرئيسية العمل على حفظ السلم والأمن الدوليين، لذا يفترض أن يتدخل في الأزمات الدولية بما يسهم في حلها، وتعد الأزمة السورية أحد النماذج المثالية للتدخل الدولي وفقا لمبدأ الحماية، وعلى الرغم من ذلك لم يتم اتخاذ أي قرار في مجلس الأمن الدولي تحت الفصل السابع الذي يبيح التدخل العسكري ضد النظام السوري، وذلك بسبب حق النقض (الفيتو) الروسي والصيني المستخدم ضد مشاريع قرارات لإدانة وتحمل النظام السوري المسؤولية، مما يظهر تأثير الصراع بين القوى الدولية على عمل مجلس الأمن الدولي وإدارته للأزمة السورية.

الفرع الأول: تحليل قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالأزمة السورية

قام مجلس الأمن الدولي منذ انطلاق الثورة السورية عام 2011 بإصدار العديد من القرارات حول الأزمة السورية، حيث أصدر المجلس نظرا لإفشال كل من روسيا والصين مشروع قرار في 4 أكتوبر 2011، وفي 4 فبراير 2012 من خلال استخدامهما حق النقض (الفيتو)، ثلاثة بيانات في 3 غشت 2011 وفي 21 مارس 2012 وفي 5 أبريل 2012.¹

¹ علاء عبد الحميد عبد الكريم، دور الأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2018، ص. 151.

شكلت هذه البيانات تعبيراً عن رأي الغالبية في المجلس، إذ أصدر المجلس أول قرار حول الشأن السوري في 14 أبريل 2012؛ وهو القرار (2042) الذي نص على "إرسال بعثة مراقبين عسكريين غير مسلحين، وذلك لمراقبة وقف إطلاق النار على أن لا يتعدى عددهم الثلاثين مراقب"، كذلك أشار القرار إلى ضرورة أن تكون الاتصالات بين المراقبين سرية، وأن يحتفظ المجلس لنفسه بحق اتخاذ أي إجراءات يراها مناسبة في حال لم يتم تطبيق هذا القرار. وفي ظل هذا القرار طالب أعضاء مجلس الأمن بالإجماع من الحكومة السورية التزامها بوعودها بسحب قواتها من المدن والقرى السورية¹.

واستكمالاً للقرار رقم 2042، قام مجلس الأمن في 21 أبريل 2012 بإصدار القرار رقم 2043 والذي أشار إلى ضرورة إرسال 300 مراقب عسكري إلى سورية، لمدة 3 أشهر، وذلك بغرض مراقبة وقف إطلاق النار في سورية، وقد طالب القرار سائر الأطراف بالسهر على حماية بعثة المراقبين وتيسير تنقلاتها ودعمها بكل ما يلزمها بالاتفاق مع الحكومة السورية. وجاء هذا القرار بإجماع من أعضاء مجلس الأمن مما بعث على الأمل في حلحلة الوضع الدولي المرتبك نتيجة تنافر المصالح الدولية في سوريا².

إضافة إلى القرارات السابقة، وعلى خلفية مجزرة الكيماوي التي تعرضت لها منطقة الغوطة الشرقية في سوريا بتاريخ 21 غشت 2013، صدر في 27 شتنبر 2013 القرار رقم 2118، والذي جاء نتيجة جهود قامت بها روسيا كبديل عن توجيه ضربة أمريكية لحليفها السوري عقب اتهامه بتنفيذ مجزرة الكيماوي الذي يعتبر من الخطوط الحمراء الأمريكية التي حذر منها الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما أطراف الصراع في سوريا، وعلى وجه التحديد النظام، من تجاوزها³.

وعلى الرغم من أن قرار مجلس الأمن هذا قد جاء لشرعنة الاتفاق الروسي – الأمريكي في 14 شتنبر 2013 حول تفكيك منظومة السلاح الكيميائي السوري، بالإضافة لترحيبه بطلب انضمام سوريا لمنظمة حظر انتشار الأسلحة الكيميائية، وعلى الرغم من شموليته بحيث راعى أن تقوم منظمات أو جهات أو أحزاب مسلحة بإنتاج أو استخدام

¹ القرار 2042 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

² القرار 2043 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

³ القرار 2118 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

السلاح الكيماوي وطالب القرار جميع الدول بمنع حدوث ذلك، إلا أن القرار 2118 لم ينحصر في ذلك¹.

ونظرا للمجزرة الكيماوية التي تعرضت لها المدن السورية، أصدر مجلس الأمن في 22 فبراير 2014 القرار رقم 2139، والذي تضمن ضرورة تسهيل الأطراف المتصارعة في سورية وصول المساعدات الإنسانية إلى المدنيين، وجاء هذا القرار تلبية لنداءات إنسانية كثيرة، إذ عملت كل من لوكسمبورغ وأستراليا بالإضافة إلى الأردن، وهي الممثل الجديد للمجموعة العربية وقتها، على إعداد مسودته وصدر بإجماع الأعضاء الخمسة عشر، وجاء مضمون هذا القرار بخمسة نقاط أساسية هي²:

- يطالب جميع الأطراف بأن تسمح فورا للوكالات الإنسانية التابعة للأمم المتحدة وشركائها بالتنفيذ، بإيصال المساعدات الإنسانية على نحو سريع وآمن ودون عوائق.

- يحث جميع الأطراف ولاسيما السلطات السورية، على أن تتخذ كل الخطوات المناسبة لتيسير الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة، والوكالات المتخصصة التابعة لها، وجميع الجهات الإنسانية الفاعلة المشاركة في أنشطة الإغاثة الإنسانية، لتقديم المساعدة الإنسانية بشكل فوري إلى السكان المتضررين في سورية.

- يطالب جميع الأطراف باحترام مبدأ الحياد الطبي وتيسير حرية المرور إلى جميع المناطق للأخصائيين الطبيين والمعدات الطبية، ووسائل النقل والإمدادات الطبية، بما في ذلك المواد الجراحية.

- يطالب أيضا جميع الأطراف باتخاذ كل الخطوات الملائمة لحماية المدنيين، بمن فيهم أفراد الجماعات العرقية والدينية والطائفية، ويؤكد في هذا الصدد؛ أن السلطات السورية تقع على عاتقها المسؤولية الرئيسية عن حماية سكانها.

¹ نفس المرجع.

² القرار 2139 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

- يطالب كذلك جميع الأطراف بوقف الاستخدام العسكري للمرافق الطبية والمدارس وغيرها من المنشآت المدنية، وتجنب إقامة مواقع عسكرية في المناطق المأهولة بالسكان، والكف عن شن الهجمات الموجهة ضد أهداف مدنية.

كذلك طالب هذا القرار بفك الحصار عن مجموعة من المناطق السورية المحاصرة وهي: حمص القديمة المحاصرة من قبل الجيش السوري، وقرتي نبل والزهراء المحاصرتان من قبل المعارضة الإسلامية المسلحة، بالإضافة إلى معضمية الشام وداريا ومخيم اليرموك والغوطة الشرقية الذين يحاصرهم الجيش السوري.

لقد لاقى القرار 2139 ترحيباً دولياً من الدول والمنظمات، وكان على رأسها منظمة الأمم المتحدة لشؤون الطفولة – اليونيسيف، التي سارعت لإصدار بيان رسمي يرحب بالقرار وبالانسجام الدولي في إصداره¹.

وفي إطار ذلك أصدر مجلس الأمن القرار رقم 2165 والذي جاء استكمالاً للقرار الذي سبق، فقد طالب القرار 2165 بإدخال مساعدات إنسانية عبر الحدود الأربعة لسوريا، وهو قرار يمكن إجمال الغرض الرئيسي منه في فقرته الثانية وفحواها²: "يقرر أن الوكالات الإنسانية التابعة للأمم المتحدة وشركاؤها المنفذين يؤذن لها باستخدام الطرق عبر خطوط النزاع والمعابر الحدودية باب السلام وباب الهوى واليعربية والرمثا، إضافة إلى المعابر التي تستخدمها بالفعل، من أجل ضمان وصول المساعدات الإنسانية بما في ذلك اللوازم الطبية والجراحية إلى الأشخاص المحتاجين في سائر أنحاء سوريا من خلال أقصر الطرق مع إخطار السلطات السورية بذلك، ويؤكد تحقيقاً لهذه الغاية ضرورة استخدام جميع المعابر الحدودية بشكل كفاء لأغراض العمليات الإنسانية للأمم المتحدة"³.

ونظراً لفرض سيطرة تنظيم "داعش" _ الدولة الإسلامية في العراق والشام_ على غالبية المدن العراقية والسورية، قام مجلس الأمن في 15 غشت 2014 بإصدار القرار

¹ نفس المرجع.

² القرار 2165 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

³ نفس المرجع.

2170 والذي تضمن فرض عقوبات عدة ضد كل من يمول أو يزود بالسلاح الجماعات الإرهابية في العراق وسورية، ومنها "داعش" و"جبهة النصرة"¹.

وطالب القرار أيضا من جميع الدول وقف تدفق الإرهابيين الأجانب للانضمام إلى "داعش" و"النصرة" وغيرهما، ومنع تنقل الإرهابيين أو تجولهم أو عبورهم في أراضيها². وهذا وقد أرفق في القرار 2170 أسماء ستة شخصيات إرهابية تنتمي لكل من "داعش" و"النصرة" لتضاف إلى قائمة العقوبات الدولية المتعلقة بتنظيم القاعدة وهم: (عبد الرحمن محمد ظافر الجهاني، حجاج بن فهد العجمي، سعيد عارف، عبد المحسن عبد الله إبراهيم الشارخ، أبو محمد العدناني، حامد حماد حامد العلي)³.

أما في 24 شتبر 2014 قام مجلس الأمن بإصدار القرار رقم 2178 والذي جاء نتيجة لتنفيذ الولايات المتحدة وحلفائها لضربات جوية ضد التنظيم في كل من سوريا والعراق، بينما أصدر المجلس التنفيذي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية في 4 فبراير 2015، قرارا تحدث فيه عن أن استخداما لمادة الكلور قد جرى مرارا وتكرارا على أرض الجمهورية العربية السورية، وذلك على ضوء ثلاثة تقارير بهذا الخصوص كانت قد أنجزتها بعثة منظمة حظر الأسلحة الكيميائية الموفدة إلى سوريا منذ عام 2013⁴.

وفي السياق نفسه، عبر مجلس الأمن في 6 مارس 2015 من خلال القرار رقم 2209 عن مدى استيائه من عدم التطبيق الفعلي لقراراته السابقة بهذا الخصوص، إذ أشار في فقرته السابعة إلى نتيجة مفادها أنه في حال عدم الامتثال مستقبلا لأحكام القرار 2118 فإن مجلس الأمن سيقوم بفرض إجراءات وفق الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة⁵.

أصدر مجلس الأمن بالإضافة للقرارات السابقة، في 7 غشت 2015 القرار 2235 والذي جاء لمعالجة ملف السلاح الكيماوي في سوريا⁶، حيث أكدت منظمة حظر الأسلحة

¹ القرار 2170 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

² نفس المرجع.

³ القرار 2170 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

⁴ دلول، نيراس، "قرارات مجلس الأمن حول سوريا 2011-2015"، مجلة رأي اليوم، 21 شتبر 2015، <<https://bit.ly/3kNDQ1k>> (12 ماي 2018)

⁵ القرار 2209 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

⁶ القرار 2235 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

الكيميائية أن قنابل محملة بغاز الكلور قد استخدمت في الصراع السوري، وهذا ما نفته الحكومة السورية رداً على الاتهامات بحقها، كما نفت بدورها الجماعات المسلحة المناهضة للنظام السوري مقدرتها على إنتاج سلام كيميائي. وأشار هذا القرار إلى اعتماد آلية لإنشاء لجنة تحقيق تمهد لمساءلة المسؤولين عن استخدام الأسلحة الكيميائية¹.

صدر في 18 دجنبر 2015 قراراً ينص على بدء محادثات السلام بسوريا في يناير 2016، وتضمن القرار عدداً من البنود، فقد اعتمد بيان جنيف ودعم بيانات فيينا الخاصة بسوريا، باعتبارها الأرضية الأساسية لتحقيق عملية الانتقال السياسي بهدف إنهاء النزاع في سوريا، وشدد على أن الشعب السوري هو من سيحدد مستقبل سوريا. ونص القرار على دعوة الأمين العام للأمم المتحدة ممثلي النظام والمعارضة السوريين للمشاركة "على وجه السرعة في مفاوضات رسمية بشأن مسار الانتقال السياسي، على أن تبدأ تلك المفاوضات مطلع يناير 2016" بهدف التوصل إلى تسوية سياسية دائمة للأزمة².

وفي إطار جهود مجلس الأمن حول الشأن السوري، أصدر المجلس بالإجماع في 26 فبراير 2016 القرار رقم 2268 والذي تضمن وقف إطلاق النار في سوريا اعتباراً من 27 فبراير 2016، بالإضافة إلى ذلك حث القرار جميع الأطراف في سورية على وقف العمليات القتالية والوفاء بتعهداتها، والجدير بالذكر أن خطط وقف إطلاق النار التي أعلنت عنها كل من واشنطن وموسكو في هذا القرار لا تشمل تنظيمي "داعش" و "جبهة النصرة"، وغيرها من التنظيمات المدرجة على لائحة مجلس الأمن كتنظيمات إرهابية³.

ورغم المآسي التي خلفتها الحرب الدائرة في سوريا فلم يستطع مجلس الأمن من استصدار قرار يدخل تحت البند السابع ويجبر نظام الأسد ويمنعه من تهديد السلم والأمن الدوليين، رغم أن حالة الضرورة أو ظروف استصدار هكذا قرار متوفرة في الأزمة السورية.

¹ نفس المرجع.

² القرار 2254 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

³ القرار 2268 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

الفرع الثاني: الأسس القانونية للتدخل في سوريا

يستند مبدأ استخدام القوة إلى أحكام الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وهو إجراء قمعي لمجابهة حالات الإخلال بالسلم والأمن الدوليين، أو أي تهديد للسلم والأمن، وقد حددت المواد 41 و 42 من الفصل السابع الإجراءات والتدابير التي يمكن لمجلس الأمن اتخاذها لإعادة السلم والأمن الدوليين إلى نصابها، وتنقسم إلى تدابير عسكرية وأخرى غير عسكرية، وتكون هذه التدابير ملزمة سواء قبلت الدولة المعنية أم رفضت؟.

غالباً ما يكون موضوع استخدام القوة بموجب الفصل السابع موضع خلافات واسعة جراء تضارب المصالح بين الدول، وتحديدًا الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن؛ إذ يستحيل في كثير من الأحيان الوصول إلى توافق حول قضية محددة، ويثور الخلاف بين الدول عندما يتعلق الأمر بالتدخل العسكري لأغراض إنسانية، وتبقى هذه المسألة شائكة من حيث إقامة الحد بين المعايير الإنسانية والمصالح السياسية¹.

إن ازدواجية المعايير في تعاطي المجتمع الدولي مع الحالات التي تستدعي التدخل الإنساني لها تبعات سلبية على صدقية التدخل، فبينما تسارع الولايات المتحدة إلى التدخل في كثير من الحالات سواء بتكليف من مجلس الأمن أم من دونه، قامت باستخدام حق النقض (الفيتو) لتعطيل قرارات دولية لمجابهة تهديدات السلم والأمن الدوليين².

إن درجة العنف التي وصلت إليها الأوضاع في سورية والجرائم المرتبكة بحق الأبرياء والمدنيين تتطلب التحرك الدولي واتخاذ مواقف جادة من المجتمع الدولي، بل والتحرك العاجل لحماية السكان من تلك الجرائم الخطرة التي يرتكبها طرفي النزاع، وليكتسب التدخل مشروعيته، يتعين أن يكون بموجب قرار يصدره مجلس الأمن، وأن يقتصر على حماية المدنيين، ووقف الحرب وتفكيك الميليشيات المسلحة كافة، ومساءلة كل من هو ضالع بارتكاب جرائم خطيرة أمام محكمة الجنايات الدولية، والمساعدة في إعادة بناء سورية.

¹ "نظام وسجلات التصويت"، الأمم المتحدة - مجلس الأمن، <<https://bit.ly/36KNflu>> (12 ماي 2018)
² نزار أيوب، التدخل الدولي الإنساني في سورية ومسؤولية الحماية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 26 ماي 2017، قطر، ص. 8.

إن الأساس القانوني للتدخل العسكري في سورية بموجب الفصل السابع لغرض الحماية متوافر بقوة، لكن تحقيقه مرتبط بتطبيق القانون الدولي بعيدا عن المصالح السياسية، غير أن هذا الأمر غاية الصعوبة، إذ إن معظم التدخلات العسكرية التي حدثت بعد الحرب الباردة كانت دوافعها سياسية أكثر منها لغرض الحماية، ولذلك يجري تسويق الفيتو الروسي والصيني بخصوص الوضع في سورية بذريعة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، إلا أنه ليس لهذا التسويق ما يسنده، لأن استخدام الفيتو هو لمصالح سياسية أيضا.

يحتاج قرار التدخل العسكري في سورية إلى موافقة صريحة من مجلس الأمن والتي ستكون موضع شك. وفي هذه الحالة ليس هناك من ضمانات بأن التدخل الأحادي سيوقف المعاناة الإنسانية للسكان، بل من المحتمل أن يفاقمها¹.

يقوم التدخل الدولي الإنسانية على مبدأ حماية السلم والأمن الدوليين وأيضا حماية السكان من الفظائع التي تسببها لهم الحروب والكوارث، ويجب أن يكون التدخل بقرار صادر عن مجلس الأمن، وأن يركز على النية الحسنة بعيدا عن إيلاء أي حساب لمصالح المتدخلين، لكن التدخلات العسكرية التي حدثت خلال العقود السابقة معظمها كانت لمصلحة القوى الكبرى القائمة بالتدخل، أو للنيل من تطلعات الشعوب إلى الحرية والعدالة، أكثر منها لوقف الفظائع وحماية السكان أو المساعدة في الاستقرار وإعادة البناء، الأمر الذي يفقدها الصداقة القانونية والإنسانية.

والتدخل الدولي الإنساني هو بحد ذاته مشكلة مثيرة للجدل، فالتدخلات التي حدثت في الصومال والبوسنة وكوسوفو جاءت متأخرة، وشابتها كثير من العيوب القانونية والسياسية، وكان لها خلفيات ودوافع سياسية ومصالحية أكثر منها إنسانية، وقد تكون المصالح السياسية وراء إحجام المجتمع الدولي عن التدخل في أحيان كثيرة كما حدث في رواندا عام 1994 على الرغم من المعرفة بأن هناك مجازر وشيكة الوقوع.

تجسد الحالة سورية أكبر دليل على تقاعس المجتمع الدولي عن الوفاء بالتزاماته تجاه ملايين الأبرياء، وتقديم المصالح السياسية على المعايير القانونية والإنسانية، وعلى الرغم

¹ "نظام وسجلات التصويت"، مرجع سابق.

من الجرائم التي يرتكبها أطراف النزاع ضد المدنيين، إذ ظن السوريون في البداية أن المجتمع الدولي سيسارع إلى التدخل¹.

الفرع الثالث: أثر صراع النفوذ في تعطيل مجلس الأمن

تباينت الآراء والمواقف بين أعضاء مجلس الأمن حول الأزمة السورية ما أسهم ذلك في تفاقم الأزمة، وبالتالي انعكس على استمرار الأزمة وعدم التوصل إلى حلول للأزمة، مما أدى لارتفاع القتلى والجرحى وتشريد الملايين من اللاجئين السوريين في مختلف دول العالم، وتدمير شبه تام للبنى التحتية في بعض المحافظات، وهذا ما جعل فعالية المجلس شبه معدومة، نتيجة استخدام حق النقض (الفيتو) بعكس اتجاهات ورغبة الأغلبية في المجلس، وكذلك الأغلبية في الجمعية العامة للأمم المتحدة².

وللوقوف حول طبيعة التصويت على القرارات المتعلقة بالأزمة السورية من قبل الأعضاء لاسيما روسيا والصين لابد من العودة إلى سياق الأحداث، حيث إن الاستخدام الأول لحق النقض (الفيتو) الروسي حول الأزمة السورية كانت في جلسة المجلس المنعقدة بتاريخ 4 أكتوبر 2011، وتركز التصويت الروسي ضد مشروع قرار تقدمت به بريطانيا وفرنسا وألمانيا والبرتغال لإدانة قمع النظام الحاكم في سوريا لمعارضيه، ويهدد بعقوبات ضده في حالة عدم إيقاف القمع واحترام حقوق الإنسان وبدء بإصلاحات فورية، ووقفت الصين إلى جانب روسيا بموقفها من مشروع القرار، في حين أيدت تسعة دول مشروع القرار وامتنعت أربع دول عن التصويت، وهي البرازيل والهند ولبنان وجنوب أفريقيا³.

وفي إطار ذلك، قامت روسيا والصين باستخدام حق النقض الفيتو للمرة الثانية ضد مشروع القرار الذي تقدمت به فرنسا وبريطانيا إلى مجلس الأمن في 4 فبراير 2012، والذي يدعم المشروع الذي تقدمت به الجامعة العربية لتسوية الأزمة السورية والمتضمن

¹ نزار أيوب، التدخل الدولي الإنساني في سورية ومسؤولية الحماية، مرجع سابق، ص. 9.

² سلام، نواف، لبنان في مجلس الأمن 2010-2011، دار الساقي، بيروت، 2012، ص. 53.

³ اللبان شريف درويش، وإبراهيم أحمد علي، دور الإعلام في إدارة الأزمات الأزمة السورية أنموذجاً، تقرير صادر عن المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، 2015.

تسليم السلطة إلى نائب الرئيس لإفساح المجال لعملية التحول الديمقراطي، في حين صوتت الأعضاء الثلاثة عشر لصالح مشروع القرار.

وعلى الرغم من أن الصين تعد من الدول الأقل استخداماً لحق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن، إلا أننا نجد موقفها مغاير في الأزمة السورية، فقد استخدمت حق النقض (الفيتو) لمرتين لإيقاف صدور قرارات يدعو إلى تنحي الرئيس (بشار الأسد)، واستخدمت فيتو آخر ضد قرار يدعو إلى تطبيق الفصل السابع في الأزمة السورية، وهكذا الحال ضد قرار يطالب بإحالة الملف السوري إلى محكمة الجنايات الدولية¹.

جاء الاستخدام الثالث لحق النقض (الفيتو) من قبل روسيا والصين ضد قرار تقدمت به فرنسا وبريطانيا للمجلس في 19 يوليو 2012، والذي يسمح بانتقال سلمي للسلطة تحت البند السابع، وقد نص القرار على تمديد عمل بعثة الأمم المتحدة لمراقبة وقف إطلاق النار الذي لم يكتب له النجاح، وتقدمت فرنسا بمشروع قرار آخر إلى المجلس في 22 مارس 2014 يدين فيه جرائم النظام الحاكم في سوريا، وإحالة ملف الحكومة السورية إلى المحكمة الجنائية الدولية.

عادت روسيا واستخدمت حق النقض (الفيتو) للمرة الرابعة ضد مشروع القرار مما حال دون تمريره. وفي سياق ذلك، كررت فرنسا محاولات في 8 أكتوبر 2016 بتقديمتها مع إسبانيا مشروع قرار إلى المجلس يتضمن وقفا لإطلاق النار والمعارك في مدينة حلب السورية، إلا أن روسيا استمرت بموقفها المتعنت ضد مشاريع القرارات المطروحة إزاء الأزمة السورية واستخدمت حق النقض (الفيتو) للمرة الخامسة، وبذلك عطلت كل محاولات الأعضاء الدائمين وغير الدائمين ورغبة المجتمع الدولي عموماً لإيجاد فرص لتسوية الأزمة².

قدمت كل من مصر وإسبانيا وفنزويلا مشروع قرار مدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا بشأن الأزمة السورية، إلا أن روسيا وفي 5 دجنبر 2016 قد

¹ الحسيني، سنية، " سياسة الصين تجاه الأزمة السورية هل تعكس استخدام استراتيجية جديدة في المنطقة؟"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 404، تشرين الأول 2015، ص.41.

² " الفيتو الروسي..يد مرفوعة تحمي الأسد"، مركز الجزيرة للدراسات، 28 فبراير 2017، <<https://bit.ly/3nOKGFZ>> (24 أبريل 2018)

استخدمت ضد هذا المشروع حق النقض (الفيتو) للمرة السادسة، حيث تضمن هذا القرار المطالبة بهدنة لمدة أسبوع للقتال الجاري في محافظة حلب السورية، كذلك استخدمت الصين حق النقض (الفيتو) على نفس القرار للمرة الخامسة وامتنعت أنغولا عن التصويت، وأيدت القرار إحدى عشرة دولة من الأعضاء الآخرين، ودافع المندوب الروسي (فيتالي تشوركين) عن موقف بلاده من القرار، كونه يضر بالموقف الإنساني في حلب من خلال قيام المعارضة السورية باستغلال ذلك لتعزيز مواقعها القتالية، مبينا أن القرار يجب أن يتضمن ضرورة الانسحاب من شرق مدينة حلب.

وانتقد وزير خارجية فرنسا، (جان مارك أيرلوت) الموقف الروسي مشيرا بأنه منع المجلس من أداء دوره اتجاه السكان المدنيين السوريين، في حين طالب المندوب الصيني باستمرار التشاور للوصول إلى التوافق بشأن الأزمة.

وفي 25 أكتوبر 2017 استخدمت روسيا للمرة التاسعة (الفيتو) ضد مشروع قرار أمريكي تضمن تمديد مهمة لجنة التحقيق حول استخدام الكيماوي في خان شيخون لمدة عام آخر، وعلى إثر ذلك أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أنها محبطة بشدة، وأشارت (هيدر ناروت) المتحدثة باسمها "أنها تشعر بخيبة أمل جراء استخدام روسيا لحق النقض (الفيتو)"، فيما أعلنت (نيكس هايلي) سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة "إن موسكو تنحاز مرة أخرى إلى جانب الإرهابيين الذين يستخدمون هذه الأسلحة، وإنها تفعل كل ما في وسعها لكي لا يواجه النظام الحاكم في سوريا عواقب استخدامه للأسلحة الكيماوية"، وحصل مشروع القرار على تأييد إحدى عشر دولة واعتراض بوليفيا وامتنعت عن التصويت كل من الصين وكازاخستان¹.

ولم تكن الأزمة السورية هي الأولى التي أثبتت عجز المنظومة الدولية، فقد شهدت الساحة الدولية أوضاعا مشابهة سابقا، ظهرت فيها عدم قدرة مجلس الأمن على الوصول إلى إجماع بين أعضائه، وقد حصل ذلك أول مرة عام 1950 حين رفض الاتحاد السوفيتي إرادة الولايات المتحدة خلال الحرب بين الكوريتين (1950-1953)؛ ما دفع الولايات

¹ المرجع نفسه.

المتحدة باتجاه استصدار الجمعية العامة للقرار رقم (377) باسم الوحدة من أجل السلام، والذي يتيح مسارا دوليا لتخطي مجلس الأمن¹.

كذلك لم يكن "الفيتو" الذي أشهرته روسيا (مرات عدة) أول محطات إخفاق مجلس الأمن، فقد سبقها "الفيتو" الفرنسي في رواندا عام 1994 ، والذي قاد إلى إبادة جماعية بحق أقلية التوتوسي على يد قبائل الهوتو، إضافة إلى "الفيتو" الأمريكي عام 2003 الذي حمى الإدارة الأمريكية من المساءلة عن العمليات الأمريكية التي ارتكبت إبان احتلال العراق، علاوة على العديد من القرارات التي حمى فيها نظام "الفيتو" جرائم الحروب الإسرائيلية².

ويعتقد كثير من العرب أن مجلس الأمن هو أحد أهم عوامل الظلم الذي تتعرض له أمتهم والخلل الذي يسود تعامل المجتمع الدولي مع قضاياهم، وهذا اعتقاد راسخ تدعمه وقائع تدل على أن هذا المجلس يكيل بمكيالين، وأن الولايات المتحدة نجحت لفترة طويلة في استخدامه أداة ليس فقط لتحقيق مصالحها، ولكن أيضا لحماية انتهاكات إسرائيل للقانون الدولي ولميثاق الأمم المتحدة، وتمكينها من الإفلات المستمر من العقاب الذي تستحقه على الجرائم التي ترتكبها بشكل منتظم³.

وإن كان من الطبيعي أن تفقد الشعوب في المشرق إيمانها بمنظومة الأمم المتحدة، نظرا إلى تخلى المجتمع الدولي عن إنصافها، فإن المثير اليوم أن أصوات غربية بارزة باتت توجه سهام النقد العلني للأمم المتحدة، وتتهم المجتمع الدولي بالشراسة في جرائم الحرب في سوريا، كما فعل الرئيس الألماني "يوأخيم غاوك" الذي وصف المجتمع الدولي بالفشل الذريع في معالجة الأزمة السورية والمشاركة في مسؤولية فظائع الحرب⁴.

¹ حنا عيسى، " ماذا عن قرار الاتحاد من أجل السلام رقم 377 لسنة 1950؟"، موقع دنيا الوطن، 23 دجنبر 2017، <<https://bit.ly/2UH0OfU>> (26 ماي 2018). عن علاء عبد الحميد عبد الكريم، دور الأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2018، ص. 151.

² " كم مرة استخدمت روسيا حق النقض الفيتو منذ بدء الأزمة السورية؟"، موقع العربية نت، <<https://bit.ly/3nCrrz0>> (18 يونيو 2018)

³ أحمد سيد أحمد، مجلس الأمن فشل مزمّن وإصلاح ممكن، مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010، ص. 11.

⁴ "الرئيس الألماني يتهم المجتمع الدولي بالفشل الذريع في سوريا"، موقع دوتيش فيله العربي، 16 دجنبر 2016، <<https://bit.ly/3favH5U>> (20 فبراير 2018)

إضافة إلى اعتراف بان كي مون، الأمين العام السابق للأمم المتحدة، المتكرر بالفشل والعجز في الأزمة السورية، وإقراره بأن مجلس الأمن أسهم في تحويل سوريا إلى دولة فاشلة¹.

ونتيجة طبيعية لعجز وفشل المجتمع الدولي المتمثلاً في مجلس الأمن والأمم المتحدة، ارتفعت الأصوات المطالبة بضرورة إصلاح الأمم المتحدة، واستثمار الأزمة السورية من أجل إنقاذ النظام العالمي من الانهيار، وقد تزعم الأمين العام الأسبق كوفي أنان الدعوات المطالبة بمنح القوى الدولية الصاعدة حق النقض داخل مجلس الأمن، بحكم أن قواعد اللعبة التي منحتم العضوية الدائمة في أربعينيات القرن الماضي قد تغيرت².

وقد طرحت العديد من المبادرات لتوسيع عضوية مجلس الأمن من 5 أعضاء دائمين إلى 10، وجعل حق النقض "الفيتو" غير ممكن إلا إذا وافق عليه اثنان، منعاً للوصول المتكرر إلى حالة الشلل الذي يعانيها مجلس الأمن في تسوية النزاعات، وحولته إلى مسرح بلاغي يبدأ بكيال الإدانات للنظام السوري وحلفائه وينتهي بـ "فيتو" روسي أو صيني وبكثير من الدماء على الأرض، وما يعاب على "حق النقض" أن بعض الدول الدائمة العضوية تستخدمه بصورة "مُسيئة" لدعم حلفائها.

فعلى سبيل المثال، استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض أكثر من 40 مرة لصالح إسرائيل منذ أولى جلسات مجلس الأمن³، 13 مرة لمصلحة حليفها إسرائيل فقط في الفترة من 1991 إلى 2011. بينما لم تستخدمه روسيا في الفترة ذاتها سوى 6 مرات لقضايا مختلفة، واستخدمته الصين 4 مرات كالحا لصالح سوريا، و لم تستخدمه كل من المملكة المتحدة وفرنسا في تلك الفترة⁴.

¹ "بان كي مون يعترف بفشل مجلس الأمن في حل الوضع بسوريا"، موقع رؤيا الإخباري، 26 دجنبر 2017، <<https://bit.ly/32YhCDH>> (14 غشت 2018)

² بازيد علي، " إصلاح مجلس الأمن الدولي: إلى متى التأجيل"، المركز الديمقراطي العربي، 7 ديسمبر 2017، <<https://bit.ly/38YhvfC>> (12 ماي 2018)

³ صلاح الدهني، " رقم كبير..كم مرة استخدمت أمريكا الفيتو لمصلحة إسرائيل"، عربي 21، 19 دجنبر 2017، <<https://bit.ly/2UI83Eo>> (13 ماي 2018)

⁴ نفس المرجع.

لكن مثل هذه المبادرات تبقى ضمن التداول الأكاديمي، وعلى ألسنة الزعماء والمبعوثين الأمميين السابقين، في ظل عزوف الدول الدائمة العضوية عن الإقدام على فتح ملف الإصلاح، والذي يشترط بالأساس موافقة الدول دائمة العضوية ذاتها؛ ما يعكس أن سبل الإصلاح داخل مجلس الأمن هو طموح بعيد المنال. وفي الوضع الراهن، سيبقى التدخل تحت سقف مجلس الأمن من أجل وقف الحرب في سوريا يتطلب توافق الإرادة السياسية للقوى الثلاث الكبرى في العالم، الولايات المتحدة وروسيا والصين، في ظل كون كل من فرنسا وبريطانيا عضوين في حلف الناتو؛ ما يحسم اصطفاها إلى جانب الولايات المتحدة؛ وما يعني أن الأمم المتحدة تخسر المزيد من قدرتها على تأدية الدور الرقابي، وتتحول أكثر فأكثر إلى أداة وظيفية للسياسة الكبار.

ونظرا إلى اتساع الفجوة بين مواقف كل من موسكو وواشنطن، بات السلوك الروسي في مجلس الأمن أشبه بما كان عليه الاتحاد السوفيتي إبان الحرب الباردة؛ ما يعني تعطيلاً شبه كامل لمجلس الأمن، ليس فقط في سوريا، وإنما في أي نزاع دولي أو إقليمي قد ينشب مستقبلاً، وتقف فيه موسكو وواشنطن على طرفي نقيض.

هذه الأوضاع وعدم القدرة على التوافق بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، وإيجاد حلول للأزمات التي يغرق فيها الشرق الأوسط، واستمرار هذا الصراع بين الطرفين، الذي أخذ أشكالا ومظاهر مختلفة من السياسي إلى الاقتصادي إلى الأمني العسكري وصولاً إلى التأثير على منظمة الأمم المتحدة وعدم قدرة مجلس الأمن على اتخاذ قرارات من شأنها حماية السلم والأمن الدوليين، كل هذا يدفع إلى التساؤل حول مستقبل هذه العلاقة الموسومة بالصراع على النفوذ في منطقة الشرق الأوسط.

الفصل الثاني: مستقبل صراع النفوذ الروسي - الأمريكي في الشرق الأوسط

لقد شكل الصراع على النفوذ بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط إحدى السمات البارزة التي اصطبغت بها العلاقة بين الدولتين في السنوات الماضية، والتي اتخذت مظاهر وأبعاد مختلفة، اختلفت حدة هذا الصراع باختلاف مجالاته، وكذا باختلاف الدول الشرق أوسطية، وعلاقات هذه الدول مع كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، كما كانت تداعياتها على دول المنطقة والمنطقة ككل واضحة وجلية، الشيء الذي يطرح التساؤل حول مستقبل هذا الصراع.

تعد محاولة استشراف المستقبل واحدة من أكثر القضايا إثارة بحكم ما يعتريها من صعوبات، لذلك وتأكيدا لفرضية استمرار صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط التي انطلقنا منها، يمكن تصور المستقبل القريب* للصراع من خلال عدة

* المستقبل في لغة علم السياسة ليس واحد، وإنما له منظور زمني، وكل منظور زمني له أهميته وله خصائصه، وهو عموما يتحدد بمدى زمني معين، ويقصد بالمدى الزمني الآتي:
-المستقبل المباشر: (أقل من عامين)، وسمي بالمباشر كونه يأتي في نطاق ما يتم التفاعل معه من أحداث الحاضر واستمرار لها، وخلاله لا يتوقع حدوث تحولات كبيرة، إلا إن تعلق الأمر بكوادر طبيعية أو أخطاء بشرية غير مقدرة _ تفجير نووي مثلا _.

--المستقبل القريب: ويكون ما بين (2-5) أعوام، وهذا الشكل يكون أكثر دينامية، كونه ينطوي على احتمالات لظهور مؤشرات يمكن أن تعيد صياغة بعضا من جوانب العلاقات أو الظواهر كليا أو جزئيا، كون خمسة أعوام كافية لظهور مؤشرات جديدة على الظواهر والعلاقات الدولية.

-المستقبل المتوسط: ويكون ما بين (5-15) عاما، ويكون ذلك الشكل والأشكال اللاحقة عليه أكثر دينامية من الشكل السابق في احتمالات حدوث تطورات قابلة للدراسة والبحث، كون مؤشرات التطور للظاهرة أو العلاقة تكون كبيرة، ومن ثم يبدأ سقف توسيع الاحتمالات يتوسع من هنا، ليعطي سقفا أوسع في المشهد أو السيناريوهات.

-المستقبل البعيد: ويكون ما بين (15-25) عاما، وذلك الشكل في لغة الاقتصاد والسياسة والتكنولوجيا يعطي احتمالات عالية لصياغة مشاهد متنوعة، بحكم مدته الطويلة التي تتيح إمكانية ظهور متغيرات عدة، قد يكون بعضها غير موجود لحظة انطلاق الدراسة، أي أن الحاضر لا يتضمنها لكنها يمكن أن تظهر خلال مسيرة تلك العلاقات ضمن هذا النطاق الزمني.

-المستقبل البعيد جدا: ويكون ما بين (25-50) عاما، وذلك الشكل للمستقبل يكون واسع الاحتمالات بشكل كبير جدا قياسا لسابقه، فالحيز الزمني كافي لظهور تطورات تكنولوجية يمكن أن تغير المشهد الاقتصادي برمته، وربما المشهد السياسي وتحالفاته، وبمعنى آخر إن إمكانية حدوث تطورات اقتصادية وسياسية غير قائمة في الوقت الذي تم الانطلاق منه للبحث والدراسة هي احتمالات عالية جدا بحكم تغير البيئة وأوضاع التفاعل خلالها.

-المستقبل غير المنظور: وهو أبعد من (50) عاما القادمة، وذلك يعد من قبل التنظير غير القابل للتأكيد، كونه يتعامل مع افتراضات وخيال أكثر من التحدث عن الواقع القابل للتطبيق، كون مدة المستقبل تكفي لظهور متغيرات وظواهر على الأرض غير قابلة للتصور في الغالب بحكم طبيعة تطور الصناعات والتكنولوجيا، وتطور الحياة الإنسانية عامة، وبضمنها تطور العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدول والشعوب. الفين توفلر، صدمة المستقبل، ترجمة محمد علي ناصيف، الطبعة الثانية، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 1990، ص ص 11-18. وأيضا وليد عبد الحي، مناهج الدراسات

سيناريوهات؛ قد لا تكون بالضرورة المواجهة المباشرة بين القوتين، حيث يصعب تصور حدوث أمر كهذا لعدة اعتبارات، ولكن تبقى هناك طرق أخرى لتصريف هذا الصراع.

إن التأكيد على فرضية استمرار هذا الصراع بين الدولتين يجد سنده من الكثير من العوامل الداعمة لهكذا فرضية، ومنها الكثير من القضايا الخلافية والغير محسومة التي تشكل نقاط تقاطع بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا...إلخ.

سنحاول من خلال هذا الفصل التطرق لمختلف النقاط سالفة الذكر وذلك عبر مبحثين اثنين:

المبحث الأول: الشرق الأوسط أمام خيارات مفتوحة عنوانها الصراع

المبحث الثاني: عوامل داعمة لاستمرار الصراع الروسي-الأمريكي في المنطقة

المبحث الأول: الشرق الأوسط أمام خيارات مفتوحة عنوانها الصراع

دخلت منطقة الشرق الأوسط في دائرة مغلقة من التوتر والاحتقان والتي لا يبدو أنها تنتهي في القريب، نتيجة الصراعات المفتوحة التي ساهمت في رسمها الدول الكبرى المتصارعة.

إن علاقة الصراع على النفوذ بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وتمظهراتها المتعددة، توحى بمستقبل عنوانه الصراع من أجل تحقيق المصالح والغايات، يعيد إلى الأذهان ما كان يقع بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي إبان الحرب الباردة، عبر الدخول في صراعات تحركها القوتين، مما ينذر بمخاطر كثيرة تكون المنطقة ساحة لها، كخطر التصادم الاستراتيجي في المنطقة (المطلب الأول)، و تحول الصراع إلى فوضى صراعات في المنطقة وخطر التقسيم (المطلب الثاني).

المطلب الأول: خطر التصادم الاستراتيجي في المنطقة

لا يشكل التصادم بالضرورة صراعا مباشرا بين الدولتين في منطقة الشرق الأوسط نظرا للعديد من الحقائق والمعطيات، ولكنه لا يمنع من تحوله - الصراع - إلى تصادم إقليمي برعاية دولية.

الفرع الأول: استمرار الصراع دون المواجهة المباشرة

إذا ما تتبعنا موضوع تطور العلاقات الروسية- الأمريكية عالميا سنرى أن مضمون أو احتمالات الصراع دون المواجهة العسكرية المباشرة، قاعدته موجودة في ثنايا العلاقات المتبادلة فكل من الدولتين لهما من الإمكانيات العسكرية الشيء الكثير، وهو عامل يدفع بهما نحو خفض أي مستوى من التوتر الثنائي، والدفع باتجاه خفض لغة التوتر، كون العلاقات

المتوترة والصراع المباشر يكلفهما الكثير، وخصوصا الخوض في سباق التسلح والتحالفات المضادة ووضع الاستراتيجيات الصراعية¹.

حيث يدرك طرفا الصراع في الشرق الأوسط مدى خطورة الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة بينها، فحجم ونوعية الأسلحة التي يملكها الطرفان قادرة على إلحاق أضرار بليغة ببعضهما البعض، ناهيك عن مكان المواجهة الذي هو الشرق الأوسط والذي يشكل للطرفين وللعالم بأكمله موقعا استراتيجيا نظرا للأهمية الكبيرة التي يحتلها في الكثير من المجالات؛ خاصة كونه الشريان الأساسي لتدفق مختلف أنواع الطاقة للعالم.

كما أن أي مواجهة مباشرة في الشرق الأوسط لن تكون محصورة مكانيا؛ حيث يبقى احتمال انتقالها إلى مناطق أخرى وارد جدا، حيث تشهد الكثير من الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفياتي شكلا من أشكال التوتر بين روسيا والغرب عموما؛ الشيء الذي يجعل احتمال انتقال المواجهة إلى هذه الأماكن أمر وارد. مما يجعل أي صراع قد يحدث، سيكون على الأرجح من قبيل الضرورة المؤقتة، إذ أن الأطراف ليست مستعدة لمواجهة عسكرية واسعة النطاق إطلاقاً².

إن ما يضمه الشرق الأوسط يدفع القوة الكبرى إلى الصراع عليه، وأخطر ما موجود فيه من قضايا هي المتعلقة بالآتي: قضية الطاقة، وقضية الصراع العربي الإسرائيلي، والقضية السورية وقضية ملف إيران النووي، وقضية إعادة تقسيم الشرق الأوسط ضمن خرائط إثنية ودينية، وذلك الأمر ينذر باحتمالات أن يخرج الشرق الأوسط عن السيطرة، ومن ثم ينتشر الاضطراب إلى مناطق أوسع من الشرق الأوسط، كما أن المنطقة تقدم للقوة الكبرى مصالح وموارد يمكن أن تعظم لتلك القوى منافعها وتعطيها إمكانية لتعزيز موقعها في الهرم الدولي.

لذلك ستستمر مظاهر الصراع وأبعاده الأخرى دون المواجهة العسكرية المباشرة، حيث ستحاول روسيا خلق علاقات اقتصادية جديدة، من قبيل صفقات التسلح مع دول تعتبر

¹ عامر هاشم عواد، "التحول في العلاقات الروسية الأمريكية"، *المجلة العربية للعلوم السياسية*، العدد (26)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ربيع 2010، ص ص. 54-57.

² فاتريك روبيرسوك، ترجمة رنا مقداد، "المواجهة الروسية-الأمريكية: الدوافع والكوابح"، *مجلة شؤون استراتيجية*، 29 أكتوبر 2016، <<https://bit.ly/37cQdzb>> (12 ماي 2018)

من الحلفاء التقليديين للولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً أمام التراجع الملحوظ للأخيرة في المنطقة، كما ستعمل أيضاً على إعادة العلاقات التاريخية مع العراق إلى سابق عهدها، كما كانت قبل احتلاله من طرف تحالف دولي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، أمام تصاعد المطالبات بضرورة مغادرة القوات الأمريكية من العراق؛ لذلك ترى روسيا أن الفرصة مناسبة للعودة إلى العراق من البوابة الاقتصادية وبمساعدة من الحليف الإيراني المهيمن على المشهد العراقي، والرافض هو الآخر لأي وجود أمريكي خاصة بعد مقتل قاسم سليماني.

وعلى المستوى السياسي ستبقى الملفات الساخنة بين واشنطن وموسكو محل صراع خاصة الملف السوري والملف الإيراني، وهما الملفان اللذان قد يشهدا تطورات في المستقبل القريب خصوصاً أمام التحالف المعلن بين سوريا وإيران، حيث يشكل الملفان أحد أكبر القضايا الخلافية التي بين واشنطن وموسكو، والذي وصل السجال والصراع حولهما إلى أروقة مجلس الأمن.

من المتوقع أن يستمر هذا الخلاف وستستمر موسكو بتقديم العون لحليفها دون الاكتراث لأي محاولة أمريكية لثنيها على ذلك، لأن سقوط هذين النظامين يعني بالضرورة خروج روسيا من منطقة الشرق الأوسط، وعودة لاستبعاد أي مواجهة عسكرية مباشرة بين القوتين.

نشير إلى أن موسكو تنهج سياسة حذرة، إذ يتمتع الكرملين بقدرة على استيعاب الاستفزازات الصغيرة من وقت لآخر (مثل الحوادث الجارية في الشرق الأوسط)، ويتمتع بحذر كبير جداً في اتخاذ أي إجراء جدي يتطلب استخدام القوة، وقد يؤدي إلى خسائر ملموسة. حتى عندما أسقطت تركيا الطائرة الروسية على الحدود السورية، لم يكن هناك أي رد عسكري عملي، على العكس من ذلك، استغلت موسكو الأوراق الدبلوماسية ببراعة عالية، لتنتهي الأزمة بعلاقة جديدة مع أنقرة، وبمكاسب جيوسياسية ملموسة لصالح موسكو، دون المواجهة العسكرية المباشرة.

يعتمد المراقبون على عاملين للقول بإمكانية الاشتباك العسكري الأمريكي- الروسي، أحدهما: الخطاب المستخدم حالياً، حيث هناك الكثير من الكلام والمهاترات، مقابل مستوى شبه معدوم من الثقة، والأمر واضح بأنه لا أحد يتحمل مسؤولية تصريحاته على الجانب الغربي من المحيط الأطلسي.

كما أن هناك الكثير من التصريحات التي أطلقت خلال الأشهر القليلة الماضية وكلها تشير إلى حرب مباشرة، ولكن ما نريد قوله في هذا السياق أن من يفكر بأن مثل هذه التصريحات هي «مؤشر» على حرب ما وشيكة، إنما يفكر في عقلية القرنين الماضيين. إذ أن وظيفة هذه الخطابات الدبلوماسية التصعيدية في عالم اليوم، لا تتعدى حدود الإعلان عن حدود التقاطعات والاختلافات بين القوى الدولية. هذا فضلاً عن أن الحروب بالمعنى التقليدي قد انتهت إلى غير رجعة.

يبقى من المستبعد تماماً أن تكون سورية- رغم حدة الصراع الدائر فيها- سبباً لاندلاع حرب بين القوتين العظميين، لا سيما أن العمل الجاري بينهما منذ سنوات عدة لا يزال يعتمد على التنسيق رغم الصراع والتحركات العسكرية المحدودة عندما يقتضي الأمر ذلك.

ستبقى العلاقة الصراعية قائمة بين الطرفين، تنفي الحديث عن تقارب أو تطور في العلاقات لأنه ليس بالأمر السهل، أي بمعنى أن هناك كوابح سنتحدث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل تعيق إمكانية التحول صوب التعاون، وتهيئ لظهور مشهد الصراع¹.

الصراع في العلاقات الروسية- الأمريكية في الشرق الأوسط، ينذر باحتمالات اندفاعهما كلاهما أو أحدهما بقصد استقطاب المنطقة ككل أو مجموعة من دولها إلى إحدى القوتين، وإلى الضد من إرادة الطرف الآخر، والأمر لا يقتصر على الاستقطاب فحسب، وإنما جعل البيئة الإقليمية للشرق الأوسط غير مواتية لمصالح الطرف الآخر².

¹ تسفي ماغين، روسيا في الشرق الأوسط، سياسة في امتحان، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، بيروت، 2013، ص ص. 16-19.

² Keith C. Smith, *Russian Energy Policy and its Challenge to Western Policy Makers*, Center for Strategic and International Studies, Washington, Marche 2008, pp : 3-4.

الفرع الثاني: تحول الصراع إلى تصادم إقليمي برعاية دولية

اعتمد منطق الصراع على النفوذ بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في منطقة الشرق الأوسط على محاولة تصريفه في إطار صراعات إقليمية، وعدم السماح لطراف ما بتحقيق التفوق الكامل على طرف آخر، مما ينذر بانفجار المنطقة وحدوث صراعات إقليمية كبرى.

الفقرة الأولى: معادلة توازن الضعف الإقليمي في المنطقة

يرى بعض المحللين أن السلام في منطقة الشرق الأوسط ليس من مصلحة القوى الكبرى، وذلك بسبب أهدافها ومصالحها الإستراتيجية في المنطقة، فما هو مهم بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وروسيا مثلاً هو استمرار الصراعات في هذه المنطقة، بل وتحويلها إلى حروب إن أمكن ذلك¹.

فالولايات المتحدة الأمريكية تحاول الحفاظ على استمرار سيادة الدولار كعملة قيادة من بين العملات الدولية الأخرى، محاولة بذلك إعادة تدوير أموال النفط لكسب الأرباح من صناعة النفط وبيع المنتجات العسكرية إلى دول منطقة الشرق الأوسط، مقابل الاستيراد النفطي. كما تحاول روسيا أيضاً الحفاظ على مصالحها ولو بالقوة، وهذا ما يفسر تدخلها بالقوة من أجل دعم النظام السوري، والحيلولة دون سقوطه، فالصراع السوري الحاصل الآن والذي أضحى من الصعب التكهّن بمستقبله، فأحد أهم السيناريوهات هو تحول هذه الحرب الداخلية إلى حرب إقليمية تشترك فيها دول الإقليم².

ولتحقيق مختلف تلك الغايات عملت هذه القوى إلى معادلة توازن الضعف الإقليمي في المنطقة، حيث لم تعد تخضع الصراعات المفتوحة في منطقة الشرق الأوسط للحسابات الضيقة، كنظرية تصفير المشكلات التي ابتكرها داود أغلو عندما كان وزيراً للخارجية

¹ Anthony H. Cordesman, "US strategic interests in the middle east and the process of regional change", center for strategic and international studies C.S.I.S, Washington, 2006, P. 4.

² رابحة علام، "الفوضى الشاملة في سوريا"، ملحق تحولات استراتيجية، "السيناريوهات المستبعدة: التطورات الأقل احتمالاً والأكثر تأثيراً في مستقبل المنطقة العربية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 185، يوليو 2011.

التركية¹، أو اللجوء إلى الحلول الصفرية بسبب أن تلك الصراعات مرتبطة بمصالح القوى الإقليمية ومصالح الولايات المتحدة والغرب وروسيا، مما يؤسس لمعادلة جديدة يمكن تسميتها بتوازن الضعف التي تفرض على الدول الإقليمية اللجوء إلى التسويات والتوافقات تحت نظر ورعاية الولايات المتحدة وروسيا.

هذه المعادلة تمنع من وجود طرف منتصر دون بقية الأطراف، والتي لن تترك طرف مهزوم أيضاً، حتى تجعل جميع القوى الإقليمية والأطراف متعادلة و تجبرهم نحو التوافق والتسويات.

المعادلة الجديدة لن تسمح بوجود صراعات صفرية على الأرض والتي تنتهي بهزيمة طرف وانتصار الطرف الآخر، بل يجب أن تترك الصراعات مفتوحة في منطقة الشرق الأوسط حتى تدين جميع القوى والأطراف الإقليمية للقوى كبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

تهدف المعادلة إلى رسم حدود لكل طرف من القوى الإقليمية حتى لا تسمح لهم بتجاوز تلك الحدود المرسومة، والأهم من ذلك بأن تلك المعادلة وتلك الإستراتيجية لا تسمح لأي طرف بحسم أي صراع بمفرده؛ يعني ذلك أن تلك الإستراتيجية وتلك المعادلة الجديدة تفرض على القوى الإقليمية وعلى الأطراف التابعة لهم أن يخضعوا إلى التسويات وإلى الحلول الوسطية.

لقد تم رصد تطبيق تلك المعادلة وتلك الإستراتيجية في العديد من الملفات في المنطقة، بدأ من الملف النووي الإيراني الذي لم تسمح الولايات المتحدة الأمريكية باستكمالها مع محاولة إخضاعه لبرامج التفتيش من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وفي نفس الوقت لم تستطع أمريكا القضاء عليه بسبب الدعم الروسي المتواصل لإيران كحليف استراتيجي في المنطقة؛ مما يجعل الملف الإيراني متعثراً وقابلاً للانفجار في أي لحظة.

ويمكن أن تنطبق تلك الإستراتيجية وتلك المعادلة في الملف السوري المعلق، حيث لم تسمح روسيا للولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين بالإطاحة بالنظام السوري، ولم تسمح

¹ خالد بشير، " "تفسير المشكلات" .. إستراتيجية أردوغان التائهة"، مجلة حفریات، 2 غشت 2019، <<https://bit.ly/3nWFu2K>> (20 غشت 2019)

الولايات المتحدة أيضا لروسيا والنظام السوري بالقضاء بشكل كامل على قوى المعارضة¹، مما يترك الملف مفتوحا على احتمالات متعددة، تدخل ضمنها حسابات الدول الإقليمية المدعومة من طرف كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية. هذه الدول الكبرى لن تسمح لأي طرف إقليمي بالهيمنة بمفرده دون بقية الأطراف الإقليمية الأخرى.

ونفس الأمر ينطبق على أزمة اليمن؛ حيث هناك طرف إقليمي يدعم الحوثيين بدعم روسي، وفي المقابل نجد التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات بدعم أمريكي مباشر، هذه الصراعات تخضع لحسابات معقدة بسبب تشابك وتقاطع الصراعات مع حسابات ومصالح القوى الإقليمية والدولية.

الصراعات المفتوحة في المنطقة خلقت دولا هشة وضعيفة كتسريح الجيش العراقي بعد احتلال العراق من قبل أمريكا، وترك الجيش اللبناني في حالة ضعف ، وانهيار دول مثل سوريا واليمن وليبيا، الشيء الذي سمح بإنشاء مليشيات ونشوء دول موازية كحزب الله في لبنان، وحزب أنصار الله في اليمن، والمليشيات في العراق وفي ليبيا والتنظيمات الجهادية في سوريا.

تحولت تلك الصراعات المفتوحة من نطاقها الداخلي إلى أفق إقليمي أوسع، فرض صعوبات عديدة وعصية أحيانا على احتمالات التوصل إلى تسويات وتوافق إقليمي برعاية أمريكية وروسية، بسبب أنها خرجت عن الاستراتيجيات المرسومة والمعدة.

مما أبان على واقع جديد فرض نفسه على الأرض في منطقة الشرق الأوسط، يوحي بمواجهات عسكرية إقليمية في المستقبل.

الفقرة الثانية: خطر الانفجار الكبير في الشرق الأوسط

لم تتوقف حالات الحرب واحتمالاتها، منذ عام 2003 فقد بدأ التوتر يغزو العراق، وإثارة احتمالات الهدف التالي قبل أن تنفجر حرب أخرى في لبنان 2006، مع وجود

¹ إبراهيم فريجات، " التدخل الروسي في سوريا.. هل يقلق أمريكا"، مركز الجزيرة للدراسات، 6 أكتوبر 2015، <<https://bit.ly/2VcRz7A>> (13 ماي 2018)

احتمالات تقرر أن ثمة حرب رابعة في الخليج بين إيران ودولة خليجية، مع وجود أزمات مسلحة بين تركيا وحزب العمال الكردستاني وشمال العراق أو بين إسرائيل وسورية...

ويقول (كريستان جيرار) " نحن نمضي نحو قرون وسطى جديدة بعد فترة من اللااستقرار والمواجهات في الخارج وفي المنطقة العازلة الفاصلة بين المركز* والمحيط"¹.
إذ يؤكد أحد خبراء الشرق الأوسط (من أنه قد تنفجر منطقة الشرق الأوسط إلى حرب إقليمية وأن ذلك مجرد وسيلة نصف خطوة من الصراع العالمي)².

لنتذكر جيداً أن لعبة إشعال الحروب هي الهواية الدائمة لدول الغرب الرأسمالي، وهو من يلجأ إلى إشعالها بين الحين والآخر، ولذا نستطيع القول أن أكثر دول المنطقة ذات توجهات أمريكية، فهي اليوم تحاول أن تكرر لعبة حرب الخليج العراقية الإيرانية وذلك يعود لعدة أسباب منها لتنشيط مصانع الأسلحة الأمريكية وتوظيف الأيدي العاملة³.

لذلك لم يخطئ الاستراتيجي (كلاوزفيتس) حينما أشار إلى أن الحرب هي استمرار للسياسة ولكن بوسائل أخرى، ولا نستطيع إطلاقاً أن نفصل الدافع السياسي ومؤثر البيئة عن الحرب.

لطالما سمعنا وقرأنا أن المستقبل سوف يشهد حروباً من أجل المياه، وبالمقابل نحن نسأل هل يمكن للصراعات الإقليمية الموجودة في مناطق تركيز الطاقة ولاسيما منطقة الشرق الأوسط أن تتحول في المستقبل إلى حروب إقليمية للسيطرة على هذا المورد النفيس؟، ويمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال الأسطر القليلة القادمة. فللحصول على صورة أكثر دقة عما يكمن وراء استمرار الصراع يجب علينا معرفة العديد من العوامل التي تعمل على إدامة الصراعات الموجودة بدلاً من حلها*.

* يقصد بالمركز الولايات المتحدة الأمريكية حالياً، وحولها حلفاء يقتربون من هذا المركز بينما تتوزع كل دول العالم الباقية على امتداد المحيط.

¹ خير الدين نصر عبد الرحمن، "آسيا مسرح حرب عالمية محتملة"، سلسلة دراسات استراتيجية، ط الأولى، العدد 56، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2001، ص. 120.

² المرجع نفسه.

³ مصطفى محمود، *المؤامرة الكبرى*، مطابع دار أخبار اليوم، بدون تاريخ، ص. 36.

* سنتحدث على هذه العوامل بشكل من التفصيل في المبحث الثاني.

حيث يعد النفوذ الأجنبي في المنطقة والمتمثل في (بالولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، روسيا الاتحادية*، الصين وفرنسا) والتي من دونها -الدول- لم يكن هناك أي صراع أصلا في الشرق الأوسط؛ لأن نفوذهم في المنطقة هو الذي يوجب الصراعات الموجودة، وإذا ما فقدت السيطرة أو حاولت التغلغل أكثر في المنطقة حولت هذه الصراعات إلى حروب.

زد على ذلك التحكم والسيطرة في احتياطات نفط الشرق الأوسط؛ واستغلال الموارد النفطية الهائلة، ولو لم يكن هناك نفط لما كان هناك أي تدخلات أصلا¹. كذلك مبيعات الأسلحة الغربية لمنطقة الشرق الأوسط، حيث أصبحت تعد من المناطق الأكثر خطورة، نتيجة للتسليح الهائل الذي تشهده دول المنطقة ولاسيما الخليجية منها، والتي كانت من أهم المسوغات للحرب العراقية الإيرانية 1980-1988، والاحتياح العراقي للكويت 1990².

وفي الوقت نفسه لا تزال كل من إيران وإسرائيل اللتان تمثلان عقبة أمام تحول الشرق الأوسط إلى منطقة سلام، إذ تعيش الدولتان خارج السرب الإقليمي والدولي وتحديثان ضررا هائلا بمستقبل الإقليم العالمي (الشرق الأوسط)، فإسرائيل التي لم توقع على اتفاقية منع الانتشار النووي، وإيران التي تحاول اليوم خرق هذه الاتفاقية، بتصرفهما هذا يعرضان دول الشرق الأوسط إلى أضرار آنية ومستقبلية، والتي من المحتمل أن تقود هذه التحديات إلى حرب بين الطرفين³.

* ففي هذا المجال نستطيع أن نذكر ما قاله وزير الخارجية الروسي "سيرغيو لافروف" حول الصراع الدائر في سورية حاليا، حين أكد على "أن سوريا تعتبر من أهم الدول في الشرق الأوسط، وأن عدم الاستقرار فيها ستكون له عواقب وخيمة على دول المنطقة أولا، والبعيدة عن سوريا ثانيا، إذ ترى روسيا في سوريا حجر الزاوية في أمن المنطقة الشرق الأوسطية، وأن نشوب الصراع فيها سيؤدي إلى حرب أهلية لها ولدول الجوار، وبالتالي يعتبر ذلك تهديدا حقيقيا للمنطقة. للمزيد أنظر نورهان الشيخ، مصدر سبق ذكره.

¹ نايف علي عبيد، دول مجلس التعاون الخليجي في عالم متغير: دراسة في التطورات والعلاقات الخارجية: 1990-2005، مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى، 2007، ص. 411.

² عصام نايل المجالي، تأثير التسليح الإيراني على الأمن الخليجي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2012، ص. 61.

³ محمد قدرى سعيد، "مخاطر مباشرة: مستقبل السياسات الدفاعية في العالم"، مجلة السياسة الدولية، العدد 187، القاهرة، يناير 2012، ص. 97.

فالصراع بين البلدين ومعهما الولايات المتحدة الأمريكية، والتدخلات الروسية المساندة للمواقف الإيرانية في الكثير من القضايا، تفاقم الوضع إلى حد الصدام المسلح* واستخدام القواعد العسكرية الغربية في الخليج العربي هو ما سيدفع المنطقة إلى تناحر داخلي، واستنزاف للموارد مما سيزيد من سيادة إسرائيل في المنطقة¹.

لا يزال الصراع بين البلدين قائماً ودخلت مرحلة جديدة فيما سمي بحرب المستقبل، حيث تم شن هجمات فيروسية _ مثل فيروس ستاكس نت _ لتخريب البرنامج النووي الإيراني وتدمير أجهزة الطرد المركزي الإيراني، هذه الحروب الالكترونية التي من الممكن أن تتطور في المستقبل لتكون حرب عسكرية²، لاسيما إذا ما عملت إيران على نشر منظومة صواريخ أرض - جو الروسية طراز S300، حتى لو تم هذا الأمر فإن العمل العسكري ضد إيران من جانب إسرائيل أو الولايات المتحدة الأمريكية يحمل في طياته مخاطر إشعال صراع إقليمي ذي عواقب كارثية غير محتملة في الشرق الأوسط³.

حيث يرى الكثير من المحللين أن احتمال الدخول في مواجهة مسلحة يبقى أمر وارد، تدعمه الأحداث على الأرض خصوصاً تطور الأحداث في سوريا؛ حيث إن التوتر المتزايد على الحدود الشمالية لإسرائيل، تثير مخاوف بشأن مواجهة أخرى بين إسرائيل و «حزب الله» أو اندلاع حرب بين إسرائيل وإيران في سوريا. وقد لا تقتصر حرب مماثلة على المشاركين الأصليين فحسب، بل قد تشمل مجموعة من الميليشيات الشيعية وحتى نظام الأسد، كما يمكن أن تمتد إلى كافة أرجاء المنطقة - وبالتالي تؤثر على المصالح الأمريكية والروسية الحيوية هناك.

*يزيد هذا الاحتمال ما تتعرض له إيران من عقوبات دولية، حيث أن أي حرب عسكرية في المستقبل قد تؤدي إلى توقف الملاحة في مضيق هرمز، أو قد يتم إعاقته بشكل كبير، ومن ثم سوف يحدث ارتباك في سوق الطاقة على المستوى العالمي، والذي يؤدي وقتئذ لحالة من الخوف من انقطاع الإمدادات النفطية، وارتفاع أسعار الزيت الخام والمنتجات النفطية، ناهيك عن أسعار النولون البحري وتكاليف الشحن وأسعار التأمين...

¹ جواد الحمد، "الحراك السياسي والأمني في الشرق الأوسط: الدلالات والآفاق"، مجلة دراسات شرق أوسطية، عمان، الأردن، يناير 2010.

² عادل عبد الصادق، "حروب المستقبل: الهجوم الإلكتروني على برنامج إيران النووي"، مجلة السياسة الدولية، العدد 184، القاهرة، 2011.

³ إيرل تيلفورد، الإصلاح الدفاعي في الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل الحرب، بحث في كتاب التطورات الإستراتيجية العالمية رؤية استشرافية، مجموعة مؤلفين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 2011، ص. 139.

هذا التوتر يجد أساسه في عاملين أساسيين أولهما الجهود التي يبذلها حزب الله بمساعدة إيران وأمام أنظار روسيا لتطويع صواريخ عالية الدقة في لبنان وسوريا، يمكن أن تؤثر على البنية التحتية الحيوية لإسرائيل من جهة، وجهود إيران لتحويل سوريا إلى نقطة انطلاق للعمليات العسكرية ضد إسرائيل، ومنصة لإبراز القوة في بلاد المشرق من جهة أخرى. إلا أنها لا تحبذ الحرب المباشرة.

ويبدو أن إسرائيل عازمة على تجنب الحرب أيضا، رغم أن أفعالها تظهر أنها مستعدة لقبول خطر التصعيد لمواجهة هذه التهديدات الناشئة. وبالفعل، فمنذ عام ٢٠١٣، نفذت أكثر من ١٣٠ ضربة في سوريا ضد شحنات من الأسلحة الموجهة لـ «حزب الله»، ومنذ أواخر عام 2017، وسعت هذه «الحملة بين الحروب» لاستهداف المنشآت العسكرية الإيرانية في سوريا - دون أن تؤدي، حتى الآن، إلى إثارة مواجهة أوسع نطاقا¹.

إلا أن هذا الشعور بالرضا ليس له مبرر، فقد جاءت المواجهات العربية-الإسرائيلية الكبرى في الماضي القريب (لبنان في عام 2006، وغزة في 2014) نتيجة تصعيد غير مقصود. كما أن الديناميكية الناشئة بين إسرائيل، وإيران، و «محور المقاومة» كانت بمثابة صيغة لـ «حادث» ثالث كبير، ولذا تستحق التحليل الدقيق².

إن احتمال وقوع حرب في سوريا يبقى احتمال وارد، فنتيجة الحرب الدائرة في سوريا، ونظرا للدعم الروسي لنظام بشار الأسد والتدخل الإيراني الداعم لهذا الحلف الشيعي، تمكنت الأخيرة من بناء بنية تحتية عسكرية في سوريا، ونشر مقاتليها على الحدود الإسرائيلية، كل ذلك جعل من إمكانية نشوب حرب أمرا ممكنا. بل وعلى جبهات متعددة كاليمن والعراق وسوريا...

وهذا ما جاء على لسان الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله، وربما مع بعض المبالغة، عندما حذر في حزيران/يونيو 2017 من أنه «إذا شنت إسرائيل حربا ضد سوريا أو لبنان، فلا أحد يدري إن كان القتال سيبقى لبنانيا-إسرائيليا، أو سوريا-إسرائيليا».

¹ Nadav Ben Hour and Michael Eisenstadt, "The Great Middle Eastern War of 2019", THE WASHINGTON INSTITUTE, August 20, 2018, <https://bit.ly/3fJnaHi> (March 12, 2019)

² Ibid.

و "قد يفسح ذلك الطريق أمام الآلاف، وحتى مئات الآلاف من المقاتلين من جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي للمشاركة". وبالمثل، صرّح قائد «الحرس الثوري الإسلامي» الإيراني محمد علي جعفري في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧ أن "مصير جبهة المقاومة مترابط والجميع يقفون متحدون، وإذا هاجمت إسرائيل أي طرف منها، سيهبط الطرف الآخر من الجبهة لمساعدته".

من المرجح أن تحدث مثل هذه الحرب نتيجة لتصعيد غير مقصود، في أعقاب إجراء إيراني آخر ضد إسرائيل من سوريا، أو في أعقاب ضربة إسرائيلية في لبنان أو سوريا (على سبيل المثال، ضد منشآت إنتاج الصواريخ). ويمكن أن تبدأ نتيجة لضربة أمريكية و/ أو إسرائيلية على برنامج إيران النووي، وقد تحدث حتى نتيجة لصراع يبدأ في الخليج لكنه يصل إلى حدود إسرائيل.

ويمكن لحرب جديدة أن تأتي على شكل أحد السيناريوهات التالية: إما حرب بين إسرائيل وحزب الله اللبناني، ويشارك فيها آلاف الشيعة الإيرانيون، في حين تبقى الجبهة السورية هادئة نسبياً، كما يمكن أن تكون الحرب على الأراضي السورية بين الإيرانيين والإسرائيليين، وهنا لا يستبعد تدخل روسيا لحماية حلفائها في المنطقة. أو قد تشهد المواجهة كل الجبهات؛ سواء السورية أو اللبنانية.

كما يبقى احتمال تطور الصراع إلى حرب إقليمية تشارك فيها دول خليجية كالسعودية والإمارات بالإضافة إلى إسرائيل، حيث تشن إسرائيل هجماتها على إيران بدعم ومساعدة من الأطراف الخليجية مستهدفة المنشآت النووية والبنى التحتية والقطاع النفطي... في حين ترد إيران بصواريخ باليستية ضد منشآت إسرائيلية، وكذا استهداف الدول الخليجية المساهمة إلى جانب إسرائيل.

يبقى التساؤل حول الدور الروسي الذي يعد طرفاً فاعلاً رئيسياً في سوريا ويمكن أن يكون عاملاً أساسياً في حرب مستقبلية. والأسئلة التي تطرح نفسها هنا، هل ستقف موسكو جانباً، أم أنها ستحد من قدرة إسرائيل على ضرب القوات الموالية للنظام في سوريا لمنع خسارة مكاسب الحرب الأهلية ضد نظام الأسد ما بعد عام ٢٠١٥؟ وهل ستبقى واشنطن

غير منخرطة عسكرياً - ربما فيما يتخطى زيادة الدفاعات الصاروخية الإسرائيلية - أم أنها ستؤدي دوراً أكثر فعالية، وترى ذلك كفرصة لضرب إيران، وبالتالي تعمل على تحقيق هدفها في تقويض نفوذ هذه الأخيرة في المنطقة؟.

بالنظر إلى واقع الأحداث، قد تواجه إسرائيل صعوبات كبيرة، ألا وهي: محاولة روسيا إحباط الاستخدام الحاسم للقوة من الجانب الإسرائيلي، وتحفظ الولايات المتحدة، ودبلوماسية القوة العظمى غير الفعالة قد تمنع إسرائيل من تحقيق أهدافها العسكرية الكاملة - الأمر الذي لا يختلف تماماً عن خاتمة حرب أكتوبر 1973. وقد يؤدي ذلك إلى حرب طويلة الأمد، وربما إلى حرب تنتهي دون أن تحقق إسرائيل أهدافها.

وقد يكون الهدف من أي محاولة عسكرية إقليمية في المنطقة، هو رغبة الولايات المتحدة الأمريكية على المحافظة على الوضع القائم في الشرق الأوسط، وتحتاج لذلك بالضرورة إلى تقليص الدور الروسي وإضعافه قدر الممكن، وهو ما يمكن أن نعتبره سيناريو أول قد تلجأ إليه الولايات المتحدة الأمريكية.

ويمكن تلمس حدود هذا السيناريو من خلال منع الروس من التحكم بمعادلات الصراع السياسي في منطقة الشرق الأوسط، ويكون ذلك عبر تدخل أمريكي أوسع وأشمل بتغيير قواعد الصراع التي يمكن للروس أن ينفذوا منها ويضعفوا الدور الأمريكي باقتطاع جزء من فاعليته.

إن الدور الأمريكي في إضعاف الدور الروسي في الشرق الأوسط يقوم على تفكيك الحلف الروسي الإيراني مع النظام السوري وهو الحلف الذي منح الحيوية والقدرة لروسيا لزيادة نفوذها، فإذا أخرج الأمريكيون إيران من مناطق تدخلها في الشرق الأوسط سيصبح الموقف الروسي أضعف كثيراً¹، أما إذا رفض الروس إضعاف الدور الإيراني فسيكونون في موقع وسط بين مطرقة المصالح الأمريكية الإسرائيلية الراضية لأي وجود إيراني في المنطقة وتحديداً في سوريا، وسندا إيران التي قد تختلف مصالحها في سوريا عن مصالح روسيا.

¹ أسامة آغي، " العلاقات الأمريكية الروسية شرق الأوسطية : صراع أم تقاسم نفوذ "، مرصد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الإعلامي، 20 غشت 2018، <<https://bit.ly/3fRG4Mw>> (12 ماي 2019)

لن تكون أي الحرب بين إسرائيل وإيران وحلفاءها سواء كانت في سوريا أو في لبنان، مجرد إعادة لما وقع في "حرب لبنان الثانية" عام 2006، إذ أن معطيات وتطورات الحرب السابقة توحى أن مثل هذه الحرب ستشمل على الأرجح العديد من الجهات الفاعلة، ومسرح عمليات أكبر، وتحديات غير مسبقة لإدارة التصعيد، وخوض الحرب وإنهاءها - وإمكانية اندلاع فوضى صراعات في الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: تحول الصراع إلى فوضى صراعات في المنطقة وخطر التقسيم

لقد تميزت فوضى الصراعات التي يشهدها الشرق الأوسط بتعدد الفاعلين؛ فبينما تبقى الدولة الفاعل الأساسي والمهيمن على مختلف التفاعلات التي تحدث في المنطقة، هناك فاعلون آخرون انضموا إلى المنطقة أمام القوى الدولية الكبرى، وأحيانا كثيرة بمباركة منها خدمة لمصالحها الكبرى، مما يؤشر على مرحلة صعبة قد تدخلها المنطقة من أبرز عناوينها خطر التقسيم.

الفرع الأول: خصخصة صراعات مسلحة في المنطقة

تعد الدول تاريخيا هي الطرف الرئيسي في البيئة الدولية، ولا تزال كذلك رغم دخول فواعل دولية أخرى كأطراف رئيسة في التفاعلات الدولية، إذ أن أدوار الدول أصبحت تواجه تحديات متزايدة من قبل الأطراف الفاعلة غير الحكومية¹.

شكل الشرق الأوسط منطقة تباين لمصالح الدول الاستعمارية، فالدول القوية المتصارعة على المنطقة _ومنها الولايات المتحدة وروسيا_، تعد بكل بساطة أن المنطقة عبارة عن رقعة شطرنج سيفوز بها اللاعب المحترف. اليوم لا توجد أي مواقف صريحة معلنة، إنما يستخدم كل لاعب الورقة الراحلة له ويتحرك في صمت وهدوء نحو محاولة تقسيم المنطقة بينهم، وبحسب ما انتهى إليه كل لاعب.

¹ هاري آر. ياغر، الاستراتيجية ومحترفوا الأمن القومي: التفكير الاستراتيجي وصياغة الاستراتيجية في القرن الحادي والعشرين، ترجمة، راجح مجرز علي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2011، ص. 104.

فالدول الكبرى تحرك القوى الإقليمية التابعة لها، طبعاً بما يخدم مصالحها الكبرى، والدول الإقليمية هي الأخرى تستخدم القوى التابعة لها لتحقيق الأجندة المشتركة لها مع حليفها، فروسيا ستحاول الاستفادة من العلاقات المتميزة مع إيران لتحقيق مصالحها الاستراتيجية في المنطقة، في حين ستحاول إيران أيضاً الاستفادة من العلاقات مع روسيا في محاولة للفوز ربما بسلحها النووي، وتوسيع وتقوية أذرعها بالمنطقة سواء في العراق أو سوريا أو اليمن أو حزب الله¹ في لبنان، وذلك بالدعم المادي والتسليح النوعي الذي يمكن من قلب المعادلة لصالحها²، من أجل تنفيذ مخططاتها في المنطقة والتي قد تستغلها من حين لآخر، بتحويل أي مواجهة مسلحة محتملة لوكلائها بالمنطقة، كي لا تكون هي في مواجهة الصراع.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد قضت عقوداً من الزمان وهي تقوم بتوظيف الإسلاميين المتشددين، والتلاعب بهم وخداعهم واستغلالهم بدهاء لتنفيذ المخططات الغربية بوصفهم حلفاء الحرب الباردة³، فهي التي وظفت واعتمدت كثيراً على الجماعات المسلحة _والتي فيما بعد أطلقت عليهم الجماعات الإرهابية_ ليكونوا شركاء لها خلال تنفيذ

¹ نشأ حزب الله في لبنان بعد حصول الانقسام في حركة أمل الشيعية اللبنانية بعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية في العام 1979، والتي تسببت بانقسام الحركة إلى جانبين، أحدهما حركة أمل التي ترى أن المرجعة الدينية لا بد أن تكون من داخل لبنان، فيما دعا الجناح الآخر إلى اتخاذ الإمام الخميني قائد الثورة الإيرانية كمرجعية للشيعية في كل أنحاء العالم بما فيها لبنان، وازداد الانقسام بين الجانبين عقب الاجتياح الإسرائيلي لبيروت عام 1982، من مؤيد للتفاوض مع إسرائيل ممثلاً بحركة أمل، وآخر متمسك بخيار المقاومة، فكان انشقاق بعض كوادر وقادة حركة أمل مكونين حزب الله الذي اعتمد المقاومة خياراً استراتيجياً له في مواجهة إسرائيل، وقد ارتبط الحزب بإيران انطلاقاً من ثوابت عقائدية وفكرية، وبعدها أصبح حزباً سياسياً شارك في الحياة السياسية اللبنانية، وبعد خروج القوات السورية من لبنان على أثر صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1559 في 2002/9/2، كما دعا القرار إلى نزع سلاح الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية ومن ضمنها سلاح حزب الله اللبناني، إلا أن الأخير رفض تسليم السلاح قبل عودة الأسرى للبنانيين، واستعادة مزارع شبعاً مع تأمين حماية الحدود الجنوبية بجيش قوي قادر على ردع وصد أي غزو إسرائيلي، ويصنف الحزب كمنظمة إرهابية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وإسرائيل، في حين يصفه الإعلام الأوربي كجماعة مسلحة متعلقة بالإرهاب. للمزيد أنظر: سعد شاكر شلبي، *التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد الحرب الباردة*، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، الأردن، عمان، 2008، ص ص. 118-122.

² فوز جرجس، *أوباما والشرق الأوسط: مقاربة بين الخطاب والسياسات*، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد 154، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2010، ص. 65.

³ حبيب سويدية، *الحرب الباردة*، ترجمة روز مخلوف، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ص. 16.

مشاريعها الشرق أوسطية منذ دخولها المبكر إلى المنطقة، وتحول وجودها العسكري إلى احتلال عسكري في العراق وأفغانستان¹.

اكتشفت _الولايات المتحدة الأمريكية_ بعد أحداث الحادي عشر من شتنبير 2001 أنها زرعت قوة انقلبت عليها، ومارست الانتقام من قواتها الموجودة في المنطقة، فقد أدركت دول الخليج العربي خطورة هذه الجماعات _التي تسمى راديكالية_ والتي تتبنى العنف والإرهاب نهجا لها².

يطبع عدم الثبات والتغير العلاقة بين الغرب والجماعات المسلحة من زمان لآخر، ومن مكان لآخر، ومن حركة إسلامية لأخرى، فقد ساهمت تلك الحركات الإسلامية في مرحلة الاستعمار الأوربي لنيل استقلال بلدانها، وتمثل ذلك بنسب متفاوتة في الحركة المهدية في السودان والسنوسية في ليبيا والأخوان في مصر، على أن ما يثير الجدل والريبة هي تلك المواقف التي اتخذتها تلك الحركات أثناء الحرب الباردة كحليف للغرب في مواجهة النفوذ السوفيتي، لقد كانت حركات الجهاد الإسلامي في أفغانستان من أكثر حلفاء الغرب في المنطقة، حيث تلقت الكثير من الدعم والمساعدات من الغرب، وبعد أن أنجزت مهمتها وجد الغرب نفسه في وضع صراع مع كثير من المنظمات الإسلامية في أفغانستان³.

فسواء سميت هذه الجماعات بالأصولية الإسلامية أو الإسلام الراديكالي أو المتطرف، فإن هذه التقسيمات كلها أخرجها العالم الغربي، وحدث ذلك بشكل كبير بعد أحداث الحادي عشر من شتنبير 2011، وتدخل في خانة ما يسمى الإسلام السياسي*، فالأسماء هنا لا تهمنا بقدر ما تهمنا أفكار هذه الجماعات، وما هي أهدافها وما هو دورهم في تنفيذ سياسات

¹ روبرت دريفوس، لعبة الشيطان: دور الولايات المتحدة في نشأة التطرف الإسلامي، ترجمة أشرف رفيق، مركز دراسات الإسلام والغرب، 6 أكتوبر مصر، 2010، ص. 9.

² نجاح محمد علي، " البرنامج النووي الإيراني بين شد وجذب"، مجلة آراء حول الخليج، العدد 12، 2005، ص. 10.

³ أياد البرغوثي وآخرون، التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2000، ص. 136.

* يجمع مصطلح الإسلام السياسي كل الجماعات التي تتخذ من الإسلام كدين في تحركها السياسي، وترنو إلى تطبيقه عند الوصول إلى السلطة، على أنه منهج للحياة صالح لكل زمان ومكان.

الدول المتصارعة فيما بينها على منطقة الشرق الأوسط، فكلها أدوات ربما يمكن استخدامها أو أنها مستخدمة** بالفعل لتصفية الحسابات بين دول المنطقة.

وقد حاول (فرانسيس فوكوياما) أن يهيئ الذهنية الأمريكية والغربية بصورة عامة إلى خطر الجماعات المسلحة، التي لم تدخل في مجال المواجهة المباشرة مع الغرب والولايات المتحدة. وهنا نلاحظ الرؤية التنبؤية إلى خطر الحركات المسلحة على دول قوية مثل الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية، حيث أن _ هذه الجماعات _ لديها القدرة على توظيف حالة انعدام القيم الناتجة عن قبول عملية الحادثة الغربية في الدول الإسلامية، ويعد سبب تراجع المسلمين نتيجة لغياب ذلك النموذج الديني الأكثر نقاء، ومن هنا فإن حرب الولايات المتحدة الأمريكية ليس ضد الإرهاب بعينه، أو الإسلام كدين، وإنما ضد (الإسلام المتشدد بحسب وجهة النظر الغربية الذي يرفض كل أنواع الحادثة الأمريكية)¹.

وهي الفكرة نفسها التي جاء بها (بريجنسكي) في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى، وذلك عندما عمل على تحديد ملامح منطقة غير مستقرة تكون مركزا للنزاعات، وهي المنطقة الوحيدة المرشحة لأن تتحول إلى ساحة للحروب بين الدول، نتيجة الاختلاف الديني والعربي، ومن بين أهم تحدياتها هي الأصولية الإسلامية التي تحاول توظيف العداء الديني للغرب، هو ما حصل بالفعل مع تنظيم القاعدة في منطقة الخليج العربي عندما أعلنت على أن أسباب عدائها للولايات المتحدة الأمريكية هو وجود قواتها العسكرية في منطقة الخليج العربي وتقديمها الدعم الكبير لإسرائيل.

ونلاحظ اليوم ما حدث ويحدث في دول الشرق الأوسط، من انتفاضات وثورات ما سمي بالربيع العربي، وصعود تيارات جديدة للسلطة*، إذ إن العودة القوية للجماعات

** لقد مولت الولايات المتحدة الأمريكية سرا أحد آيات الله مؤسس حركة أنصار الإسلام، وهي حليف إيراني متشدد للإخوان المسلمين خلال الانقلاب الذي وقع في إيران بتخطيط من المخابرات الأمريكية في عام 1953، وقد كونت الولايات المتحدة الأمريكية تحالف مع السعودية لاحتواء القومية اليسارية التي انتشرت في مصر والعراق وفلسطين، وكانت تنوي وراء ذلك استغلال سياستها الخارجية لإحياء الوهابية الأصولية.

¹ أياد البرغوثي وآخرون، *التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط*، مرجع سابق، ص. 74.

* يمكن الإشارة هنا إلى أنه عندما سئلت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس عن أن الفوضى في المنطقة الشرق أوسطية قد يؤدي إلى تولي الجماعات الأصولية المتشددة مهام السلطة في البلدان العربية والإسلامية، لم تكثر كثيرا وكان ردها هو أن مخاوفنا من تولي الإسلاميين المتشددين السلطة يجب ألا توقف حركة الإصلاح وراحت تطلق شعار الحوار مع الأصوليين كوسيلة لدعم الديمقراطية في المنطقة.

المسلحة في هذه المنطقة إلى صدارة الأحداث، إنما جاء نتيجة لسوء تقدير القوى الإقليمية والعالمية لقوى هذه الجماعات، والعوامل السياسية والأخطاء الإستراتيجية التي ارتكبتها وترتكبها هذه القوى في مناطق عدة من العالم الإسلامي. وكذا لهامش المناورة الذي يترك لها من طرف هذه القوى الكبرى، التي تستفيد من تواجدها أحيانا كثيرة لتحقيق مصالحها في المنطقة.

إن القاعدة الأساسية التي تخدم الجماعات المسلحة _ كتنظيم القاعدة أو تنظيم داعش _ وتزيد من قوتها وتوسع فروعها، هي مسألة التدخلات العسكرية _ سواء من حلف الناتو أو تدخلات خارج الحلف _ في دول عربية أو إسلامية بشكل مباشر أو غير مباشر؛ إذ يخلق _ التدخل العسكري _ حالة من الفوضى ويحول دولا مستقرة إلى فاشلة، هذه الدول الفاشلة تشكل دائما دعوى مفتوحة لعودة الجماعات المسلحة، وإعادة تنظيم نفسها في هذه المناطق¹، وقد جاء في تقرير لصحيفة الكارديان البريطانية أن جبهة النصرة في سوريا كانت تقوم ببرامج مساعدات للمجتمعات التي تعاني من ويلات الحرب، إذ تقوم هي بملء الفراغ في المناطق التي تخرج عن سيطرة النظام السوري².

ولقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكية إبان احتلالها للعراق لهذه الجماعات المسلحة، وخاصة الشيعية منها للمساعدة في الإطاحة بنظام صدام حسين، وذلك ما كان فعلا، حيث تم السماح للعديد من الميليشيات الشيعية المسلحة في العراق والمدعومة من إيران بالتحرك بحرية ضد النظام العراقي وفلوله.

كان الدافع من وراء تلك الخطوة الأمريكية هي استغلال العداء والحق التاريخي لهذه الجماعات ضد نظام صدام حسين، من أجل المساعدة في الإطاحة به، وبسط السيطرة على كل الأراضي العراقية، وقد استمر هذا الدور حتى بعد سقوط النظام العراقي، وذلك في مواجهة داعش، مما سمح لهذه الجماعات المدعومة من إيران وروسيا بالتمدد والسيطرة على كل الأراضي العراقية تقريبا، مما أعطى للنظام الإيراني نفوذا قويا في العراق.

¹ عبد البارى عطوان، " العصر الذهبي لتنظيم القاعدة "، مجلة القدس العربي، 18 يناير 2013، <https://bit.ly/39tl1yp> < (20 ماي 2018)

² المرجع نفسه.

بعد تمكن هذه الجماعات الشيعية المسلحة ومنها ما سمي بالحشد الشعبي من مفاصل الدولة العراقية، أصبحت تطالب برحيل القوات الأمريكية من الأراضي العراقية، بل وتوحي ضربات عسكرية بين الفينة والأخرى.

وكذلك قد يكون سيناريو الأكراد في شمال سوريا والدعم الأمريكي الكبير لهذه الجماعات المسلحة في مواجهة النظام السوري ومعه الحليف السوري، فالولايات المتحدة الأمريكية عولت على هذا التنظيم في محاربة تنظيم الدولة في سوريا، والآن هي تستغله في الوقوف في وجه النظام السوري، هذه العلاقة قد تعرف تحولا في المستقبل أمام عدم التوافق في الرؤى بين واشنطن وأنقرة من جهة، وبين واشنطن و موسكو من جهة ثانية، الشيء الذي يدفع إلى المزيد من استغلال هذه الجماعات المسلحة لتحقيق غايات القوى الكبرى المرحلية، وذلك لما تشكله هذه القوى من أدوات للصراع بين هذه الدول تستعملها دون أن تكون طرفا مباشرا في أي نزاع محتمل.

لذا يمكن القول أن مصير منطقة الشرق الأوسط بوجود الجماعات المسلحة التي تقاتل في كل مكان، ووجود القوات الأجنبية الغربية، ولاسيما الأمريكية والروسية على أراضيها، إنما يجعل مستقبل المنطقة ذاهب إلى المجهول، ويمكن تصور أكثر من سيناريو لمستقبل المنطقة في ظل وجود هذه الجماعات المسلحة¹.

الفرع الثاني: استمرار الصراعات في المنطقة وخطر التقسيم

تعد منطقة الشرق الأوسط من أكثر أقاليم العالم سخونة، إذ تضطلع القوى الخارجية إليه باستمرار لما يتمتع به من موقع استراتيجي مهم، ولما يزخر به من موارد طبيعية واقتصادية، على رأسها النفط والغاز الطبيعي، فهذا أدى بالدول الأوروبية أن تعمل على تقسيم الدول العربية ودول الشرق الأوسط إلى دول وطوائف وأقليات²، لتبقيها متناحرة ومتنازعة فيما بينها، لإحكام سيطرتها على دول الشرق الأوسط وإبقائها تابعة لها.

¹ Mark N. Katz, *Leaving Without Losing : The War on Terror After Iraq and Afghanistan*, The Johns Hopkins University Press, Washington 2012, p p. 135- 136.

² حيث تجتمع الديانات الإبراهيمية الثلاث في هذه المنطقة، وفيها ولد أب الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) في العراق، وابنه إسماعيل عليه السلام في فلسطين، وموسى عليه السلام في مصر، والمسيح عيسى عليه السلام في بيت لحم في فلسطين،

تميز عام 2011 بأنه عام الثورات والتغيير في العالم العربي، إذ خرجت الشعوب لتعبر عن إرادتها وتبني أنظمتها بنفسها، فالأحداث في المنطقة تمضي بوتيرة سريعة جدا تدعو للقلق، ففي ظل هذا (الربيع) أخذت التكهّنات السوداء تطفو على الساحة، ولا أحد يمكنه التكهّن بنهاية الأحداث. وكيف حدثت؟ وهل حدث كل شيء بشكل عفوي؟ أم أن الأمر مخطط له مسبقا؟ وهل بالفعل ما يحدث اليوم هو سايكس بيكو جديد تعد خريطة طريق جديدة لمشروع شرق أوسط جديد؟

فـ"الفوضى الخلاقة" مصطلح انتشر مع غزو العراق عام 2003 من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وليس هناك أدنى شك - من وجهة النظر الأمريكية - من أنه يقصد به تكوين حالة اجتماعية واقتصادية مرغوبة ومريحة بعد إحداث فوضى مقصودة، مثل الذي حدث في جنوب السودان، أو احتلال كما حصل للعراق أو تمرد كالذي حدث في ليبيا...

لقد مثلت الحرب الأمريكية على العراق في مارس 2003 نقطة تحول مهمة، ليس في تاريخ العراق فحسب، بل على مستوى منطقة الشرق الأوسط ككل، إذ أدت الحرب إلى انهيار الدولة العراقية، وأخلت بموازن القوى في المنطقة، وأشعلت فيها الصراعات العرقية والطائفية والمذهبية، وخلقت بذلك حالة من الفوضى العامة زعزعت استقرار منطقة الشرق الأوسط¹.

لقد أصيب العالم العربي منذ مطلع عام 2011 بزلزال سياسي، فقد تم تقسيم السودان إلى دولتين، وسقطت أنظمة حاكمة بفعل ثورات شعبية، في تونس ومصر وليبيا واليمن، وانتقلت إلى البحرين وأصبحت صراع لاستراتيجيات عالمية في سورية، وشهدت دولا أخرى حراكا احتجاجيا مثل الأردن والمغرب والجزائر والعراق².

إن موجة الاضطرابات التي شهدتها العالم العربي من تقاطع لقوة الفقر والعوز بسبب تصدير الولايات المتحدة الأمريكية للتضخم المستورد، مع واقع خطط رسمتها قوى خارجية

ومولد نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) في مكة، وتوجد أقليات مسيحية في مصر ولبنان والأردن وسوريا والعراق وفلسطين، وتعتبر القدس أو ما يسمونه الغرب باسم "أورشليم" الأرض المقدسة بالنسبة لليهود والمسيحيين والمسلمين.

¹ جوين دايار، الفوضى التي نظموها: الشرق الأوسط بعد العراق، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص. 35.

² تركي الفيصل، منطقة الخليج والتطورات الإستراتيجية العالمية: تحديات الداخل، بحث في كتاب التطورات الإستراتيجية العالمية رؤية استشرافية، مجموعة مؤلفين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2011، ص. 22.

على رأسها إسرائيل لزعة الوضع السياسي في أكثر من بلد عربي لإرساء شرق أوسط جديد، تكون فيه لإسرائيل موقع القلب والنموذج الديمقراطي الذي يجب أن يحتذى به ديمقراطيا. غير أن بروز لاعب جديد غير متوقع في اللعبة الديمقراطية وهو (الجمهور) بداية من الثورة التونسية في 2011/1/14 وبعدها في 2011/1/25 محدثا ثورة أخرى في الوعي والمفاهيم لدى شعوب المنطقة.

لذا يمكن القول بان الحدث التونسي والحدث المصري كانا صناعة محلية وبتأثيرات عربية وإقليمية، وقد تكون عالمية من خلال بروز جيل جديد من الشباب أخذ على عاتقه مسؤولية قيادة الانتفاضات الميدانية¹.

من هنا يمكن القول إلى أن الأحداث التي شهدتها المنطقة تشير إلى أمرين أساسيين هما:

1- تحقيق مشروع الشرق الأوسط الجديد؛ فالولايات المتحدة الأمريكية تريد حكومات شرق أوسطية ليبرالية معتدلة تخرج من قلب شعوبها، ومن ثم ضمان ولاء هذه القيادات الجديدة بعد دعمها في ثوراتها.

2- إمكانية أن يأخذ "الثوار" على عاتقهم إدارة أمور دولهم في مرحلة ما بعد نجاح الثورة والتخلص من الأنظمة المستبدة، وهو ما يمثل ضربة للمشروع الأمريكي وما يرشح المنطقة إلى الولوج في مرحلة من الصراعات الداخلية والخارجية، تؤثر بذلك على أمن الشرق أوسط.

فاليوم من الممكن أن نعاين تفكك داخلي في ما نسميه بـ "الدول الاصطناعية" مثل ليبيا والتي كانت تتألف من ثلاث مستعمرات إيطالية، فضلا عن اليمن وسورية والأردن والبحرين وسلطنة عمان والمملكة العربية السعودية، فكل هذه الدول تتصاعد فيها التوترات والصراعات بين القبائل والجماعات، أو قيام حكومة أقلية بفرض نفسها على الأكثرية².

¹ عبد الحسين شعبان، " تونس، مصر، أسئلة ما بعد الانتفاضة"، مجلة المستقبل العربي، العدد 385، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص. 95.

² المرجع نفسه، ص. 10.

فقد بات من الصعب التنبؤ بما ستكون عليه الأوضاع في سورية بعد أن تضع الحرب أوزارها، فهي لن تعود إلى سيرتها الأولى، ولربما تدخل في حروب أهلية طاحنة كما حصل ذلك في لبنان، وقد تعود مجددا إلى التقسيم العرقي الذي وضعه الفرنسيون، فتصبح الدولة الواحدة دويلات دولة منفصلة للدروز والعلويين، ودول منفصلة في مدينة حلب، وأخرى في دمشق، لذا فالعلويين هم الذين سيسيطرون على المساحات الساحلية والجبلية الخصبة.

إن الصراعات الطائفية في سورية التي لم تعد مجمدة، هي مرهونة ببقاء النظام الحالي (نظام البعث وبشار الأسد)، ولكن متى ما انفجرت هذه الصراعات ستكون النتائج كارثية، إذ يهدف الصراع إلى مسك زمام الحكم مستقبلا، لأن الصراع المتوقع في سورية لن يكون صراعا بين رموز وشخصيات السلطة، بقدر ما سيكون صراعا طائفيا وهنا يمكن القول أن مجموعة العلويين القابضة على السلطة سوف لن تسمح للأغلبية السنية بالعودة إلى السيطرة على مقاليد الحكم، ومن الممكن أن ينظم إلى هذا الصراع الدروز القاطنين في السويداء والأكراد الذين يعيشون في مناطق متاخمة لتركيا والعراق.

أما فيما يخص التدخل العسكري السعودي في البحرين فقد كان كفيلا بتحويل المملكة إلى المقاطعة السعودية الـ 18، وهو الوضع نفسه بالنسبة لليمن التي ربما تعود لتشكل خريطتها السابقة بين دولتي الشمال والجنوب الذي توحد في عام 1990.

فقد اقترح "ريتشارد بيرل" و"ديفيد فروم" في كتابهما "نهاية الشر: كيف يمكن الانتصار في الحرب على الإرهاب" تعبئة الأصوليين الشيعة ضد الدولة السعودية، نظرا لكون الشيعة يمثلون قوة كبيرة على طول شاطئ الخليج العربي حيث حقول النفط، ويقول "بيرل" أن السعوديين لديهم خوف مزمن من أن الشيعة يمكن لهم ذات يوم أن يسعوا إلى الاستقلال بالمنطقة الشرقية.

وفي ظل هذه الخريطة الجديدة لا يمكن إغفال دور أكبر أقلية في العالم والتي تعيش في أربع دول، ولا تملك دولة مستقلة فالکرد في تركيا، والذين هم ليسوا على وئام مع الدولة التركية؛ حيث العمليات العسكرية متبادلة بينهم، لن يتوانوا في الانضمام إلى دولة كردية إذا

ما أقيمت في المستقل، أما الأكراد في سورية وإيران فسيهرعون للانضمام إلى كردستان المستقلة¹.

فكردستان المستقلة من ديار بكر إلى تبريز ستكون من أكثر الدول الداعمة للسياسة الغربية في المنطقة²، إذ إن أي تعديل في حدود المنطقة سيترك المحافظات السنية الثلاثة في دولة مقطعة، قد تتحد مع سورية بمرور الزمن، أما الجنوب الشيعي في العراق فسيشكل أساسا للدولة الشيعية العربية التي ستتحف بالخليج³.

فضلا عما تقدم، فقد اقترحت خريطة جديدة لتقسيم الجمهورية اللبنانية على أساس طائفي غير موجود بالفعل على أرض الواقع، والحقيقة أن هذا المقترح أقر في عام 1983 من قبل الكونجرس الأمريكي بالإجماع في عهد الرئيس الأمريكي السابق (رونالد ريغان)، فالمقترح قسم لبنان إلى ثمانية دول هي (دولة لبنان، دولة سنية في الشمال عاصمتها طرابلس، دولة بعلبك، دولة مارونية عاصمتها جونيه، كانتون فلسطيني في الجنوب حول صيدا، كانتون كتائب في الجنوب، كانتون صهيوني في الجنوب، ودولة درزية في أجزاء من الأراضي اللبنانية والسورية والإسرائيلية).

أما إيران الدولة ذات الحدود العشوائية فمن الممكن أن تحاول الولايات المتحدة الأمريكية التدخل في هذه الدولة وعدم السماح لها بالبقاء على وفاق مع روسيا، عبر دعم كل الجهات المعارضة لطريقة الحكم في إيران، وبالتالي تصفية الحسابات القديمة، ومنعها من الوصول إلى السلاح النووي، وتطوير الصواريخ الباليستية، التي شكلت ولا تزال تشكل خطرا مباشرا لحلفائها ومنهم (إسرائيل)، فرغم الدعم الذي تلاقه إيران من الجانب الروسي، إلا أنه من الممكن زعزعة هذا النظام من الداخل، وخلق فوضى عارمة تسمح بتطبيق الأجندة الأمريكية، ولما لا محاولة تقسيم هذا البلد إلى أجزاء.

¹ شريف شعبان مبروك، " الانسحاب الأمريكي من العراق بين الثابت والمتغير "، مجلة شؤون عربية، العدد 147، القاهرة، 2011، ص. 180.

² رالف بيترز، ترجمة علي الحارس، " حدود الدم: كيف سيبدو الشرق الأوسط بحالته الأفضل "، مجلة آرمد فورسز الأمريكية، 2006، ص. 4.

³ المرجع نفسه، ص. 5.

ليست عملية رسم الخرائط هذه بما يعترىها من توترات تحدياً أمام الولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل ينبغي لها أن تغتنم القوى المؤثرة في العالم هذه الفرصة الذهبية للموافقة على التطبيق الحذق لتوصيات الرئيس الأمريكي الأسبق "ودرو ولسن" الخاصة بدعمه لحق الشعوب بتقرير مصيرها بنفسها¹.

إذ أن المنطقة ستغرق في فوضى نزاعات وصراعات لذلك فإن هذه الدول سوف لن تفكر بإسرائيل أو معاداتها، بل على العكس من ذلك ستقوم بعض الدول سرا أو علنا بطلب المساعدة والعون منها أي (إسرائيل) ودعمها لاستقرار المنطقة، مما يعني ربط المنطقة بشبكة اتصال واحدة، من شأنها خلق عقل جمعي مبرمج وفق النمط الأمريكي الذي تسعى لفرضه في نهاية المطاف على المنطقة برمتها وفقاً للرؤية الإسرائيلية².

أما إسرائيل التي تعيش سلسلة من أسوأ أزماتها منذ إعلانها دولة في عام 1948 وذلك على الصعد الأيدلوجية والعسكرية والإستراتيجية كافة، لذلك دائماً ما كانت تشعر بأنها دولة حبيسة³، وذلك على الرغم مما حققه الاقتصاد الإسرائيلي في العقود الثلاثة الأخيرة من قفزات كبرى، والتحول إلى اقتصاد تكنولوجي – معلوماتي متطور، إذ كشفت الحروب التي خاضتها إسرائيل عام 2006 و 2008 و 2009 في لبنان وغزة، عن حدود القوة العسكرية الإسرائيلية، أو على الأقل عجز إسرائيل عن حسم الحروب لصالحها بالسرعة التي تستلزمها إمكاناتها البشرية والاقتصادية، واليوم تقف تل أبيب أمام خيارين إما أن تستعيد هيبتها عبر حروب مكلفة، وبين أن تقبل بموازن قوى جديدة ليست لصالحها في المنطقة.

ومما تقدم يمكن القول إلى أن التقسيمات الإدارية الجديدة المقترحة أعلاه لمنطقة الشرق الأوسط، والمخطط لها مسبقاً من قبل القوى الغربية ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، إنما تهدف لتحقيق عدة اعتبارات من أهمها:

¹ Parag Khanna, "Breaking Up Is Good to DO" , *Foreugn Policy*, January 14, 2011, <<https://bit.ly/3g03FKY>> (12 MARCH, 2018)

² نعيم عبد القوي خير الدين، شعوب في مختبرات التجارب الأمريكية، دار البيارق للنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص. 79.

³ أحمد داود أغلو، *العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية*، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الثانية، بيروت، 2011، ص. 456.

1- جعل إسرائيل عضوا طبيعيا في المنطقة من خلال إقامة علاقات جيدة مع الدول الصغيرة (المقترحة للتشكيل)، والتي ستكون ضعيفة في الحفاظ على أمنها القومي الداخلي، والتي ستواجه الكثير من العقبات على الأخص منها عقبة الصراعات الإقليمية مع الدول القريبة منها، وبذلك ستحاول هذه الدول الاعتماد على إسرائيل في هذا المجال ومن ثم حماية أمن إسرائيل وتعزيز العمق الاستراتيجي لها.

2- محاولة تحقيق السلام الكامل في المنطقة الشرق أوسطية عبر إحداث تعديلات في الحدود الجيو- سياسية للدول الموجودة حاليا في الشرق الأوسط، ومحاولة نشر الديمقراطية.

3- إن محاولات التقسيم أعلاه تهدف إلى إضعاف الدول القوية في المنطقة مثل العراق، والمملكة العربية السعودية وجمهورية إيران الإسلامية ومصر وبقية الدول الأخرى، في محاولة من الدول الغربية لبقاء المنطقة في دائرة التناحر والصراعات البينية، ولذا يكون هدف الغرب هو ضمان تأمين وصول إمدادات الطاقة من المنطقة إلى الدول الغربية وأماكن استهلاكها وإدخال المنطقة في دوامة من الصراعات الإقليمية، ومن ثم المحافظة على سعر تنافسي جيد بالنسبة لموارد الطاقة تفيد الدول الغربية.

4- محاولة القوى الغربية من خلال التقسيمات أعلاه وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية محاربة الإرهاب والدول الداعمة له، من داخل دول المنطقة ومن ثم زيادة عدد القواعد العسكرية والأمريكية المتواجدة في المنطقة وبخاصة منطقة الخليج العربي.

5- ليس من السهولة إحداث أي تغير في حدود المنطقة المرسومة حاليا، وأن أي تعديل في هذا الإطار سوف لن يكون بالأمر السهل ويحتاج إلى مدة طويلة من الزمن والتضحية بالكثير من الدماء.

6- أخيرا يمكن القول إن الظروف التاريخية بين المشرق والخليج، والتي أدت إلى ظهور كيانات ودول جديدة، نفسها التي ظهرت وأن القاسم المشترك الدائم هو أن هناك خريطة جديدة رسمت على الأرض، وقد أعادت أحداث العراق منذ الحرب

العراقية – الإيرانية في العام 1980، ومن بعدها عاصفة الصحراء في العام 1991، وأحداث 11 سبتمبر 2001، والحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق عامي 2001 و 2003 على التوالي، أعادت إلى الأذهان هاجس إعادة الخريطة العربية الجديدة، مشرقا ومغربا وخليجيا، ويمكن القول إن هذا الهاجس الذي لم يكن بعيدا عن تفكير صانعي القرار الدولي، وخاصة بعد إعلان الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش) تأسيس النظام العالمي الجديد بقطبه الأمريكي الأوحده، وبذلك يمكن القول إن إمكانية تحقيق وتنفيذ الخرائط الجديدة للشرق الأوسط ما زالت احتمالا ولم يصبح إمكانية.

إن القول بتواصل/استمرار الصراع على النفوذ بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط على الأقل في المستقبل القريب، إنما يجد ما يسند من عوامل ومتغيرات داعمة لاستمرار هذا الصراع.

المبحث الثاني: عوامل داعمة لاستمرارية صراع النفوذ الروسي- الأمريكي في المنطقة

إن محاولة استشراف مستقبل هذه العلاقة الموسومة بالصراع على النفوذ في المنطقة، وانطلاقاً من الفرضية التي وضعناها في مقدمة هذه الأطروحة، والتي أكدنا فيها على استمرار هذا الصراع بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، ولو في المستقبل القريب، وأن مسألة استشراف مستقبل الصراع على المدى المتوسط أو الطويل تعترىها صعوبات جمة؛ خاصة في مجال العلاقات الدولية، كان لابد علينا أن نضع ما يزكي تلك الفرضية، بل والدفاع عنها بطريقة علمية/أكاديمية، ولذا فإن الغاية سنتحدث عن بعض العوامل التي تساهم في استمرار هذا الصراع، كالعامل السياسي والاقتصادي (المطلب الأول)، والعامل الأمني والعسكري (المطلب الثاني).

المطلب الأول: العامل السياسي والاقتصادي

يشكل العاملان السياسي والاقتصادي أهم العوامل التي يتم الاستناد عليها لما تنتجه من مؤشرات توحى باستمرار الصراع في المستقبل القريب، فدراسة كل عامل هي مسألة تدعم فرضية الدراسة.

الفرع الأول: العامل السياسي

يشكل العامل السياسي إحدى العوامل الأساسية التي تجعل إمكانية بقاء واستمرار حالة الصراع في العلاقة بين روسيا والولايات المتحدة، الأقرب إلى الواقع في ظل بيئة سياسية داخلية وإقليمية مواتية نظراً لما تعيشه من تحديات جمة، إضافة إلى بيئة عالمية تخص النظام العالمي ككل، بما في ذلك وضع كل من القوتين المتصارعتين على النفوذ بالمنطقة.

الفقرة الأولى: على المستوى الداخلي لدول الشرق الأوسط

تعد منطقة الشرق الأوسط منطقة مليئة بالاضطراب وعدم الاستقرار السياسي، فمنطقة الشرق الأوسط هي منطقة غير مستقرة، وعدم استقرارها يخلق أرضية للكثير من التفاعلات الدولية والإقليمية اتجاهها.

وإذا ما تم النظر إلى منطقة الشرق الأوسط عامة بمنظور سياسي بقصد استشفاف ما يمكن أن يساهم في استمرار الصراع الروسي- الأمريكي في المنطقة، يلاحظ أن المنطقة تحتوي على عدة عوامل سياسية تعزز احتمالية استمرار الصراع خلال الأعوام القليلة القادمة.

أولاً: إشكالية التداول على السلطة

إن دول الشرق الأوسط عامة باستثناءات متعلقة بـ (إسرائيل وتركيا)، تعيش حالة من الانغلاق السياسي تجاه مسألة السلطة وتداولها، والانتخابات فيها تتراوح ما بين الصورية وتلك التي يجري فيها ممارسة ضغوط على الناخبين، بقصد توجيهها لتكون ضمن الاعتبارات الفئوية الإثنية.

ومشكلة السلطة في الشرق الأوسط لا ترجع إلى التاريخ الراهن، إنما هي مشكلة تاريخية، تتعلق بكون هذه الدول لم تستطع التحول إلى عقلية الدولة والمؤسسات؛ وإنما ظلت ضمن حلقة السلطة والقبلية والطائفة، وهو ما انعكس على سياساتها والمؤسسات التي حاولت أن تنشئها بعد الاستقلال¹.

إن مسألة السلطة لها انعكاسات عدة، أهمها المتعلق باستقرار دول الشرق الأوسط، فهذه المشكلة تتسبب بظهور مشكلة أخرى متعلقة بوجود فسحة من عدم الشرعية تعانيها الأنظمة السياسية لدول الشرق الأوسط، وتلك الفسحة تزداد كلما ازدادت حدة مشكلة السلطة داخل الدولة.

¹ زيد عدنان محسن، " الإصلاح السياسي في العالم العربي بين الدوافع والمعوقات "، مجلة السياسية والدولية، العدد 16، 2010، ص ص. 87-82.

إن مشكل السلطة لا تساعد حتما على خلق منطقة مستقرة، في حين أنها تخلق لنا بيئة غير مستقرة، تدفع كل من روسيا والولايات المتحدة إلى أن يغلبوا نزعة الصراع طالما أن البيئة غير مستقرة، لذلك تبقى احتمالات تغليب لغة الصراع قائمة بقصد تحقيق مزايا نسبية لكل طرف¹.

ثانيا: غياب العدالة الاجتماعية

وهي مشكلة ثانية تسود داخل دول الشرق الأوسط، ومفادها أن تلك الدول مادامت تعاني مشكلة الشرعية، وعدم القدرة على بناء مؤسسات الدولة رغم مضي عقود عدة على الاستقلال، وأنها مازالت لم تميز بين بناء الدولة وبين التعامل الحزبي والإثني. فإن الأمر يعكس وجود تمايزات داخل الدولة في تولي المهام ولوظائف، وهو ما يظهر في غياب المساواة والعدالة الاجتماعية، و تكافؤ الفرص وتوزيع الخدمات والثروات... إلخ².

غياب العدالة الاجتماعية يزكي عدم الاستقرار الداخلي والإقليمي، ومن ثم فإن إمكانية الصراع بين القوى الكبرى في محيط يسوده عدم الاستقرار أمر وارد جدا، يدفعها هذا الواقع للصراع من أجل الحصول على مزايا مضاعفة من المنطقة.

ثالثا: أنظمة الحكم الداخلية والشرعية المفقودة

تتصل هذه النقطة بما تم تناوله سابقا، فكلما كان النظام السياسي مستندا إلى أسس من الشرعية العامة والمقبولة اجتماعيا، كان أكثر استقرارا، والملاحظ أن الأنظمة السياسية في المنطقة أغلبها تعاني عند التعامل مع الشرعية، كون أسس الشرعية لدى أغليبيتها لم تأت من خيارات اجتماعية وسياسة صحيحة، وإنما جاءت بفعل الغلبة، وفرضت على الشعب، أو أنها تستند إلى أسس إثنية أو قبلية، وفي كل الأحوال، فإن مسألة الشرعية قضية مطروحة منذ عهد الاستقلال لليوم، ولا يتوقع الانتقال عنها خلال السنين القادمة كون مجتمعات

¹ محسن دلولو، العرب إلى أين؟ الحرية الضائعة... المستقبل المجهول، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2011، ص 203-208.

² مروة نظير، "الأجيال المتعاقبة لمفهوم وتطبيقات العدالة الانتقالية"، اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد 194، أكتوبر 2013، ص ص. 5-8.

الشرق الأوسط لم تستطع أن تبني أساسا دولة مؤسسات، على الرغم من حدث الثورات العربية، الذي حصل بعد عام 2010¹.

وذلك الأمر يقلل من احتمالات اتجاه الشرق الأوسط نحو الاستقرار، ومن ثم فإن بيئة غير مستقرة، إنما تشجع على إتيان الصراع بين القوى الكبرى، بقصد الحصول على مكتسبات من الدول الموجودة في المنطقة.

رابعا: التنوع الإثني والديني

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق التي يسودها تنوع إثني وديني واضحين؛ فإثنيا هناك قوميات كبرى كـ(العرب والأتراك والأكراد والفرس والآشوريين والأرمن والتركمان)...، ودينيا؛ هناك المسلمين بتنوع انتماءاتهم الفكرية، والمسيحيين كذلك، واليهود، والصابئة، والاعتقادات التي تزوج بين الاعتقادات السماوية والأرضية كالإيزيديين والعلويين والدروز، والبهاية،... إلخ، والاعتقادات الأرضية كالمجوسية، وهذا التنوع بقدر ما كان يفترض أن يخلق أرضية لدينامية سياسية واقتصادية واجتماعية، إلا أنه ساعد على مزيد من الانقسام وعدم الاستقرار بسبب تعلق السلطة بمجموعة إثنية دون سواها، وكون أي تعددية في السلطة ما هي إلا تعددية صورية².

إن عدم الاستقرار المرتبط بهذا العامل انسحب على إجمالي العملية السياسية، وكذا على علاقات دول الشرق الأوسط بدول العالم، وبضمنها القوى الكبرى، كون بعض القوى الكبرى لعبت على مسألة دعم بعض الإثنيات والانتماءات داخل الشرق الأوسط، وهذا ما تحدثنا عنه سابقا، وهو يزيد من احتمالية اللجوء إلى الصراع بين القوى الكبرى على المنطقة، كونه أكثر تحقيقا لمصالح تلك القوى.

¹ جورج قرم، تاريخ الشرق الأوسط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، 2013، ص ص. 253-257.

² جوين دايار، الفوضى التي نظمها، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص ص. 70-79.

خامسا: هشاشة الاستقرار السياسي الداخلي

ما تم ذكره سالفًا من متغيرات تؤكد على هشاشة هذا الاستقرار، وأسبابه الأخرى متعلقة بالصراعات الداخلية، وارتفاع مؤشرات عدم الرضا السياسي جراء ضعف الأداء الحكومي، وقصور في الخدمات، وارتفاع مؤشرات الفقر والبطالة...¹.

وهو أيضا مؤشر ترتفع معه معدلات عدم الاستقرار ويؤدي كمحصلة إلى تشجيع القوى الكبرى على الصراع لتحقيق الكثير من المصالح، في ظل هذه الأوضاع الهشة التي تسود دول الشرق الأوسط.

سادسا: ضعف سلطة القانون

وهو مؤشر واضح في أغلب دول الشرق الأوسط، قياسا بقوة العلاقات الولائية وعلاقات القرابة، وتسيد مجموعات إثنية موجودة بالسلطة على القانون، بمعنى أن القانون يتراجع عندما يكون بتماس مع سلطة المجموعة الإثنية الماسكة بمقاليد الأمور، أو حتى مع العلاقات الولائية، وهو أمر أدى إلى عدم المساواة بين المواطنين، بل خلق أكثر من مجموعة وطنية، حسب الماسك بالسلطة، أو القريب منها، وبالبعيد عنها².

ذلك الأمر أيضا تسبب بأن تتجه العلاقات السياسية إلى رفع معدل التذمر السياسي، وعدم الاستقرار، ومن ثم شجع على إتيان حالة الصراع في علاقات القوى الكبرى مع دول الشرق الأوسط وتغليبها على أي علاقات أخرى، وهو أمر يرتبط ويؤكد أن العلاقات الإقليمية في الشرق الأوسط يسودها منطق الصراع بدل منطق التعاون.

الفقرة الثانية: على مستوى البيئة الإقليمية لدول الشرق الأوسط

يسود العلاقات الإقليمية بين دول الشرق الأوسط منطق الصراع لأسباب عدة؛ منها التاريخي، والجغرافي، والقومي، والديني، والسياسي، وضاعف من ذلك واقع الحدود التي أقرت بين دول المنطقة، وهي حدود سمحت بتداخل واسع في التركيبة الإثنية والدينية،

¹ حسن محمد الزين، الربيع العربي، آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، دار اقليم الجديد، بيروت، 2013، ص ص. 236-241.

² مارينا أوتواي وآخرون، الشرق الأوسط الجديد، مركز كارينغي للسلام الدولي، بيروت، 2008، ص ص. 54-56.

وخلق ولاءات عابرة للحدود توقف الولاء الوطني، وهو أمر هياً الأرضية لعدم استقرار إقليمي أوسع، كون الدول الموجودة رهنّت إرادتها بالقوى الكبرى، وسمحت لها بالتدخل في المنطقة، أكثر مما سعت إلى تنظيم نفسها بأطر إقليمية تعاونية.

وذلك الصراع والتبعية للقوى الكبرى يؤكد على مسألة استمرار الصراع الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط، ويزكي ذلك جملة من العوامل السياسية في ظل بيئة إقليمية يسودها التوتر والاضطراب.

أولاً: بيئة إقليمية موسومة بالحروب والتوترات

وتلك الخاصة على الرغم من عدم قصرها على منطقة الشرق الأوسط، إلا أن ما يميز الشرق الأوسط فيها هو خاصية الدوام، وعدم الاتجاه إلى إيجاد بدائل سياسية لإنهاء التوترات والنزاعات والأزمات والصراعات الموجودة، لذلك فقد شهدت المنطقة أكثر من حرب، ومنها الحروب العربية الإسرائيلية، والحرب العراقية الإيرانية، والحرب العراقية مع الولايات المتحدة وحلفائها عامي 1991 و 2003، وغيرها من الحروب المتعلقة بتزاوج الحروب الداخلية بالبيئة الإقليمية والدولية في لبنان وسوريا واليمن وأفغانستان، وبتركيا¹.

هذه الحروب والتوترات انتهت إلى توسيع نطاق عدم الثقة ومظهرها البارز هو الإنفاق على التسلح الذي يتضخم عاما بعد عام، وإلى توسيع نطاق عدم الاستقرار، ومن ثم الاتجاه إلى دفع القوى الكبرى إلى الانسياق وراء الصراع في العلاقات الإقليمية.

ثانياً: المحدد الإثني والديني للصراع الإقليمي

بمعنى آخر، إن الحدود السياسية لما أقرت في أثناء وبعد الاستقلال، لم تراعى أن تكون الدولة متصلة بإثنية وديانة وانتماء مذهبي محدد، وهو ما يسمح بأن تكون كل دولة تحتوي داخلها تكوينات وانتماءات متعددة، والقصور ليس في ما تقدم إنما في عقلية السلطة،

¹ علي وهب، الصراع الدولي للسيطرة على الشرق الأوسط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2013، ص 545-546. أيضاً: توفيق فارس العودات، الضحية الكبرى، الصراع الاستراتيجي للقوة العظمى في المشرق العربي، دار نينوى، دمشق، 2012، ص ص. 406-407.

فالسُّلطة إنما بنيت على عقلية الاستحواذ الإثني والمذهبي، وهو ما جعلها غير قادرة على استيعاب التعددية الإثنية والمذهبية داخل الدولة، وانتهت إلى توليد صراعات داخل الدولة وبين الدول، خصوصا وأن الإثنيات مازالت محكومة بالتاريخ أكثر من كونها محكومة، بالحاضر والمستقبل، وتغذي صراعات التاريخ قوى متعددة، لأن وجودها يعتمد على هذه الإدامة¹.

ثالثا: وجود إسرائيل في النظام الإقليمي

هو مسبب آخر للصراع الإقليمي، كون إسرائيل تعد جسما غريبا بكل معنى الكلمة، زرعت زراعا في المحيط العربي لتكون دولة يهودية قائمة على تجميع اليهود من كل دول العالم، بعيدا عن صدق روايات الشتات والعودة، فإن الأمر انتهى إلى إظهار الغرب لدولة يهودية كبرى في الشرق الأوسط، يتم عن طريقها إدامة تفوقها بجهد غربي، ونتيجة عقلية التوسع الذي تقوم عليه إسرائيل، وفي مناطق يعدها المسلمون مقدسة دينيا فإن الشرق الأوسط أصبح منطقة يرتفع فيها عدم الاستقرار².

رابعا: رغبة القوى الإقليمية في توسيع نفوذها الإقليمي

وهو سبب آخر للصراع وعدم الاستقرار الإقليمي، فالشرق الأوسط وقع تحت ضغط القوة الكبرى، وهذه القوى اتفقت ضمنا على إضعاف الدول العربية، وعدم السماح لهم بتعزيز قدراتهم، وذلك الأمر أدى بكل دول الجوار إلى أن تبني مشاريعها الإقليمية على حساب العرب، فمن جهة نجد إيران التي استغلت فرصة الحرب على العراق، وإسقاط نظام صدام حسين للسيطرة على البلد عبر أذرعها والميليشيات التابعة لها، الشيء الذي خلص إسرائيل أيضا من عدو لطالما جاهر بالعداء لها علنا، إضافة إلى تركيا التي تحاول استغلال الأوضاع السورية للقضاء على حزب العمال الكردستاني، وبالتالي ضمان أمنها القومي،

¹ رامي خوري، أمريكا، الشرق الأوسط والخليج، كلية الشؤون الدولية، جامعة جورج تاون، قطر، بدون سنة، ص ص. 2-3. وأيضا: أحمد الكعكي، الشرق الأوسط وصراع العولمة، دار النهضة العربية، بيروت، 2002 ص 184 وص 189.
² فاري العودات، الضحية الكبرى، الصراع الاستراتيجي للقوى العظمى في المشرق العربي، دار نينوى، دمشق، 2012، ص ص. 406-407. أيضا: جمال واكيم، سورية ومفاوضات السلام في الشرق الأوسط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010، ص ص. 90-98.

كل هذه القوى صار توجهها باتجاه التمدد باتجاه المنطقة العربية، وخلق كيانات هزيلة وتابعة، وهذا الأمر يهدد بتوسيع نطاق عدم الاستقرار الإقليمي، ومن ثم يعمق من حالات الصراع أكثر من تعميق حالات التعاون بين القوى الكبرى، كون كل قوة إقليمية ستبني لها مجالات نفوذ وعلاقات مع إحدى القوى الكبرى¹.

خامسا: العلاقات الإقليمية وتأثرها بالتيارات الدينية والقومية والعلمانية

فالقوى الإقليمية بنت عناصر قوتها على أساس إنماء واحدة من العناصر الإثنية أو واحدة من التيارات السياسية وأنكرت الباقي، في خضم ما تعيشه هي ومنطقة الشرق الأوسط من تعددية وتداخل وصراع تاريخي، فتركيا تبنت مشروعا علمانيا وإثنيا في وقت من الأوقات، أما إيران فتبنت مشروعا فارسيا، أما إسرائيل فتبنت مشروعا عبريا- يهوديا ومن بين الإثنيات التي أهدرت مصالحها هناك العرب والأكراد، وكل من تلك المشاريع في توجهه نحو المنطقة العربية إنما يعمق قوة المجموعات المرتبطة به بعلاقات تبعية، وذلك الأمر ضاعف من علاقات الصراع الإقليمي².

سادسا: تبعية الإقليم للقوى الكبرى

وهو أمر آخر عظم من شأن سيادة منطق الصراع في العلاقات الإقليمية، كون القوى الإقليمية وباقي الدول الأخرى في الشرق الأوسط، وبقصد تعزيز وجودها، فإنها اتجهت إلى ربط وجودها بإرادة القوى الكبرى، وانتهى الحال إلى استباحة الشرق الأوسط من قبل هذه القوى الكبرى فنجد إيران وسوريا وارتباطهما بروسيا، والأردن ودول مجلس التعاون الخليجي وارتباطهما بالغرب وبالولايات المتحدة، وإسرائيل وارتباطها بالغرب...³.

¹ عصام فأهم العامر، خصائص ترسانة (إسرائيل) النووية وبناء الشرق الأوسط الجديد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2001، ص ص. 93-99.

² محمد عبد حسين ويوسف أبو سمرة، تاريخ الشرق الأوسط الجديد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص ص. 248-251.

³ محمد عبد المعطي الجاويش، الرؤية الدولية لضبط انتشار أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2002، ص ص. 47-54. وأيضا: هيثم مزاحم، نحو تفسير لأسس العلاقة الأمريكية - الإسرائيلية، مجلة شؤون الأوسط، العدد 112، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، خريف 2003، ص ص. 132-133.

الفقرة الثالثة: على مستوى بيئة النظام الدولي

شكل صعود الرئيس "فلاديمير بوتين" منذ سنة 2000 اتساعا لدائرة الصراع، في النظام العالمي؛ فبعد عام 1991 اتجه النظام إلى إظهار الولايات المتحدة الأمريكي على قمة الهرم الدولي، وتراجع حاد في قدرة القوى الأخرى على إظهار رغبتها بمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية.

انطلقت الولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل في أحداث وقضايا النظام الدولي، وكانت البداية بحرب العراق عام (1990-1991)، والتي شهدت استخداما مفرطا للقوة العسكرية ضد العراق بقصد إخراجه من الكويت، ولم تستطع أي قوة في النظام الدولي من ثني الولايات المتحدة عن تحقيق مقاصدها في قيادة النظام الدولي كقطب أوحده ووحيد، واستمر النظام بعيدا عن التعددية، واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية التحكم بالنظام الدولي، وتنفيذ كل ما من شأنه ضمان تلك الريادة في هذا النظام.

مع قدوم الألفية الجديدة بدأت اتجاهات تؤثر تحول النظام الدولي نحو التعددية، بسبب انتشار عوامل القوة عالميا بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والصين واليابان وغيرها من القوى، وهو أمر يندرج بتراجع في مكانة الولايات المتحدة، ويجعلها تتحرك في اتجاه ضمان مكانتها، وإعاقة تقدم القوى المنافسة لها¹، وهذا الأمر يدفع العلاقة بين روسيا والولايات المتحدة في اتجاهات الصراع، كون الدوافع والاتجاهات في الحركة العالمية متناقضة، وهو ما سيتسبب في استمرار الصراع في العلاقات الدولية، على الرغم من أن السلاح النووي والحروب وسباق التسلح تجعل الكلفة مرتفعة لأي صراع دولي، ومما يزيد من إمكانية بقاء حالة الصراع بين كل روسيا والولايات المتحدة الأمريكية على هذا المستوى ما يلي:

¹ مايكل بي أورين، ترجمة أسر حطية، القوة والإيمان والخيال، أمريكا في الشرق الأوسط منذ 1776 حتى اليوم، كلمات عربية للترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، 2013، ص ص. 511-521.

أولاً: التحول في المكانة الدولية للقوى الكبرى

عرف النظام الدولي الجديد انتشاراً لعوامل القوة بين القوى الدولية والإقليمية، هذا الاتجاه بدء منذ عدة عقود، حتى أن الولايات المتحدة الأمريكية تراجعت نسبتها في الإجمالي العالمي لامتلاك عوامل القوة عالمياً، واستمرار هذا المنحى يمكن أن يحول الولايات المتحدة إلى مجرد لاعب من بين عدة لاعبين كبار، يمتلكون كلهم نسب من التأثير في الأحداث العالمية¹.

أما روسيا فإنها تنمو بشكل مضطرد، ويمكن أن يستمر نموها قياساً بحجمها الجغرافي وبمواردها وبإمكاناتها العلمية، أي أنه يتوقع أن تنمو معدلاتها من عوامل القوة دولياً على مختلف المستويات-عسكرياً وسياسياً واقتصادياً-، ذلك الأمر يدفع الولايات المتحدة لأن تكون أكثر صراعاً وأقل تعاوناً في العالم أجمع خاصة في الشرق الأوسط، على الرغم مما يمكن أن يتبع ذلك من كلف في خوض الصراعات، وربما الحروب، وخسارة مزايا التعاون الاقتصادي، لذلك رأينا الولايات المتحدة قد طورت استراتيجيات جديدة تقوم على الآتي:

- جعل الاستثمارات أداة منشطة لحركة التبادل التجاري الدولي، فضلاً عن الشركات متعددة الجنسيات².
- جعل إمكانية أن تقع العقوبات على قطاع أو ربما شركة واحدة، وتبقى باقي العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الدولة الأخرى قائمة³.
- جعل إمكانية أن لا تقع حروب كبرى بين الدول، وإنما أن تقع عمليات عسكرية محدودة وعرضية تتوخى تدمير أهداف محددة دون أن يحدث انتقال في

¹ حيدر علي حسين، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل النظام الدولي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بغداد، 2014، ص ص. 194-215.

² المرجع نفسه، ص ص. 251-259.

³ رحمن عبد الحسين ظاهر، "خيارات الاستراتيجية الأمريكية اتجاه البرنامج النووي الإيراني"، مجلة السياسة والدولية، العدد 24، 2014، ص ص. 329-334.

العلاقات بين الدولتين إلى مستوى الحرب، وربما يتم نقل الأعمال العسكرية المحدودة إلى شركة أمنية وعسكرية عالمية، ولا تقوم بها الدولة بذاتها¹.

ثانياً: عالم متداخل واهتمامات جديدة بفعل العولمة

لقد أصبحت العلاقات الدولية تتأثر بعوامل أخرى جديدة، فبقدر اتجاه القوى والدول المختلفة إلى التحصين بالحدود السياسية والسيادة، فإن هناك عوامل أخرى تضغط باتجاه مختلف؛ منها العولمة، والمعلوماتية، والإعلام، والاتصال، والثقافة، والوعي الإنساني، والسياحة...، كل ذلك جعل البشر يعون أن قدرهم أن يكونوا على كوب واحد، وأن الفواصل الجغرافية والسيادية مخترعة ومصطنعة، وإن بعضهم أقرب للبعض الآخر قياساً بأبناء الوطن الواحد، وذلك الاتجاه تعززه حركة البشر والأفكار والمعلومات، وربما سيكون هذا الاتجاه أقوى في تأثيره خلال الأعوام أو العقود القادمة بالتأثير في العلاقات الدولية²، رغم الإشكالات التي قد تطرح في بعض الأزمات، والتي تدفع إلى انكماش الدول على ذاتها...

إن التطورات الكبرى المتلاحقة التي شهدتها العالم في العقود الأخيرة، قد غيرت من الاهتمامات العالمية؛ فصارت مكافحة الإرهاب والبيئة، ومواجهة الأزمات الاقتصادية، والبحث عن إدامة الموارد التي تشهد نزوباً، من أهم الاهتمامات ومبعث ذلك أن الإنسانية صارت تواجه تحديات جسام، وأهمها أن النمو المتحقق والرفاهية المرافقة له لا يمكن أن يستمر إلا بطرق محدودة، كابتكار تكنولوجيا تعظم من منافع ومزايا البدائل الصناعية للموارد، وأهمها الطاقة، وهذا الأمر لا يعالج إلا بتطوير التكنولوجيا، أو أن يستحوذ القلة على الموارد، وتحرم منها البقية من سكان الأرض، وذلك الأمر لا يتحقق إلا بالصراع³.

¹ سليم كاطع علي، مقومات القوة الأمريكية وأثرها في النظام الدولي، مجلة الدراسات الدولية، العدد 24، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2009، ص ص. 161-169.

² دانا علي صالح، المتغيرات المؤثرة في التعاون الدولي بعد الحرب الباردة، أطروحة دكتوراه، كلية القانون والسياسة، جامعة السليمانية، 2011، ص ص. 164-165.

³ إيريل هـ تيلفورد، رؤية استراتيجية عامة للأوضاع العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2004، ص ص. 54-59.

ومما يزيد من تأزم مستقبل العلاقات الدولية نجد كيفية التعامل مع الموارد؛ حيث هناك اتجاه لاحتكارها في إطار عقود استثمار طويلة الأجل، كما يتم تطوير التكنولوجيا وكل ذلك الاتجاهين يعمق من الفجوة بين عالمين، عالم متقدم وعالم نامي، الأول يتسع في ثرواته وقدراته، والثاني ينكمش في ثرواته وقدراته، على الرغم من الفارق السكاني والجغرافي الكبير بين العالمين، وذلك الأمر سيخلق موجات من التذمر وربما أساسا للصراع بين العالمين بشكل أو آخر، لا تستطيع قوى السلطة في العالم النامي أن تحد منه. وهو أمر سيدفع بالقوى الكبرى إلى الاتجاه إلى دول العالم النامي لشراء تبعيتها بطريقة أو أخرى، وهو أمر ينذر في بلدان الشرق الأوسط بتقاطع أمريكي مع القوى الكبرى الصاعدة، وخصوصا الصين وروسيا¹.

الفقرة الرابعة: المستوى المتعلق بكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية

ويبقى المتغير غير المحسوم ذلك المتعلق بالأوضاع الداخلية في كل من روسيا والولايات المتحدة، ونظرة كل منهما للآخر، فالداخل الروسي ومنذ التحول الذي حصل عام 1991، اتجه إلى الانشطار بين مجموعتين، مجموعة تعظم أهمية الانفتاح على الغرب مهما كان السبب، وهي التي قادت روسيا رسميا بين عامي (1992-2000)، ومجموعة أخرى ترى ضرورة العودة إلى الإرث القومي الروسي، والعظمة السوفيتية سواء بمحتوى إيديولوجي (كما يرى الشيوعيون)، أم بدونه كما يرى (القوميون الروس)²، ذلك الاتجاه صار الأقرب إلى السلطة منذ العام 2000.

أما على صعيد الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الداخل الأمريكي يتوزع بين قوى متعددة منها من يرى أن روسيا هي واحدة من أبرز الخصوم للولايات المتحدة الأمريكية،

¹ مايكل كليلر، دم ونفط: أمريكا واستراتيجيات الطاقة، ترجمة أحمد رمو، دار الساقى، بيروت، 2011، ص ص. 332-335.

² محمد دياب، "من يحكم روسيا؟ الصراع بين الكرملين والأوليغارشيا"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 112، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، خريف 2003، ص ص. 76-72.

وبالتالي يجب احتوائها وتقليم عناصر قوتها¹، وهناك من يرى أن روسيا قوة غربية في كل الأحوال، وبالتالي يجب تنظيم سلوكها لا دفعها للعزلة، وهناك من يرى بأنه يمكن الاستفادة من روسيا إذا تم التعامل معها مصلحياً، وذلك يعني سحبها للعالم الغربي اقتصادياً، ومنع الاحتكاك بمصالحها سياسياً وعسكرياً².

إلا أن العامل الاقتصادي -زيادة على العامل السياسي - يشكل عاملاً حاسماً في بلورة طبيعة العلاقة التي ستجمع بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط.

الفرع الثاني: العامل الاقتصادي

بالإضافة إلى العامل السياسي - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - يشكل العامل الاقتصادي عاملاً إضافياً في استمرار الصراع مستقبلاً، فضعف الاقتصاد في دول الشرق الأوسط، والمشاكل التي تعاني منها على هذا المستوى، تجعل دول الشرق الأوسط في وضع صعب وغير قادرة على اتخاذ قراراتها دون التبعية للخارج، وبالتالي يساهم ذلك في مزيد من التدخل الخارجي الذي يؤثر أيضاً على مزيد من الصراع بين القوى المتصارعة من أجل تحقيق أكبر قدر من المصالح، ولو كان ذلك على حساب دول الشرق الأوسط.

فإذا ما أتينا إلى العلاقات الاقتصادية الدولية بشكل عام، وبضمنها علاقات الصراع بين روسيا والولايات المتحدة، سنرى أن هذه العلاقات محكومة بمضامين متعددة، تؤثر في العلاقات الاقتصادية وتدفعها نحو وجهة محددة، مفادها أن الشركات أصبحت مسيطرة على أغلب النشاط الاقتصادي الروسي، في حين أنها المهيمن على النشاط الاقتصادي للولايات المتحدة، وذلك الأمر يفسح المجال أمام العوامل الاقتصادية لفرض شروطها على التعاملات الاقتصادية بين الدولتين. هذه العوامل الاقتصادية يقع بعضها في البيئة الإقليمية للشرق الأوسط، وبعضها الآخر في البيئة الروسية والأمريكية.

¹ طارق محمد دنون الطائي، *العلاقات الأمريكية الروسية بعد الحرب الباردة*، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2012، ص ص. 244-251.

² امجد جهاد عبد الله، *التحولات الاستراتيجية في العلاقات الأمريكية الروسية*، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2011، ص ص. 131-135.

الفقرة الأولى: على المستوى الداخلي لدول الشرق الأوسط

تعد دول الشرق الأوسط من الدول المصدرة للموارد الأولية، أي أن أغلب اقتصادها يقوم على الربيع هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن علاقاتها الاقتصادية محكومة بالعلاقات مع العالم الغربي، أكثر منه العلاقات مع روسيا، والمسألتان تدفعان إلى خلق بعض القيود على علاقات روسيا الاقتصادية مع الشرق الأوسط¹، ما يدفع روسيا إلى محاولة زيادة تواجدها وعلاقاتها مع دول الشرق الأوسط.

وعموما يمكن تلمس العامل الاقتصادي وكيف يدفع في اتجاه صراع النفوذ الروسي-الأمريكي بالآتي:

أولا: الاعتماد على عائدات النفط والغاز

تعتمد أغلب دول الشرق الأوسط، في تكوين ناتجها المحلي على عائدات النفط والغاز، وهذا يفيد أمرين اثنين؛ الأول أن السوق الذي ستتوجه إليه موارد الطاقة وأغلبه يتعلق بالعالم الصناعي الغربي وبشرق آسيا، وبالشركات التي تتعامل مع هذه المادة، استثمارا وتنقيباً وإنتاجاً ونقلًا وتكريرا واستهلاكاً، وأغلبها هي شركات غربية.

ومادام أن دول الشرق الأوسط وروسيا هما مصدرين خالصين لموارد الطاقة، إذن لا يمكن تصور أن تتطور تجارتهما أو علاقتهما الاقتصادية إلا بحدود دنيا، لذلك فروسيا تحاول جاهدة أن تجد موطئ قدم لها بأكثر من دولة بالشرق الأوسط، بمحاولة استقطاب دول عبر جملة من الشراكات الاقتصادية.

في حين أن الولايات المتحدة ومعها أوربا لا تستورد إلا كميات محدودة من النفط والغاز من منطقة الشرق الأوسط، لكن هذه المادة هي محل صناعة وتجارة للشركات

¹ بيلنكايا، " الشرق الأوسط الكبير بين روسيا والسبعة الكبار "، مجلة شؤون الوسط، العدد 128، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شتاء 2008، ص ص. 69-74.

الغربية والأمريكية منها خاصة، لذلك نتصور أن يرتفع معدل التبادل التجاري بين الطرفين؛ الشرق أوسطي والأمريكي¹.

الثاني أن اقتصاديات الشرق الأوسط لم تتم اقتصاديات صناعية أو إنتاجية حقيقية، أي بمعنى أن القطاعات السلعية مازالت مساهمتها في الناتج المحلي منخفضة، ومن مسببات هذا الأمر نجد حجم الربيع المتنامي من تصدير الموارد الهيدروكربونية، وغياب الدافع الحقيقي لعملية التحول في الاقتصاد الوطني لدول هذه المنطقة، باستثناءات متعلقة بتركيا وإسرائيل، وهذه نتيجة غياب النفط والغاز بكميات تجارية فيها جعل اقتصادها يعتمد على صناعات وخدمات مختلفة تحقق نموا حقيقيا فيها، ومن ثم فإن تبادلاتها التجارية تكون متنوعة مع دول العالم، ولا تركز على تجارة النفط والغاز.

هذا الاعتماد على النفط والغاز، جعل دول الشرق الأوسط تعتمد على الغرب، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل توفير حاجاتها الأساسية في مختلف المجالات.

ثانيا: الارتهان إلى أسواق النفط العالمية

تعاني دول واقتصادات الشرق الأوسط من مشاكل جمة، بسبب أن حجم اقتصادها ونموها ودخل الفرد، وحجم التبادلات التجارية... كلها تتأثر بأسعار التصدير، فالارتهان بالسوق العالمية يرتبط به ارتهان لمستوى الأسعار ولتقلباتها، وذلك التقلب واضح في السوق العالمية. فمثلا خلال السبعينات ارتفعت الأسعار وهو ما حقق وفرة لاقتصادات الشرق الأوسط، ثم حدث تراجع حاد في الثمانينات وعادت الأسعار بالارتفاع منذ عام 1991، صعودا حتى العام 2014، عندما أصابها انكسار حاد أثر في وضع الاقتصاد في هذه الدول².

وآخر هذه الانهيارات في أسعار النفط وصلت نحو 30% في 9 مارس من عام 2020 بسبب الزيادة المهمة في الإنتاج التي رافقها انتشار وباء كورونا، وتراجع في

¹ سالم النجفي، " إشكالية النفط الاقتصادية "، مجلة شؤون الأوسط، العدد 124، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية، خريف 2006، ص ص. 32-37.

² نعيمة شومان، " صدمة النفط "، مجلة شؤون الأوسط، العدد 124، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، خريف 2006، ص ص. 62-64.

الطلب العالمي، مما سيؤدي إلى منافسة شرسة بين المنتجين الكبار كروسيا والسعودية، هذا الانخفاض الحاد في الأسعار سيضرب بقوة اقتصاد الدول المصدرة للنفط والمعتمدة عليه كمصدر رئيسي للدخل.

ثالثاً: ارتفاع معدلات نمو الشباب مقابل ارتفاع البطالة وضعف الاستثمار

وهو عامل اقتصادي آخر، يؤثر في القدرات الاقتصادية لدول الشرق الأوسط عامة، فالقوة الاقتصادية يمكن قياسها من قوة العمل نسبياً، إلا أنه في المقابل، فإن ارتفاع معدلات الشباب في قوة العمل في اقتصاد شامل يفيد بوجود مشكلات جمة يمكن أن يتعرض لها الاقتصاد الوطني، والتي تتمثل بارتفاع معدل البطالة فيه، وهذا حال الشرق الأوسط، فدل يسودها الارتفاع بنسبة الشباب في ظرفية ليست فيها أنشطة اقتصادية حقيقية، وهو أمر تسبب بمعاناة اقتصادية لها ولا يتوقع حدوث تحول عنه خلال هذه المدة¹.

إن الثروة المالية والأرصدة المتحققة لدول الشرق الأوسط، وحجم الاستثمارات في الأسواق العالمية لا تعكس قدرات حقيقية لدول الشرق الأوسط إنما هذه الدول تعاني من انكشاف عال جداً، فاقتصادات هذه الدول تتأثر بتجارة النفط العالمية، والأخيرة تتأثر بالتجارة الدولية، فكلما انكمش الطلب العالمي على النفط والغاز الطبيعيين أو تراجعت أسعارهما فإن ذلك يقود إلى تراجع العوائد التي تحصل عليها هذه الدول، ومن ثم يتسبب الأمر بمأزق لموازنتها السنوية. وباتت كل الجهود التي بذلتها هذه الدول بتعظيم الاستثمار في دولها متواضعة بحكم عوامل عدم الاستقرار المحلية التي تتسبب بخروج رأس المال، وليس باستيطان المحلي منه أو باستقدام الأجنبي منه².

كما أنه لا توجد لليوم سياسات اقتصادية في إدارة الموارد غير الربعية، ومنها الرأس المال البشري، والمعرفة، فأغلب دول الشرق الأوسط مع بعض الاستثناءات، مازالت لم تول التنمية البشرية اهتماماً يذكر، بوصفها العامل الأول في التنمية، وتغيير الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي لهذه الدول، يعزى ذلك لسببين الأول متعلق بالسلطة، والرغبة

¹ " تقرير التنمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا "، الطريق غير المسلوكة، البنك الدولي، واشنطن 2007، ص ص. 6-7.

² الكسندر بريماكوف، نفط الشرق الأوسط والاحتكارات الدولية، ترجمة بسام خليل، بيروت، 1992، ص ص. 34-35.

باستمرارها بشتى الطرق، ومهما كانت الأدوات المستخدمة لمنع التغيير، والسلطة ترغب باستمرار الطاعة والخضوع لها ماليا وولائيا، والثاني متعلق بالمال، فتوزيع الثروات يتم استنادا لعامل الولاء، والقرب من السلطة استنادا إلى معايير غير مهنية، أما في ظل إنماء عامل رأس المال البشري والمعرفة، فإن الأمر يتسبب بحتمية تغيير عامل الثروة نحو تطوير ودعم المعرفة، وليس لدعم علاقات الولاء والانتماء والسلطة. ومثل هذا التحول غير ممكن تصوره خلال هذا العقد من الزمن في الشرق الأوسط¹.

الفقرة الثانية: على مستوى البيئة الإقليمية لدول الشرق الأوسط

تعتبر البيئة الإقليمية لدول الشرق الأوسط من بين العوامل التي تساهم بشكل كبير في استمرار حالة الصراع الروسي-الأمريكي في المنطقة، سواء على المستوى السياسي - كما سبقت الإشارة إلى ذلك سابقا - أو على المستوى الاقتصادي، فطبيعة النظام الإقليمي الشرق أوسطي اقتصاديا تركي فرضية استمرار الصراع.

أغلب دول الشرق الأوسط هي دول ريعية، تعتمد على تصدير النفط والغاز الطبيعيين؛ وقد بينا تأثيراتهما في أكثر من جانب، وبيننا أن تأثيرها الأبرز هو أنها تخلق اقتصادات غير مستقرة، ومرتهنة بالبيئة والأسواق العالمية لاستهلاك النفط والغاز، وهو ما يجعل اقتصادات الشرق الأوسط عامة غير مستقرة، كما أنه لا يخلق قاعدة واسعة لتبادلات تجارية حقيقية بين دول المنطقة نفسها، أو بينها وبين روسيا كون الأخيرة أيضا تعتمد في الجزء الأعظم من مواردها على تصدير النفط والغاز، إلى الأسواق العالمية.

كما أن اقتصادات الشرق الأوسط لم تعتمد على قاعدة صناعية تنافسية، بحكم كون المجتمع فيها غير صناعي، وإنما هو مجتمع يميل إلى المزاجية بين (البداءة والريف والاستهلاك)، فعلى الرغم مما حققته عائدات النفط والغاز الطبيعيين من تغير محدود بالاستهلاك، إلا أنه لم يحدث تحول في عقلية الإنتاج، وظلت تعيش مرحلة تنزاج فيها قيم البداءة والريف، مع شيوع أنماط جديدة من الاستهلاك، وغياب حقيقي لعامل الإنتاج، باستثناءات متعلقة بتركيا وإسرائيل، كما أشرنا لذلك سابقا.

¹ تقرير التنمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الطريق غير المسلك، مرجع سابق، ص ص. 8-9.

هذا كله يعطي انطباعا على أن اقتصادات الشرق الأوسط تتميز بسمّة الانكشاف على الاقتصاد الدولي، كما أن عضوية دول الشرق الأوسط في منظمة التجارة العالمية خلق أو سيخلق لها وضعاً سلبياً غير طبيعي، بحكم أن المنتجات المصدرة هي إما مواد هيدروكربونية خام، أم مصنعة تصنعياً أولياً، وهي مملوكة للدولة، وتحتاج هذه الدول إلى حماية وادخار ثرواتها لمصلحة الدولة، ولكن طبيعة عمل منظمة التجارة هو أن كل العمليات والأنشطة التجارية تخضع لقاعدة المنافسة، مما يجعل الصناعات البتروكيميائية تواجه احتمالات التعرض لمسألة عدم التنافسية، أو ربما وجود دعم حكومي لها....¹.

إن البيئة الاقتصادية للشرق الأوسط تتعرض لضغط العوامل السياسية، المحلية والإقليمية والدولية، مثلاً سياسة الاحتواء المزدوج التي اتبعتها الولايات المتحدة ضد العراق وإيران عام 1993، قانون (داماتو) الذي فرضته الولايات المتحدة عام 1994، وأقرت بموجبه عدم السماح للشركات الأجنبية أن تستثمر أكثر من 20 مليون دولار في إيران، وإلا تتعرض للعقوبات الأمريكية²، ... تلك العوامل السياسية تعيق إمكانية أن تتعامل القوى الكبرى بمنطق التنافس في الأسواق الشرق أوسطية، لصالح إمكانية الصراع في علاقاتها، ونقصد هنا العلاقات الروسية الأمريكية في الشرق الأوسط.

الفقرة الثالثة: على مستوى بيئة النظام الدولي

تتعدد العوامل المرتبطة بالبيئة العالمية التي ترجح استمرار الصراع بين كل الدولتين في منطقة الشرق الأوسط.

أولاً: ارتباط الناتج القومي لدول الشرق الأوسط بتجارة النفط

بيئة النظام العالمي محكومة بالتقلب وعدم الثبات؛ حيث أنها تقوم على أساس قاعدة الإنتاج الصناعي وأذواق الاستهلاك العالمية في إطار أسواق عالمية كبرى في آسيا وأوروبا والأمريكتين، وتلك الأسواق تتعامل مع متغيرات عديدة جُلّها ليست اقتصادية،

¹ علي الرويلي، " 220 مليار دولار حجم استثمارات الصناعات البتروكيميائية في دل الخليج "، صحيفة الرياض، 7 فبراير 2015، < <https://bit.ly/2JxrBte> > (12 يناير 2018)

² صابر كل عنبري، " تمديد قانون "داماتو" ومصير الاتفاق النووي "، مركز الجزيرة للدراسات، 20 دجنبر 2016، < <https://bit.ly/3gaWlvV> > (23 ماي 2018)

وعموماً، فإن استهلاك النفط والغاز الطبيعيين يعد المصدر الرئيسي لعائدات الشرق الأوسط، وهو محكوم بأوضاع الاقتصاد العالمي، وتلك الأوضاع تشهد موجات من الطلب الكثيف وموجات من تقلص معدلات الطلب، بحسب النمو الاقتصادي، على الرغم من أن العلاقة بينهما ليست جازمة، فبعض أنواع الاستهلاك لا يمكن التراجع عنها وإن كان هناك كساد في السوق العالمية، وهو ما أشرته المرحلة ما بين العامي * (2008-2014)، (الأزمة الاقتصادية العالمية).

وفي ظل وجود وفرة طبيعية من الإمدادات النفطية، كما أن أسعار الطاقة لا تتعلق بطبيعة الأنشطة الاقتصادية فحسب، ومثاله ما جرى نهاية العام 2014، فعلى الرغم من أن هناك نشاط اقتصادي وأن التجهيز لا يقدم فائضاً نفطياً غير طبيعي، إلا أن الأسعار هبطت إلى معدلات غير متوقعة، آخرها المتزامنة مع أزمة وباء "كورونا"، وذلك التقلب في سوق الطاقة العالمي يؤثر في الوضع الاقتصادي للشرق الأوسط¹ ويزيد من احتمالية الصراع.

ثانياً: ارتهان اقتصاد المنطقة بالحالة السياسية للنظام الدولي

وهي النقطة المتعلقة بكون منطقة الشرق الأوسط جزءاً حساساً لتقلبات النظام الدولي عامة، ولتوجهات القوى الكبرى في جعلها أداة لبلوغ مراتب الريادة في النظام الدولي، فقد استطاعت القوى الكبرى أن تدخل الشرق الأوسط، وأن تفرض علاقات تبعية لدولها للقوى الكبرى، ووصل تدخل القوى الكبرى في علاقاتها مع دول الشرق الأوسط إلى أن تكون لاعبا إقليمياً، كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة مع أغلب تفاعلات الشرق الأوسط، وحال روسيا في تعاملها مع أحداث سوريا منذ عام 2011².

* الأزمة المالية العالمية 2007-2008 التي انفجرت في سبتمبر 2008، اعتبرت الأسوأ من نوعها منذ زمن الكساد الكبير سنة 1929م، ابتدأت الأزمة أولاً بالولايات المتحدة الأمريكية ثم امتدت إلى دول العالم ليشمل الدول الأوروبية والدول الآسيوية والدول الخليجية، والدول النامية التي يرتبط اقتصادها مباشرة بالاقتصاد الأمريكي، وقد وصل عدد البنوك التي انهارت في الولايات المتحدة خلال العام 2008م إلى 19 بنكاً، كما توقع آنذاك المزيد من الانهيارات الجديدة بين البنوك الأمريكية البالغ عددها 8400 بنكاً.

¹ أحمد حسين الهيتي وبختيار صابر محمد، " أثر تقلبات الإيرادات النفطية في مؤشرات الاقتصاد الكلي وأداء أسواق الأوراق المالية في دول مجلس التعاون الخليجي "، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد 7، جامعة الأنبار، 2011، ص ص. 5-7.

² محمد وائل القيسي، مكانة العراق في الاستراتيجية الأمريكية اتجاه الخليج، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2013، ص ص. 130-145.

فكل تلك الكوابح تساعد على تحويل الاهتمام إلى الجوانب السياسية، وإلى الصراع بشكل أكبر.

الفقرة الرابعة: المستوى المتعلق بكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية

فإذا ما نظرنا إلى الاقتصاد الروسي، سنرى أنه اقتصاد مدعوم بقاعدة بحث وتطوير مهمة، وقاعدة صناعية مهمة، ناهيك عن اعتماد الاقتصاد الروسي على عائدات النفط والغاز بنسبة مهمة، إلا أن الاقتصاد الروسي مازال يعاني وجود قدر من التدخل السياسي في إدارته، ومن وجود هروب لرؤوس الأموال منه بسبب كثرة الأزمات السياسية في العلاقة مع الغرب، وتلك النقطة تخلق نوعاً من عدم الثقة بقدرة الاقتصاد الروسي.

اتضح هذا المشكل بعد أحداث أوكرانيا وانخفاض أسعار النفط، إذ تعرض الاقتصاد الروسي لهزة عنيفة¹، وفي المقابل، فإن الاقتصاد الأمريكي مبني على قدرات اقتصادية تنافسية كبيرة، وهو يعتمد على قطاعات إنتاجية حقيقية، ولكنه اقتصاد يعاني.

من أهم أوجه معاناة الاقتصاد الأمريكي نجد الديون الكبيرة، وارتفاع معدلات الاستهلاك قياساً إلى القدرة الإنتاجية الأمريكية، والعجز الواضح في الميزان التجاري مع دول العالم، والحاجة إلى تدفق الأموال إلى الداخل الأمريكي، وارتفاع في مؤشر البطالة تلك المؤشرات تدفع الاقتصاد الأمريكي إلى البحث عن أسواق مفتوحة، وشيوع أجواء الصراع على مناطق تمكن من تحقيق مزيد من المصالح خدمة لاقتصاد الدولتان، بطبيعة الحال يبقى الشرق الأوسط أهم تلك المناطق.

من خلال ما سبق، فإن العامل الاقتصادي يبقى حاضراً بقوة في ترجيح استمرار صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط، إلا أنه ليس الوحيد، فإضافة إلى العامل السياسي الذي تحدثنا عنه سابقاً، يبقى العامل الأمني والعسكري من أهم العوامل المرجحة لاستمرار الصراع.

¹ خالد اسماعيل سرحان، " عقيدة بوتين في السياسة الخارجية الروسية "، مجلة أبحاث استراتيجية، العدد 7، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، بغداد، 2014، ص ص. 112-119.

المطلب الثاني: العامل الأمني والعسكري

بالإضافة إلى كل من العامل السياسي والاقتصادي ومساهمتهما بشكل كبير في استمرار الصراع الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط، كما رأينا سابقاً، هناك جانب/عامل آخر مهم وحاسم في استمرار الصراع بين القوتين في المستقبل بطرق مختلفة، وهو الجانب الأمني والعسكري، سواء تعلق الأمر بما تعيشه دول الشرق الأوسط على المستوى الداخلي، أو تعلق الأمر بالبيئة الإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط، خاصة تلك الإشكالات الأمنية المزمنة والمستعصية التي تعيش المنطقة على إيقاعاتها، أو تعلق الأمر ببيئة النظام العالمي، وكذا بالعلاقات التي تجمع كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية.

الفرع الأول: البيئة الداخلية والإقليمية لدول الشرق الأوسط

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من المناطق المفتوحة أمنياً وعسكرياً على أنواع غير محددة من العلاقات والظواهر، تؤثر في دول المنطقة وفي القوى الكبرى التي تتفاعل مع هذه التحولات.

الفقرة الأولى: الأمن الداخلي لأغلب دول الشرق الأوسط

منذ استقلال دول الشرق الأوسط في القرن العشرين، كثفت جهودها في مجال الأمن، وهو ما يؤكد كم الإنفاق الكبير على قطاعات الأمن، وعدد الأجهزة الأمنية، وكذا عدد المنتسبين إلى هذه الأجهزة، وطريقة الانتماء إليها.

يكن جوهر المشكلة الأمنية في أغلب دول الشرق الأوسط في تركيزها على حفظ النظام الحاكم وشخصه، أكثر من كون سياسات وإجراءات الأمن متعلقة بحفظ الدولة والشعب ومصالحها، ومادام أن الغائب هو الدولة والشعب والحاضر هو أمن النظام وشخصه، تظهر جوهر المشكلة في كون الخوف هو أساسها، ومفاد الخوف أن النظام الحاكم يخشى من الشعب أكثر من خشيته من المتغيرات الأخرى¹، ولهذا فهو يستنجد بالبيئة الخارجية لدعم العصبية والولاءات التي أنشأها، وهذا الأمر يزيد من إمكانية الصراع على

¹ جولي سي هيريك، وآخرون، الشرق الأوسط المتغير نظرة جديدة إلى الديناميات العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 201، ص ص. 312-315.

البيئة الشرق أوسطية، ويحقق علاقات تبعية تؤثر في مجرى العلاقات الاقتصادية والسياسية...

ويمكن تلمس حالة الخلل الأمني في بعض الدول، وتحديدًا الخليجية منها، والتي تعاني من تبعية أمنية للخارج، كون الأمن غير ممكن تحقيقه بسياسات وإجراءات وطنية، وحال سوريا هو أيضا مؤشر آخر على هذه الحالة... إلخ.

الفقرة الثانية: خلل المنظومة الأمنية للشرق الأوسط

عانت المنطقة – الشرق الأوسطية – ولا زالت تعاني من جملة من المشكلات الأمنية التي تتسبب بتوتر العلاقات الإقليمية، وأهمها وجود مشكلات غير محسومة تاريخيا، منها المشكلات المتعلقة بالتدخل الإثني (الجغرافيا والمكونات القومية والدينية)؛ نتيجة كون الحدود تم وضعها استنادا إلى اتجاهات غربية، وليس لحقائق إثنية أو جغرافية، وبعضها الآخر وضع لاعتبارات تتعلق بأعمال توسع لبعض الدول الإقليمية على حساب الأخرى، وهو ما خلق تدخلات صار يتسبب بمشكلات أمنية.

فإيران التي تتداخل مع العرب في إقليم الأحواز، والأقاليم الشرقية المطلة على الخليج العربي، وتتداخل مع العراق في المناطق الشمالية الشرقية منه المتعلقة بالوجود الكردي، وتتداخل مع تركيا وأذربيجان بالوجود الأذري، ومع تركمانستان وأرمينيا في شمالها أيضا، والأمر نفسه يتكرر مع حدودها مع كل من باكستان وأفغانستان، والأمر لا يقتصر على إيران، وإنما يشمل دول المنطقة كافة.

كلما اتجهنا إلى الدول العربية يظهر نوعين جديدين من التدخل، وهما التدخل المذهبي والتدخل القبلي، وتنوع الانتماءات ليس دلالة على الصراع إنما ارتهانه بعوامل تاريخية وإرادات سياسية وغياب حقيقي لمشروع الدولة، وسيادة منطق السلطة، وظهور مشكلة شرعية السلطة...، كل ما تقدم عمق مشكلة الانتماءات، وجعلها واحدة من مسببات الصراع الأمني في العلاقات الإقليمية الشرق أوسطية، بمعنى آخر؛ 'ن الحدود والتاريخ والتدخل القومي بين إيران والدول العربية (الأحواز) وبين إيران وتركيا (الأذريين)، وبين

تركيا والعرب (لواء الإسكندرونة) مازالت قضية أمنية شائكة تعيق بناء الثقة بين هذه الدول¹.

ولما غزا العراق الكويت عام 1990، ظهرت مشكلة الأمن في الشرق الأوسط كمسكلة طافية، يصعب إيجاد حلول لها، ما لم يكن هنالك حل لمشكلة الانتماءات وتقاطعها، وإظهار الإرادة السياسية للتعايش في المنطقة، بل الأمر مستمر في ظل استمرار وجود الصراع العربي- الإسرائيلي، كون (إسرائيل) دالة على استمرار التوتر الإقليمية، وغياب لمنظومة يمكنها أن تجمع الإرادات الإقليمية على التعاون الأمني.

الفقرة الثالثة: علاقات الشك والريبة بين دول المنطقة

تتظر دول الشرق الأوسط لبعضها كمصدر تهديدا أكثر من منظورها للتهديدات الخارجية للأمن الإقليمي، وهي تتحالف مع الدول الأجنبية من أجل تحقيق أمنها الوطني على حساب الاستقرار الإقليمي وذلك الأمر بدأ بالظهور مع وجود مشكلة السلطة وشرعيتها، ورغبة الحكام بالاستمرار في تولي مهام حكمهم، ولكبح الشعب عن المطالبة بالتغيير فقد اتجهت إرادة الأنظمة إلى توسيع المنظومة الأمنية، ومادام أن الموارد المتاحة لا تكفي للعسكرة التامة، لذلك كان بناء المنظومة العسكرية ضعيفا، ومادام أن العلاقات الأمنية والعسكرية متوترة إقليميا كما بينا أعلاه، لم يكن غريبا أن تتجه الإرادات الإقليمية لزعزعة الاستقرار لبعضها البعض، وضمنه التعدي على أمن النظام الحاكم، ولذلك كانت الأنظمة الحاكمة الموجودة في الشرق الأوسط تعتقد أن مصدر الخطر على أمنها ووجودها متعلق بالبيئة الإقليمية، وليس بالبيئة الدولية، وهو ما جعل بعضها يتجه إلى البيئة الدولية تلمسا للحماية أو تعزيزا لقدراتها وأدوارها².

عدم الثقة المبني على الهواجس الأمنية والعسكرية بات واسع النطاق في العلاقات الإقليمية، ومؤشره التسلح، وارتفاع معدله في الشرق الأوسط، وإذا ما تم التدقيق في ذلك سنرى أن مصادر التجهيز بالسلاح لدول الشرق الأوسط، إنما هي دول تكون مرتبطة معها

¹ ShaistaShaheen Zafar, " Turkey's 'Zero Problems with Neighbours' Foreign Policy; Relations with Syria" , Journal Of European Studies, n° 3. 2022, p p. 143-145.

² وفاء داود، " حول معني ومؤشرات "الثقة السياسية" ، سلسلة الديمقراطية، الأهرام الرقمي، أكتوبر العام 2011، <<https://bit.ly/3ohpWXi>> (10 يونيو 2018)

بعلاقات أمنية وعسكرية (علاقات دعم ونشر للقوات والحماية...)، وأهمها الولايات المتحدة الأمريكية¹.

الفقرة الرابعة: انقسام النظام السياسي وأثره على أمن دول المنطقة

تشهد دول المنطقة انقسامات مختلفة منها ما هو إثني- عقائدي لدى إيران، وعلماني- قومي لدى تركيا، وديني لدى إسرائيل، وقبلية لدى دول الخليج العربية، وغير محدد المعالم لدى العراق ومصر وسوريا.

وذلك الانقسام يتسبب بصراعات أمنية مضاعفة، ويخلق أساس لتوجهات متباينة بين دول المنطقة، ومن الملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية تحتضن كل من إسرائيل وتركيا ودول مجلس التعاون الخليجي، في حين أن روسيا ترتبط بعلاقات جيدة مع كل من إيران وسوريا، وهو ما يدل على أن القوى الكبرى ترتبط بعلاقاتها من منظور مصالحها، عكس دول الشرق الأوسط التي ترتبط بعلاقاتها الدولية من منظور رؤية نظام حكمها²، والفرق بين الإثنين؛ أن الأولى تحقق استمرارية واستقرار في علاقاتها، في حين أن الأخرى تخلق تبعية في علاقاتها، وهو يزيد الأمور سوءا ويزكي فرضية استمرار صراع النفوذ في المنطقة.

الفقرة الخامسة: القضية الكردية، إشكال أمني في الشرق الأوسط

من أكبر المشاكل التي تعاني منها منطقة الشرق الأوسط، وتساهم بشكل كبير في عدم استقرار المنطقة، نجد المشكلة الكردية، فمنذ ظهور الدولة المستقلة بالمنطقة في القرن العشرين، ظهرت المشكلة الكردية، فالكرد قومية كبرى يفوق عددهم نحو 50 مليون إنسان، أي أنهم أكبر من القومية الفارسية، وأكبر من عدد سكان بعض دول آسيا الوسطى التي تتمتع بوضع دولة، وكان وضعهم قبل عام 1921، منقسم بين كيانيين أحدهم قومي (الدولة الفارسية)، والآخر ديني هو الدولة العثمانية.

¹ محمد عبد السلام، قضايا التسليح العربي، مجلة شؤون الأوسط، العدد 106، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ربيع 2002، ص ص. 51-57.

² شامل سلطانونوف، " وروسيا والعالم الإسلامي والصراع ضد الإرهاب العالمي "، مجلة شؤون الأوسط، العدد 128، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2008، ص ص. 85-89.

كان وضعهم داخل الدولة العثمانية محتوياً، كون العامل القومي كان غير طافي في علاقات الدولة الداخلية والخارجية باستثناءات متعلقة بتولي جمعية الاتحاد والترقي الحكم في الدولة العثمانية، وبروز بعض نزاعات الاحتجاج القومية بين العرب في بلاد الشام مستهل القرن العشرين، أما الأكراد فظهرت مشكلتهم في أعقاب إعلان الحلفاء المنتصرين على الدولة العثمانية معاهدة (سيفر) 1919، والتي تمنح (أرمينيا) حق إعلانها كدولة قومية، وحق الكرد في تأسيس كيان قومي، لكن إرادة الحلفاء تغيرت بعد أن سيطر الأتراك على ما تبقى من الدولة العثمانية غير الخاضعة لاحتلال بريطانيا وفرنسا واليونان وروسيا، وكان من ضمنه الجزء الأكبر من كردستان الموجودة في الدولة العثمانية.

وفي ظل اتجاه بريطاني لخلق مشكلة وإبقاء منطقة الشرق الأوسط تحت وضع عدم الاستقرار، عملت على توزيع القومية الكردية بين عدة دول، وأبرزها؛ تركيا وإيران والعراق، وهو ما تم بتوصلهم من معاهدة (سيفر) بالإعلان عن معاهدة (لوزان) عام 1923 والتي تعترف بحدود سيطرة تركيا وحدودها مع جوارها وضمها لبعض السكان الكرد¹، في حين استقر القسم الآخر منهم في إيران والعراق.

لكن تلك المشكلة استمرت تتفاقم حتى وصلت حدود الرفض الكردي المغذى بعوامل ودفع من قوى كبرى إلى حدود قصوى تمثلت باتجاه تركيا إلى الإنكار التام لوجودهم كقومية، وإلى اتجاه حكومة العراق إلى اجتياح مناطقهم ما بين عامي (1988-1991)، واتجاه إيران إلى تمايزهم القومي من الناحية الفعلية بعد عام 1979، ولم يتغير الحال لوضع هذه القومية دولياً إلا بعد عام 1991، عندما اعترفت الولايات المتحدة بأن القومية الكردية في العراق (وليس في تركيا وإيران) يجب أن يتغير وضعها، فوفرت لهم الحماية لعوامل سياسية، وليس لعوامل قومية، ومؤشره إنكار ذلك على الكرد في تركيا وإيران.

استمر تمتع الكرد بميزات الاستقلال النسبي عن الدول العراقية حتى العام 2003، عندما أطر وضعهم في إقليم فدرالي، لكن بقيت مشكلتهم لليوم مستمرة، بسبب وجود اتجاهات قوية بين ظهراني الكرد العراقيين إلى تأسيس كياناتهم القومي.

¹ Marianna CHAROUNTAKI, *Turkish Foreign Policy and the Kurdistan Régional Gouvernement*, PERCEPTIONS, 2012, Volume XVII, Number 4, pp. 191-197.

هذا الاتجاه ما زال يصطدم باحتمالات الرفض والتدخل التركي والإيراني، كونه سيتسبب بانفصال نحو ربع جغرافية وسكان تركيا، ونحو ربع مساحة إيران و(12%) من سكانها، وذلك الأمر لا تقبل به الدولتان لليوم، وهو ما يخلق أساسا لزعة الاستقرار الأمني الإقليمي¹، وبالتالي يبقى على أرضية ملائمة للصراع على النفوذ بين القوى الكبرى.

الفرع الثاني: البيئة العالمية والعلاقة بين القوتين

يرى محللون في حقل العلاقات الدولية، أن العالم سار بطريقتين متزامنتين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية؛ الأول في اتجاه يرمي تعزيز العلاقات التعاونية درءا لاحتمالات ظهور مسببات حرب عالمية جديدة، وبالتالي تطور المنظمات الدولية والعالمية والإقليمية الحكومية وغير الحكومية، والثاني في اتجاه يرمي إلى تطوير القدرات العسكرية، وبالتالي الزيادة في معدلات الإنفاق العسكري والبحث العلمي، وإنماء التحالفات العسكرية العالية، وإذكاء مسببات الصراعات الإقليمية، وهو ما اقتضاه الصراع في إطار الحرب الباردة، والذي انتهى إلى انقسام حاد في النظام الدولي، وإلى ظهور الكثير من الصراعات الإقليمية التي كان يمكن السيطرة عليها وتخفيف مظاهرها ومسبباتها، والحال استمر حتى نهاية العقد الثامن من القرن الماضي عندما انتهت الحرب الباردة، ولينطلق العالم من جديد في خضم اتجاهين².

- الأول: مفاده اتجاه الولايات المتحدة لأحكام قبضتها العسكرية على العالم من منظور القطب الواحد، وبدأته بالعراق عام (1991/1990)، وتوسيع إنفاقها العسكري، وإعادة نشر قواتها في كوريا الجنوبية واليابان وألمانيا على نحو تعكس علاقات القوة الجديدة.
- والثاني مفاده الاتجاه نحو إنماء علاقات تعاون دولي ضمن منظور جديد للإقليمية، وهي الإقليمية العابرة لحدود النظم الإقليمية فظهرت (الأبيك)، ناهيك

¹ Ibid, pp. 198- 201.

² تحتوت نور الدين، خصائص العلاقات الدولية في ما بعد الحرب الباردة واطروحات العولمة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد (22)، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جوان 2011، ص 214، وص 217.

عن (النافتا)، وغيرها من المنظمات الدولية، والتي يعد أهمها منظمة التجارة العالمية، كما برزت محاولات لإعادة النظر بتركيبة مجلس الأمن والأمم المتحدة، وتحويلها إلى جهاز أوسع يعكس حقائق علاقات القوة الجديدة، أو تحويلها إلى اتجاه يمكن أن تظهر منه حكومة عالمية لاحقاً*.

أما روسيا، فإنها ظلت خاملة عسكرياً خلال المدة ما بين عامي (1991-2000)، بسبب سيطرة الاتجاه الداعي إلى طلب إرضاء الغرب أكثر من طلب تعزيز الكيان القومي الروسي، أما في الولايات المتحدة فإن الاتجاهين الأخيرين كانا فاعلين بالتزامن حتى العام 1998، عندما بدأت معالم سيطرة المحافظون الجدد على السياسة الأمريكية¹.

وقد استطاعوا التأثير في مجرى تلك السياسة بشكل كبير خلال المدة ما بين عامي (2000-2004)، وهو ما جعل الولايات المتحدة تركز على الجانب العسكري في علاقاتها الدولية، وتفرض سيطرتها على كل من أفغانستان والعراق، وتخوض حرباً شاملة مفتوحة على ما سمته "إرهاباً عالمياً" كنوع من الرد على تداعيات أحداث 11 سبتمبر 2001، و هي العملية التي ألصقها البعض بالدولة الأمريكية أو بعضاً من أجهزتها الرسمية كوسيلة لتسويق سلوكها اللاحق عالمياً².

وتسببت السياسة الأمريكية بتصعيد الاتجاهات الروسية القومية، ومنها صعود زعامة (فلا ديمير بوتين)، وهو الذي رأى أن سياسات الولايات المتحدة في التوسع بحلف الأطلسي إلى حدود روسيا، ونشر منظومة الدرع الصاروخي، واستهداف الدول الصديقة لروسيا في العالم...، يعتبر بمثابة إجراءات تهدف إلى تطويق روسيا، وهو ما تسبب برد فعل الأخيرة

* هو اتجاه يرى الكثيرون أنه اتجاه مثالي، بعيد عن الواقعية، ويستحيل الوصول إليه في ظل ما يعيشه العالم والنظام الدولي من تغليب للمصالح على أي اتجاه نحو حكومة عالمية.

¹ محمد عبد القادر فهمي، "العقائد الدينية وأثرها في منهج التفكير السياسي للولايات المتحدة الأمريكية"، مجلة العلوم السياسية، العدد 35، جامعة بغداد، 2007، ص ص. 23-30.

² علي فايز يوسف الدلابيح، توازن القوى وأثره في الشرق الأوسط بعد الاحتلال الأمريكي للعراق 2003-2011، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمان، 2011، ص ص. 26-28.

ودفعها نحو العودة إلى تعريف مصالحها القومية الإقليمية والدولية، وضمنها إعادة إطلاق استراتيجيتها في إنماء قوتها العسكرية¹.

وقد اتجه تصاعد العوامل العسكرية والأمنية في العلاقات الروسية- الأمريكية ثنائياً، وعالمياً بشدة بعد عام 2010، بسبب اتجاه الولايات المتحدة إلى إحداث تغيير كبير في خرائط الشرق الأوسط، وإعادة رسمها من جديد باستخدام ورقة (الربيع العربي)، مستغلة تذمر الشعوب في هذه المنطقة من أنظمة الحكم، ولكنه اتجاه اصطدم مع مصالح روسيا فيها، وهو ما تسبب بتدخل روسي، واتجاه أمريكي لنقل الصراع إلى حدود روسيا، والذي تمثل بظهور واستفحال أزمة أوكرانيا عام (2013-2014)، تزامناً مع الأزمة السورية².

هذا الأمر، إنما يخلق اتجاهاً يساعد على الصراعات أكثر من المساعدة على الارتقاء بالعلاقات الروسية- الأمريكية عالمياً أو إقليمياً.

إن مختلف العوامل التي سبقت الإشارة إليها – سياسية واقتصادية وأمنية عسكرية- تعد تأكيداً على احتمالية استمرار صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط، في المستقبل القريب ضمن مستويات مختلفة.

¹ خضر عباس عطوان، " سياسة روسيا العربية والاستقرار في النظام الدولي "، *المجلة العربية للعلوم السياسية*، العدد 20، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص ص. 48-51.

² Stephen J. Blank, CENTRAL ASIA AFTER 2014, StrategicStudies Institute And U. S. ArmyWarCollegePress, Washington, November 2013, p p : 50-55.

خلاصات واستنتاجات

حاولنا من خلال هذا البحث رصد واقع وخلفيات الصراع على النفوذ بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وذلك من خلال تمظهراته وأبعاده المختلفة وكذا آثاره وتداعياته على المنطقة وقضاياها الأساسية، وقد توصلنا إلى جملة من الخلاصات والاستنتاجات يمكن إجمالها في الذي يلي:

- يتميز مفهوم الصراع في حقل العلاقات الدولية عن الكثير من المفاهيم المشابهة، إلا أنه يقترب من مفهوم التنافس، حيث يستخدم الكثير من الباحثين الصراع والتنافس للدلالة على نفس المعنى، وذلك نظرا لصعوبة التمييز بينهما.

- مفهوم الشرق الأوسط مفهوم هلامي يصعب تحديده بشكل دائم، فهو يضيق ويتسع حسب الجهة التي تستخدمه والغاية من استخدامه، ذلك ما تبين عبر مختلف المراحل التاريخية، حيث ظل المصطلح يخضع لمصالح وتوجهات القوى الكبرى في كل فترة زمنية.

- محورية الشرق الأوسط في الفكر الاستراتيجي لكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، تزكیه قيمة المنطقة على المستوى الاستراتيجي والجيوستراتيجي، بالإضافة إلى ما تحويه من الإمكانيات التي تمكن القوى الكبر كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا من دعم عوامل قوتها.

- المنطقة تتقبل مصالح القوى الكبرى وتفاعلاتها فيها، وهو أمر سمح بتمدد غير مسبوق لمصالح هذه القوى، وبضمنها مصالح روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، كما تختلف المصالح القومية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا التي تدفعهما للاهتمام المتزايد بمنطقة الشرق الأوسط.

- لا يمكن فهم مجريات الصراع من نفس المدخل الزمني لفترة الحرب الباردة، بل لا بد من التعامل مع أي صراع عبر مداخل زمنية مختلفة.

- تدرك روسيا حدود قدراتها الاستراتيجية كفاعل في السياسة الدولية بعد الحرب الباردة خلافا لما توفر للاتحاد السوفياتي، إذ لا يمكن الحديث عن توافق في قوة الدولتين وتواجههما في الشرق الأوسط، حيث تبقى الأغلبية والهيمنة للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، والروس أنفسهم يعرفون أن للولايات المتحدة الأمريكية عوامل ثقل ونفوذ قوية ومهمة في الشرق الأوسط، مثل وجودها العسكري الكبير في الخليج العربي إلى جانب قوتها الاقتصادية، وهي عوامل تفتقر إليها روسيا، الشيء الذي انعكس على واقع وطرق وقوة تدخلها في الشرق الأوسط في مواجهة النفوذ الأمريكي، حيث تباينت قوة مواقفها حسب دول المنطقة.

- إن تتبع المراحل الزمنية لعلاقات الصراع حول النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط منذ عام 1991 يبين أن المرحلة الممتدة ما بين عامي (1991-2000) كانت مرحلة تفوق الوجود الأمريكي في عموم الشرق الأوسط، أي بمعنى أن الولايات المتحدة الأمريكية اتبعت سياسات اقتصادية وسياسية وعسكرية تنبع من هيمنتها على الشرق الأوسط، في حين أن روسيا كانت غير معنية بتتبع ومراعاة مصالحها بالمنطقة بسبب الضعف والوهن الذي أصابها بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

- عودة روسيا للصراع على النفوذ مع الولايات المتحدة الأمريكية في الساحة الدولية عموما والشرق أوسطية خصوصا ارتبطت إلى حد كبير بوصول فلاديمير بوتين إلى سدة الحكم في روسيا، وصياغة نمط جديد في السياسة الخارجية على الصعيدين الإقليمي والدولي يعتمد على القوة كمحدد لوضع روسيا في السياسة الدولية.

- تعددت واختلقت أوجه الصراع بين القوتين، وشملت جوانب وأبعاد مختلفة لعبت فيها الخصائص الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط دورا هاما في جعله ساحة لصراع النفوذ بين البلدين، ورغبة في توسيع وحماية دائرة نفوذهما وذلك بمختلف الوسائل والطرق الممكنة.

- الدور الكبير للعامل الاقتصادي كمحدد لصراع النفوذ بين البلدين؛ إذ لا زال يشكل النفط محور الصراع، بل إنه المفسر الرئيسي للتوجهات الكبرى للكثير من السياسات

الخارجية والأمنية لدول عظمى كروسيا والولايات المتحدة الأمريكية، كما أن ما تشهده منطقة الشرق الأوسط من اضطرابات وصراعات مختلفة سمتها التعقيد والتشابك، يجعلها المستهلك الأساسي للسلاح الروسي والأمريكي وسوقا تتصارع الدولتان للهيمنة عليه.

- الصراع بين شركات السلاح الأمريكية والروسية في العالم والشرق الأوسط خصوصا، يؤثر على السياسة الخارجية لهذين البلدين، وذلك بالنظر إلى ما يشكله المركب العسكري الصناعي من ضغوطات في تحديد التوجهات الخارجية للبلدين.

- كما تعتبر قضية التسلح وبيع الأسلحة بمثابة وسيلة لدعم زعامتها وهيمنتها إلى جانب تقويض خصومها ومنافسيها من خلال الاستحواذ على أسواق السلاح العالمية.

- تأمل روسيا من خلال مبيعات السلاح لدول الشرق الأوسط أن تكون عاملا مهما في إعادة بناء التأثير الروسي على الساحتين الدولية والإقليمية على حد سواء.

- الحضور الأمني والعسكري المباشر الأمريكي والروسي في سوريا تأكيد على أهمية المنطقة للطرفين، وتأكيد أيضا على الرغبة في إحداث نوع من التوازن في إدارة الصراع وكذا الرغبة الملحة في الدفاع عن المصالح الحيوية للقوتين بشتى الطرق والوسائل.

- إن التواجد العسكري الغربي في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط، بل وتحول المنطقة إلى ثكنات عسكرية لم يجلب لها ولو قدرا بسيطا من الأمن، بل العكس من ذلك فقد ألقى بظلاله السلبية الكثيفة على المنطقة ككل، بل وأفضى إلى إحكام القبضة الأجنبية على موارد النفط فيها، فضلا عن تكبيلها للقرار السياسي لدول المنطقة، وتعميق التبعية للدول صاحبة الوجود مثل - روسيا وأمريكا-.

- قد يبدو هذا التواجد العسكري الأجنبي احتلالا عسكريا مباشرا للدول التي تسمح به، ولا سيما وقد أثبتت التجارب والوقائع الأخيرة أن قبول هذا التواجد الأجنبي الذي جاء بطلب من الدولة تحول إلى مجرد إذعان لذلك الوجود؛ نتيجة لعدم قدرة تلك الدول على إنهائه.

- يؤدي التواجد العسكري الأجنبي في المنطقة إلى ارتهان أمن الخليج العربي، وأمن الدول صاحبة التواجد العسكري على أراضيها، مما يقضي على إمكانية تحقيق الاعتماد على النفس في الجانب الأمني أو حتى الارتباط ببنى أمنية عربية فعالة مستقبلاً.

- أثبتت تطورات الأزمة السورية منذ 2011، عجز وفشل مجلس الأمن عن القيام بدوره في حفظ الأمن والسلم الدوليين، وحماية المدنيين في سوريا من القتل والتهجير والنزوح، فالقرارات التي اتخذها مجلس الأمن بخصوص الأزمة السورية كانت في معظمها تمثل تسويات بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، ولم تكن تمثل أو تعبر عن دور مجلس الأمن، وواجباته في حماية الأمن والسلم الدوليين، فمجلس الأمن نتيجة لعدم التوافق بين القوى دائمة العضوية (روسيا والصين) الداعمة للنظام السوري، والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا الداعمة للمعارضة لم يتمكن من اتخاذ قرارات تسهم في إنهاء الصراع في سوريا وعدم تفاقمه.

- الأزمة السورية أحد الأزمات الدولية التي كشفت عن كون المصالح القومية للقوى الكبرى والبيئة الدولية شكلاً فاعلاً رئيسياً مؤثراً على عمل مجلس الأمن الدولي، فهي - الأزمة- كشفت بشكل تفصيلي كيفية ومستوى تأثير المصالح القومية والنظام السياسي الدولي والعلاقات بين القوى الفاعلة في النظام الدولي على مجلس الأمن، ودوره في إدارة الأزمات الدولية بشكل عام والأزمة السورية بشكل خاص.

- أدت الأزمة السورية الراهنة إلى رفع حدة الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا بشكل كبير وغير مسبوق، خاصة على مستوى مجلس الأمن، وكذلك تحول النزاع في سوريا إلى ما يشبه الحرب بالوكالة وهو ما دفع الكثير من الباحثين إلى الحديث عن بداية حرب باردة جديدة.

- العنف الداخلي والاقْتتال الذي يحدث على الساحة السورية ما هو إلا انعكاس لما يجري على المستوى الإقليمي والدولي من صراع على النفوذ بين القوى الكبرى التي تسعى لتحقيق أهداف ومصالح في سوريا والشرق الأوسط.

- حل الأزمة السورية لم يعد يتوقف على التفاهم بين أطراف النزاع الداخلي فقط، بل على حدوث تقارب في الرؤى بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، أي التوصل إلى حل يضمن تحقيق مصالح الدولتين قبل مصالح شعوب دول المنطقة.

- بالنسبة لتداعيات الحراك العربي، يلاحظ بأن الصراع الأساسي والفعلي لم يكن بين نظام الحكم وشعوبها كما يتم تصويره في الكثير من الأحيان، وإنما كان بين قوى إقليمية ودولية تتصارع فيما بينها من أجل توسيع نفوذها داخل الدول العربية الضعيفة، معبرة بذلك على حقيقة أن الكثير من شعوب العالم مازالت خاضعة لتقسيم النفوذ بين القوى الكبرى، ففي سياق الحراك العربي وبمنطق إيجاد أنظمة حكم موالية كهدف أساسي ونهائي يصب في خانة إيجاد النفوذ؛ راحت القوى الإقليمية والدولية تتصارع؛ فطرف يدعم نظام الحكم القائم الموالي، و في المقابل عمل الطرف المنافس على دعم كل المكونات الساعية لإسقاط النظام عسكريا وماليا ودبلوماسيا واقتصاديا، بالطبع في هذه الحالة إسقاط النظام لم يكن يعني شيء سوى انتصار الطرف الخارجي الآخر أي استمرار نفس الواقع، فقط ما يتغير هو الطرف الخارجي المهيمن.

- شكلت العوامل الخارجية وعلى رأسها صراع النفوذ الإقليمي والدولي في منطقة الشرق الأوسط، عامل موجه لمسار الحراك العربي، بعيدا عن طموحات الشعوب العربية، كما ساهم أيضا بشكل سلبي على عملية بناء وإعادة بناء الدولة خاصة لفترة ما بعد الحراك، إذ تحولت الشعوب العربية من فاعل رئيسي مستقل في التعبير عن رفض الوضع المعيشي المزري إلى فاعل هامشي وتابع لإحدى القوى الإقليمية والدولية المتصارعة، وبالتالي استمرار عملية بناء وإعادة بناء الدول المنهارة المرتبهة لمصالح القوى الخارجية وليس لمصالح ومكونات مجتمع الدولة المعنية بالبناء، ما يعني استمرار الوضع القائم في المنطقة.

- إن رغبة الكثير من مكونات المجتمع الشرق أوسطي بدورها في الحصول على الدعم العسكري والمالي من قبل قوى خارجية؛ سواء من أجل إسقاط النظام أو من أجل تحقيق الغلبة على بعضها البعض، ساهم في تحويل المنطقة إلى ميدان للحروب بالوكالة وتحويل الكثير من مكونات المجتمع إلى وسائل في يد القوى الخارجية، وهكذا واقع يمنع

نجاح عملية بناء دولة حقيقية تعبر عن تطلعات شعوبها وليس مصالح القوى الدولية الخارجية.

- تؤثر التحولات البنيوية في المنطقة والمتغيرات العالمية وصراع المصالح والنفوذ بين الدول الكبرى في المنطقة على النظام الإقليمي العربي وتجعله مخترقا على صعد عدة، ترمي الدول الكبرى من هذا الاختراق الحيلولة دون بروز نظام عربي قوي، كما يعوق ويحول دون تفعيل الترتيبات الأمنية العربية الجماعية والمواجهة الموحدة لمختلف التهديدات.

- رغم أن ظاهرة الإرهاب تعتبر ظاهرة عالمية استأثرت باهتمام كبير خلال العقد الأخير من القرن العشرين وبداية الحادي والعشرين من بلدان العالم المتقدمة والنامية على حد سواء نتيجة آثاره السلبية في المجتمعات عامة، إلا أن ذلك لا ينفي أنه وظف من قبل القوى الدولية لتحقيق مصالح ومآرب سياسية واقتصادية، ما كانت لتتحقق لولا هذا التوظيف، وذلك يؤكد خلاصة أخرى مفادها أن الصراع الدولي حول النفوذ ومنه الروسي-الأمريكي أثر في الدوافع التي أدت إلى تنامي وتغذية الظاهرة الإرهابية في العالم عامة، ومنطقة الشرق الأوسط خاصة، من حيث تهیی الأرضية المواتية لنمو هذه الظاهرة وانتشارها وتغذيتها بسبب حجم الضمار والقتل والتهجير الذي تشهده المنطقة، والذي تتحمل الدول الكبرى المتدخلة في المنطقة نسبة كبيرة من مآلاته.

- دور الصراع في إذكاء النعرات الطائفية بمنطقة الشرق الأوسط، حيث شكل الاصطفاف الروسي مع المحور الشيعي بالمنطقة والدعم الكبير الذي لقيه هذا المحور، وكذا الاصطفاف الأمريكي السني إذا صح التعبير، فرصة لإحياء المشاريع الطائفية التي تهدف إلى تقسيم المنطقة إلى كيانات بناء على انتماءات عرقية ودينية.

- إن منطق الصراع على النفوذ يكون دائما في الدول التي تستطيع تحقيق مكاسب ومصالح للدول الكبرى الراغبة في التواجد بها كدول الشرق الأوسط الغنية بالنفط والموارد المالية، حيث إن الكثير من الدول تعيش أوضاعا مزرية وحروب وصراعات داخلية، إلا

أنها لا تحظى بأي اهتمام من هذه الدول، مما يؤكد حقيقة أن الصراع هو من أجل النفوذ والمصالح.

- لا تملك دول الشرق الأوسط لا القدرة ولا الرغبة في إنهاء كونها مجرد أدوات في مسلسل صراع القوى الكبرى على النفوذ كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا من أجل تعظيم مصالحهما الاستراتيجية في المنطقة.

- ستظل منطقة الشرق الأوسط منطقة جذب إقليمي ودولي بامتياز، ومحط أطماع القوى الدولية الكبرى المتصارعة، ومنطقة تناسل الأزمات، وامتحان عسير لمهندسي الأمن والاستقرار نظرا لكونها منطقة تصفية الحسابات الاقليمية والدولية.

- قيمة الشرق الأوسط وتعدد أوجه الصراعات فيه، وتباين المصالح وتداخلها لدى كل من القوى الإقليمية والدولية المهتمة بالمنطقة؛ كلها عوامل تزكي عدم اليقين بخصوص مخرجات الصراع حول النفوذ الذي يسود العلاقات الروسية-الأمريكية في المنطقة.

- تبقى العلاقة الصراعية التي طرفاها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في الشرق الأوسط محكومة بنظرية إسحاق نيوتن " لكل فعل ردة فعل أخرى في الاتجاه المعاكس" ولا تختلف الفيزياء عن العلاقات الدولية في حقب التصعيد وتفاقم الأزمات.

- ويبقى السؤال مطروحا، هل ستصمد منطقة الشرق الأوسط في مواجهة هذه التحديات المفروضة عليها بحتمية منطق الصراع الدولي على النفوذ، ومنه الصراع الروسي-الأمريكي؟ أم أنها ستتهتز وتسقط بفعل هذا الصراع؟.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

1- الكتب:

- ابراهيم محمود، احمد وآخرون، *حال الأمة العربية 2010-2011* رياح التغيير، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2011.
- إبراهيم، عبد الفتاح، *على طريق الهند بغداد*، دار الشؤون الثقافية العامة، 2004.
- أبو عامر، علاء، *العلاقات الدولية*، دار الشروق للنشر، عمان، 2004.
- أحمد الكعكي، يحيى، *الشرق الأوسط والصراع الدولي*، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
- أحمد زيي، صلاح، *النظام العربي و النظام الشرق أوسطى*، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995.
- إرليخ، ريز، *داخل سوريا: قصة الحرب الأهمية وما على العالم أن يتوقع*، ترجمة طوقان، الدار العربية للعموم، لبنان، 2015.
- اريرادلي، جون، *ما بعد الربيع العربي*، ترجمة شيماء عبد الحكيم طه، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013.
- أغلو، أحمد داود، *العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية*، ترجمة محمد جابر تلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2011.
- البرغوثي، أياد وآخرون، *التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط*، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2000.
- الجاويش، محمد عبد المعطي، *الرؤية الدولية لضبط انتشار أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط*، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2002.

- الجوجري، عادل، المؤامرة الصهيونية على سوريا القاهرة، المركز العربي لخدمات الصحافة والنشر مجد، 2012.
- الزاز، تحسين، إدارة الأزمة بين نقطتي التحول والغليان، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت، 2001.
- الشيخ، نورهان، سياسة الطاقة الروسية وتأثيرها على التوازن الاستراتيجي العالمي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، 2009.
- العودات، فاري، الضحية الكبرى، الصراع الاستراتيجي للقوى العظمى في المشرق العربي، دار نينوى، دمشق، 2012.
- القيسي، محمد وائل، مكانة العراق في الاستراتيجية الأمريكية اتجاه الخليج، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2013.
- المشابقة، أمين، شلبي، سعد ، التحديات الأمنية للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مرحلة ما بعد الحرب الباردة، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، 2012.
- المنياوي، رمزي، الفوضى الخلافة، دار الكتاب العربي، دمشق، 2011.
- الهزاط، محمد، تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، بمكناس، 2009.
- أمين سمير وآخرون، العولمة والنظام الدولي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2004.
- أوتكين، أنا تولى، الاستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.
- أيفودالر وآخرون، هلال الأزمات، ترجمة حسان البستاني، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2006.
- أيوب، نزار، التدخل الدولي الإنساني في سورية ومسؤولية الحماية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، قطر، 2017.

- بتراس، جيمس، *الثورة العربية والثورة المضادة أمريكية الصنع*، ترجمة فاطمة نصر، مكتب صدور للنشر، مصر، 2012.
- بريماكوف، الكسندر، *نفط الشرق الأوسط والاحتكارات الدولية*، ترجمة بسام خليل، بدون دار نشر، بيروت، 1992.
- بن صالح بن ناهض، خالد الظاهر، *دور التربية الإسلامية في الإرهاب*، دار عالم الكتب، الرياض، 2002.
- بيترز، رالف، "حدود الدم: كيف سيبدو الشرق الأوسط بحالته الأفضل"، ترجمة علي الحارس، مجلة *آرمد فورسز الأمريكية*، 2006.
- بوتول، غاستون وآخرون، *الحروب والحضارات*، ترجمة أحمد عبد الكريم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، 1984.
- بولمكاحل ابراهيم، *مقياس تحليل النزاعات الدولية*، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة قسنطينة، بدون.
- بي أورين، مايكل، *القوة والإيمان والخيال، أمريكا في الشرق الأوسط منذ 1776 حتى اليوم*، ترجمة أسر حطبية، كلمات عربية للترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، 2013.
- تشومسكي، نعوم و الأشقر، جليبر، *السلطان الخطير السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط*، تحرير ستيفن شالوم، ترجمة ربيع وهبة، دار الساقى، 2007.
- توفلر، الفين، *صدمة المستقبل*، ترجمة محمد علي ناصيف، مكتبة الاسكندرية، الطبعة الثانية، الاسكندرية، 1990.
- تيلفورد، إيرل، *الإصلاح الدفاعي في الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل الحرب*، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 2011.
- جرجس، فواز، *النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى: دراسة في العلاقات العربية-الغربية*، مركز الدراسات العربية، بيروت، 1997.

- جميل، مطر وآخرون، *رياح التغيير في الوطن العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
- جهاد عبد الله، امجد، *التحولات الاستراتيجية في العلاقات الأمريكية الروسية*، دار المهل اللبناني، بيروت، 2011.
- جويحان الترتوري، محمد، *علم الإرهاب والأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب*، دار ومكتبة الحامد، عمان، 2006.
- حافظ وهيب، حسن، *استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط*، مركز الدراسات الدولية، بغداد، 2011.
- حداد، كمال، *النزاعات الدولية*، الدار الوطنية للدراسات والنشر، لبنان، 1997.
- حسام الدين، جاد الرب، *الجغرافية المبسطة*، دار العلوم للنشر و التوزيع، القاهرة، 2008، ص.216.
- حسنين هيكمل، محمد، *حرب الخليج*، أو هام القوة والنصر، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1992.
- خوري، رامي، *أمريكا، الشرق الأوسط والخليج*، كلية الشؤون الدولية، جامعة جورج تاون، قطر، بدون سنة.
- دايار، جوين، *الفوضى التي نظموها* ، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008.
- دبلو ليش، ديفيد، *سورية: سقوط مملكة الأسد*، ترجمة أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014.
- دريفوس، روبرت، *لعبة الشيطان: دور الولايات المتحدة في نشأة التطرف الإسلامي*، ترجمة أشرف رفيق، مركز دراسات الإسلام والغرب، 6 أكتوبر مصر، 2010.
- دلولو، محسن، *العرب إلى أين؟ الحرية الضائعة... المستقبل المجهول*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2011.

- دورتي، جيمس، بالتسغراف، روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986.
- دوغنين، ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا ومستقبل روسيا، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.
- ذياب خاطر، نصري، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010.
- رزيق المخادمي، عبد القادر، مشروع الشرق الوسط الكبير، الحقائق والأهداف والتحديات، ديوان المطبوعات الجامعية الدار العربية للعلوم، الجزائر، بدون سنة.
- رياض، محمد، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
-،، الشرق الأوسط: دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي والسياسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1984.
- ريجان، سامي، العالم في القرن 21، دار العلم للملايين، بيروت، 1998.
- زاقود، عبد السلام، الأبعاد الإستراتيجية للنظام العالمي الجديد، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، 2013.
- زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.. من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الثانية، 2013.
- سعيد محفوظ، عقيل، السياسة الخارجية التركية: الاستمرارية - التغيير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012.
- سلمان، منذر، نحو إعادة صياغة مفهوم الأمن القومي العربي ومركزاته، منشورات اللجنة العربية لحقوق الإنسان، باريس، 2011.
- سويدية، حبيب، الحرب القذرة، ترجمة روز مخلوف، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.

- سي هيريك، جولي، وآخرون، الشرق الأوسط المتغير نظرة جديدة إلى الديناميات العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 201.
- سيد أحمد، أحمد، مجلس الأمن فشل مزمن وإصلاح ممكن، مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010.
- سيد أحمد، منصور و زكرياء أحمد، الشربيني، سلوك الإنسان بين الجريمة العدوان الإرهاب القاهرة، دار الفكر العربي، 2013.
- شكري شلبي، سعد، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2013.
- صايل، السرحان، السلوك التصويتي للمجموعتين العربية والأفريقية في الجمعية العامة للأمم المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012. ص.
- عباس مراد، علي، الأمن والأمن القومي: مقاربات نظرية، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
- عبد الحميد عبد الكريم، علاء، دور الأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2018.
- عبد الحي، وليد، مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، 2007.
- عبد الحي، وليد، مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، 2007.
- عبد الرحمن علي الكوراني، زياد، منطقة تزامم الاستراتيجيات بين الطاقة والصراعات الإقليمية، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2016.
- عبد القادر، براء، القدرات العسكرية الإيرانية وأثرها في ميزان القوى في الخليج العربي، كلية العلوم السياسية، جامعة النهري، 2002.

- عبد القوي خير الدين، نعيم، شعوب في مختبرات التجارب الأمريكية، دار البيارق للنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
- عبد الله، عبد الخالق، العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، 1989.
- عبد الوهاب، علاء، الشرق الأوسط الجديد، سيناريو الهيمنة الإسرائيلية، سينا للنشر، القاهرة، 1995.
- عبد حسين، محد، ابو سمرة، ويوسف، تاريخ الشرق الأوسط الجديد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
- عفان، محمد، الوهابية والإخوان: الصراع حول مفهوم الدولة وشرعية السلطة، جسور للمترجمة والنشر، لبنان، 2016.
- على حسين، حيدر، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل النظام الدولي، دار الكتاب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2013.
- على حسين، حيدر، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل النظام الدولي، دار الكتاب العلمية للطباعة والنشر، عمان، 2013.
- علي الدين، هلال و جميل، مطر، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة 5، 1986.
- علي عبيد، نايف، دول مجلس التعاون الخليجي في عالم متغير: دراسة في التطورات والعلاقات الخارجية: 1990-2005، مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى، 2007.
- عوض عبد العال، صالح، سوريا الجدار الأخير، الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، 2013.
- غالي الحديثي، عباس، نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.

- فارس العودات، توفيق، الضحية الكبرى، الصراع الاستراتيجي للقوة العظمى في المشرق العربي، دار نينوى، دمشق، 2012.
- فارس الهيتي، صبري، الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبوليتيكية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000.
- فاسيلييف، ألكي، روسيا في الشرقيين الأدنى والأوسط : من الرسولية إلى البرغمانية، ترجمة المركز العربي للصحافة والنشر، مراجعة احمد عبد الحافظ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.
- فاهم العامر، عصام، خصائص ترسانة (إسرائيل) النووية وبناء الشرق الأوسط الجديد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2001.
- فتحي، سهام، الأزمة السورية في ظل تحول التوازنات الإقليمية والدولية 2011-2013، جامعة الأزهر، غزة، 2015.
- قادري، حسين، النزاعات الدولية، منشورات خير جليس، الجزائر، 2007.
- قرم، جورج، تاريخ الشرق الأوسط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، 2013.
- كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2016.
- كلير، مايكل، دم ونفط: أمريكا واستراتيجيات الطاقة، ترجمة أحمد رمو، دار الساقى، بيروت، 2011.
- لوزبانين، س.غ، عودة روسيا إلى الشرق الكبير، ترجمة هاشم حمادي، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.
- ماغين، تسفي، روسيا في الشرق الأوسط سياسة في امتحان، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، بيروت، 2013.

- محمد الزين، حسن، الربيع العربي، آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، دار اقليم الجديد، بيروت، 2013.
- محمد العيسوي، فايز، الجغرافية السياسية المعاصرة، دار المعرفة، مصر، 2003.
- محمد ذنون الطائي، طارق، العلاقات الأمريكية الروسية بعد الحرب الباردة، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2012.
- محمود، مصطفى، المؤامرة الكبرى، مطابع دار أخبار اليوم، بدون تاريخ.
- مدني، ليلي، الثقل الآسيوي في السياسة الدولية، محددات القوة الآسيوية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، برلين، 2018.
- مراد، محمد، السياسة الأمريكية اتجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي، دار المنهل اللبناني للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
- مصطفى منصور، ممدوح محمود، الصراع الأمريكي السوفييتي في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.
- مصلوح، كريم، التعاون والتنافس في المتوسط، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2013.
- مضر الإمارة، لمى، المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة 1990-2003، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية العربية، أبو ظبي، 2005.
- مضر الإمارة، لمى، تطور الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2006.
- مفلح محافظة، علي، العرب والعالم المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

- نايل المجالي، عصام، تأثير التسليح الإيراني على الأمن الخليجي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2012.
- نواف، سلام، لبنان في مجلس الأمن 2010-2011، دار الساقى، بيروت، 2012.
- هـ تيلفورد، إيريل، رؤية استراتيجية عامة للأوضاع العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2004.
- هاشم نعمة، كاظم، القوة الوسطى بين النظرية والتطبيق: دراسة حالة كوريا الجنوبية، دار أمانة للنشر، عمان، 2019.
-،، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، 2016.
- وهب، علي، الصراع الدولي للسيطرة على الشرق الأوسط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2013.
- ياغر، هاري آر، الاستراتيجية ومحترفوا الأمن القومي: التفكير الاستراتيجي وصياغة الاستراتيجية في القرن الحادي والعشرين، ترجمة، راجح مجرز علي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2011.
- يوسف أحمد، أحمد، التسوية السلمية للصراع العربية - الإسرائيلي وتأثيرها على الأمن القومي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، معهد البحوث والدراسات العربية، بدون.
- يوسف حتي، ناصيف، النظرية في العلاقات الدولية، دار الكتاب العربي، لبنان، 1995.
- واكيم، جمال، سورية ومفاوضات السلام في الشرق الأوسط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010.

2- المقالات العلمية:

- إبراهيم حجاج، خليل وآخرون، " أثر المتغيرات الدولية على مصادر تهديد الأمن القومي العربي بعد انتهاء الحرب الباردة: 1990-2010)، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، العدد 3، الأردن، 2013.
- " تطورات الموقف الأمريكي من الثورة السورية "، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فبراير 2013.
- "تطورات الموقف الأمريكي من الثورة السورية"، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.
- "كيف ساهم صندوق النقد الدولي في صناعة أزمات العالم الثالث"، صحيفة الشرق الأوسط، عدد 9669، ماي 2005.
- "مباحثات وزير الخارجية الروسي والسوري في موسكو"، سفارة روسيا الاتحادية، العدد 8، بيروت، سبتمبر، 2013.
- اسماعيل سرحان، خالد، " عقيدة بوتين في السياسة الخارجية الروسية "، مجلة أبحاث استراتيجية، العدد 7، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، بغداد، 2014.
- أصفهاني، نبیه، "السياسة الخارجية الروسية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 136، القاهرة، 1999.
- الحروب، خالد، " انتقال مركز الثقل في المنطقة"، مجلة شؤون عربية، عدد 130، 2007.
- الحسيني، سنية، " سياسة الصين تجاه الأزمة السورية هل تعكس استخدام استراتيجية جديدة في المنطقة؟"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 404، تشرين الأول 2015.
- الحمد، جواد، "الحراك السياسي والأمني في الشرق الأوسط: الدلالات والآفاق"، مجلة دراسات شرق أوسطية، عمان، الأردن، يناير 2010.

- النجفي، سالم، " إشكالية النفط الاقتصادية "، *مجلة شؤون الأوسط*، العدد 124، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية، خريف 2006.
- بشارة، مروان، " أهداف الولايات المتحدة واستراتيجياتها في العالم العربي"، *سياسات عربية*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.
- بيتر، هالدن، "بناء المنظومات قبل بناء الدول :الشروط المنظوماتية المسبقة لبناء الدولة"، ترجمة عبد الرحمن بستانى، الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، *دراسات عالمية*، عدد 96، 2011.
- بيلنكايا، " الشرق الأوسط الكبير بين روسيا والسبعة الكبار "، *مجلة شؤون الوسط*، العدد 128، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شتاء 2008.
- ثابت، أحمد ، "النزعة الامبراطورية الأمريكية وإعادة هيكلة الوطن العربي"، *مجلة شؤون عربية*، العدد 12، 2005.
- جيمس سلاذن وآخرون، "الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط"، مؤسسة RAND *منظور تحليلي*، رؤى الخبراء بشأن قضايا السياسة الآنية، 2017.
- حاتم، عماد الدين، "المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا"، *مجلة شؤون الأوسط*، بيروت، العدد 112، خريف 2003.
- حتوت نور الدين، "خصائص العلاقات الدولية في ما بعد الحرب الباردة وأطروحات العولمة"، *مجلة العلوم الإنسانية*، العدد 22، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، جوان 2011.
- حسون، محمد، "الاستراتيجية المتوسطة لحلف الناتو وأثرها على الأمن القومي العربي"، *مجلة بحوث جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية*، المجلد 26، العدد 2، 2010.
- حسين المهداوي، مثنى علي، "أثر المتغير الأمريكي في العلاقات الروسية-العراقية المعاصرة"، *دراسات دولية*، العدد 41، 2009.

- حسين الهيتي، احمد و صابر محمد، بختيار، " أثر تقلبات الإيرادات النفطية في مؤشرات الاقتصاد الكلي وأداء أسواق الأوراق المالية في دول مجلس التعاون الخليجي "، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد 7، جامعة الأنبار، 2011.
- حمدوي، عبد الكريم، "الخليج والدور الروسي الجديد. اعتراف العراق بالكويت وارتباطه بتخفيف العقوبات"، "قضايا دولية، العدد 256، إسلام آباد، 1994.
- خراط، محمد، "استراتيجية الحرب الاستباقية: الجذور والأهداف"، مجلة شؤون عربية، العدد 123، 2008.
- خشيب، جلال، "سوريا في مهب التحولات الدولية... دراسة جيوبوليتيكية نظرية"، مجلة المن في المتوسط، العدد 8، 2014.
- دوغنين، الكسندر، "محور موسكو- طهران"، مجلة شؤون الأوسط، 1998.
- دياب، أحمد، "أوباما وإعادة صياغة العلاقات الأمريكية – الروسية"، مجلة السياسية الدولية، العدد 176، نيسان 2009.
- دياب، محمد، " من يحكم روسيا؟ الصراع بين الكرملين والأوليغارشيا "، مجلة شؤون الأوسط، العدد 112، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، خريف 2003.
-، "روسيا والمسألة العراقية "شؤون الأوسط، العدد 111، 2003.
- سلطانوف، شامل، " وروسيا والعالم الإسلامي والصراع ضد الإرهاب العالمي "، مجلة شؤون الأوسط، العدد 128، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2008.
- شعبان مبروك، شريف، " الانسحاب الأمريكي من العراق بين الثابت والمتغير "، مجلة شؤون عربية، العدد 147، القاهرة، 2011.
- شعبان، عبد الحسين، " تونس، مصر، أسئلة ما بعد الانتفاضة "، مجلة المستقبل العربي، العدد 385، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
- شهاب أحمد، حميد، " تداخل المواقف الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية) تجاه الأزمة السورية"، مجلة العلوم السياسية، 2019.

- شومان، نعيمة، " صدمة النفط "، مجلة شؤون الأوسط، العدد 124، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، خريف 2006.
- عابدين، صدقي، " التقارب الروسي - التركي"، مجلة السياسة الدولية، العدد 132، نيسان 1998.
- عباس الربيعي، كوثر، "التأثير الأمريكي في سوق النفط العالمي"، مجلة دراسات دولية، العددان 31-32، بغداد، 2006.
- عباس الشمري، وفاء كاظم، "الحراك الجيوبوليتيكي الإقليمي لتركيا، الفرص والتحديات"، مجلة مداد الآداب، جامعة الكوفة كلية التخطيط العمراني، 2019.
- عباس عطوان، خضر، " سياسة روسيا العربية والاستقرار في النظام الدولي "، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.
- عبد الحسين ظاهر، رحمن، " خيارات الاستراتيجية الأمريكية اتجاه البرنامج النووي الإيراني "، مجلة السياسة الدولية، العدد 24، 2014.
- عبد السلام، محمد، قضايا التسلح العربي، مجلة شؤون الأوسط، العدد 106، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ربيع 2002.
- عبد الصادق، عادل، "حروب المستقبل: الهجوم الإلكتروني على برنامج إيران النووي"، مجلة السياسة الدولية، العدد 184، القاهرة، 2011.
- عبد العزيز الهواري، محمد، "الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج"، موقع مداد، 2013.
- عبد العظيم، خالد، "الصراع على النفوذ في أوراسيا"، مجلة السياسة الدولية، العدد 161، 2005.
- عبد القادر فهمي، محمد، " العقائد الدينية وأثرها في منهج التفكير السياسي للولايات المتحدة الأمريكية "، مجلة العلوم السياسية، العدد 35، جامعة بغداد، 2007.

- عبد اللطيف الحياي، نزار اسماعيل، "تقييم العلاقات الروسية-الأمريكية في ثلاث مراحل"، أوراق أمريكية، مركز الدراسات الدولية، العدد 56، بغداد، 2000.
- عدنان محسن، زيد، "الإصلاح السياسي في العالم العربي بين الدوافع والمعوقات"، مجلة السياسية والدولية، العدد 16، 2010.
- علام، رابحة، "الفوضى الشاملة في سوريا"، ملحق تحولات استراتيجية، "السيناريوهات المستبعدة: التطورات الأقل احتمالا والأكثر تأثيرا في مستقبل المنطقة العربية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 185، يوليو 2011.
- عناني، خليل، "السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الوطن العربي"، مجلة شؤون عربية، العدد 123، 2010.
- عيسى، محمد، "شبكات النفط والغاز"، مجلة المستقبل العربي، العدد 370، 2009.
- غريغوري، غوس، "ما وراء الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط"، دراسة تحليلية، مركز بروجنر، الدوحة، رقم 11، 2014.
- فاعور ملكاوي، عصام، "تركيا والخيارات الاستراتيجية، الرؤى المستقبلية العربية والشركات الدولية، كلية العلوم الاستراتيجية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والرابطة العربية للدراسات المستقبلية لاتحاد مجالس البحث العلمي العربي، الخرطوم، 2013.
- فواز، جرجس، "أوباما والشرق الأوسط: مقارنة بين الخطاب والسياسات"، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد 154، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2010.
- قدرى سعيد، محمد، "مخاطر مباشرة: مستقبل السياسات الدفاعية في العالم"، مجلة السياسة الدولية، العدد 187، القاهرة، يناير 2012.
- كاطع علي، سليم، "العلاقات الروسية-الإيرانية: الواقع والمستقبل"، مجلة اتجاهات سياسية، المركز الديمقراطي العربي، العدد الثاني، يناير 2018.

-،، "مقومات القوة الأمريكية وأثرها في النظام الدولي"، مجلة الدراسات الدولية، العدد 24، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2009.
- كيالي، ماجد، "التجاذب الإيراني- الأميركي"، مجلة شؤون عربية، القاهرة العدد 30، 2007.
- لهيضة، عبد الله، "السعودية بوصلة التسليح نحو روسيا"، صحيفة العرب، العدد 15، 2013.
- ليستر، تشارلز، "الأزمة المستمرة: تحليل المشهد العسكري في سوريا"، مركز بروكنجز الدوحة، ماي 2014.
- مارغيلوف، ميخائيل، "روسيا-أمريكا أين التوافق وأين الخلاف حيال الشرق الأوسط"، جريدة الحياة، العدد 51386، 2005.
- محمد علي، نجاح، "البرنامج النووي الإيراني بين شد وجذب"، مجلة آراء حول الخليج، العدد 12، 2005.
- محمد كشك، أشرف، "من الخليج في السياسة الأمريكية مجلة السياسة الدولية"، مجلة اتجاهات سياسية، العدد 164، أبريل 2006.
- محمود بدوي، منير، "مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع"، مجلة دراسات مستقبلية، العدد 3، 1997.
- مزاحم، هيثم، "نحو تفسير لأسس العلاقة الأمريكية - الإسرائيلية"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 112، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، خريف 2003.
- ممدوح العربي، خالد، "روسيا والطاقة الجديدة في البحر المتوسط المصالح فوق كل اعتبار"، صحيفة المستقبل العربي، العدد 21-4694، ماي 2013.
- مهدي الراوي، عبد العزيز، "توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات دولية، العدد 35، 2008.

- نادر، علي رضا، " الدور الذي تضطلع به إيران في العراق، هل من مجال للتعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران؟"، مؤسسة راند وجهة نظر، 2015.
- نصر عبد الرحمن، خير الدين، "آسيا مسرح حرب عالمية محتملة"، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد 56، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2001.
- نظير، مروة، " الأجيال المتعاقبة لمفهوم وتطبيقات العدالة الانتقالية "، اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد 194، أكتوبر 2013.
- هاشم عواد، عامر، "التحول في العلاقات الروسية الأمريكية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 26، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ربيع 2010.
- يمين، ميشال، "العلاقات الروسية – الإيرانية"، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، ربيع 2004.
- يوسف احمد، فاروق، "ما هو الشرق الأوسط المعاصر: مدخل إلى إجابات متعددة"، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة، العدد 3، 1993.
- يوسف سهر، عبد الله، "دوافع وتداعيات التدخل العسكري الأمريكي في العراق"، مجلة السياسة الدولية، العدد 170، القاهرة، أكتوبر 2007.
- يوسف قدورة، عماد، "روسيا وتركيا: علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية"، تحليل سياسات، المركز العربي للدراسات وتحليل السياسات، مايو 2015.

3- القرارات الدولية

- القرار 2042 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.
- القرار 2043 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا
- القرار 2118 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.
- القرار 2139 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

- القرار 2165 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.
- القرار 2170 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.
- القرار 2170 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.
- القرار 2209 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.
- القرار 2235 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.
- القرار 2254 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.
- القرار 2268 الصادر عن مجلس الأمن بخصوص سوريا.

4- الرسائل الجامعية

- السرحان، صايل، أثر توسيع حلف الأطلسي على الأمن القومي العربي 1990-2000، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2002.
- بوزيدي، عبدالرزاق، التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط دراسة حالة سوريا 2010-2014، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014.
- دبابنة، تراث فايز، السياسة الخارجية الروسية تجاه الوطن العربي بعد انتهاء الحرب الباردة، رسالة ماجستير في العلوم السياسية الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 2002.
- فلاح عودة العضيلة، عبد الله، التنافس في آسيا الوسطى، مذكرة ماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2011.

5- المواقع الإلكترونية:

- " التحالف الدولي والائتلاف الإقليمي دور دولي متجدد وتفاعلات عالمية جديدة.. الإرهاب تحول إلى ما يشبه قوة ثالثة في النظام العالمي "، *مجلة المراقب*، 13 يناير 2016، <https://bit.ly/3948hyj> < (22 ماي 2017)
- " التحالف الروسي الإيراني مثل تحديا كبيرا للأمن القومي التركي السعودي"، *مجلة ترك برس*، 22 أبريل 2016، <https://bit.ly/35exVOr> < (28 أبريل 2019)
- " الفيتو الروسي..يد مرفوعة تحمي الأسد "، *مركز الجزيرة للدراسات*، 28 فبراير 2017، <https://bit.ly/3nOKGFZ> < (24 أبريل 2018)
- " كم مرة استخدمت روسيا حق النقض الفيتو منذ بدأ الأزمة السورية؟"، *موقع العربية نت*، <https://bit.ly/3nCrrz0> < (18 يونيو 2018)
- " نظام وسجلات التصويت "، *الأمم المتحدة -مجلس الأمن*، <https://bit.ly/36KNflu> < (12 ماي 2018)
- " واشنطن توافق على بيع صفقة أسلحة كبيرة للكويت وتراجع عن إمداد قطر بسبب دعمها لتنظيمات مسلحة..ومخاوف أمريكية من لجوء الخليج لـ"السلاح الروسي"، *اليوم السابع*، 19 نوفمبر 2016، <https://bit.ly/2FihKFj> < (24 ماي 2018)
- " وداعا للشرق الأوسط ..هل أعاد ترامب بناء السياسة الخارجية الأمريكية ببراعة "، *مركز الجزيرة للدراسات*، 24 يناير 2020، <https://bit.ly/2ZgzBDN> < (20 ماي 2020)
- " 10 قواعد أمريكية في سوريا.. وغضب أمريكي من التسريب"، *مجلة وطن*، 16 غشت 2020، <https://watan.fm/news/syria-news/41863> < (12 يوليوز 2020)
- "احتكاك بحري أمريكي روسي"، *قناة العربية*، 2 يونيو 2016، <https://bit.ly/3ec1q5r> < (18 مارس 2019)

- "الرئيس الألماني يتهم المجتمع الدولي بالفشل الذريع في سوريا"، موقع دوتيش فيله العربي، 16 دجنبر 2016، < <https://bit.ly/3favH5U> > (20 فبراير 2018)
- "الصراع الأمريكي الروسي حول الأزمة في سوريا: الرسائل السياسية في الخطاب الرسمي للحكومتين"، مجلة تونس المستقبل، < <http://futuretunisie.in/p730> >، (20 مارس 2018)
- "الفيلسوف الروسي دوغين: إيران الحليف الأفضل لروسيا"، مجلة الوقت، 7 دجنبر 2016، < <https://bit.ly/3eiYbKd> > (6 ماي 2018)
- "القواعد العسكرية الروسية في سوريا.. توسيع لنفوذ موسكو البحري"، سكاي نيوز عربية، 30 ماي 2020، < <https://bit.ly/2VnjIsT> > (28 يونيو 2020)
- "القواعد العسكرية الغربية في الشرق الأوسط"، شبكة الجزيرة الإعلامية، 19 فبراير 2018، < <https://bit.ly/3eWoG81> >، (3 يونيو 2018)
- "القواعد العسكرية الغربية في الشرق الأوسط"، موسوعة الجزيرة، 20 دجنبر 2017، < <https://bit.ly/3fCdNrg> >، (6 أكتوبر 2019)
- "المالية الروسية تكشف عن ميزانية الدفاع للسنوات الـ3 المقبلة"، RTONLINE، 28 نونبر 2017، < <https://bit.ly/2R0zXJQ> > (23 ماي 2018)
- "أمريكا تريد العودة إلى شرق الفرات وروسيا تريد التوسع و"قسد" تلوح بشرطين أساسيين"، Xeber24، 2 ماي 2020، < <https://bit.ly/2CTeO10> > (16 يونيو 2020)
- "بان كي مون يعترف بفشل مجلس الأمن في حل الوضع بسوريا"، موقع رؤيا الإخباري، 26 دجنبر 2017، < <https://bit.ly/32YhCDH> > (14 غشت 2018)
- "بوتين ينتقد إمداد المعارضة السورية بالأسلحة"، موقع أخبارك، < <https://bit.ly/3512gjQ> > (26 فبراير 2017)

- "روسيا تتحدث عن مشروعها لتصدير السلاح للعراق في 2018"، مجلة بغداد بوست، 21 ديسمبر 2017، <<https://bit.ly/3bLNfUk>> (24 ماي 2018)
- "روسيا تنتقد الغرب الكيماوي السوري"، مركز الجزيرة للدراسات، 7 أبريل 2013، <<https://bit.ly/32LLNx6>> (4 ماي 2018)
- "روسيا وتركيا.. تعاون مؤقت أم تحالف استراتيجي"، *Made for minds DS*، 19 نونبر 2018، <<https://bit.ly/3lbVEUp>> (8 ماي 2019)
- "سلاح أمريكا يستحوذ على صفقات الإمارات.. تعرف على أبرزها"، مجلة عربي 21، 12 يونيو 2020، <<https://bit.ly/2FdqHQ6>> (12 يوليوز 2020)
- "شرق الفرات بين تزامم القوى الدولية وتجاوز القوى المحلية"، مجلة عمران للدراسات الاستراتيجية، 15 ماي 2020، <<https://bit.ly/3l52n3i>> 20 يوليوز 2020
- "صناعة الإرهاب بين بلير وبوتن"، مجلة العربي 21، 11 نوفمبر 2015، <<https://bit.ly/3f6u1KT>> (17 يونيو 2018)
- "عقوبات أمريكية ضد شركات سوريا وإماراتية للضغط على النظام السوري"، *Smart News*، 9 يوليوز 2014، <<https://bit.ly/32Ot9Vr>> (7 دجنبر 2018)
- "في أسباب تغيير الموقف الأمريكي من تسليح المعارضة السورية" المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 12 ماي 2014، <<https://bit.ly/3borQQP>> (20 أبريل 2017)
- "كيف تنتخب روسيا رئيسها"، مركز الجزيرة للدراسات، 10 مارس 2018، <<https://bit.ly/2GwLted>> (24 ماي 2019)
- "لماذا تنجح روسيا في زيادة مبيعات أسلحتها في الشرق الأوسط؟"، *Made for minds*، 17 نونبر 2019، <<https://bit.ly/3k4NM6E>> (24 فبراير 2020)
- "موافقة الكونغرس الأمريكي على تسليح المعارضة وردود الفعل"، اليوم السابع، 23 ماي 2014، <<https://bit.ly/32QhllB>> (3 ماي 2017)

- "مؤتمر سوتشي حول سوريا جهد كبير ونتيجة متواضعة"، عربي NEWS، 30 يناير 2018، < <https://bbc.in/2Gu2PZd> > (2 مارس 2019)

- "واشنطن ترفع تمثيل الائتلاف بواشنطن لبعثة دبلوماسية وتزيد الدعم اللوجستي للحر.. الجربا: ضربة للنظام وشرعيته"، جريدة شام تايمز، 6 ماي 2015، < <https://www.chamtimes.com/archives/235453> > (19 مارس 2019)

- "واشنطن تصادق على صفقة سلاح للكويت بقيمة 1.4 مليار دولار"، مجلة الخليج أونلاين، 29 ماي 2020، < <http://khaleej.online/o3K18N> > (6 يوليوز 2020)

- أبانمي، راشد، "خط أنابيب "نابوكو " اللعبة الجيوسياسية الكبرى حول الطاقة"، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، 25 يوليو 2009، < <https://bit.ly/3i4ZPR1> > (12 مارس 2018)

- إبراهيم فريحات، "التدخل الروسي في سوريا.. هل يقلق أمريكا"، مركز الجزيرة للدراسات، 6 أكتوبر 2015، < <https://bit.ly/2VcRz7A> > (13 ماي 2018)

- أبزنشتات، مايكل و وايت، جيفري، "برنامج تدريب وتجهيز المعارضة السورية المعتدلة: عنصر جوهري في السياسة الأمريكية تجاه سوريا والعراق" معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 8 يولو 2014، < <https://bit.ly/3d5FW99> >، (15 يونيو 2018)

- أبو شعير، فرح الزمان، "العلاقات الإيرانية الروسية شراكة حذرة تميز حلف الضرورة"، مركز الجزيرة للدراسات، 7 أكتوبر 2013، < <https://bit.ly/3hnhwd6> > (10 مارس 2017)

- أحمد حرزني، أميرة، " استراتيجة أمن الطاقة الروسية بشرق المتوسط في ظل التهديدات الأمنية بعد 2011"، المركز الديمقراطي العربي، 9 ماي 2018، < <https://democraticac.de/?p=53952> > (8 دجنبر 2018)

- أرنشوات، مايكل و بولوك، ديفيد، " اختبار الثروات: كيف تستفيد الولايات المتحدة الأمريكية من تحالفها مع إسرائيل"، معهد واشنطن، سبتمبر 2012، <https://bit.ly/38JDpt0> <> (27 يناير 2018)
- أسعد عبد الرحمان، "موسكو وواشنطن.... تحولات في الأدوار"، مجلة الرأي، 16 فبراير 2014، <https://bit.ly/3kaH1R0> <_ (20 ماي 2018)
- آغي، أسامة، " العلاقات الأمريكية الروسية شرق الأوسطية : صراع أم تقاسم نفوذ"، مرصد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الإعلامي، 20 غشت 2018، <https://bit.ly/3fRG4Mw> < (12 ماي 2019)
- البياتي، بشير، "جروح لم تندمل مع حلول الذكرى الـ29 للانسحاب السوفيتي من أفغانستان"، ANADOLU AGENCY، 15 فبراير 2018، <https://bit.ly/3kOBSP1> < (17 يناير 2019)
- الحاج، سعيد، "السياسة الخارجية التركية..أسباب التحول وآفاق المستقبل"، مركز الجزيرة الإعلامي، يناير 2017، <https://bit.ly/3pihPLs> <> (26 ماي 2019)
- الحمامصي، محمد، " الأمن القومي العربي في مرمى الأزمة السورية"، مجلة العربي، 16 يناير 2016، <https://bit.ly/35d3BDz> < (23 ماي 2018)
- الخطاب، فارس، " الأقليات الدينية والعرقية في المعادلة السياسية العراقية"، مركز الجزيرة للدراسات، 4 يونيو 2020، <https://bit.ly/35w4LKS> < (12 غشت 2020)
- الخوري، نسيم، "العداء الأمريكي-الإيراني"، مجلة الخليج، 20 مارس 2012، <https://bit.ly/34WjmPr> < (23 ماي 2017)
- الدخيلي، رعد، "الارهاب السياسي والاجتماعي أسبابه ودوافعه"، الشرق الأوسط، 2013، <https://bit.ly/3771K2Q> < (24 مارس 2019)

- الدغيم، طالب، " الفوضى "البناء" عندما تكون سوريا ميدانها الأكبر"، مركز الجزيرة للدراسات، 29 يناير 2020، <<https://bit.ly/32R3iw4>> (20 ماي 2020)
- الدهني، صلاح، " رقم كبير..كم مرة استخدمت أمريكا الفيتو لمصلحة إسرائيل"، عربي 21، 19 دجنبر 2017، <<https://bit.ly/2UI83Eo>> (13 ماي 2018)
- الدويري، فايز، خيارات العمل العسكري سوريا" مركز الجزيرة للدراسات، 28 غشت 2013، <<https://bit.ly/3jEfXJg>> (10 ماي 2017)
- الرويلي، علي، " 220 مليار دولار حجم استثمارات الصناعات البتروكيماوية في دل الخليج"، صحيفة الرياض، 7 فبراير 2015، <<https://bit.ly/2JxrBte>> (12 يناير 2018)
- الزاملي، ماجد أحمد، "مواجهة الإرهاب"، الحوار المتمدن، العدد 5132، 13 أبريل 2016، <<https://bit.ly/3nrATFh>> (12 ماي 2018)
- السعيد، محمد، " إنقاذ أوربا من قبضة بوتين..هذا ما يمكن أن تلعبه الدوحة في معركة الغاز"، مركز الجزيرة للدراسات، 23 يناير 2019، <<https://bit.ly/323M0fM>> (20 ماي 2019)
- الشيمي، أحمد حسين، "سوريا الدعم العسكري الروسي وضعف قدرات الثوار"، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية، 30 يونيو 2012، <<https://bit.ly/30YLq2N>> (19 يونيو 2018)
- الطفيلي، عماد، "حقيقة الموقف الأمريكي في سوريا"، مجلة Sputnik، 12 ماي 2018، <<https://bit.ly/34Xsbsr>> (20 ماي 2019)
- الطه، براء، "التوسع الناعم..العلاقة التركية-الروسية وأبعادها الإستراتيجية"، مجلة رأي اليوم، 5 دجنبر 2019، <<https://bit.ly/3ivUJN0>> (14 يناير 2020)
- العبد الله، علي، "روسيا وإسرائيل..تبادل الخدمات"، مجلة العربي الجديد، 29 ماي 2019، <<https://bit.ly/2IIAHlQ>> (20 أكتوبر 2019)

- المسيري، عبد الوهاب، "الشرق الأوسط الجديد في التصور الأمريكي الصهيوني"، شبكة الجزيرة الإعلامية، 2 نونبر 2006، <<https://bit.ly/2Ez0knu>> ، (11 مارس 2019)
- المعشر، مروان وآخرون، "انكسارات عربية : مواطنون، دول، وعقود اجتماعية"، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، شتبر 2016، <<https://bit.ly/3pBSIIIs>> (10 يونيو 2018).

- الهواري، محمد، "الإرهاب: المفهوم والأسباب وسبل العلاج"، موقع الإسلام، <<https://bit.ly/36G0VOC>> (18 مارس 2018)

- أمل محمد ياسين، المواقف الإقليمية والدولية وأثرها في الأزمة السورية، مركز الرأي للدراسات، 24 ماي 2012، <<https://bit.ly/3jCwe1G>> (6 دجنبر 2017)

- باريش، منهل، "شرق الفرات: أمريكا تبني قواعدا في وجه إيران وتعزل النفط السوري"، مجلة القدس العربي، 9 نوفمبر 2019، <<https://bit.ly/2Qii1do>> ، (16 فبراير 2020)

- بازيد، علي، "إصلاح مجلس الأمن الدولي: إلى متى التأجيل"، المركز الديمقراطي العربي، 7 ديسمبر 2017، <<https://bit.ly/38Yhvfc>> (12 ماي 2018)

- بدر حلو، عدنان، "جنيف 2: حل لنزاع بين الدولتين العظميين"، جريدة الأخبار، 22 يناير 2014، <<https://al-akhbar.com/Opinion/25707>> ، (15 يونيو 2018)

- بشير، خالد، "تفسير المشكلات" .. إستراتيجية أردوغان التائهة"، مجلة حفريات، 2 غشت 2019، <<https://bit.ly/3nWFu2K>> (20 غشت 2019)

- بن مفرح الزهراني، يحي، "تحولات أمنية تأثيرات استمرار الصراع في سوريا على الأمن الخليجي"، مجلة رأي اليوم، <<https://bit.ly/32QcFfn>> (6 مارس 2018)

- بهاء الدين، احمد، "السلاح طريق روسيا لمزاحمة أمريكا بالشرق الأوسط"، مجلة مصر العربية، 20 فبراير 2014، <<https://bit.ly/33kC1SR>> (16 ماي 2017)

- تشيني، "الولايات المتحدة وإسرائيل تخوضان حرباً واحدة لمنع تشكل إمبراطورية تمتد من إسبانيا حتى جنوب آسيا" عرب 48، 31 أكتوبر 2010، <https://bit.ly/2Y9dCNB> < (6 يونيو 2018)
- جمو، حسين، "كمائن أمريكية للدوريات الروسية شرق الفرات"، مجلة البيان، 21 يناير 2020، <https://bit.ly/2Yl6e2s> < (17 فبراير 2020)
- جينتي، ريجي، "التدخل الشيشاني المدهش في سوريا"، OrintXXI، 10 ماي 2018، <https://bit.ly/3kOGSDq> < (20 يونيو 2019)
- حمداني، زهير، "الحرب على الإرهاب وصناعاته بعد 11 شتبر"، مركز الجزيرة للإعلامي، 11 شتبر 2015، <https://bit.ly/3gFJoZR> < (23 مارس 2017)
- حوسين، بلخيرات، "نهاية الحرب الباردة والتنظير في النزاع الدولي"، المعهد المصري للدراسات، 8 غشت 2017، <https://bit.ly/34iJ6no> < (7 مارس 2018)
- حيدر، رنده، "لماذا تقف سوريا؟"، مجلة المركز، 12 ماي 2013، <https://bit.ly/3lIng4E> < (29 ماي 2017)
- خالد عبد الرحيم السيد، "سوريا بين خطاب أوباما ومقال بوتين"، مجلة الشروق، <https://bit.ly/3hUl2Nk> < (9 يوليوز 2017)
- خليفة الدهان، ناجي، "التنافس (الأمريكي، الروسي، الإيراني)، في سوريا وفي الشرق الأوسط، مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 2 يونيو 2019، <https://bit.ly/3jE9nmn> < (3 يناير 2020)
- داود، وفاء، "حول معني ومؤشرات "الثقة السياسية"، سلسلة الديمقراطية، الأهرام الرقمي، أكتوبر العام 2011، <https://bit.ly/3ohpWXi> < (10 يونيو 2018)
- دلال، عادل، مناطق تواجد القوات الأجنبية في سوريا وأبرز قواعدها العسكرية، مجلة أورو نيوز، 10 أكتوبر 2019، <https://bit.ly/2DRdJHA> < (12 دجنبر 2019)

- دلول، نبراس، "قرارات مجلس الأمن حول سوريا 2011-2015"، مجلة رأي اليوم، 21 شتبر 2015، <<https://bit.ly/3kNDQ1k>> (12 ماي 2018)
- رانج، علاء الدين، "كيف سيقوي الانسحاب من سوريا روسيا وإيران"، مركز بوكنجز الدوحة، 5 أبريل 2018، <<https://brook.gs/3k8M0kE>> (17 يناير 2019)
- روبيرسوك، فاتريك، ترجمة رنا مقداد، "المواجهة الروسية-الأمريكية: الدوافع والكوابح"، مجلة شؤون استراتيجية، 29 أكتوبر 2016، <<https://bit.ly/37cQdzb>> (12 ماي 2018)
- سر كيس أبو زيد، "التواجد الأمريكي والروسي في الشرق الأوسط"، موقع العهد الإخباري، 7 شتبر 2019، <<https://bit.ly/2Lb7C49>> (17 أكتوبر 2019)
- سرور، نبيل، "الصراع على النفط والغاز وأهمية منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 96، 2016، <<https://bit.ly/35a4uNI>> (25 يونيو 2018)
- سلامة، عبد الغني، "السياسة الروسية في الشرق الأوسط" الحوار المتمدن، العدد 3335، 13 أبريل 2011، <<https://bit.ly/3limVFH>> (19 ماي 2019)
- سليمان الزاوي، محمد، "حرب القواعد والنفوذ الأمريكية الروسية"، مجلة السيل، 25 يونيو 2010، <<https://bit.ly/2SCIPX7>> (10 مارس 2018)
- عباس، إبراهيم، "العام 2013 العام الذي عادت فيه روسيا إلى الشرق الأوسط على حساب أمريكا"، مؤسسة المدينة للصحافة والنشر، 27 ديسمبر 2013، <<https://bit.ly/3jDzny7>> (8 أكتوبر 2017)
- عباس، سامح، "أسرار وعودة السلاح الروسي لمنطقة الشرق الأوسط"، المنتدى العربي للدفاع والتسليح، 25 يناير 2011، <<https://bit.ly/2ZqBn4Z>> (8 ماي 2017)

- عبد العال، أحمد أمين، " الأمن القومي العربي بين النظرية والتطبيق"، المركز الديمقراطي العربي، 16 شتنبر 2018، < <https://bit.ly/35dYBib> > (12 ماي 2019)

- عبد المجيد، وحيد، " دور القوى الدولية الكبرى في تنامي الإرهاب"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 29 ديسمبر 2015، < <https://bit.ly/3f3E7Mk> > (20 مارس 2018)

- عزة، شيماء، "أمريكا بين دعم الائتلاف السوري المعارض والخوف من الجماعات الجهادية"، موقع BBC، 21 يناير 2014، < <https://bbc.in/3hOZSAh> > (2 يناير 2017)

- عزيز، أحمد، " داعش وجهاديو القوقاز..مأزق بوتن الجديد "، مجلة نون بوست، 6 أبريل 2016، < <https://bit.ly/2UyT0wX> > (26 دجنبر 2018)

- عطوان، عبد الباري، " العصر الذهبي لتنظيم القاعدة "، مجلة القدس العربي، 18 يناير 2013، < <https://bit.ly/39tl1yp> > (20 ماي 2018)

- عكر، كازم، "عن الدور الروسي في الأزمة السورية وقضايا المنطقة: حوار مع الدكتور خالد العزي"، جريدة لبنان الجديد، 21 نونبر 2013، < <https://bit.ly/2Yh2yPG> > (17 يونيو 2018)

- علام، أشرف، "سيناريو الخلافة الإسلامية فزاعة أمريكية"، منتديات الرفيع، 16 يناير 2005، < <https://bit.ly/374oeBm> > (06 يونيو 2018)

- علام، رابحة، "الفوضى الشاملة في سوريا"، ملحق تحولات استراتيجية، "السيناريوهات المستبعدة: التطورات الأقل احتمالا والأكثر تأثيرا في مستقبل المنطقة العربية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 185، يوليو 2011.

- علو، احمد، "حرب انابيب الغاز العالمية" مجلة الجيش اللبنانية، العدد 347، ماي 2014، < <https://bit.ly/323ierS> > (19 يناير 2017)

- عمر، محمد، "صفقة بين البحرين وروسيا وسط عقوبات غربية"، مجلة الخبر الآن، 15 ديسمبر 2014، <<https://bit.ly/2Zr5pWo>> (15 ماي 2017)
- عنبري، صابر، "تمديد قانون "داماتو" ومصير الاتفاق النووي"، مركز الجزيرة للدراسات، 20 دجنبر 2016، <<https://bit.ly/3gaWlvV>> (23 ماي 2018)
- فايق دلول، احمد، "صفقات السلام الأمريكي... الواقع والأهداف" الحوار المتمدن، العدد 2286، 19 ماي 2008، <<https://bit.ly/33kD84O>> (6 يونيو 2017)
- فوزي شعبي، عماد، "الصراع على الشرق الأوسط: الغاز أولا"، شبكة فولتير، 17 أبريل 2012، <<https://bit.ly/3jSY2yR>> (20 يوليوز 2019)
- قايتي، محمد، "روسيا وأمريكا صراع المتوسط"، ON TV، 13 يونيو 2013، <<https://bit.ly/2YYtyTY>> (4 مارس 2018)
- كوزهانوف، نيكولاي، "موقف روسيا بشأن برنامج إيران النووي"، معهد واشنطن، 19 أبريل 2012، <<https://bit.ly/3hLPPvA>> (13 مارس 2017)
- كوش، عمر، "حقيقة الدعم الأمريكي للمعارضة السورية"، مركز الجزيرة للدراسات، 26 يوليوز 2017، <<https://bit.ly/3jCiW57>> (02 ماي 2018)
- مكي، يوسف، "صراع أمريكي- روسي على سوريا"، مركز الخليج للدراسات، 14 يونيو 2029، <<https://bit.ly/31QtaJ7>> (4 شتنبر 2019)
- وفيق إبراهيم، "سوتشي" و "أوسلو": آليات الصراع على الشرق الأوسط"، الشرق الأوسط، 17 فبراير 2019، <<https://bit.ly/31VOYD9>> (13 أكتوبر 2019)
- وليد عبد الحي، "محددات السياسة الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية" مركز الجزيرة للدراسات، 3 أبريل 2013، <<https://bit.ly/31SpMO0>> (1 أبريل 2017)
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <<https://bit.ly/3aT0Eti>> ، (2018-01-16).
- الموسوعة السياسية، <<https://bit.ly/2HT5HQ3>> (19 ماي 2018)

ثانيا: المراجع باللغات الأجنبية

1- الكتب:

- BACIK, Gökhan, *Turkey and Russia in the Arab Spring: Straining Old Rifts Further?*, The German Marshal of united states, 16 August, 2012.
- BLANK, Stephen J, *CENTRAL ASIA AFTER 2014*, StrategicStudies Institue And U. S. ArmyWarCollegePress, Washington, November 2013.
- CHAROUNTAKI, Marianna, *Turkish Foreign Policy and the Kurdistan Régional Gouvernement*, PERCEPTIONS, 2012.
- CORDESMAN, Anthony H, *US strategic interests in the middle east and the process of regionl change*, center for strategic and international studies C.S.I.S, Washington, 2006.
- COVARRUBIAS, Jack. LANSFORD, Tom eds, *Strategic Interest in the Middle East ; Opposition or Support for US foreign Policy*, Ashgate Publishing Limited, Hampshire, 2007.
- DONALSON, Robert H. and JOSEPH Nogee, *The Foreign Policy of Russia: Changing System, Enduring Interests*, Routledge, New York, 2015.
- HARMER, Christopher, Russian Naval base Tartus, *Institute for the study of War*, July 31, 2012.

- HOLBRAD, Carsten, *The Super Power and International Conflict*, The Macmillan Press, USA, Ltd, 1979.
- JAKUB J. Grygiel, *Great Power and Geopolitical Change*, The Johns Hopkins University Press, Baltimore, 2006.
- JASON, Brownlee, *Democracy Prevention: the Policy of the US-Egyptian Alliance*, Cambridge University Press, USA, 2012.
- KARASIK, Theodore and BLANK, Stephen, *Russia in The Middle East*, The JAMESTOWN Foundation, 2018.
- KATZ, Mark N, *Leaving Without Losing : The War on Terror After Iraq and Afghanistan*, The Johns Hopkins University Press, Washington 2012.
- MOUSAVIAN, Seyed Hossein, *Iranian Nuclear Crisis*, Carnegie Endowment For International Peace, 2012.
- PEARCY, G. E, *The Middle East an Indifinable Region*, Department of State Publication, Washington, 1964.
- PRIMAKOV, Primakov, *Russia and the Arabs, Behind the scene in the Middle East the Cold War to the Present*, Basic Books, New York, 2009.
- SEMPA, Francis P, *Geopolitic : From the Cold War to the 21st Century*, Transaction Publishers, U.S.A. and London, 2002.
- SMITH, Keith C, *russianEnergy Policy and its Challenge to Western Policy Makers*, Center for Strategic and International Studies, Washington, Marche 2008.

- Yassine-Hamdan, NAHLA. and S. NERSON, Fredric, *Arab Approaches to Conflict Resolution*, Routledge, New York, 2014.
- YUN, Yeongmi and Ki-cheal Park, *Characteristics of Russian Policies in Energy security toward Central Asia : Focusing on the Constuction of South Strem Pipeline*, Institute for National Security Strategy, Vol. 24, No. 2, 2010.

2- المقالات العلمية

- DESCHENES, Dany, "*Théories des Relations Internationals*", Canadian Journal of Political Science, Canada, 2005.
- ELGINDI, Khalid, «The Middle East Quarterly: A Post Mortem», The Saban Center for Middle East Policy at Brookings, Analysis Paper, no. 25. 2012.
- KASSIANOVA, Alla, " *Russian Weapons Sales to Iran, Why They Are Unlikely To Stop*", PONARS Policy, Memo No. 427, December 2006.
- KATZ, Mark N, «*Putin's Pro-Israel Policy*» The Middle East Quarterly, 17 vol. 12, no. 1, 2005.
- LYNCH, Mark, « *The New Arab Wars : Uprisings and anarchy in the Middle east, Public Affairs* », 2016.
- MABON, Simon, "The Battle for Bahrain: Iranian-Saudi Rivalry", *Middle East Policy Council*, Vol 19, N°2, Summer 2012.

- NOVOSTI STAFF, Ria, “*Russian Ship to Hold Drills Off Syria*” Twocircles , April 5, 2012.
- NURI OZLAP, Osman," *Where is The Middle East? The Definition and Classification Problem of The Middle East as a Regional Subsystem in International Relations* " TJP Turkish Journal of Politics, Vol.2.No 2, Winter 2011.
- PRIMAKOV, Yevgeny, "*Multipolar World on the Horizon*", Nezavisimaya Gazeta, 22 Octobre 1996.
- ROBERTS, David B, " Mosque and State: The United Arab Emirates' Secular Foreign Policy ". *Foreign Affairs*, 18 Mars 2016.
- SAKOV, N, "*Russia Relations, Day Two ; Recalling the Ambassador*", Center for Nonproliferation studied , Iraq Special collection, 18 December 1998.
- SETH, G Jones,"*The Mirage of The Arab Spring Deal with The region you have not region you want*", *foreign policy*, 2013.
- ZAFAR, ShaistaShaheen, " Turkey’s ‘Zero Problems with Neighbours’ Foreign Policy; Relations with Syria" , Journal Of European Studies, n° 3. 2017.

3- المواقع الإلكترونية:

- " After \$400B Deal With China, Iran Set To Ink 20-Year Agreement With Russia – Iran FM Javad Zarif", *The Eurasian Times*, July 21, 2020, < <https://bit.ly/3mbKEb1> > (Aug 12, 2020)

- " Russia establishing permanent presence at its Syrian bases: RIA", *Reuters*, December 26, 2017, < <https://reut.rs/2YPo3at>> (August 1, 2018)
- " US Risks Billions in Arms Sales over Soured Relations with Iraq", *Defense World. Net*, January 9, 2020, < <https://bit.ly/3m5O0w1>> (March 12, 2020)
- " What foreign powers want from the Syrian War", *DW Made for Minds*, March 12, 2019, <<https://bit.ly/3jDwT2B>> (Abril 15, 2010)
- "Blue Stream Natural Gas Pipeline", *OFFSHORE TECHNOLOGIE*, <<https://bit.ly/3bA9JY5>> (June 12, 2018)
- "FRIEDRICH RATZEL: THE STATE AS A PHYSICAL ORGANISM", *GEOPOLITICA*, MARCH 29, 2019, <[HTTPS://BIT.LY/3KGSVVJ](https://bit.ly/3KGSVVJ)> (JAN 13, 2020)
- "FY 2019 Defense Budget", *U.S. Department of Defence*, < <https://bit.ly/3ibXWSs> > (January 2, 2020)
- "Israel-UAE deal could open up U.S. weapons sales to Gulf kingdom, experts say", *Reuters*, AUGUST 14, 2020, < [HTTPS://REUT.RS/3HEUUEO](https://reut.rs/3HEUUEO) > (SEPTEMBER 6, 2020)
- 1- "Russia plans to invest \$500 million in its only navy base outside the former Soviet Union - here's what it's like there", *Business insider*, December 18, 2019, <<https://bit.ly/3gekgcM>> (May 20, 2020)

- "Russia to expand its Hmeimim air base in Syria: reports", *Reuters*, September 26, 2019, < <https://www.reuters.com/article/us-russia-syria-airbase-idUSKBN1WB1UC>> (March 18, 2020)
- "Saakashvili Speaks of Provocation Attempt after Deadly Clash at Border", *Civil.ge*, 31 Aug, 2012, <<https://bit.ly/3oHldiV>> (May 10, 2017)
- "Syria: the foreign fighters joining the war against Bashar al-Assad", *The Guardian*, August 2012, <<https://bit.ly/3kO9g8t>> (March 23, 2018)
- "U.S. Relations With Bahrain", *USA Department of State*, 15/07/2017, <<https://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/26414.htm>> (12/05/2017)
- "U.S. Relations With Egypt ", *U.S. DEPARTEMENT of STATE*, September 20, 2019, <<https://bit.ly/3k6eADI>> (March 12, 2020)
- "US Military Bases in Iraq", *MILITARY BASES*, <<https://militarybases.com/overseas/iraq/>> (August 7, 2020)
- "US Military Bases in Saudi Arabia, *Military bases*, <<https://bit.ly/36VLFPq>>, (March 10, 2019)
- "USA and France dramatically increase major arms exports; Saudi Arabia is largest arms importer, says SIPRI", *STOCKHOLM INTERNATIONAL PEACE RESEARCH INSTITUTE*, March 9, 2020, < <https://bit.ly/3jZIERm>> (May 12, 2020)

- "US-Iran relations: A brief history" *BBC NEWS*, 6 January, 2020, <<https://bbc.in/325xkN1>> (20 April, 2020)
- "World Directory of Minorities and Indigenous Peoples", *Refworld UNHCR The UN Refuge Agency*, 2007, <<https://www.refworld.org/docid/4954ce4ec.html>> (11/6/2018).
- "Port of Tartous, Port Details 2008", *World Port Source*, <<https://bit.ly/386L0ZO>> (March 20, 2018)
- "U.S. Relations With Oman", *U.S. Department of State*, November 27, 2019, <<https://www.state.gov/u-s-relations-with-oman/>> (July 20, 2020)
- «"A look at foreign military bases across the Persian Gulf", *Wtopnews*, Sebyember 3, 2019, <<https://bit.ly/2C1HV1o>> (March 10, 2020)
- A. Brichevsky, "Floating workshop PM-138 returned to Sevastopol from Mediterranean cruise," *Russian Central Navy Portal*, March 02, 2011, <<https://bit.ly/3g1qNHF>> (July 10, 2018)
- ADHRB ADMIN, " Trump Administration Approves new Arms Sales to Bahrain Despite Military Abuses", *Defence Rights End Culture of Impunity*, May 1, 2018, <<https://bit.ly/3iokwXW>> (March 12, 2019)
- ANDREXS, Frank, " Revealed : The full extent of US arms deals with Saudi Arabia and UAE", *MIDDLE EAST EYE*, Abril 4, 2019, <<https://bit.ly/3jWkNlp>> (Octobre 25, 2019)

- ARBATOV, Alexei, "Russia and the Iranian Nuclear Crisis", *Carnegie Endowment For International Peace*, May 23, 2006, <<https://bit.ly/3juuk2N>> (10 March, 2017)
- ASTAKHOVA, Olesya, "Iraq buys \$4.2 billion in Russian weapons-document", *REUTERS*, Octobre 9, 2012, < <https://reut.rs/2FoSD3I>> (March 20, 2017)
- AYESH, Rashaan, " Where U.S. troops and military assets are deployed in the Middle East", *Axios*, January 8, 2020, < <https://www.axios.com/where-us-troops-deployed-middle-east-5e96fdb2-c7ba-4f26-90b4-7bf452f83847.html>> (May 15, 2020)
- BALDOR, Lolita C, US expands troop, fighter jet presence at Saudi base, *MilitaryTimes*, January 29, <<https://bit.ly/3dgsEs1>> (20 March 2020)
- BEN HOUR, Nadav and EISENSTADT, Michael, " The Great Middle Eastern War of 2019 ", *THE WASHINGTON INSTITUTE*, August 20, 2018,< <https://bit.ly/3fJnaHi>> (March 12, 2019)
- BENSAID, Adam, "Russia is selling more Weapons to Saudi Arabia And the UAE", *TRTWORLD*, Feb 22, 2019, < <https://bit.ly/3iriBC0>> (April 4, 2019)
- BERGER, Miriam, "Invaders, allies, occupiers, guests: A brief history of U.S. military involvement in Iraq", *The Washington post*, Jan 11, 2020, <<https://wapo.st/30Taoje>> (March10, 2020)

- BORSHCHEVSKAYA, Anna, « Russia's Many interests in Syria» *The Washington Institute*, January 24, 2013, < <https://bit.ly/34Za5Gw> > (March 12, 2018)
- BORSHCHEVSKAYA, ANNA, "Vladimir Putin and the Shiite Axis", *Foreign Policy*, August 30, 2016, <<https://bit.ly/3mHbmb2>> (March 12, 2019)
- BROWN, Edward, "WW3 : Russia and Iran set to renew historic weapons deal amid US threats", *EXPRESS*, Jul 23, 2020, < <https://bit.ly/35vNTnJ> > (Aug 20, 2020)
- CALABRESSE, John, "The Bab el-Mandeb Strait: Regional and great power rivalries on the shores of the Red Sea", *Middle East Institute*, January 29, 2020, < <https://bit.ly/3ifoG3w> > (12 March, 2020)
- CHOZCK, Amy and MARTIN, Jonathan, " Rivals at Democratic Debate Attack Hillary Clinton", *The New York Times*, Nov 14, 2015, < <https://nyti.ms/32P9Fkq> > (March 12, 2018)
- CRS Report prepared from Members and Committees of Congress, "Bahrain : Unrest, Security, and U.S. Policy", *Congressional Research Service*, June 26, 2020, <<https://fas.org/sgp/crs/mideast/95-1013.pdf>> (May July 3, 2020)
- DARIUS, Mahdi. NAZEM ROAYA, "The Geopolitics behind the War in Yemen ", *Journal Strategic Culture Foundation*, 03/03/2015, <<https://bit.ly/3hr3FUH>> (15/7/2017).

- DEMPDEY, Judy, " Victory for Russia As the EU's Nabucco Gas Project Collapses", *Carnegie Europe*, July 01, 2013, < <https://bit.ly/3lWUjSQ>> (March 24, 2017)
- DIAMAND, Jeremy and STARR, Barbara, " Trump's \$110 billion Saudi arms deal has only earned \$14.5 billion so far", *CNN BUSINESS*, Octobre 13, 2018, <<https://cnn.it/2FjojHn>> (February 23, 2019)
- DICK, Shannon and STOHL, Rachel, " Global Arms Trade :Settings an Example for Responsible Policy", *STIMSON*, November 7, 2019, < <https://bit.ly/3h8DmRu> > (January 20, 2020)
- DOCEUL, Marie-Christine et TABARY, Sylviane, "Le canal de Suez, les nouvelles dimensions d'une voie de passage stratégique", *Géoconfluences*, 19 mars, 2018, <<https://bit.ly/3cGhXhU>> (23 Janvier 2019)
- EGAN, Matt, " Trump says America doesn't need Middle East oil. It's not that simple", *CNN BUSINESS*, January 8, 2020, <<https://cnn.it/359zEov>> (March 10, 2020)
- ENOS, Eli and STOHL, Rachell, " Examining US Arms Sales to Qatar", *STIMSON*, July 20, 2017, < <https://bit.ly/2R85UjO>> (March 2, 2019)
- GADY, Franz-Stefan , " Iran and Russia Negotiating \$10 Billion Arms Deal", *The Diplomat*, November 15, 2016, < <https://bit.ly/3hlSZFl> > (March 12, 2019)

- GALLA, Carlotta, "Turkey Gets Shipment of Russian Missile System, Defying U.S", *The NewYork Times*, July 12, 2019, < <https://nyti.ms/3hxf0Br>> (December 12, 2019)
- GHIZALBERTI, Giosue, " Tragedy and Repetition in Marx's 'The Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte" , *ACADEMIC JOURNAL ARTICLE*, 1997, <<HTTPS://BIT.LY/35F48HO>> (MARCH 20, 2018)
- GOULD, Joe, " US Senate upholds arms sales to Bahrain, Qatar", *Defense News*, June 13, 2019, < <https://bit.ly/33cJLWW>> (Octobre 13, 2019)
- HARKAVY, Robert E and KEMP, Geoffrey," Strategic Geography and the Changing Middle East", *BROOKINGS*, May 1, 1997, < <https://brook.gs/3kWsfNP> > (*March 12, 2018*)
- HENSIEK, Sebastian, "10 of the Largest Arms Manufacturing Companies Worldwide", *WORTHLY*, <<https://bit.ly/35d6Co1>> (March 12, 2019)
- IDDON, Paul, "The U.S. Military Has Been Engaged In Iraq For 30 Years Now ", *Forbes*, Aug 3, 2020, <<https://bit.ly/2PuzJKx>> (August 7, 2020)
- INSINNA, Valerie and GOULD, Joe and MEHTA, Aarona, "Congress has secretly blocked US arms sales to Turkey for nearly two years", *Defense News*, August 12, 2020, <<https://bit.ly/2Zykbuv>> (Sabtembeer 4, 2020)
- JAVIER E, David, " US-Saudi Arabia seal weapons deal worth nearly \$110 billion immediately, \$350 billion over 10 years",*CNBC*, May 20, 2017, < <https://cnb.cx/3icaJEU>> (March 12, 2018)

- KENNETH, Katzman, " Kuwait: Governance, Security, and U.S. Policy", *Congressional Research Service*, February 19, 2016, <<https://bit.ly/33QOboa>>, P. 9. (July 20, 2019)
-,, "Oman: Politics, Security, and U.S. Policy", *Congressional Research Service*, June 17, 2020, <<https://fas.org/sgp/crs/mideast/RS21534.pdf>> P. 15. (July 4, 2020)
- KHANNA, Parag, "Breaking Up Is Good to DO" , *Foreign Policy*, January 14, 2011, <<https://bit.ly/3g03FKY>> (12 MARCH, 2018)
- KOHNAVARD, Nafiseh, "Iraq military bases: US pulling out of three key sites", *BBC NEWS*, March 16, 2020, <<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-51914600>> (August 7, 2020)
- KOLODYZHNYI, Anton, "Daren Butler, ' Russia hopes to agree new S-400 missile deal with Turkey next year", *REUTERS*, November 26, 2019, < <https://reut.rs/3bPRLBf>> (January 14, 2020)
- KULLAB, Samya, "U.S. pulls out of a third base in Iraq", *Military Times*, March 29, 2020, <<https://www.militarytimes.com/news/your-military/2020/03/29/us-pulls-out-of-a-third-base-in-iraq/>> (August 7, 2020)
- LANDRY, Carole, "Iran arming Yemen's Huthi rebels since 2009: UN report", *yahoo news*, April 30, 2015, <<https://www.yahoo.com/news/iran-arming-yemens-huthi-rebels-since-2009-un-202936346.html>> (12/06/2018)

- MAMEDOV, Ruslan, " Russia's Position on the US-Iran Confrontation. Watching from the sidelines", *Russian International Affaires Council*, February 27, 2020, <<https://bit.ly/3jxe3dG>> (May 10, 2020)
- MAZEZETTI, Mark and WONG, Edward, " Trump Administration Pushes Arms Sale to U.A.E. Despite Israeli Worries, *The New York Times*, Aug 19, 2020, < <https://nyti.ms/3bFTsB8> > (September 5, 2020)
- MCLEARY, PAUL and EGOZI, ARIE , "US Threatens Egypt With Sanctions For Russian Arms Deals", *Breaking Defense*, November 19, 2019, < <https://bit.ly/2RdgTIu>> (December 15, 2019)
- PUTIN , Vladimir: "Russia and the Changing World," *Russkiy Mir Foundation*, February 27, 2012, <<https://ruskiymir.ru/en/publications/139698/>> (March 25, 2018)
- RATELLE, Jean François, " North Caucasian foreign fighters in Syria and Iraq: assessing the threat of returnees to the Russian Federation", *Tandfonline*, 30 Sep, 2016, <<https://bit.ly/2Ghv8Kv>> (8 March, 2019)
- RODKIEWICZ, Witold, "Defying America. Russia's policy towards Iran", OSW COMMENTARY, February 22, 2020, <<https://bit.ly/31MmjR3>> (May 11, 2020)
- RYZHKOV, Vladimr, " Russian's Policy : on the way to isolation", *The Moscow Time,s* May 6, 2014, <<https://bit.ly/3lNNyCO> > (february 22, 2017)

- SABELLA, Bernard, "Russian Jewish Immigration and the Future of the Israeli-Palestinian Conflict", Middle East Research and information Project, May 1993, <<https://bit.ly/3djNkPY>> (March 12, 2017)
- SPECIA, Megan and GLADSTONE, Rick, " The Tension Between America and Iran, Explained", *The New York Times*, May 16, 2019, <<https://nyti.ms/2TSxnay>> (August 20, 2019)
- SUCHKOV, Maxim A, " What's Chechnya doing in Syria? Russia is finding the Republic of Chechnya's influence to be very helpful in Syria", *AL-MONITOR*, Mar 26, 2017, <<https://bit.ly/3kQ5aN9>> (6 May, 2018)
- TALBOTT, Strobe and TENNS, Maggie, " The only Winner of the US-Iran Showdown is Russia", January 9, 2020, <<https://brook.gs/3hOk9WG>> (31 March, 2020)
- TAYLOR, Adam, As Trump tries to end 'endless wars,' America's biggest Mideast base is getting bigger, *The Washington Post*, <<https://wapo.st/32BKuCz>> (July 25, 2019)
- TSATSOS, Aristidis, " Second Chechen War : Causes, Dynamics and Termination –A civil War between Risk and Opportunity ?", *ResearchGate*, January 2014, <<https://bit.ly/3kTQVH9>>(May 12, 2019)
- VINE, Davide, " Where in the World Is the U.S. Military?", *Politico Magazine*, July/August,

2015, <<https://www.politico.com/magazine/story/2015/06/us-military-bases-around-the-world-119321>> (July 3, 2018)

- WALLIN, Matthew, " U.S. Military Bases and Facilities in the Middle East", *American Security Project*, June, 2018, <<https://bit.ly/3iu30lA>> (May 22, 2019)

- WEISS, Michael, " Russia's Double Game with Islamic Terror", *DAILY BEAST*, Jul 12, 2017, <<https://bit.ly/34Npx8o>> (16 Jul, 2019)

- "22\$bn US-Iraq Arms Deal Agreed, *Iraq-Business News*, March 27, 2017, <<https://bit.ly/2Zo7u5t>> (May 12, 2018)

الفهرس

المقدمة.....	1
القسم الأول: مظاهر وأبعاد صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة.....	25
الفصل الأول: مظاهر صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط.....	28
المبحث الأول: المظهر السياسي الدبلوماسي لصراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط.....	29
المطلب الأول: أزمات شرق أوسطية بين سياسة أمريكية فاعلة وروسية حذرة ومرتبكة ..	29
الفرع الأول: أزمة حرب الخليج الثانية.....	29
الفرع الثاني : القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي.....	34
الفرع الثالث: القضية العراقية.....	40
المطلب الثاني: أزمات شرق أوسطية وسياسات أمريكية روسية بخطين متوازيين.....	44
الفرع الأول: الأزمة الإيرانية.....	44
الفرع الثاني: الأزمة السورية.....	50
الفقرة الأولى: الأزمة السورية والتعاطي الروسي-الأمريكي معها.....	51
الفقرة الثانية: مظاهر وأوجه الصراع الروسي-الأمريكي في الأزمة السورية.....	67
المبحث الثاني: المظهر الاقتصادي لصراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط ..	76
المطلب الأول: محورية مصادر الطاقة في الصراع الروسي-الأمريكي في المنطقة.....	76
الفرع الأول: الاهتمام الروسي-الأمريكي ببنفط المنطقة، الدوافع والأسباب.....	76
الفقرة الأولى: الدوافع الروسية.....	76
الفقرة الثانية: الدوافع الأمريكية.....	79
الفرع الثاني: مظاهرات الصراع الروسي-الأمريكي في مجال الطاقة.....	83
المطلب الثاني: عقود التسلح محدد أساسي في الصراع الروسي-الأمريكي في المنطقة.....	95
الفرع الأول: عقود التسلح الأمريكية مع دول المنطقة.....	96
الفرع الثاني: عقود التسلح الروسية مع دول المنطقة.....	107

123	الفصل الثاني: أبعاد صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط
124	المبحث الأول: البعد الأمني العسكري للصراع الروسي الأمريكي في المنطقة
124	المطلب الأول: الانتشار والتدخل العسكري في المنطقة
125	الفرع الأول: التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة
125	الفقرة الأولى: منطقة الخليج
130	الفقرة الثانية: دول خارج المنظومة الخليجية
134	الفرع الثاني: التواجد العسكري الروسي في المنطقة
135	الفقرة الأولى: قاعدة طرطوس البحرية
137	الفقرة الثانية: قاعدة حميميم الجوية
139	المطلب الثاني: الدعم الروسي-الأمريكي لأطراف النزاع بسوريا وخطر المواجهة
139	الفرع الأول: الدعم العسكري واللوجستي لأطراف النزاع في سوريا
144	الفرع الثاني: احتكاكات عسكرية بين القوات الروسية والأمريكية بالمنطقة
144	الفقرة الأولى: صراع المواقع الاستراتيجية بين الطرفين في سوريا
149	الفقرة الثانية: مناوشات روسية أمريكية في المنطقة وخطر المواجهة
154	المبحث الثاني: البعد الجيوبوليتيكي لصراع النفوذ الروسي - الأمريكي في الشرق الأوسط
155	المطلب الأول: الجيوبوليتيك الشرق أوسطي والصراع الدولي
155	الفرع الأول: تفسير الجغرافيا كمصدر للصراعات الدولية
163	الفرع الثاني: المركز الجيواستراتيجي لمنطقة الشرق الأوسط
168	المطلب الثاني: الرؤية الروسية الأمريكية لجيوبوليتيك الشرق الأوسط
168	الفرع الأول: الجيوبوليتيك الشرق أوسطي من منظور روسي
169	الفقرة الأولى: التواصل الجغرافي بين روسيا والشرق الأوسط
177	الفقرة الثانية: الامتدادات العربية للجغرافيا الأوراسية
179	الفرع الثاني: الجيوبوليتيك الشرق أوسطي من منظور أمريكي
180	الفقرة الأولى: الجيوبوليتيك الإيراني

180.....	الفقرة الثانية: الجيوبوليتيك التركي
183...	الفقرة الثالثة: جيوبوليتيك الدول العربية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية
185.....	القسم الثاني: تداعيات ومستقبل صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط
188.....	الفصل الأول: تداعيات صراع النفوذ الروسي-الأمريكي على منطقة الشرق الأوسط
189.....	المبحث الأول: تداعيات الصراع على بنية الدولة والنظام العربي
189.....	المطلب الأول: التداعيات على بنية ومكونات الدولة الوطنية
189.....	الفرع الأول: أثر العامل الخارجي على عملية بناء الدولة الوطنية
192.....	الفرع الثاني: الصراع الإقليمي وأثره على عملية بناء الدولة في المنطقة
192.....	الفقرة الأولى: التنافس الإقليمي السعودي-الإيراني
195.....	الفقرة الثانية: الصراع الإقليمي وأثره على عملية بناء الدولة
197.....	الفرع الثالث: صراع النفوذ الدولي ودوره في إعاقة عملية بناء الدولة
204.....	المطلب الثاني: توظيف البعد الطائفي في الصراع الدولي على النفوذ وانتهيار النظام العربي
205.....	الفرع الأول: تنافس شيعي-سني يغذيه دعم روسي-أمريكي لأطرافه
205.....	الفقرة الأولى: الصراع الإقليمي الطائفي السني-الشيعي
209.....	الفقرة الثانية: دعم روسي-أمريكي لأطراف الصراع الطائفي في المنطقة
220.....	الفرع الثاني: أثر الصراع على الأمن الإقليمي العربي
221.....	الفقرة الأولى: اختراق المنطقة وفرض قيود على الأمن القومي العربي
225.....	الفقرة الثانية: إضعاف النظام العربي يخدم الوجود الإسرائيلي
229.....	الفقرة الثالثة: تصاعد القوى الإقليمية في مواجهة الأمن القومي العربي
232.....	المبحث الثاني: دور الصراع في تنامي الإرهاب والعجز الأممي
234.....	المطلب الأول: تداعيات الصراع على الظاهرة الإرهابية في الشرق الأوسط
235.....	الفرع الأول: الأوضاع الدولية وأثرها في تنامي الإرهاب العالمي
235.....	الفقرة الأولى: الدوافع السياسية
238.....	الفقرة الثانية: الدوافع الاقتصادية

240	الفقرة الثالثة: الدوافع الاجتماعية.....
241	الفرع الثاني: صراع المصالح والنفوذ وتنامي الإرهاب في الشرق الأوسط
241	الفقرة الأولى: سياسات القوى الكبرى في المنطقة وتنامي الإرهاب
243	الفقرة الثانية: محطات تنامي الإرهاب بالمنطقة
247	الفقرة الثالثة: التدخلات الراهنة وحصر الإرهاب في المنطقة.....
254	المطلب الثاني: تداعيات الصراع على قرارات مجلس الأمن
254	الفرع الأول: تحليل قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالأزمة السورية
260	الفرع الثاني: الأسس القانونية للتدخل في سوريا
262	الفرع الثالث: أثر صراع النفوذ في تعطيل مجلس الأمن.....
268	الفصل الثاني: مستقبل صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في الشرق الأوسط.....
270	المبحث الأول: الشرق الأوسط أمام خيارات مفتوحة عنوانها الصراع.....
270	المطلب الأول: خطر التصادم الاستراتيجي في المنطقة
270	الفرع الأول: استمرار الصراع دون المواجهة المباشرة
274	الفرع الثاني: تحول الصراع إلى تصادم إقليمي برعاية دولية
274	الفقرة الأولى: معادلة توازن الضعف الإقليمي في المنطقة.....
276	الفقرة الثانية: خطر الانفجار الكبير في الشرق الأوسط
283	المطلب الثاني: تحول الصراع إلى فوضى صراعات في المنطقة وخطر التقسيم
283	الفرع الأول: خصخصة صراعات مسلحة في المنطقة.....
288	الفرع الثاني: استمرار الصراعات في المنطقة وخطر التقسيم.....
296	المبحث الثاني: عوامل داعمة لاستمرارية صراع النفوذ الروسي-الأمريكي في المنطقة
296	المطلب الأول: العامل السياسي والاقتصادي
296	الفرع الأول: العامل السياسي
297	الفقرة الأولى: على المستوى الداخلي لدول الشرق الأوسط
300	الفقرة الثانية: على مستوى البيئة الإقليمية لدول الشرق الأوسط.....

304	الفقرة الثالثة: على مستوى بيئة النظام الدولي
307	الفقرة الرابعة: المستوى المتعلق بكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية
308	الفرع الثاني: العامل الاقتصادي
309	الفقرة الأولى: على المستوى الداخلي لدول الشرق الأوسط
312	الفقرة الثانية: على مستوى البيئة الإقليمية لدول الشرق الأوسط
313	الفقرة الثالثة: على مستوى بيئة النظام الدولي
315	الفقرة الرابعة: المستوى المتعلق بكل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية
316	المطلب الثاني: العامل الأمني والعسكري
316	الفرع الأول: البيئة الداخلية والإقليمية لدول الشرق الأوسط
316	الفقرة الأولى: الأمن الداخلي لأغلب دول الشرق الأوسط
317	الفقرة الثانية: خلل المنظومة الأمنية للشرق الأوسط
318	الفقرة الثالثة: علاقات الشك والريبة بين دول المنطقة
319	الفقرة الرابعة: انقسام النظام السياسي وأثره على أمن دول المنطقة
319	الفقرة الخامسة: القضية الكردية، إشكال أمني في الشرق الأوسط
321	الفرع الثاني: البيئة العالمية والعلاقة بين القوتين
324	خلاصات واستنتاجات
331	قائمة المراجع